

منابر الاسلام

مع العدد هديتان

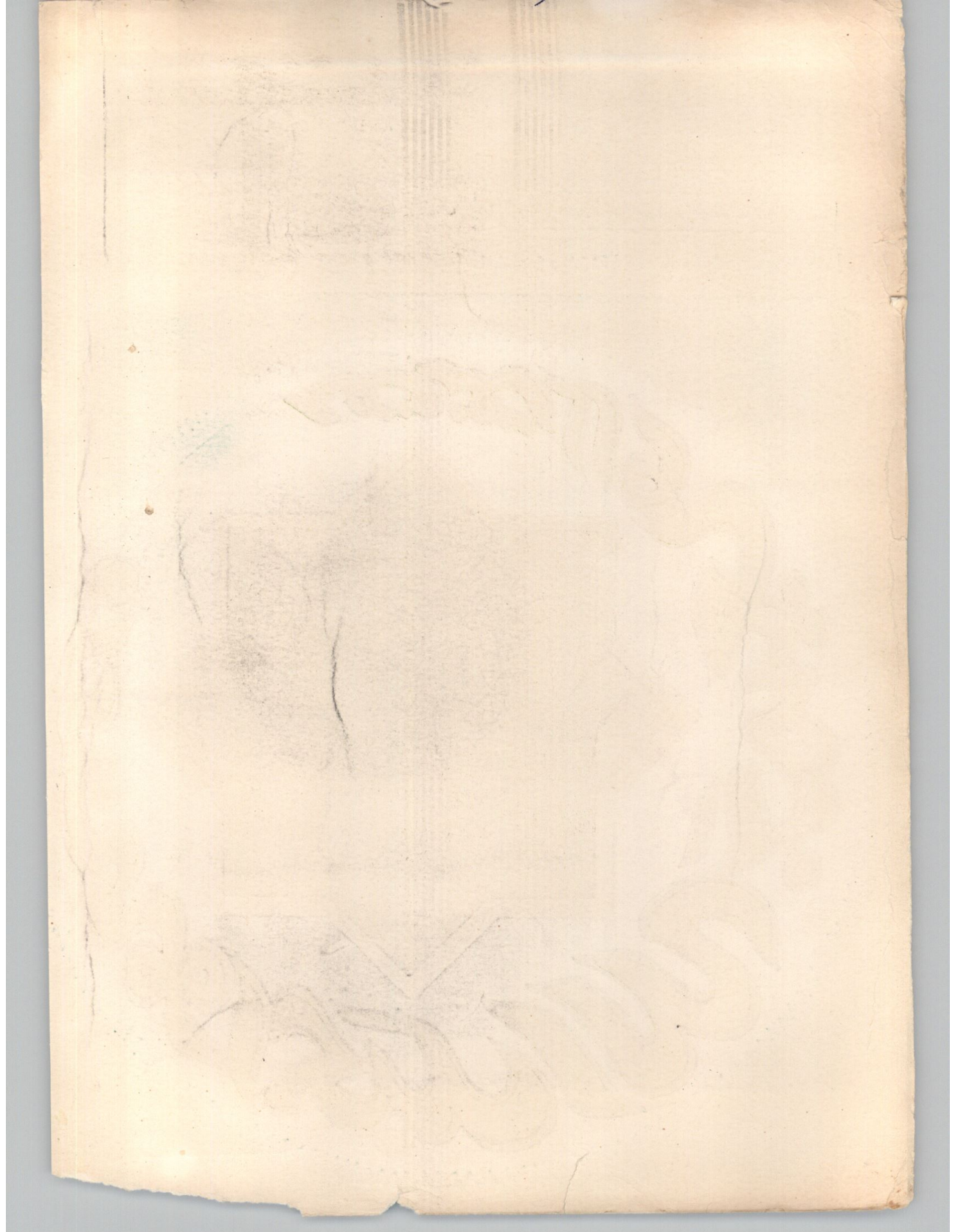
■ المنتخب من السنة النبوية الشريفة
■ "القردوس" مجلة الطفل المسلم

العدد ١٠٠ قريش

مع العدد : صورة الرئيس أنور السادات (بالالوان)

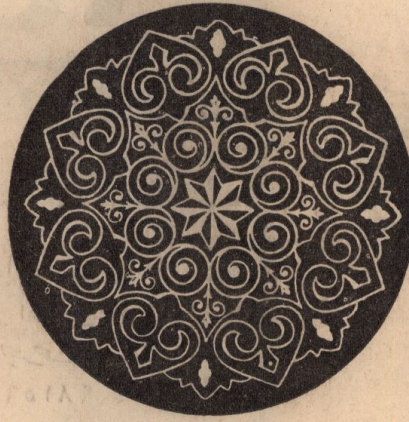
العدد ٤ • السنة ٢٩ • ربيع الآخر ١٣٩٩ • يونيو ١٩٧١





منابر الإسلام

يصدرها
المجلس الأعلى
للشؤون الإسلامية



ف غرة كل شهر عربي

رئيس التحرير
محمد توفيق جويضة

السنة ٢٩ • ربيع الآخر ١٣٩١ • يونيو ١٩٧١

الرسالة الرجينة الرجينة



العنوان

٣ شارع الأمير قنادر المتفرع من شارع
التحرير خلف عمارة بحري - القاهرة
تليفون ٢٨١٥٦

الاشتراكات

١٠٠ قرش في الجمهورية العربية المتحدة
٨٠ قرشا للعمال والطلبة
يضاف إلى هذا قيمة البريد خارج الجمهورية
العربية المتحدة وما يساوي قيمة هذه العملة في الدول الأخرى
تقبل كوبونات البريد الدولي ذات القرشين
الاشتراكات تدفع مقدما

- نص الحديث التاريخي الهام الذي وجهه السيد الرئيس انور السادات الى الشعب في ١٤/٥/١٩٧١
- مع السيد الرئيس انور السادات في مجلس الشعب في ٢٠/٥/١٩٧١
- تفسير سورة نوح
- الاستاذ احمد حسين
- انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون
- فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى
- مجتمع العلم والايمان
- الاستاذ عبد الحليم الجندي
- لمن الخزائنة
- بقلم المستشار عبد الستار آدم
- ارادة الجماهير من ارادة الله
- للدكتور محمد طلعت عيسى
- من احكام الشريعة الاسلامية وآدابها
- فضيلة الشيخ محمد خاطر
- بشارة النصر
- فضيلة الشيخ عبد الحكيم سرور
- نظريات من الفقه الجنائي الاسلامي
- دكتور احمد المجدوب
- الطريق الى الله
- الاستاذ احمد زين
- خبر الواحد والقياس
- دكتور محمد سعاد جلال
- من اخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم
- فضيلة الشيخ عبد الحميد بلع
- من اخلاق القرآن
- الدكتور احمد الشرباصي
- سبيل المؤمنين الى النصر
- فضيلة الشيخ محمد فايد
- التيار العربي الوحدوي
- الاستاذ محمد ابراهيم الخطيب
- القرآن وصوت المعركة
- فضيلة الشيخ عطية صقر
- الجهاد في الاسلام
- دكتور احمد السيد الكومي
- يمن الوحدة
- فضيلة الشيخ معوض عوض ابراهيم
- الحضارة الاسلامية في الهند
- دكتورة سعاد ماهر
- التراث العلمي الاسلامي
- دكتور عبد الحليم منتصر
- مفترقات مستشرق غاشم
- دكتور مصطفى الرافعي

من محتويات العدد

وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا





قال الاستاذ الامام : محمد عبده [رحمه الله]

ان الله تعالى قد وضع لنا بفضلته ورحمته قاعدة نرجع اليها عند تفرق الاهواء واختلاف الاراء وهي الاعتصام بحبله في قوله [سبحانه] : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » ولذلك نهانا عن التفرق بعد الامر بالاعتصام الذي قلنا في تفسيره : انه تمثيل لجمع الاهواء وضبط الارادات .

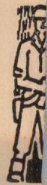
ومن القواعد المسلمة انه لا تقوم لقوم قائمة الا اذا كانت لهم جامعة تضمهم ووحدة تجمعهم وتربط بعضهم ببعض فيكونون بذلك أمة حية كأنها جسد واحد كما ورد في حديث : « مثل المؤمنين في توادهم وتراحيمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » وحديث : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » .

فاذا كانت الجامعة الموحدة للامة هي مصدر حياتها سواء كانت مؤمنة او كافرة فلا شك ان المؤمنين اولى بالوحدة من غيرهم لانهم يعتقدون ان لهم الها واحدا يرجعون في جميع الشئون الى حكمه الذي يعلو جميع الاهواء ويحول دون التفرق والخلاف ، بل هو نبوع الحياة الاجتماعية لما دون الامم من الجمعيات حتى البيوت [العائلات] ، ولما كان لكل جامعة وكل وحدة حفاظ يحفظه ارشدها [سبحانه] الى ما نحفظ به جامعتنا التي هي مناط وحدتنا واعنى بها الاعتصام بحبله [والمراد من حبل الله القرآن الكريم فهو الدستور الصالح لكل عصر الجامع لكل مواد الرقى والتقدم للأفراد والجماعات في دينهم ودنياهم] وقال ايضا [رحمه الله] :

بعد ان امرنا الله بالاجتماع والاعتصام نهانا عن التفرق والانقسام لما في التفرق من زوال الوحدة التي هي مقصد العزة والقوة ، وبالعزة يعز الحق فيعملو في العالمين ، وبالقوة يحفظ هو واهله من هجمات الموائين وكيد الكائدين .



[كان ١٥ مايو يوم الجماهير
— لقد خرج الشعب ليقول
كلمته] وطافت المظاهرات
المقادمة من كل ارجاء الجمهورية
شوارع العاصمة لتنتج بعد ذلك
الى سراى القبة وتعلن تأييدها
الكامل للرئيس السادات في كل
الاجراءات التي اتخذها من أجل
سيادة القانون وحرية المواطن
وقيام الاتحاد .



نص الحديث التارخي الرام الذي وجه الرئيس أنور السادات إلى الشعب



في ١٤ مايو ١٩٧١

توجه الرئيس أنور السادات في الساعة من مساء
١٤ مايو إلى الشعب بهذا الحديث الذي استغرق ٩٠
دقيقة وفيما يلي نصه:

بسم الله

الحقيقة في المرة دي وأنا اتحدث اليكم
ما اعددتش خطاب مكتوب ولا جهزت ورق وانما في
ايدى فقط التوتة التي باسجل فيها جميع الاجتماعات
اللي بتحصل سواء كانت على مستوى سياسي او على
مستوى السلطة التنفيذية يعني مجلس الوزراء او
حتى جلسات المباحثات اذا كانت هناك وفود عندنا .
أنا بأفضل في هذه المرة اني اتحدث اليكم حديث القلب
المفتوح لانه لايد أن يعلم الشعب كل شيء وكل حقيقة
بشكل مفتوح وبشكل عادى وبشكل طبيعي ومن غير
أى اعداد .



هكذا بدأت القصة

في الـ ٢٤ ساعة الاخيرة كلكم بالتاكيد
حسبتم ان فيه حاجة . لكن أنا عايز أبدا
القصة من أولها علشان أوصل للـ ٢٤ ساعة
الاخيرة . المسألة بدأت بعدما عدت أنا من بنى غازى
على طول في بنى غازى كنا اتفقنا - الرئيس معمر
القذافي والرئيس حافظ الاسد وأنا على قيام دولة
اتحاد الجمهوريات العربية المتحدة . كان معايا في
الوفد المصرى اثنين السيد حسين الشافعى والسيد
على صبرى . وكان الوفد الليبى يتكون من الرئيس





في حديث رائع ومخلص فتح الرئيس انور السادات قلبه للشعب في امانة وصدق مكاشفة

محمدر القذافي وأعضاء مجلس قيادة الثورة معاه •
وكان الوفد السوري بيتكون من الرئيس حافظ الاسد
وثلاثة من زملائه في القيادة القطرية •

اجتمعنا هناك وكأى اجتماعات بتحصل حصلت
خلاقات وحصلت مناقشات بيننا ، وأخذ ورد وانتهينا
الى اقرار الاتفاق الى احنا اعلناه • وجيت أنا اعلنته
من هذا المكان لكم • هذا الاتفاق الى هو الخاص
بدولة الاتحاد الثلاثى اساسه ايه ؟ • • • اساسه كان
كلنا لو نذكر الله يرحمه الرئيس جمال لما عاد من
مؤتمر القمة العربى سنة ١٩٦٩ الى انمعد فى الرباط
فى المغرب وفشل المؤتمر وانتهى الى ما انتهى اليه
كلنا عارفين رجع الى طرابلس واجتمع هو والرئيس
معمر القذافي والرئيس نميرى وقبل كده لما بنتكلم عن
الوحدة العربية وبعد تجربتنا مع الوحدة السورية كنا
دائما متفقين على أساس أنه أى وحدة تقوم تانى لازم
نراعى فيها الدروس الى احنا استفدناها من وحدة
سوريا وعلى ذلك شكل اتحاد الجمهوريات العربية
المتحدة دا الشكل الى احنا بنقول أنه مناسب واتفقنا
فى حياة الرئيس جمال الى أنه تكون الصيغة أو
الشكل المناسب لآى وحدة نبدأ بيه وبعد ذلك ان أمكن
يتطور يتطور لاحسن الشكل ده معناه ان كل دولة
بتكون كاملة بمقوماتها برئيسها بحكومتها ببرلمانها
بجيشها كل أجهزتها وبكون وحدة قوية وبعدين •
فوق بنكون من رؤساء الدول مجلس رئاسة وينتخبوا
من بينهم رئيسا للدولة الجديدة دى الى بتكون من
مجموعة دول ويبقى لها برضه هذه الدولة مجلس
تشريعى يعنى مجلس أمة ويبقى لها أيضا محكمة
دستورية •

وبيتكون أساس اختصاص مجلس الرئاسة ، الى
هو مكون من الرؤساء برئاسة أحدهم ينتخبوه ،
بيتكون اختصاصه عمليات السياسة الخارجية ،
عمليات الاقتصاد ، عمليات السلم والحرب والامن •

لما رجع الرئيس من الرباط على طرابلس ، كان
معاه صيغة هذا الاتفاق الى هو اتفاق اتحاد
الجمهوريات العربية المتحدة •

فى ذلك الوقت اتناقش الرؤساء الثلاثة وصديقنا
وأخونا الرئيس نميرى قال ان الوقت غير مناسب
بالنسبة للسودان الان لمثل هذا المشروع ، لانه لسه
بسنبل اقامة التنظيمات السياسية بتاعته ، وبسبيل
اعادة بناء الدولة ، لانه استلم دولة زى ما احنا
عارفين كلنا • • •

الرئيس نميرى استلم دولة حطام من الاحزاب
السابقة واقتصاد محطم وممزقة سياسيا ، والناس فى
الداخل فى الواقع كانوا فى حالة من القششت
السياسى ، فالرئيس نميرى كان عايز ياخذ فرصته الى

□ □ □

أن يستطيع أنه يعدل كل هذه الاوضاع • عندئذ اتفق
على ميثاق طرابلس الى وقموه الرؤساء الثلاثة
كخطوة أولى نحو الاتحاد أو نحو الجمهوريات
العربية المتحدة •

على صبرى يعارض

أرجع لكلامى لما عدت من بنغازى • • وأنا فى
بنغازى أولا السيد على صبرى عارض فى قيام هذا
الاتحاد وفى الاتفاق • • وقال لى هذا ، قلت له ده
رايك • ولكن أنا بانطلق فى كل تحرك أو فى كل عمل
بأعمله من منطلق واحد ، الى هى المعركة ، ما تحتمه
على المعركة أنا بأعمله وما بتردد فيه أبدا ، اطلاقا •
ده مجرد تفاهم بين دولتين عربيتين بيزعج اسرائيل
• • مجرد تفاهم ، فما بال اذا كانت وحدة أو اتحاد •

والساحة السورية بالنسبة لنا حقيقة وبالنسبة
للمصر كله والشعب السورى كله حاشد نفسه ،
وخصوصا بعد الرئيس حافظ الاسد ما قام بحركة
التصحيح الرائعة الى قام بها وجميع الشعب السورى
كله ، رجل واحد ، واردة واحدة من أجل المعركة •

قلت له تعارض تعارض ، مفيش حاجة يعنى احنا
حا نروح والتصديق فى اللجنة العليا للاتحاد
الإشتراكى ثم فى اللجنة المركزية زى ما كنا كاتبين فى
الاتفاق والمناقشة مفتوحة ، وكلنا بنناقش ، وكل منا له
رأيه ، وسبق قبل كده اتعرضت أمور ، وكان فيه آراء
معارضة وآراء موافقة ، وبنصل فى الآخر ، فى
النهاية الى النتيجة يعنى •

صورة غربية فى اللجنة العليا

وصلنا القاهرة ، وطلبت عقد اللجنة التنفيذية
العليا لبدء التصديق على ميثاق أو على اتفاق قيام
دولة الاتحاد الثلاثى •

فوجئت حقيقة ، لأول مرة ، فى اجتماع كلجنة
عليا ، سواء كان فى وقت المرحوم جمال - الله
يرحمه - أو بعد ما تركنا جمال ، فوجئت بشئ
جديد •

أنا زى ما قلت ، احنا بنختلف ، ويمكن الاثنين
أخوات فى البيت الواحد بيختلفوا كل واحد بيبكون له
رأى لوحده ، الاختلاف مش عيب ، والاختلاف من أجل
المصلحة العامة مطلوب •

ثاني .. قلت لهم احنا ناقشنا كفاية، ولكن اسلوب المناقشة ذاته يؤسفني، ان مستواه غير مستوى المسئولية .. الكراسي اللي احنا قاعدين عليها .. احنا نروح اللجنة المركزية احسن، ونمشي في اساليبنا الديمقراطية ..

دروس من التاريخ

ورحنا اللجنة المركزية، مفروض ان السادة اعضاء اللجنة المركزية كلهم يناقشوا .. وانا حتى في اول الجلسة قلت ندى الفرصة لاعضاء اللجنة المركزية يقولوا لنا آراءهم في الاتفاقية، وأنا شرحت الاتفاقية، وقلت أنا باعتقد ان ده جزء لا يتجزأ من المعركة، بل جزء لا يتجزأ من كياننا ومصيرنا احنا، ومصير أجيالنا عبر التاريخ ..

المنطقة بقاعتنا دي اللي احنا عايشين فيها، تعرضت لغزوات عبر التاريخ، على مدى الزمن، ياخذ مئتين اثنين قريبيين، ومثل ثالث اللي احنا عايشين فيه .. المثلين البعاد، القطار ثم الصليبيين .. تعرضت منطقتنا دي للقتار .. هجوم ساحق، قواقل القطار وجحافلهم وسط آسيا، وجم وغرقوا بغداد وحرقوها ووصلوا لغاية سوريا، ما امكنش تخلص المنطقة من الغزوة دي الا باتحاد مصر وسوريا سوا ..

الغزوة الثانية اللي تعرضت لها المنطقة، وهي الغزو الصليبي، استمر ٨٠ سنة .. الغزوة دي في بلادنا هنا وفي منطقتنا، وكانت واخده اسم الصليب بس حجة، انما هي كانت غزوة استعمارية لاحتلال المنطقة، نفس الشيء حصل، وكتب التاريخ لغاية النهاردة تقول انه لولا اتحاد سوريا ومصر تحت رئاسة صلاح الدين، مكنش امكن تخلص المنطقة من الغزوة الصليبية اللي تعرضت لها المنطقة ..

قلت لهم احنا في الغزوة الثالثة، وهي الغزوة الصهيونية، حتقعد اد ايه .. الله وحده هو اللي يعلم، لكن واجبنا احنا ان نعد نفسنا، مش بس احنا نفسنا لا .. نعد للأجيال اللي جيه من بعدنا .. نخط الاساس السليم، ونأخذ ده في حسابنا، وأنا باعتبار ان المعركة اللي احنا عايشينها النهاردة بتحتم علينا انه لابد من عمل شكل من الاشكال مع سوريا أولا بالذات، ليه ؟ .. لان ده عبر التاريخ الدرس اللي اتعلمناه، ولان سوريا ومصر، زي بن جوريون ما قال زمان، الفكين بتوع الكماشة على اسرائيل، بتبقى اسرائيل في وسطهم زي البندقة بين فكين الكماشة ..

قلت للجنة المركزية الاتفاق وروحه ايه .. ان كل

□ ٩ □

انما، لأول مرة، لقيت صراع غريب .. السيد على صبرى خذ الكلمة في الاول، واتكلم وساب مواد الاتفاق وقال ان الاسلوب اللي تم به الاتفاق له عليه ملاحظات، وعلى المواد له ملاحظات ..

لكن اللي انا فوجئت به، ان المسألة مكنتش مناقشة للخلاف على الراي، أو مناقشة أيهما أصلح، أو مناقشة موضوعية في الموضوع اللي احنا فيه، لا .. عملية غريبة أوى .. عملية واضح فيها الصراع، الصراع انه بكل الطرق وبكل الاساليب، وعن طريق التجريح، حتى مش بس في أنا .. بل التجريح في الوفود الأخرى اللي كانت معنا .. وبأسلوب لا يمكن ان يبيله أحد، وده متسجل، لان الميكروفونات كانت فوق الترابيزة مش تحت الترابيزة، ومتسجلة الجلسة، ذهلت حقيقة لان، لأول مرة، باشوف عمليات صراع .. وأنا أصلى حضرت زمان قبل الثورة طريقة المناورات السياسية بقاعة الاحزاب، وكنت عايش أنا الفترة دي وعمليات أساليب ازاى لما عايزين يسقطوا اتفاق، أو عايزين واحد يناور واحد أو يجرح واحد ازاى يلجا للمناورة ولللف والاستخدام أساليب، أقل ما يقال فيها انها غير شريفة ..

الى اللجنة المركزية

أنا حقيقة فوجئت، مشيت الكلمة بعد ذلك، وبعدين أنا قلت والله احنا في موقف نجد فيه الراي، لان أنا باعتبار هذا الاتفاق، اتفاق من أجل المعركة، وأنا مؤمن ان كل شيء يخدم المعركة بدون أدنى تردد لازم أبذل دمي حتى فيه، لان ولادنا جاهزين حبيبلوا دمهم في المعركة فانا بافتكر ان دي لحظة لازم نحدد مواقفنا فيها، وخصوصا لاني لقيت العملية فيها صراع ..

بصيت لقيت الاتي :

في التصويت، السيد على صبرى بيعارض، السيد عبد المحسن أبو النور بيعارض، السيد ضياء الدين داود، بعد ما قال كلمته وخطبته، وبنهاها كلها على طريقة وأسلوب السيد على صبرى بيعارض أيضا، السيد شعراوي جمعه بيعارض، السيد لبيب شقير بيعارض، واحنا كنا ثمانية .. اللي وافق على الاتفاق الدكتور فوزي والسيد حسين الشافعي وأنا ..

قلت لهم احنا ما دمنا حددنا الامر بهذا الشكل بنستمر في اسلوبنا الديمقراطي، احنا اختلفنا : الخطوة التالية الى اللجنة المركزية، وهناك في اللجنة المركزية بنعرض هذه الاتفاقية ..

قالوا مفيش داعي نروح اللجنة المركزية بهذا الخلاف، لازم نعمل اجتماع للجنة نناقش فيه الامر

٤ ساعات ضاعت هباء

فجه الدكتور مصطفى أبو زيد أمام اللجنة المركزية كلها وهو استاذ قانون دولي وقال يؤسفني أن الاربع ساعات التي ضاعوا دول كلهم ضاعوا هباء على اللجنة . لا ادبتونا الكلمة احنا كنا وضحنا المسألة من الاول . السيد على صبرى بيتكلم فى ناحية وبيهاجم وبيشرح فى ناحية والمشروع الذى أمامنا واللى شرحه الرئيس فى هذا الموضوع دا موضوع مختلف تمام الاختلاف - تعالوا نناقش مواده دا شيء تانى - دا اتفاق بنسميه تعاهدى . دول قائمة بذاتها ولكن بناخد صيغة معينة بتلتقى فوق بصيغة معينة وبتقبل على نفسها أو بتتعاقد فيما بينها على تعاقدات معينة تؤيدها فى معركة فى السلم فى الاقتصاد فى أى شيء وده أمر موجود فى القانون .

السيد على صبرى كان بيتكلم عن الهجوم المريع والهجوم زى ما بقول الذى وصل الى التجريح واستعمال أسلوب غير شريف . قال دا بيتكلم على فيدرالى دا الاسلوب ده فيدرالى . وما فيش فى هذا الاتفاق ابدأ حاجة فيدرالى . فيدرالى ده تبقى دولة واحدة زى الولايات المتحدة أو زى الاقتصاد السوفيتى . جمهورياته بتبقى مع بعضها كلها وجيش واحد وكذا وكذا . أما الكلام دا ابدأ . ده شيء تانى خالص . فانا قلت للجنة المركزية لو ادينا الكلمة للجنة المركزية مش كنا ارتحنا من الاربع ساعات دول . والتجريح الذى احنا سمعناه والتجريح الذى احنا ابتدينا نخش فيه . عملية المناورات السياسية . ونسب بقى مصير البلد كله . وننسى مسئوليتنا واحنا على كراسينا ونخش فى عمليات الصراع .

لا خلاف اطلاقا

رفعت الجلسة . . . وقلت حانعود بعد رفع الجلسة لى نكمل المناقشة . فوق اجتمعت اللجنة التنفيذية العليا كلها فى مكتب السيد عبد المحسن أبو النور وكان موجود معنا السيد محمود رياض وزير الخارجية . وكان موجود أيضا الاستاذ هيكى وكان موجود السيد سامى شرف الى جانب جميع أعضاء اللجنة التنفيذية العليا واحنا قاعدين فى الاستراحة . . . وقالوا لى بلاش نكمل المناقشة يعنى الليلة ونؤجل ونقترح لجنة تشوف الصياغة لانه واضح دلوقت بعد كلام الدكتور مصطفى أبو زيد انه مافيش خلاف اطلاقا على جوهر الموضوع انما تشكل لجنة تعمل صياغة . . . قلت لهم انا شوفوا جوهر الموضوع والاتفاق فى ذاته انا مؤمن بيه وانا عايز اسمع آراء اللجنة المركزية الاول ولازم اسمعه . احنا

دولة قائمة بذاتها تماما علشان نمنع الحساسيات ، ونطلع بدروس من اللى جرى ، لكن فوق فى السلم ، وفى الحرب ، واقفين مع بعض . وسياستنا ننسقها مع بعض ، مواردنا بنستخدمها من أجل صالح المعركة ، الموجود فى بلادنا بنستخدمه من أجل صالح المعركة ، ومتفقين احنا فى هذا تمام الاتفاق ، البلاد الثلاثة ، ومتفقين حقيقة بمنتهى الحماس والاخلاص ، سواء كان من ناحية ليبيا ، أو من ناحية سوريا أو من احيتنا احنا شخصيا .

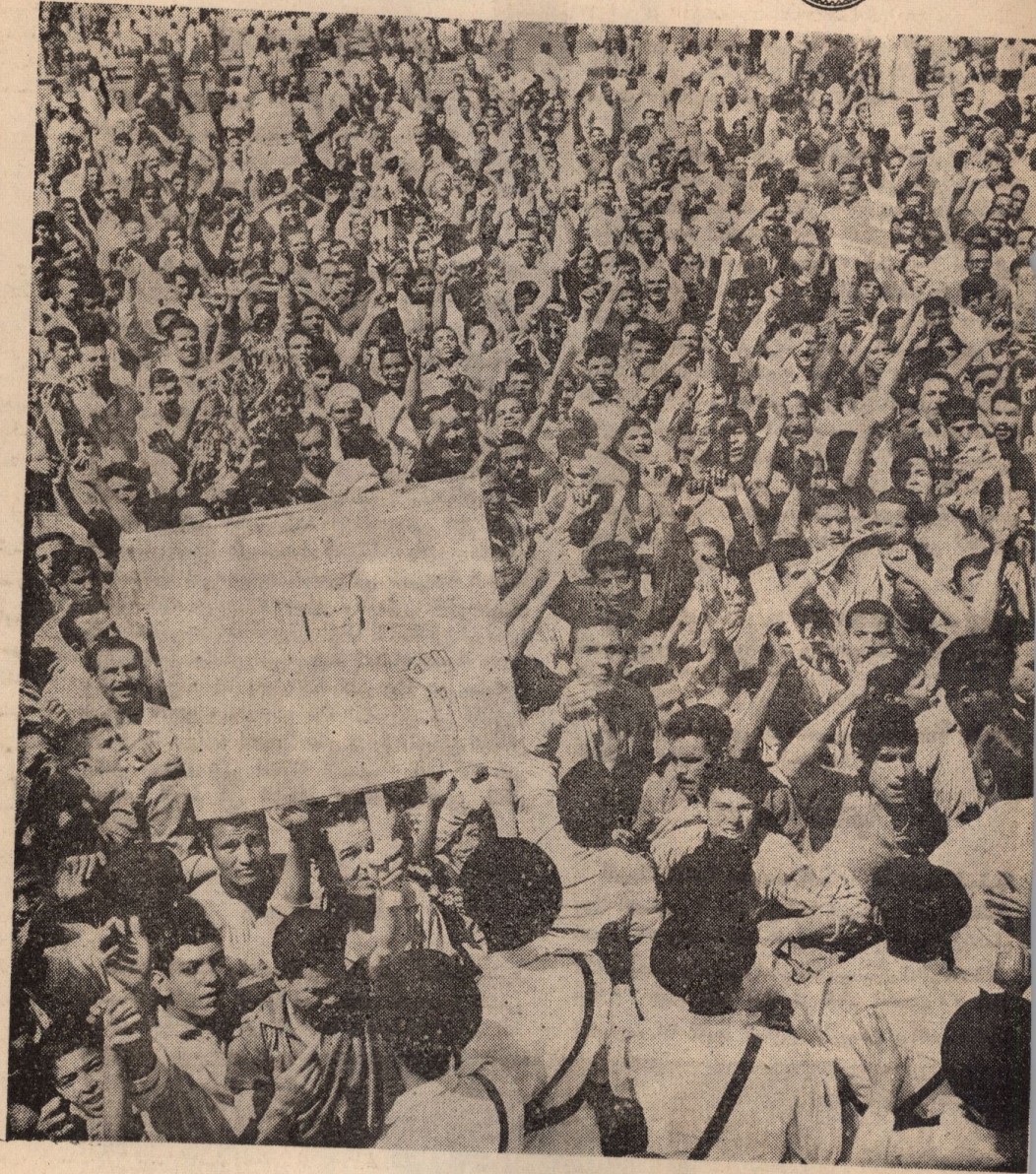
هيصة فى اللجنة المركزية

وقلت السادة أعضاء اللجنة المركزية ياخدوا الكلمة ويقولوا لنا رايهم . . . بصيت لقيت هيصة تحت فى اللجنة المركزية ، محدش عارف الحقيقة . . . السيد على صبرى قال لا . . . انا عايز اتكلم . . . قلت طيب احنا ممكن نخلى أعضاء اللجنة المركزية يتكلموا ، ويبقى شوية من المركزية وشوية من اللجنة العليا وهكذا ، ممكن المناقشة تمشى ، لان احنا اتناقشنا فى اللجنة العليا سبع ساعات .

وقبل ما افتح الموضوع أمام اللجنة المركزية ، تكرت صراحة اننا اختلفنا فى اللجنة العليا يا حضرات أعضاء اللجنة المركزية . . . وعشان كده احنا جايين الموضوع هنا عشان نفتتح فيه المناقشة . . . أصر السيد على صبرى انه لازم ياخذ الكلمة . . . قلت له اتفضل . . . ابتداء نفس الابتداء الذى ابتداء فى اللجنة العليا ، والكلام فيه اذاعة اسرار عن كلام دار بينه وبين رؤساء دول ، أو بينه وبين أعضاء مجلس قيادة ثورة ، وبعدين يا ريت بيقول الكلام الصحيح . . . انما بيستغله نحو هدف معين . . . حاولت أوقفه وأقول له لا ، خلينا فى صلب الاتفاقية ذاتها أو صلب الاتفاق ، والكلام زى ما انا شرحت ، خلونا فى الاتفاقية ، مش فى أى كلام آخر . . . هيصة تحت فى اللجنة المركزية ، هيه هيه هيه . . . هيصة تحت فى اللجنة المركزية هيه هيه هيه . . . بطريقة فيها نوع من التهريج ، يتكلم ، يتكلم ضد رأى اللجنة المركزية . . . فقالوا خليه يتكلم ، طيب ماشى ، كمل ، وسبته يكمل كلامه .

السيد ضياء الدين داود أيضا اتكلم وبعدين كان قات أربع ساعات فى الاجتماع . . . بعد الكلمتين دول ، قلت قبل مانعمل استراحة ، مانسمع حد من اللجنة المركزية بقى ونعمل الاستراحة ونكمل بالليل ونكمل الجلسة ، وبعد الاستراحة ، ادينا الكلمة للدكتور مصطفى أبو زيد عضو اللجنة المركزية واستاذ القانون الدولى .

شعب ١٥ مايو



مفرقة الشعب تمسك بهائد الشعب . . لوحة حملتها احدى المظاهرات

ماسمعناش غير وأحد يس • استماتوا في انه مافيش
داعى نكمل الجلسة دى والاعصاب وكذا •
وخصوصا وانه كان واضح عمليات تهريج في قاعة
اللجنة المركزية •

الشعب هو الحكم

انا الحقيقة كنت عايز ليلتها اكمل المناقشة ونحدد
المواقف زى ما حددت المواقف في اللجنة العليا •
ليه • • لأنه بعد ذلك حا انزل للشعب وده اسلوبى
حايكون دائما انه في اى شيء ليكن الشعب هو الحكم
الاول والاخير •

احسوا بهذا قالوا ماعلش وا وا وطيب • • قلت
زى بعضه • • وبعد يومين تيجي اللجنة المركزية
وتجتمع تاني واتشكلت اللجنة من اعضاء من اللجنة
المركزية • واحنا قاعدين فوق بقى زى ما قلت لكم
واللجنة العليا كلها موجودة بالإضافة اليها السيد
محمود رياض وزير الخارجية والاستاذ هيكل والسيد
سامى شرف • وبعدين السيد شعراوى جمعه بيقوللى
ارجو انك تعتبر الكلام اللي قاله السيد على صبرى
كانه لم يكن • قلت له انا شوف اذا كانت هناك حاجة
توجه لشخصى انا مستعد اتسامح في حق نفسى
شخصيا والسيد على صبرى كان قاعد جنبى • قلت له
احنا بنلجا لشيء جديد خالص في السياسة • احنا
قضينا عليه من يوم ٢٣ يوليو • اسلوب على صبرى
كان اسلوب هدم يا شعراوى وانا لا أستطيع ان اكون
رجل منافق امامكم انتم جميعا اعضاء اللجنة العليا
والحاضرين • انا بقول اذا كان هذا هو حايكون
اسلوب الهدم واستخدام هذا الاسلوب في المناورة
السياسية • والله اهدمها على دماغ الجميع علشان
خاطر احافظ على الامانة للشعب • انما انا غير
مستعد افطر في الامانة ابدا • بحضور الكل
هراة •

جوهر المشروع فلم يمس • وبعد مناقشة قصيرة طلب
بعض الاعضاء من اللجنة اننا نأخذ الاصوات •
وافاجا لما طلبت الاصوات ان اعضاء اللجنة المركزية
ببرفعوا أيديهم • الله • طب المشروع جوهره هو
هو • الكلام اللي اتغير فيه كلام قانونى قاله فنى مش
في جوهر الموضوع • الله • طب كان ايه حكاية اللي
جرى في الجلسة اللي فاتت وايه اللي جرى في
الجلسة دى • بالاجماع شيء غريب كان أمر مؤسف
حقيقة • لانه بيدى صورة مش كريمة •

قبل هذا بيوم • • قبل هذه الجلسة اتصل بي السيد
شعراوى جمعه وقال لى ان السيد على صبرى مستعد
بيجى لك في البيت ويعتذر • ثم بيجى في اللجنة
المركزية امام اعضاء اللجنة المركزية ويعلم سحب
كلامه كله وشطبه من الجدول • قلت له لا انا رايح
اللجنة المركزية • وما اعرفش انها كانت مترتبة على
الاجماع زى ما كانت مترتبة قبل كده • قلت له احنا
رايحين اللجنة المركزية واحب اسمع راي كل
واحد • ولتترك الموضوع بقى الى ما بعد الاتفاق
نتكلم • ونشوف ايه اللي جرى لان الاسلوب انا قلت
لكم ده اسلوب هدم امامكم جميعا كاعضاء للجنة
التقضية العليا وبحضور وزير الخارجية وبحضور
الاستاذ هيكل وبحضور سامى شرف انا قلت لكم دا
اسلوب هدم وانا لا اقبله اطلاقا كاسلوب سياسى نعمل
بيه • قلت له تروح وتأخذ الاصوات على المشروع
وبعد اللجنة ماتناقش •

زى ما حكيت لكم ما اتناقشناش كتير واقترح
تقدم • وايوه الاصوات • والاصوات بالاجماع • •
شيء غريب • • خرجنا • •

دى المرحلة الاولى من كلامى • مرحلة دولة الاتحاد
الثلاثى • والطريقة اللي تمت بيها •

المرحلة الثانية

المرحلة الثانية جت بعد كده • • انا فكرت الحقيقة
بهذا الاسلوب لا أستطيع ابدا انى اكون أمين قدامكم
كشعب • • وانا باعتبر نفسى مسئول اول واخيرا امام
الله سبحانه وتعالى وامام الشعب مش امام حد تانى
ابدا • • امام الله اولاً ثم امام الشعب • • بهذا
الاسلوب انا لقيت اسلوب لا يمكن يستمر • وان

صياغة فنية

شكلنا اللجنة وانتهينا وجينا تانى اجتماع شيء
مضحك • كان • • اللجنة لم تتعرض للمشروع الا في
كلمات فنية قالتها في تقريرها • صياغة فنية • اما



الاشتراكي من الوحدات الاساسية من اول القرية من تحت لقاية اللجنة التنفيذية فوق ٠٠ لابد من اعادة الانتخاب وبصراحة مش بالاسلوب الى تم الدور الى فات ٠٠ لا وانتوا فاهمين لا ٠٠ انتخاب حر ٠ انا عايز جماهير ٩ و ١٠ يونيو الى طلعت وماحدث طلعتها ٠٠ هي الى طلعت ورفضت الهزيمة ٠٠ وهي الى وصلتنا للموقف الى احنا فيه النهاردة من صمود ومن قوة عسكرية ومن تغير كامل من هزيمة مؤلمة مريرة يوم ٩ و ١٠ الى موقف النهاردة بنقول فيه العمق بالعمق والنايالم بالنايالم وقلت ساكون بنفسى الرقيب على هذه الانتخابات ولن أرحم حد يحاول يزور فيها ابدا ٠٠ بس الانتخابات تكون من القاعدة الى القمة علشان تطلع بتنظيم سليم وبعدين اللجنة المركزية الجديدة تحط لنا قانون الاتحاد الاشتراكي الجديد الى يحط الضوابط بحيث انه مايحصل المناورات السياسية بالاسلوب السياسي الى انا حكيت لكم عنه المؤسف الى جرى ده ٠ ولا تصل بلدنا فى يوم الى هذا سواء كانت فى معركة مصرية زى الى احنا فيها او حتى فى اوقات السلم العادية ٠

مهزلة

وكان تفكيرى انه اصلح الى جرى بواسطة الشعب ودا حاكون اسلوبى دايمًا حاصلح كل شئ يجرى بواسطة الشعب مش بواسطة الاجراءات ولو انى اضطريت فى الـ ٢٤ ساعة الاخيرة انى اخذ اجراءات وحا اقول لكم الاسباب ايه - وضد مين ٠

لما وصلت الى هذا تدهت للسيد شعراوى جمعه مع علمى بانه مسئول عما تم داخل اللجنة المركزية ولكن قلت انه يعنى فى اسلوبى ماياستطعش آخذ كلام حد على حد ٠ وارفض ان يكون الاسلوب ان اى حد يبجي يكلمنى على اى حد فاكون فكرة وآخذ قرار ٠ لا ٠٠ البلد كلها حاسة واتكلموا واتكلمت فى هذا الموضوع بالذات واتكلمت بالذات فى شأن شعراوى جمعه باعتباره ممثل التنظيم وماسك ما يسمى بالتنظيم الخاص داخل الاتحاد الاشتراكي ووزير الداخلية اتكلمت البلد كثير وتكلم الاتحاد الاشتراكي كله خصوصا بعد اللجنة المركزية ما اكتشفت ان المهزلة الى تمت فى اول جلسة كانت مهزلة فى تاريخ اللجنة المركزية وفى تاريخ عملنا السياسى شئ مؤسف جدا انا ما اخدش كلامه ابدا ٠ وتدهت لشعراوى جمعه



سياسة البلد خصوصًا واحدنا فى المعركة الى احنا فيها وفى معركة بناء الدولة الجديدة أيضا ٠ وفى معركة بناء الدولة الجديدة أيضًا ٠ وفى معركة بناء مستقبل سياسى وتقاليد سياسية ٠ ان احنا نبتدى نلجا للمناورات السياسية والصراع والهدم واستخدم الاساليب غير الشريفة قلت لا ده كلام لازم زى ما سبق قلت لكم ادخل الشعب حكم فيه - طيب ازاي ؟ الى حصل ماكنتش ناوى احكيه للشعب انا بأحكيه لكم دلوقت علشان الى حصل فى الاربعة وعشرين ساعة الى فاتوا ٠ انما انا ماكنتش ناوى احكيه لكم ٠ انما قلت ازاي الشعب ادخله حكم ٠

تحالف قوى الشعب

قلت الاتي : الاتحاد الاشتراكي هو الصيغة الى يجب ان نتمسك بيها جميعا لتحالف قوى الشعب ٠ ولكي نمارس الديمقراطية السياسية بتاعتنا ٠ لا الاحزاب تصلح لنا ولا طريقة الحزب الواحد تصلح لنا ٠٠ انما من خلال تجربتنا الى فاتت طلعلنا بنتيجة ان تحالف قوى الشعب العاملة داخل الاتحاد الاشتراكي هو ده احسن اطار سياسى نشغل من داخله ونمارس الديمقراطية فى بلدنا ٠ ولاننا نحافظ عليه ٠ لكن ٠٠ لازم كمان نضع له التقاليد السليمة علشان مايرجعش يتحول فى الآخر الى الاسلوب الحزبى الى حكيت لكم عنه واستخدام الاساليب غير الشريفة ٠٠ ويبقى مقياس النجاح فيه هو عملية الانتهازية او عمليات المناورات او عملية ناس يجتمعوا ويعملوا (كورنر) ويجهزوا تجهيزة معينة علشان يوصلوا لنجاحية معينة ٠ فلان نقضى عليه وتبقى المسألة مسألة مناقشة الراى بالراى ٠

الخلاف بنختلف لكن فى النهاية لازم نصل لانه اذا كان خلافتنا قائم على اساس المصلحة وعلى اساس الموضوع الى احنا بنتكلم فيه ومصلحة بلدنا لكن فى النهاية سنصل الى احسن الحلول والخلاف زى ما قلت لكم امر مشروع مادمانا نتناقش مناقشة حرة ٠

اعادة انتخاب الاتحاد الاشتراكي

قلت ان الطريق الوحيد انى اصحح هذا بواسطة الشعب ٠ هو انى لابد من اعادة انتخاب الاتحاد

وكلمة واقتضت بثقه سيراته ٠٠ أكثر من هذا بقي اديته
خطته قلت له احنا عاوزين نصلح وعليه فان خطتي
هي الاتي :

انتخابات حرة ١٠٠ في المائة

لما نبيجي نصلح نصلح بالشعب انا عاوز نجهز
نفسنا لانتخابات حرة ١٠٠ في المائة وانا حا اكون
بنفسى مشرف على هذه الانتخابات من القاعدة الى
القمة ٠٠ لكن الوحدات الاساسية اللي عندنا فى
الاتحاد الاشتراكى خلصت من سنتين ٠٠ اجلنا احنا
اعادة الانتخابات فيها بالنسبة لظروف المعركة ٠ لكن
اللجنة المركزية فاضل عليها من الاربعة سنين بتوعها
ثلاث سنوات واللجنة العليا المدة بتاعتها ٦ سنين ٠٠
طلب علشان اعمل هذا قلت برضه مافيش حل الا انا
ارجع للشعب لانه مافيش داعى اقول انه فيه انتخابات
من القاعدة الى القمة فييجى لى واحد يقول انت راجل
بتصرف تصرف غير شرعى لان مدة اللجنة المركزية ٤
سنوات ومدة اللجنة العليا ٦ سنوات قلت نجهز نفسنا
لاستفتاء نتقدم بيه للشعب من غير مانحكى حاجة ٠
احنا داخلين على دولة جديدة وداخلين ايضا على
المعركة والمعركة اللي احنا داخلين عليها مش
حاتاربها قواتها المسلحة وحدها ٠ احنا كلنا
كشعب ٠ وزى ما سبق قلت كده ٠ فى كل قرية فى كل
بلد فى كل مدرسة فى كل مكان على ظهر بلدنا دى
المعركة حاتكون زى ما هى على الجبهة تمام على
القناة حاتكون جوه عمق البلد لان احنا عارفين عدونا
وعارفين طريقته ولازم نجهز نفسنا ٠

تفاعل بين الشعب والاتحاد

طيب مادام الشعب كله داخل المعركة اذن فلنعد الى
الشعب ونستفتيه ٠٠ يا شعبنا بحكم النص اللي فى
الدستور هل توافق - الدستور بيدى رئيس الجمهورية
الحق فى الرجوع للشعب فى المسائل الهامة اللي
يهم مصالح الشعب انه يتقدم للشعب
بالاستفتاء - فبمقتضى هذه المادة كنت حا اقول يا
شعب احنا داخلين فى دولة جديدة وداخلين على
معركة بيشترك فيها كل الشعب انا بأطلب منكم الرد
على السؤال الاتي : هل نجرى انتخابات من القاعدة
الى القمة للاتحاد الاشتراكى واللا لا ٠٠ علشان نوجد
التفاعل الكامل بين الاتحاد الاشتراكى وبين الشعب
ونجهز نفسنا كشعب للمعركة اللي جاية اللي احنا كلنا
حاتشارك فيها ٠ فاذا اجاب الشعب بنعم بنشكل لجنة
لانتخابات ونبدى وكنت حا اقول فى البيان اللي حا
اعلنه علما بان مدة الوحدات الاساسية قد انتهت فانت

□ ١٤ □

بقي لها سنة وباقي على اللجنة المركزية كذا وباقي
على اللجنة العليا كذا ٠٠ فاذا اجبت يا شعب بنعم
فانى حا اشكل لجنة علشان الاشراف على الانتخابات
وشعب ٩ و ١٠ يونيو لازم هو اللي يطلع فى هذه
الانتخابات وينتخب من يشاء لان كل من يقدمه الشعب
انا راضى بيه واشتغل بيه ونخش المعركة كلنا وحدة
واحدة ٠

لجنة لوضع الدستور

النقطة الثانية اذا كان الشعب حايقول نعم فى
الاستفتاء مجهز كنت حا اشكل لجنة للبدء فى عمل
الدستور الدائم للجمهورية العربية المتحدة لنسا
لمصر ٠٠ ليه لانه بعد ما دخلنا اتحاد الجمهوريات
عايزين نعود الى اسمنا مصر ٠ جمهورية مصر
العربية ٠

الحاجة الثالثة انه فى اثناء هذه الانتخابات ودا
كله حا يكون مترتب على كلمة نعم القرار اللي جهزته
وقلت عليه لشعراوى جمعه انه فى نفس الوقت بنجرى
انتخابات للتنظيم الشبابى والتنظيم النسائى وبذلك فى
وقت واحد حاتكون بنجرى انتخابات من القاعدة الى
القمة للاتحاد الاشتراكى لتنظيم شبابى - لتنظيم
المرأة - تنظيم نسائى فى اول مرة فى تاريخنا ٠

تصحيح الاوضاع

شعبنا كله داخل المعركة مافيش فرق بين رجل
وامرأة ٠ وطفل وكبير كلنا داخلين ٠ قلت لشعراوى
جمعه جهز نفسك على هذا كله وشوف ايه المواعيد
علشان نعمل انتخابات ونصحح اوضاعنا ونصحح
قانون الاتحاد الاشتراكى ٠ ولانلجأ للاساليب ولا
المناورات اللي جرت دى ونقضى نهائيا على كل ماهو
انتهازى ٠ وكل ماهو وصولى ٠ وكل ماهو أسلوب
وغير شريف فى العمل السياسى ٠٠ قال حاضر ٠٠
اديته خطتى كلها بالكامل ٠

طلعت زرت قواتكم المسلحة فى يومى الثلاثاء
والاربعاء اللي فاتوا ٠٠ وشى يشرف حقيقة ٠٠
الاسئلة ٠ كان نفسى اعلن محاضرها على الشعب ٠
محاضر الجلستين دول لان قسمنا القوات المسلحة
قسمين : اجتمعت على مدى يومين بالقوات المقاتلة
على الجبهة وجميع فروع القوات المسلحة
كلها على الجبهة وخلف الجبهة كان نفسى اعلنه ٠
وحيجى اليوم اللي اشر فيه هذه المحاضر وتشوفوا
الى اى مستوى اولادنا وضباطكم على مستوى الفهم



كان المفروض ان يكون في حراسة المظاهرة لكنه لم يستطع ان يسيطر على مشاعره وحملته الجماهير وهو يهتف مؤيداً للسادات على طريق عبدالناصر

والله ساكون فى منتهى القسوة للى يحاول انه يشق جبهتكم الداخلية من وراكم .. فلا تفكروا فيها سييوها .. سييوا جبهتكم الداخلية كونوا واثقين ان الـ ٢٤ مليون بقلبيهم وبأحاساسهم وكل ما يملكون وراكم فى معركتكم عشان تكسبوها وشرفكم حطيته فى أيديكم .. سامعنى الفريق فوزى دلوقتى وسمع اد ايه الضباط صفقت لماكان ايديها حاينزل منها الدم عشان القضاء على مراكز القوة ايا كانت او القضاء على اى حد يفكر انه يشق جبهتنا الداخلية واحنا فى المعركة النهاردة وكل معركة امريكا النهاردة كده واسرائيل اعدائنا .. كل معركتهم انهم يكسبوا المعركة من الداخل مش على القناة .. يكسبوها من الداخل بفرقة تحصل فى الداخل وتنهار الجبهة الداخلية جوه .

القوات المسلحة الللى وقفت على القناة اولاد الشعب الللى جوه . حبسيوا القناة وييجوا لاهاليهم للفرقة الللى حتحصل فى وسطهم ومش حايقربوا يحاربوا .. سامعنى فوزى دلوقتى .. وانا حزين

□ ١٥ □

والمسئولية بيناقتسوا فى ايه .. وبيتكلموا فى ايه شىء يخلى كل مصرى رأسه ترتفع عشر ققامات .. احساس بمسئولية هداء .. تضحية .. وعى لكل الظروف المحيطة بالمعركة من سياسية واقتصادية وكل شىء .. اسئلة على مستوى المسئولية حقيقة ؟!

القضاء على مراكز القوى

وسامعنى دلوقتى .. سامعنى الفريق فوزى الللى أنا محدد أقامته فى الاربعة والعشرين ساعة الاخيرة وانا حزين .. حزين حقيقة .. سامعنى لانه كان معى يوم الاربعاء الللى فات فى انشاص .. وسامعنى لما قلت للضباط انى لن اسمح بقيام مركز قوة فى هذا البلد .. بل سأقضى عليه وكونوا مطمئنين يا اولادى .. بصوا ادامكم لليهود ومتبصوش وراكم أبدا للجبهة الداخلية .. لانه اذا اقتضى الامر عشان احفظ سلامتها

الرقابة على التليفونات

ده الكلام اللي أنا باسمعه ده بالحرف .. واحد بيحكى لواحد تانى فى التليفون والشريط ده متسجل بواسطة الرقابة اللي على التليفونات اللي فى الداخلية .. فيه جهاز رقابة فى الداخلية اتأريه ماشى من زمان من أيام أحد رؤساء الوزارات بتسوع زمان .. مش زمان قوى .. يعنى أحد رؤساء الوزارات القريبين .. اتأريه كان شاريه ، وكان معاه فى رئاسة مجلس الوزراء وبعدين وداه الداخلية يراقب التليفونات .

الشئ الغريب ان تفاصيل اللي جرى فى اللجنة المركزية بالنص واحد بيحكى لواحد تانى .. بس استلقت نظرى شئ غريب تفاصيل كاملة لكن فيه نقطتين فى غاية الخطورة .

النقطة الاولى : انه بعد ما اجتمعنا فى اللجنة العليا زى ما قلت لكم واختلفنا واخذنا الاصوات واطلعنا خمسة ضد ثلاثة .. اتارى الخمسة ، منهم ناس مباشرة بعد الاجتماع لما عرفوا ان احنا رايعين اللجنة المركزية مباشرة بعد انتهاء الاجتماع - المفروض ان اجتماعات اللجنة العليا اللي هى أعلى مستوى سياسى فى البلد واللى مفروض تاخذ فيها قرار الحرب مثلا او نقرر مصير البلد

يوزعون اتباعهم

اول ما وصلوا لمكاتبتهم بعد الاجتماع راحوا موزعين اتباعهم ونزلوهم على أنحاء البلد كلها يروحوا لاعضاء اللجنة المركزية فى اسكندرية والبحيرة وفى المنصورة فى كل حته لانه كان فاضل ثلاثة أيام على اجتماع اللجنة المركزية يفهمهم ايه اللي جرى فى اللجنة العليا ، وانه لازم الاعضاء تيجى جاهزة وترفض .. مع ان احنا فى اللجنة لعليا لم نناقش الموضوع زى ما قلت لكم .. كان فيه اشيء غير شريفة .. حصلت أساليب غير شريفة يعنى .

أنا معنديش فكرة عن الموضوع ده كله .. أنا قاهم ان العملية تلقائية ان احنا كنا فى اللجنة العليا ونزلنا اللجنة المركزية .. الكلام بقاع السيد على صبرى والاسلوب اللي لجأ اليه واللى حب يسجبه بعد كده وأنا رفضت لانه ده لازم بتسجل وهو مسجل على اشرطة عندنا النهاردة للتاريخ عشان محدش يعود اليه أبدا تانى .

البقية ص ١٠٦

وأسف وموجودين الضباط كلهم والفريق أول صادق وزير الحربية الآن سامعنى أيضا وكان وينا .. وهو الآن وزير الحربية وفى مكتبه .. ويسمعنى اولادى على الجبهة اللي كنت قاعد معاهم فى انشاص من الجيش الثانى ومن جميع قروع القوات المسلحة .. وسامعنى كلامى اللي باقوله ده .. وعدت مساء يوم الاربعاء .

امر فى غاية الخطورة

مساء الاربعاء الساعة واحدة بالليل افاجأ بأن واحد طالب مقابلتى .. شاب صغير وبيقول انا لازم أقابل الرئيس بلوقتى فورا وأنا فى بيتى هناك يبيجوا الناس كلهم بيطلبوا مقابلتى وبيكون عندى وقت .. مقيش زيارات رسمية ولا حاجة باشوفهم .. باشوف اللي بيحى بيخش انما الساعة واحدة بالليل ده مش معقول يعنى .. فقالوا له مش ممكن قال طيب بس اسألوا صاحى والا لا .. قالوا له صاحى بس مش ممكن الساعة واحدة بالليل .. قال طيب بلقوه قولوا له ان الامر فى غاية الخطورة .. بلغونى قالوا واحد بيقول امر فى غاية الخطورة .. قلت ايه يعنى اللي حيكون فى غاية الخطورة يا جماعة يعنى .. قلت لهم أسألوه قولوا له حول ايه لان الانسان برضه أهو يحافظ عشان ما يجرحوش .. كان ممكن أقول خليك يا بنى للصبح .. الخطورة مش حاجرى حاجة من الساعة واحدة بالليل لغاية الصبح .. لكن الخطورة برضة الانسان بيحسب يمكن فيه شئ ييمس الوضع بقاينا واحنا فى المعركة .. قالوا له ايه يعنى الرئيس بيسألك ايه يعنى الموضوع اللي أنت عايز تعرضه واهيه وجه الخطورة فيه .. قام قال طيب خذوا الشريطين دول اديهم للرئيس يسمعهم على ريكوردز عنده وبعدها يقرر ان كان الامر يساوى انه يشوفنى والا لا .

اول شريط مع اللجنة المركزية

جاءوا لى الشريطين وقالوا انه بيقول خذ الشريطين دول اديهم للرئيس يسمعهم ويشوف ان كان الامر يساوى انه يشوفنى والا لا .

كنت راجع من الجبهة فى منتهى السعادة يومها .. باقول لكم لما باشوف اولادنا فى الجبهة وباسمح مناقشاتهم وفهمهم ووعيهم والفداء والرجولة واحساسهم بمسئولياتهم الانسان بينفعل .. أنا كنت سعيد ومنفعل جدا قاعد سهران برغم انى كنت تعبنا وأنا راجع يومها الا انى دورت الشريط لقيت أول شريط بيحكى قصة اجتماع اللجنة المركزية الاول .. هربية ..

هذه هي معالم الطريق وهذه هي أعلامه حتى لا نخطئ أو يخطئ غيرنا



السيد الرئيس أنور السادات يلقي خطابه التاريخي الهام في مجلس الشعب في ٢٠ مايو ١٩٧١ مؤكداً حق الشعب الكامل في أن تكون له السيادة والزعامة .

الى الحديث عن المعركة وبناء الدولة ، خدمة وتدعيمها
للمعركة ، معلنا الإخبار الهامة التالية :

① ان القاهرة أعدت رداً — سلم امس الى الولايات المتحدة الأمريكية — على رسالة كان قد بعث بها وليام روجرز وزير الخارجية الأمريكية ، عقب انتهاء جولته في الشرق الأوسط وعودته الى واشنطن . وقد أكد الرد المصري أن فتح قنصاة السويس ليس هدفاً مستقلاً ، وإنما هو مرحلة من مراحل الانسحاب الكامل ، وأننا لا نقبل المناقشة في عبور قواتنا المسلحة الى الضفة الشرقية لقناة السويس .

② كلف الرئيس السادات مجلس الأمة بوضع الدستور الدائم . وأعلن أنه سوف يطرح للاستفتاء الشعبي بعد اعداده .

③ طرح الرئيس السادات أمام أعضاء المجلس بعض أفكاره عن الدستور الجديد ، مبركاً على ضرورة أن يجيء هذا الدستور مستهداً من واقعنا ،

أعلن الرئيس أنور السادات في بداية حديثه الى الشعب كله من خلال مجلس الشعب ، أننا في الطريق الى المستقبل سائرون على مسيرة عبد الناصر ، استمراراً واتصالاً .. ارتباطاً وعهداً . من يوم انتصار الثورة في ٢٣ يوليو ١٩٥٢ الى يوم انتصار الانسان الحر في ١٥ مايو ١٩٧١ .

وقال الرئيس السادات أننا تعرضنا ولساعات قليلة لخطر الانحراف عن طريق عبد الناصر : ولكن الشعب قوم هذا الانحراف وصححه ، ويجب أن يستقيم بعد ذلك خطنا وأن يزداد عمقا واندفاعا . وأضاف الرئيس ، مؤكداً : ان عملية التصحيح التي قام بها الشعب في ١٥ مايو ، لا تصنع زعامة أو قيادة جديدة لأنور السادات ، ولكن قيمتها وأصالتها ، أنها تعطي — ويجب أن تعطي — القيادة والزعامة لتحالف قوى الشعب العاملة . ومن هذا المدخل ، انتقل الرئيس أنور السادات

ومن ترابنا ، من تقاليد قيمنا وأخلاقنا ، من تعاليم ديننا ومبادئنا .

وفي هذا الإطار ، أعطى الرئيس السادات نماذج لما يمكن أن يتضمنه الدستور ، منها : تحقيق وتأكيد الانتفاء المصرى للأمة العربية - حماية كل المكتسبات الاشتراكية - لا قرار ولا إجراء بمنأى عن رقابة القضاء - اشراك الشعب فى ادارة العدالة عن طريق المحلفين - تأكيد دور حماية الملكيات العامة والتعاونية والخاصة .

(٤) طلب الرئيس أن يتضمن الدستور نصا ، بأن يكون هناك حد زمنى لتولى الوظائف السياسية والتنفيذية الكبرى ، ضمانا للتجديد والتجديد . وأعلن الرئيس أنه سوف يبدأ بنفسه ، ولن يجدد ترشيحه لرئاسة الجمهورية .

وامام عاصفة من أعضاء المجلس ، طالبت الرئيس بالعدول عن هذا الرأى ، أعلن الرئيس : « اننى أريد أن تتمسكوا بما أقول » .

(٥) أكد الرئيس السادات على مبدأ « العمل الواحد للفرد الواحد » ، وقال أنه ابتداء من أول يوليو القادم ، فإن كل من يشغل أكثر من منصب ، أن يعد نفسه لشغل منصب واحد .

(٦) تحدث الرئيس ، بأسف بالغ عما تكشف فى تحقيقات الاشرطة المسجلة ، وقال أن الموضوع كله أمام النائب العام ومعاونيه ، يتولون التحقيق فيه ، وأنه فى كل يوم تتكشف حقائق « مذهلة » ، وتتضح جوانب « مؤلة ورهية » .

وبين ما قاله الرئيس السادات فى ذلك :

• أن ضابط الشرطة ، الذى سبق وأبلغه عن وجود الاشرطة المسجلة ، زار الرئيس السادات أمس ، واستحلفه وهو يبكى ، الإسراع فى حرق الاشرطة « لأن فيها أشياء ستهدم بيوتا فى هذا البلد » .

• كان الهدف أن يتحقق انهيار دستورى ، ويقوم التنظيم السرى بفرض حالة فوضى .

• طلب الرئيس الى وزير العدل أن يحضر النائب العام أمام مجلس الأمة ويقرأ على أعضائه التحقيق ، ويطلعهم على الحقائق كلها .

(٧) أعلن الرئيس أنه سيوقع قرارا بعد الانتهاء من حديثه - وقد وقع فى المجلس بالفعل - يقضى بإعادة بناء الاتحاد الاشتراكى ، من القاعدة الى القمة ، وبحيث يجتمع المؤتمر القومى للاتحاد الاشتراكى يوم ٢٣ يوليو القادم . وكلف الرئيس مجلس الأمة الحالى - والذى سيتغير اسمه الى مجلس الشعب - بتولى أعمال اللجنة المركزية ، لحين انتخاب اللجنة المركزية الجديدة .

(٨) وأشار الرئيس أنور السادات الى المخالفات التى حدثت فى انتخابات الاتحاد الاشتراكى السابقة ، وربط بينها وبين واقعة خطيرة ، كشف أسرارها لأول مرة . فقال أن القائد الخالد جمال عبد الناصر كان قد سجل ما جرى من مخالفات فى أوراق أودعها خزينته الخاصة فى مكتبه ببنت ، وهى خزينة لا تفتح إلا بمفتاحين ، أحدهما مع السيدة الجليلة قريته ، والثانى مع السيد محمد أحمد ، وبغير المفتاحين ، يحتاج فتح الخزينة الى استخدام عمليات حساسية ، تصل الى ٧ مليون عملية .

وقال الرئيس أنه طلب الى السيدة هدى ، كريمة القائد الخالد ، أن تفرز الأوراق الموجودة فى الخزينة ، ولكن السيدة هدى أبلغته أنها وجدت الخزينة ، عند إعادة فتحها فى صورة مخالفة لما كانت عليه ، وأن بعض الأوراق اختفت منها . وأبلغ الرئيس السادات النائب العام للتحقيق ، كما سأل سامى شرف ، فقال أنه كان قام بفتح الخزينة وترتيب أوراقها فى سبتمبر ، بتعليمات من الرئيس عبد الناصر . وقال السادات لأعضاء المجلس : اننى أترك لكم أن تستنتجوا ما تشاءون .

[جاء فى نباء لوكالة أنباء الشرق الاوسط ، أنه وضح من التحقيق الذى أجرى بخصوص فتح خزينة القائد الخالد ، وبعد رفع البصمات الموجودة عليها ، أنها كلها لشخص واحد . وقالت الوكالة ان سامى شرف قرر أمام النائب العام ، أثناء التحقيق ، أنه قام بفتح هذه الخزينة بتعليمات من القائد الخالد فى سبتمبر سنة ١٩٧٠ ، وقد اتضح أن الخزينة فتحت بطريق آخر غير استخدام المفتاحين الموجود أحدها لدى السيد محمد أحمد والآخر لدى قريته القائد الخالد] .

(٩) أكد الرئيس السادات أنه ، مهما كانت التوضيحات ، فسننصر ، وسنبني مجتمعنا بكل آمالنا فى مستقبلنا ، ملئين بالامل ، بالابتسام ، وبالإيمان . □

إرادة الجماهير من إرادة الله

الكتور محمد طلعت عيسى

« أن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم »
هذه هي القاعدة الخالدة التي منحت الشعوب
فاعليتها وإيجابيتها في أحداث التغيير، من أجل
الحياة الحرة والمجتمع الآمن من الخوف * وعلى
الرغم من أن إرادة التغيير قد فوضها الله لعباده -
سواء بالأسراع في دوران عجلة التغيير أو في تعديل
مسارات هذا التغيير، إلا أن الله - العلي القدير - هو
الذي يلهم المخلصين من عباده ويكشف بصيرتهم إلى
نور الحق وطريق الأمان لكي يقودوا بلادهم إلى بر
السلام * هؤلاء هم القادة الملهمون الذين استطاعوا
عبر تاريخنا الطويل المجيد أن يدوسوا على الأشواك
ويحطموا الأغلال لكي يهيئوا لابنائهم وأحفادهم
الحياة التي يتطلع إليها الإنسان *

وإذا كانت أحداث الماضي القريب - في وطننا
العزیز - قد شدت وجداننا وهزت مشاعرنا، فإن
رعاية الله وعنايته التي أحاطت بهذا البلد وزعيمه
المؤمن بربه المحب لقومه وأهله وعشيرته والذي
استطاع بصفاء قلبه أن ينفذ إلى وجدان الجماهير
وقلوبهم وعقولهم، قد أكدت إيماننا بأن النصر دائماً
للخير والحق، وأن عناية الله وعينه الساهرة ترعى
هذه الأمة الصادقة في حبها الواعية بمن توليه ثقته
وقيادته *

إن الانعكاس التلقائي لجماهير ١٥ مايو هو وثيقة
العرفان بالوفاء من جهة وهو التعبير الكامن في
ضمير هذا الشعب عن حاجته إلى الوقوف صفاً
واحداً لا يشغله شيء عن أقدس مسئولية حملته إياها
الأيام من جهة أخرى *

حرب الشائعات لتفتت الجبهة الداخلية :

لقد استرد الشعب حريته، ولكن لهذه الحرية
ثمن، وما أبهظ من ثمن في هذه المرحلة الخطيرة من
حياتنا * إن أعدائنا الذين أهملتهم حركة التطويق
السريعة - التي لم ترق فيها قطرة دم واحدة - لن
يتروكوا نسير صفاً واحداً من أجل بناء قوتنا وحماية
حرياتنا *

إن معركتنا سوف ينفذ إليها سلاح جديد خبيث هو
سلاح « الشائعات » * إذ أن العناصر التي حرمت من
السيطرة والاستغلال - سواء كانت في الداخل أو في

الخارج - لن تقف مكتوفة اليدين أمام عجلة التغيير
لتطويقها إلى الأبد * ولن تجد أمامها سوى جبهتنا
الداخلية لتنفذ إليها عن طريق نشر سموم الشائعات *
وهذا يدفعنا أن نكون دائماً اليقظة لمواجهة هذه
الحرب المستترة بكل طاقاتها وبكل أساليب المواجهة
الملائمة *

وتظهر خطورة هذا السلاح في أنه يأخذ صوراً
ملتوية غير مكشوفة، بمجرد أن يهدأ فوران الجبهة
الداخلية واطمئنانها على أنها قد تخلصت من عناصر
الفساد ومراكز القوي المتصارعة على السلطة فيها *
مما يجعل الجبهة الداخلية أقل صلابة نتيجة لاتجاه
جماعاتها وهيئاتها وجهات متباينة داخل إطار المجتمع
الواحد * ومن واجب كل فرد فينا أن يتنبه إلى هذه
الحقيقة ففي حرب الشائعات لا يظهر العدو الحقيقي
بصورة سافرة ولا يكشف عن بغيته من إطلاق الشائعات
ولهذا يقع المواطنون الأبرياء فريسة سهلة وسائغة في
أيدي أعدائنا الذين لا يجدون الشجاعة الكافية أو
الاصالة في الأفكار أو المعلومات التي يريدون نشرها
أو تحطيمها *

ولا يمكن أن تنجح حرب الشائعات في تحطيم
جبهتنا الداخلية وتحقيق الأهداف التي يرمى إليها
مطلق الشائعات إلا إذا خففت القوى الضابطة أما
إذا أخذت هذه القوى تؤدي وظائفها الطبيعية سواء
كانت هذه القوى الضابطة ذاتية أي نابعة عن تفكير
الأفراد وتعقلهم، أو كانت قوى ضابطة خارجية تتمثل
في التنظيمات الشعبية بمستوياتها المختلفة التي تتلقى
هذه الشائعات وتواجهها عن طريق المناقشة والتحليل
والتفسير، أو تتمثل في الأجهزة الإعلامية سواء في
المستوى المحلي أو القومي - التي تعتمد على التوصيل
الجيد للمعلومات القائم على الدراسة والنقد
الموضوعي، أمكن أن تصطدم الشائعات بصخور
جماهيرية واعية فتتحطم أو تتلاشى أولاً أمام هذه
الصخور الصلبة دون أن تنجرف الجماهير أو تنحرف
نحو تحقيق الأهداف المحطمة التي يبغى مروجو
الشائعات أن يصلوا إليها *

ولهذا فإن من واجب كل فرد فينا، ومن واجب كل
جماعة وهيئة في مجتمعنا أن تكون واعية ومتنبهة إلى
ما يمكن أن يخططه أعداؤنا من أجل النفاذ إلى
صفوفنا وإثارة القلق أو اللبلة إلى نفوسنا في هذه
المرحلة الخطيرة من حياتنا حيث يقع على عاتق
الشعب مسئوليات ثلاثة رئيسية :

١ - تحليل وتفسير أي شائعة بمجرد ذبوعها
وانتشارها * ولا أقول رفض سماعها لأن هذا أمر لا
يتفق مع طبيعة البشر، ولكن أقول بالوقوف إزاءها
موقف المتأمل للتعرف على أبعادها وأعماقها كخطوة
أولى لا غنى عنها لمواجهة هذه الشائعة * هذا هو ما

اعبیه بالفحلیل الذی یقوم علی الریظ بین التوفیق
الزمنی للشائعة وكل من الشکل الذی تأخذہ والموضوع
الذی تتناولہ والجمهور الموجهة الیه . ثم الاستدلال
علی الاهداف القریبة والبعیدة للشائعة ، والتنبؤ
بالأمر الذی یمکن أن تقرّب لی لم تواجه الشائعة
بالتوضیح والتبصیر والتفسیر المناسب .

٢ - التخطيط لمواجهة شائعات الضغط . فقد
تتناول الشائعة موضوعا يتعدى الكشف عن الحقائق
المجرده فيه بسبب ارتباطه بأسرار عسكرية أو علاقات
دولیه أو حتی بسبب ارتباطه بالسیاسة الداخليه
المحبیه . ويتیح الاستمرار فی عدم الرد علی الشائعة
بصوره مباشرة الی زیادة سريانها وذبوعها ، لأن
مصمم الشائعة یضع فی اعتباره أن یمکن أحد
محاورها مما یمسح بالاعتقاد فی صحتها . وهنا
تتعرض الأجهزة المكلفة بمواجهة الشائعات الی ضغط
جمهوری للرد علیها . ومن واجب الجماهير أن تدرك
نوعیه شائعات الضغط فلا تسبب الحرج للهیئات
المسئولة وتدفعها الی الكشف عن بعض الادوار أو
المواقف الذی قد ترتبط بمسائل حیویة وخطیره فی
حياة أمتنا .

(٣) یقع علی عاتق صحافتنا - بوصفها أداة
اعلام سريعة الاداء تعبر عن مصالح الجماهير -
مسئولیة التوصل الی الجید للمعلومات . ومعنی هذا أن
یتجنب كل صحفي مخلص لوطنه ومؤمن بفضیته أن
یتجاوز مهمته القومیة الی البحث وراء الحیاة
الخاصة للناس . إذ لا یمکن أن نتصور فی هذه
المرحلة الذی یسلم فیها الشعب مفاتیح حریاتہ أن
یمیت أحد بهذه الحریات . فلا یترك لخبر صحفي أو
لغيره من المشتغلین بالقلم كصناعة لهم أن یحطموا
معنویات آی مواطن أو یعرضوا لمشاكله الشخصیة أو
حتى لاحداث متعلقة بحیاتہ الیومیة مهما كان هذا
المواطن موضعا لاهتمام الجماهير ومهما كان موضوع
الخبر مثیرا للشغف أو المتابعة .

اعادة بناء الاتحاد الاشتراکی كتعبير عن وحدة
جبهتنا الداخلية :

لابد فی هذه المرحلة الذی تكتشف فیها مراكز القوى
من تعديل جذری فی شكل التنظيم السیاسی الذی یحقق
الحياة الدیمقراطية السلیمة ، ویطلب ذلك فهما
ووعیا للقیادات الذی نولیها مهمة التعبير عن حاجاتنا
وأمانینا ابتداء من الوحدات الجماهیریة الی أعلى
مستوی قیادی فی التنظيم السیاسی . ولا بد أن تدرك
الجماهير أن وحدة جبهتنا الداخلية تتمثل فی تنحیة
العناصر المعوقة من طریقنا حتی یسنى للجمع أن
یسیروا قدما فی سبیل التحریر بكافة مظاهره . أما
طریقة التخلص من المارقین وعناصر الهدم والرجعیة
وتعویق أسالیب التقدم ، فقد سبقنا الیها مجتمعات

كثیرة ، كان أغلبها ینصب المشانق ویقیم بحارا من
الدماء حتی یخلص الشعب من أعدائه ، أو الذین
تسول لهم نفوسهم أن یرتضوا القهقری ، والعودة الی
الطغیان واستغلال الإنسان لآخیه الإنسان .

ولكن شعبنا المسالم المحب للخیر اختار طریق ابعاد
المارقین وتنحیة المتسلطین دون أن یریق دماءهم .
وهنا یقع علی عاتق الجماهير مسئولیة الوعی الكامل
وتقدير العاملین المخلصین من أبناءه لکی یكونوا
ممثلیه فی التنظيم الجدید للاتحاد الاشتراکی . ومن
المهم أن تكون عملیة الاختیار هادئة من أجل جبهتنا
الداخلیة المنماسة الذی تعكس بالضرورة وعینا
وتفتنا فی المستقبل المشرق بأذن الله .

ومما لا یدع مجالا للشك فی أن الحریة الكاملة فی
هذه الانتخابات سوف تظهر الی القمة نماذج ممتازة
من أبناء هذا الوطن الذین طمست جهودهم
وشخصیاتهم العناصر الانتهازیة المتسلطة . ومن
واجب كل قادر علی العمل ألا یتردد فی حمل لواء
المسئولیة ویصدی للتعبیر عن آمال مواطنیه حتی لا
تترك مقالید الأمور فی أیدی العناصر الذی تدربت علی
التلون مع الظروف المتغيرة .

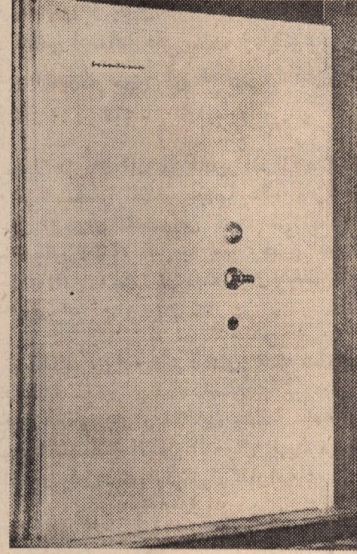
بناء الدستور الجدید علی أساس حماية الحریات
واخلاقیات المهنة :

ان من اكثر عناصر التقدم فی حیاتنا الجدیدة هو
أن یبنی الشعب دستوره وفقا لآماله وتطلعاته ووفقا
لأیمانته وأخلاقیاته . وقد أرسى زعیما الرئيس أنور
السادات اللبنات الأولى فی هذا البناء العظیم الذی
سیغیر بالضرورة من شكل العلاقات الاجتماعیة فی
هذا المجتمع الذی سوف یحو له الی بناء تعاونی
إنسانی متكامل . وعلى كل فرد فینا وعلى كل جماعة
وهیئة أن تدرس من الان مجموعة الواجبات
الاساسیة الذی ینبغی أن یضمنها دستورنا الجدید ،
وأبدأ بالواجبات قبل الحقوق لاننا فی إطار الحریة
ینبغی أن نعرف معنی المسئولیة والانتماء والحب
وعلى وجه الخصوص أن تحدّد كل فئة وكل مهنة
مجموعة الاخلاقیات الذی تحمّیها من الزلزل
والانحراف .

هكذا یمکن لمجموع المواطنین فی حدود هذه الثلاثیة
المتكاملة التحلیل الواعی للشائعات والبناء السلیم
لتنظیمنا السیاسی والتشکیل المتوازن لحقوقنا
وواجباتنا فی الدستور الجدید أن تحمی جبهتنا
الداخلیة من أن ینفذ الیها أعداؤنا أو أن یحولونا عن
وجهتنا الاساسیة وهی التحریر بأذن الله الی مسالك
محطمة وهو ما لم توقعنا فیهِ العناصر المتأثرة بفضل
وعی هذا الشعب وأصالته والتفافه السریع الإجماعی
حول زعیمه المفدى فی طریق الحریة والإشراکیة
والوحدة بأذن الله .

لصحة الخزانة

بقلم المستشار : عبدالستار آدم



خزينة القائد الخالد في غرفة مكتبه بالدور الأرضي في منزله .. لقد تسلم إليها شخص بعد أيام من رحيل القائد وكان سر الاعتداء على الخزينة منكرات سجلها القائد الخالد عن مخالفات جرت

الجليلة قرينته ، والثاني مع السيد - محمد احمد وزير شئون رئاسة الجمهورية ، وبغين هذين المفتاحين يحتاج فتح الخزانة الى استخدام عمليات حسابية تصل الى سبعة ملايين عملية .. وكان الزعيم الراحل ، رحمه الله ، ينوى تصحيح هذه المخالفات بعد النصر وطرد العدو من الاراضى العربية السليبة .. الا أن يدا قد عثت بهذه الخزانة وفتحتها بعيدا عن اعين من لهم الحق فى فتحها ، واخفت تلك الاوراق .. وان السيد الرئيس انور السادات ، ايده الله بنصر من عنده ، قد اخطر النائب العام لاجراء التحقيق .

ونحن لا نتعرض للتحقيق الذى يجريه السيد النائب العام .. فهذا امر متروك لسيادته وسيعلن نتيجته على الشعب فى الوقت المناسب .

ولكن الذى يهمنا فى ذلك الموضوع ان نتحدث عن هذه الواقعة من الناحية الشرعية والقانونية باعتبارها اعتداء على حرمة المنازل مما حرمه الشرع والقانون .

قال تعالى ، وهو اصدق القائلين :

« يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على اهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون فان لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو اذكى لكم والله بما تعملون عليم ، ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون » .

فالله سبحانه وتعالى ، حرم على عباده دخول منازل الغير «حتى تستأنسوا» اى (حتى تستأذنوا مما يحصل به الاتس) «وتسلموا على اهلها»

وقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم :

« اذا استأذن أحدكم ثلاثا فلم يؤذن له فليرجع » بل لقد منع الرسول الكريم ان ينظر الانسان الى ما فى بيوت الآخرين .. فقد روى عن على بن عبد الله عن سهل بن سعد ، رضى الله تعالى عنهما ، قال :

« اطلع رجل فى حجرة النبى ، صلى الله عليه وسلم ، ومع النبى مدي يحك بها رأسه ، فقال لو أعلم انك تنظر لطعنت بهافى عينك ، انما جعل الاستئذان من أجل البصر » .

وحادثة الخليفة عمر بن الخطاب ، رضى الله تعالى عنه ، عندما تسور الحائط ليضبط رجلا وامراة كانا يشربان الخمر .. هذه الحادثة معروفة ومشهورة فقد روى انه ، رضوان الله عليه ، كان يعس فى المدينة فسمع صوت رجل وامراة فى بيت ، فتسور الحائط فاذا رجل وامراة عندهما زق خمر فقال عمر للرجل :

« ياعدو الله .. أكنت ترى أن الله يسترك وأنت على معصية ؟

كشف السيد الرئيس محمد أنور السادات رئيس الجمهورية ، فى حديثه الخطير الذى القاه فى مجلس الشعب يوم الخميس ٢٥ من ربيع الاول سنة ١٣٩١ (الموافق ٢٠ من مايو سنة ١٩٧١) كشف السيد الرئيس عن واقعة خطيرة - دبرها من كانوا يتشدقون برداء الناصرية ورداء الاشتراكية تخلص فى ان الزعيم الراحل المغفور له ، جمال عبد الناصر رطب الله ثراه وجعل الجنة مثواه ، كان قد سجل ما جرى من مخالفات فى انتخابات الاتحاد الاشتراكى الاخيرة فى أوراق اودعها خزانته الخاصة فى بيته .. وهى خزانة لا تفتح الا بمفتاحين ، احدهما مع السيدة

كما تخطر المادة ٩١ من القانون تفتيش المنازل الا في تحقيق مفتوح وبناء على تهمة موجهة الى شخص مقيم في المنزل المراد تفتيشه بارتكابه جريمة أو جنحة أو باشتراكه في ارتكابها أو إذا وجدت قرائن على أنه حائز لأشياء تتعلق بالجريمة *

وقد نص قانون العقوبات في المادة ١٢٨ منه على معاقبة أى موظف عام أو أى شخص مكلف بخدمة عامة بالحبس أو بالغرامة إذا دخل منزل شخص من أفراد الناس اعتمادا على سلطة وظيفته بغير رضائه في غير الأحوال المبينة في القانون والسابق الإشارة اليها *

وفضلا عن ذلك فإنه من المقرر أنه إذا دخل الموظف العام أو الشخص المكلف بخدمة عامة منزلا مسكونا في غير الأحوال المنصوص عليها في القانون وقام بتفتيشه بغير رضا صاحبه فإنه ، فضلا عن معاقبته فإن كل مايقوم به من اجراءات يعتبر باطلا ولا ينتج أى أثر قانونى *

وتبعاً لذلك ، وإذا كان القانون يمنع دخول المنازل أو تفتيشها - بغير رضا أصحابها - حتى على الموظفين العموميين أو المكلفين بخدمة عامة أو رجال الضبطية القضائية الا في الأحوال المبينة في القانون ويعاقب من يفعل ذلك بالحبس أو الغرامة *

وعلى ذلك فإن من دخل منزل الزعيم الخالد رحمه الله وأسكنه فسيح جناته وفتح خزائنه الخاصة وعيّن بها بأن أخفى بعض الأوراق التي كان قد أودعها بها لذكره بمخالفات قد ارتكبت في انتخابات الاتحاد الاشتراكي لتصحيحها في الوقت المناسب من فعل ذلك كله دون استئذان من لهم الحق في فتح تلك الخزنة - بل ودون علمهم - فإنه يكون قد ارتكب ذنباً دينياً ودينياً * ويكون الذنب أكبر إذا كان قد حصل ممن يدعون أنهم كانوا يرتدون رداء الناصرية ورداء الاشتراكية * وهم منهما يراء *

لقد وفق الله تبارك وتعالى رئيسنا المحبوب السيد محمد أنور السادات خليفة الزعيم الخالد ورفيق كفاحه أيد الله خطاه وجعل النصر على يديه ، في أن يكشف الاعيب أولئك المدعين وأن يقدمهم الى النيابة العامة ليأخذ التحقيق مجراه وليعاقب القانون كل من تسول له نفسه مخالفة القانون *

والله سبحانه وتعالى ولى التوفيق والسداد

قال الرجل :

« يا أمير المؤمنين : أنا عصيت الله في واحدة ، وأنت عصيته في ثلاث * قاله يقول (ولا تجسسوا) ، وأنت تجسسست علينا * والله يقول (وأتوا البيوت من أبوابها) وأنت صعدت من الجدار ونزلت منه * والله يقول (ولا تدخلوا بيوتنا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها) وأنت لم تفعل ذلك * »

فقال عمر ، رضى الله تعالى عنه :

« هل عندك من خير أن عفوت عنك ؟ » *

قال الرجل :

« نعم والله لا أعود * »

فقال عمر :

« أذهب قد عفوت عنك »

وعمر ، رضوان الله عليه ، في هذه الحادثة اقتنع بكلام الرجل لصحته إذ أن دخول المنازل دون استئذان أصحابها ممنوع شرعا ولذلك فقد عفا عن الرجل واكتفى بوعظه مما دعاه الى التوبة *

فإذا كان الثابت مما تقدم أنه لا يجوز شرعا للإنسان أن يدخل بيتا للغير قبل أن يستأذن ويسلم على أهله * بل ولا يجوز له أن ينظر الى ما بداخله بدون إذن * فمن باب أولى فإنه لا يجوز شرعا دخول منزل وفتح خزنة أصحابه دون علمهم أو استئذانهم وتبديد أوراق هامة بتلك الخزنة * ومثل هذا العمل يعتبر ذنباً شرعياً يعاقب عليه دينياً *

وكذلك فإن جميع الدساتير في الدول المتحضرة تنص على أن للمنازل حرمة * وقد نصت المادة ٣٣ من دستور مارس سنة ١٩٦٤ على أن :

« للمنازل حرمة * فلا يجوز دخولها الا في الأحوال المبينة في القانون ، وبالكيفية المنصوص عليها فيه » *

والأحوال المشار اليها في هذه المادة والتي تجيز الدخول ، هي حالة تلبس الجاني وحالة الاستعانة أو طلب المساعدة من الداخل أو في حالة الحريق أو الغرق *

وكذلك تنص المادة ٤٥ من قانون الإجراءات الجنائية على أنه :

« لا يجوز لرجال السلطة الدخول في أى محل مسكون الا في الأحوال المبينة في القانون أو في حالة المساعدة من الداخل أو في حالة الحريق أو الغرق أو ما شابه ذلك » *

دستور

مجتمع العلم والإيمان

الأستاذ عبد الحليم الحنبل

تحية من كل قلب للتداء الوطني الذي ينبعث من أكبر سلطة في الدولة ، طالبة أن توضع الحدود لها ، وللسلطات جميعا ، بوضع الدستور الدائم .
تحية من صميم إيمان الأمة بماضيها وبقينها في مستقبلها ، للصوت المهيبة الذي ينادي بالعدالة والمساواة ، ويأخذ بهما نفسه أول من يأخذ ، ويقرن قوله بعمله ، ويعلن أنه لن يبقى في السلطة إلا المدة التي أنتخب لها . والناس الذين لا يصدقون القائل إلا إذا رأوه يعمل ما يقوله ، يستمعون هذا المقال القرون بالعمل فيصدقون ويؤمنون . إيمانهم بالقوة الجلية ، من رئيس يدعو إلى إقامة الدولة بتمامها على العدل والإيمان والعلم . والإيمان يصنع المعجزة .

والدول قد تقوم على الانتصارات لكنها لا تدوم إلا بالإيمان والعدالة ولئن كانت المجتمعات المثل تحيا بالكفاية والعدل ، أن المجتمعات لا تزدهر بالكفاية دون عدل وانها لتعيش بغير كفاية إذا كان فيها عدل .

والدولة التي تنادي بسيادة القانون دولة «سيدة» والدولة بغير القوانين أكذوبة .

والدستور الذي يمثل نظام الدولة ومؤسساتها وحقوق الأفراد فيها ، خليق بأن يكفل العدالة والأطمئنان ، والا خلق الإزمات للدولة وبين عناصر المجتمع . ومن أجل ذلك تحيى كل كلمة تقال عن استقلال القضاء ، وخضوع الدولة للقانون ، وكفالة الانتجاع إلى القضاء . فالحرمان من القضاء حرمان من الحماية وحماية للانحراف .

ومن أجل ذلك يتعين أن ينص في الدستور على ألا تعطله القوانين المنفذة له . فمن النصوص الجهنمية ما يشل حركة النصوص الدستورية ، التي تقرر الحريات وتختتم نصها بعبارة « وفقا للقانون » فتسلب هذه القوانين باليد اليسرى ماتمنحه نصوص الدستور باليد اليمنى .

ومن أجل الكفاية والعدل ، وحماية المكاسب الاشتراكية وتمهيتها ، يتعين أن تتبع القوانين من واقعنا العربي وأن تصون أخلاق مجتمعا ، ولهذا يحق علينا أن نتساءل في هذا المقام : ما هو مكان الشريعة الإسلامية في الدستور المقترح ؟

إننا نرحب - بادئ الرأي - بالنص على أن الدولة دينها الإسلام ، وأن اللغة العربية لفتها الرسمية ، وهذان نصان تضمنتهما كل الدساتير السابقة من سنة ١٩٢٣ إلى ١٩٥٦ إلى سنة ١٩٦٤ ، ويبقى للدراسة الموضوع الذي أثير في لجنة الدستور في شتاء سنة ١٩٦٧ . وهو وفاة الفقه وفاء لا حدود له بالنظرية الاشتراكية التي تضمنها دستور سنة ١٩٦٤ ، والفقه الإسلامي بنص المادة ٣ ، فقرة ٢ . هو المصدر الرئيسي للتشريع في الدستور السوري الصادر في سنة ١٩٥٠ .

والقانون المدني الليبي يجعل الشريعة بحكم المادة الأولى فقرة ٢ مصدرا للقانون .

تقوم النظرية الاشتراكية على دعمتين : الأولى « طريقة الحياة الاشتراكية » والثانية « النظرية الاقتصادية » .

أما طريقة الحياة ، فتتعلق بمنهج السلوك الاشتراكي من التقاليد الاجتماعية والفزاهة وطهارة السلوك والزهد في الانتهازية والأخذ بأسباب العلم والتطبيق الصحيح للمساواة والعدالة وتكافؤ القرص الخ . . هذه الخصائص التي تظهر المجتمع من عبادة الذات واستغلال الآخرين .

وهذه الخصائص خصائص المجتمع الإسلامي كما يفرضه الدين . . فطلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة كما يقول عليه الصلاة والسلام وكما يقول أيضا [قليل العلم خير من كثير العبادة] . وبهذا كانت المساجد دورا للعلم من كل أنواعه . وكانت حرية الفكر أصلا إسلاميا حث عليها القرآن للوصول إلى الإيمان المسبب ، واتخذها الفقهاء أصلا ففيها يسمى بالاجتهاد ، بل صارت منهجا للعلوم الإسلامية كافة تسمى منهج التجربة والاستخلاص . نقله المترجمون الغربيون في القرون الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر الميلادي ، ومنهم زوحير ببيكون في إنجلترا ليؤول إلى فرنسيس ببيكون وينتقل منه إلى علماء النهضة فيصير أساسا لإطلاق الفكر الغربي من أغلال القهر الكنسي للأفكار .

والمجتمع الإسلامي مجتمع المساواة الكاملة . يقول صاحب الشريعة [من أبطأ به عمله أم يسرع به نسبه] ولما رأى خداما لا يأكلون مع ساداتهم غضب وقال [ما تقوم يستأثرون على خدامهم] وهو مجتمع الفرصة المتكافئة . يقول عليه الصلاة والسلام [من ولي من أمر المسلمين شيئا فولي رجلا وهو يجد من هو أصلح منه للمسلمين فقد خان الله ورسوله] وأبو بكر يقول عن عظماء الصحابة [فضائلهم عند الله . فاما هذا المعاش فالتسوية فيه خير] .

ولما طبق الإسلام تطبيقا صحيحا ثلاثين شهرا فحسب ، على رأس المائة الثانية ، في عصر عمر بن عبد العزيز لم يجد عامله من يأخذ الصدقة .

وأثبتت النظرية الإسلامية تكاملها بالكفاية والعدل فاستغنى الناس .

وهو مجتمع العدل^(١)، وبهذا لم يشتهر عمر في التاريخ الإسلامي بفتوحاته التي هي أعظم فتوح في تاريخ العالم قدر ما يشتهر بعدل عمر .

وهو مجتمع التعاون والتضامن الاجتماعي .
مجتمع الزكاة التي وقعت من جرائها أخطر حروب الإسلام . مجتمع الإنفاق الخاص والعام . يقول الرسول [ما زال جبريل يوصني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه] ويقول عمر لرجل يشتري لحماً يومين متعاقبين [هلا طويت بطنك لجارك وابن عمك] ويقول الرسول [المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم] .

وهو مجتمع التوجيه والتخطيط للعلوم والصناعات . كما تقول القاعدة الأصولية [كل مالا يستغنى عنه في قوام الدنيا يعتبر وجوده فرض كفاية] ومن ذلك أصول الصناعات مما هو ضروري أما الدعامة الثانية فهي النظرية الاقتصادية التي تتفيا تطبيق مبدأ الكفاية كمثل ما تتفيا « منهج السلوك الاشتراكي » مبدأ العدل .

وتظهر النظرية الاقتصادية في صدد « الملكية » ونظام « الخطة » وقيمة « العمل » في الفقه الإسلامي ومجتمع المسلمين . أما الملكية ففي الفقه الإسلامي « ملكية الدولة » ولها المقام الأعلى و« الملكية الخاصة » ولها الحماية اللازمة . والنظرية الإسلامية عدو لكنز المال ومنعه من التداول . وهي تنفر من الاستكثار من الأموال دون الأعمال ويندر أن تظهر الثروات العظمى للأفراد وأصحاب الدولة أو عن طريقهم . ومن وسائل الإنتاج ما تملكه الدولة كالمناجم — ولقد يستعمل في منحه شكل الامتياز — كما أقطع النبي منجبا في طريقه للمدينة وكالمرأعي العامة ، والماء . وملكية الدولة للأراضي التي فتحها الإسلام مقررة كما صنع عمر وليس للناس عليها إلا ملك المنفعة .

والناس مستخلفون في مال الله عموما . ونظرية الحق في الفقه الإسلامي تقوم على منحة منحها الشارع فلا يسوغ استعماله فيما لا يرضاه مانحه سبحانه وتعالى . وبهذا يتجاوز الفقه الإسلامي ونظريات الملكية المقيدة إلى أحسن منها إلى نظرية الملكية التي تنبئ رضوان الله ، فتقبل التقييد وتقبل نزاعها في سبيل المصلحة العامة . ووجوب استعمالها في الخير العام للشعب ، وحسن استعمال الحق لا مجرد عدم التعسف في استعماله والفقه الإسلامي يسلم بالتسجير ، ومنع الاحتكار وتوجيه الأموال في خدمة الصالح العام والإنفاق العام عند قيام دواعيه . وبهذا ساغ التخطيط في الفقه الإسلامي .

أما قيمة العمل بين أدوات الإنتاج تتصدر كل القيم في المجتمع الإسلامي .

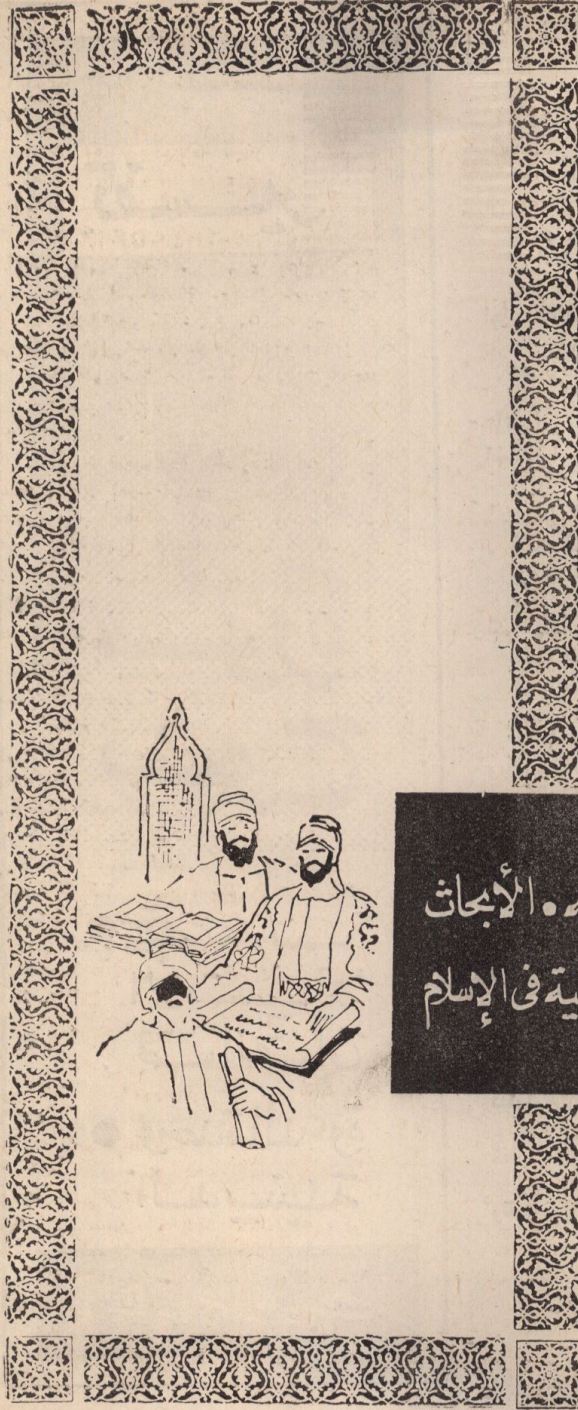
النبي عمل . والصحابه عملوا والمرأة كانت عاملة والأئمة الأربعة الفقهاء عملوا ، تجارا ، ومعلمين ، وصناعا ، وحمالين ، ومن تلاميذهم القفال والجصاص والصابوني والنعالي والبقالي حتى لتكاد تقرأ أكثر أسماء الصناعات في أسماء الفقهاء .

فالعمل والعلم والتخطيط ، وتوجيه الإدارة التعاقدية ، وتوجيه الملكية العامة والحاجة والنشاط الفردي للخير العام للشعب هي عناصر النظرية الاقتصادية وهي جميعا مسلمات فقهية إسلامية . تحل المشاكل القانونية المعاصرة التي عجز الفكر الغربي عن إيجاد حلول قانونية لها فقامت الثورات من جراء عجزه في القرون الثامن عشر والتاسع عشر وفي هذا القرن . هذه التطبيقات والتفريعات العلمية هي التي سوغت للرئيس جمال عبد الناصر رحمه الله أن يقول في مقدمة كتاب العدالة الاجتماعية وحقوق الفرد طبعة سنة ١٩٥٤ :

[ونقف نحن العرب والمسلمين في هذا الجانب من العالم نشهد الصراع الذي يدور بين هذه المذاهب المادية والمبتدعة وترقب المعارك الناشئة بين بعض الشعوب وحكوماتها حول تلك المذاهب فنعجب أشد العجب . لأن مشكلة الفرد والجماعة التي حيرت كل المفكرين والفلاسفة في أوروبا منذ قرنين أو منذ قرون قد وجدت الحل الصحيح في بلادنا منذ ألف وثلثمائة سنة منذ نزل القرآن على محمد ابن عبد الله يدعو إلى الأخوة الإنسانية ويفصل مبادئ العدالة الاجتماعية على أساس من التراحم والتكافل الأخوي والإيثار على النفس في سبيل النفع العام للجماعة من غير طغيان على حرية الفرد ولا أذلال له ولا انكار لذاتيته « أن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى » فليكتف المفكرون بما بذلوا من جهد ولا يبحثوا منذ اليوم عن حلول أخرى لمشكلة الفرد والمجتمع . ان عندنا الحل .. الحل الأول .. الذي أنزل به الوحي على نبينا منذ ألف وثلثمائة سنة .. هو الحل الأخير لمشكلة الإنسانية] .

لقد دعا الرئيس السادات إلى أن ينبع قانوننا من واقعنا .. فلنلق دلائنا في ينبعنا ففيها ما نريد . بل أكثر ..

وعندنا نستمد مبادئنا من الفقه الإسلامي نستجيب طبيعة الأمة لصنيعنا في يسر وفخار استجابة الجسد لقطعة منه أساسية في بنائه ، فالشريعة الإسلامية هي التي أقامت الحضارة العربية بتمامها ، ويومئذ مستتابع الشعوب العربية على صنيعها ، كما تتتابع على قوانيننا ومعاهدنا ، ويومئذ نكون قد أنشأنا أداة دستورية مقطوعة القرن للوحدة العربية المنشودة .



التشريع . الفقه . الأبحاث
الدراسات الصوفية في الإسلام



□ . W . □

« يتسم الله الرحمن الرحيم »
 أنا أرسلنا نوحا الى قومه ان انذر قومك من قبل
 ان ياتيهم عذاب اليم .
 قال يا قوم اني لكم نذير مبين .
 ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون .
 يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى اجل مسمى ان
 اجل الله اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون .
 قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا .
 فلم يزداهم دعائي الا فرارا .
 واني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا اصابعهم في
 آذانهم واستغشوا ثيابهم واصروا واستكبروا
 استكبارا .

ثم اني دعوتهم جهارا .
 ثم اني اعلنت لهم واسررت لهم اسرارا .
 فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا .
 يرسل السماء عليكم مدرارا .
 ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل
 لكم أنهارا .
 ما لكم لا ترجون لله وقارا : وقد خلقكم اطوارا .
 ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا .
 وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا .
 والله أنبتكم من الارض نباتا : ثم يميعكم فيها
 ويخرجكم اخرجا .
 والله جعل لكم الارض بساطا . لتسلكوا منها
 سبيلا فجاجا .
 قال نوح رب انهم عصوني واتبعوا من لم يزده
 ماله وولده الا خسارا .
 ومكروا مكرا كبارا .
 وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا شواعا
 ولا يفوت ويعوق ونسرا .
 وقد اضلوا كثيرا ولا تزد الظالمين الا ضلالا .
 مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا نارا فلم يجدوا لهم
 من دون الله انصارا .
 وقال نوح رب لا تذر على الارض الكافرين
 ديارا .
 انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا
 كفارا .
 رب اغفر لى ولوالدى ولن دخل بيتى مؤمنا
 وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين الا تبارا .

صدق الله العظيم

تفسير



سورة نوح

• قصص
 الأنبياء
 في القرآن
 • وحدة الدعوة
 الدينية

الأستاذ أحمد حسين

سورة مكية

مكية باجماع الآراء ، وهى تتضمن الحديث عن سيدنا نوح والاشارة الى قصته من مبدئها الى منتهاها ، وهى ككل قصص الانبياء فى القرآن الكريم تساق لتحقيق هدفين أساسيين ، الأول هو وحدة الدعوة الدينية السماوية ، منذ كان الانسان انسانا ومنذ كانت بعثة الانبياء والرسول . فالجميع منذ أقدم العصور واختلاف الأزمنة والامكنة ، قد دعوا الى عبادة الله الاحد ، واتباع أوامره واجتناب نواهيه ، ليتحقق للبشر بذلك سعادة الدنيا والاخرة معا .

أما الهدف الثانى من قصص الانبياء ، فهو التيسرية عن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وبقية المؤمنين والمجاهدين فى سبيل الحق أى الله ، وأن طريقهم سيكون دائما مليئا بالصعوبات والمعوقات وأن أهون ما سيلقونه هو التخيرية منهم واستنصار شائهم ، ولكن العاقبة ستكون دائما هى انتصارهم المحقق ، وارتفاع كلمة الحق التى هى كلمة الله .

قصة سيدنا نوح

وقصة سيدنا نوح كما وردت فى القرآن تتلخص أنه فى مكان ما وزمان ما (جريا على أسلوب القرآن من أنه ليس كتاب تاريخ وانما هو تذكرة وموعظة) أرسل سيدنا نوح الى قومه (يدعوهم الى ترك عبادة الأصنام والأوثان ، وإفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة ، فانكر قومه هذه الدعوة وسخروا منها) فما هو هذا الاله الواحد غير المنظور الذى يدعى أنه مبعوثه ، وبطبيعة الحال يكون المنتفعون من عبادة الأصنام كالكهنة وبعض الحكام الطغاة والأثرياء أعدى أعداء هذه الدعوة الجديدة الى النور والحق التى تسوى بين الناس فى عبوديتهم لله ، فتراهم يستكفون من هذه الدعوة التى تقوم على هذا الأساس ، ويأخذون على النبی والرسول أن أول من اتبعه وأصاخ لدعوته هم من صفات القوم والضعفاء والعبيد . وهكذا وقف قوم نوح منه موقف العداء ، وازدادوا تمسكا بمعتقداتهم الفاسدة ، وشاعت حكمة الله عز وجل أن يفتى هذا الجيل من البشر عن طريق الطوفان أى الاغراق بالماء ، فأوحى الى سيدنا نوح أن يصنع سفينة ، ولابد أن تكون هذه أول سفينة عرفها البشر ، فقد راح قوم نوح يستخرون من هذا الذى يصنعه نوح ، ولكن نوح صبر كما يصبر كل مجاهد ، ومضى فى اتمام ما أوحى اليه أن يتمه ، وهو بناء هذا الفلك [السفينة] حتى اذا فرغ من بنائها ، شحنها كما أوحى اليه بأزواج من الكائنات الحية كلها ، حتى اذا حانت الساعة الموعودة ، دخل نوح الى السفينة ومعه كل من آمن بدعوة الحق . وهم بطبيعة الحال نفر

قليل ثم بدأ الطوفان ، أمطارا تهطل من السماء ، ومدا يغمر الأرض ، حتى غرق كل من كان حيا ، إلا نوح ومن معه فقد نجوا لركوبهم السفينة ، التى قامت على سطح الماء بطبيعة الحال حتى انتهى الطوفان ، فهبط نوح ومن معه الى الأرض بسلام ، وبدأ عمران الكون مرة أخرى وقد ورد اسم نوح فى القرآن ٤٣ مرة ولكن القصة السابقة كما أثرتنا اليها ذكرت بالتفصيل فى سورة هود ، وهو ما يساق على فهم الاشارات الى وقائع القصة كما وردت فى سورة نوح ولذلك ثبت هنا ما جاء فى سورة هود : —

— ولقد أرسلنا نوحا الى قومه انى لكم نذير مبين • أن لا تعبدوا الا الله انى أخاف عليكم عذاب يوم اليم • فقال الملا الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا بآدى الراى وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين • قال يا قوم أرعيتم ان كنت على بينة من ربى وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم أنزلكموها وأنتم لها كارهون ■ ويا قوم لا أسئلكم عليه مالا ان أجرى الا على الله وما أنا بطارد الذين آمنوا انهم ملاقو ربهم ولكنى أراكم قوما تجهلون • ويا قوم من ينصرنى من الله ان طردتهم أفلا تذكرون • ولا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول انى ملك ولا أقول للذين تزدري أعينكم لن يؤتينهم الله خيرا الله أعلم بما فى أنفسهم انى اذا لمن الظالمين • قالوا يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين • قال انما ياتيك به الله ان شاء وما أنتم بمعجزين • ولا ينفعكم نصيحى ان أردت أن أتصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم واليه ترجعون • أم يقولون افتراه قل ان افتريته فعلى اجرامى وأنا برىء مما تجرمون • وأوحى الى نوح أنه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتسئس بما كانوا يفعلون • وأصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني فى الذين ظلموا انهم مغرقون • ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملا من قومه سخروا منه قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون • فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم • حتى اذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا أحمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك الا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه الا قليل • وقال أركبوا فيها بسم الله مجريها ومرسما ان ربى لغفور رحيم • وهى تجرى بهم فى موج كالبحال ونادى نوح ابنه وكان فى معزل يا بنى اركب معنا ولا تكن مع الكافرين • قال سآوى الى جبل يعصمنى من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين ■ وقيل يا أرض ابلعى ماءك ويا سماء اقلعى وغيض الماء وقضى الأمر وأسوت على الجودى وقيل بعدا للقوم الظالمين • ونادى نوح ربه فقال رب ان ابنى من أهلى وان وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين • قال يانوح

أَتِه لَيْتَسَ مِنْ أَهْلِكَ أَتِه عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلُنِ
مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ
• قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ
عِلْمٌ وَلَا أَتَفَرُّ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ • قِيلَ
يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ
مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابُ أَلِيمٍ • تِلْكَ
مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ
وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ •

في تواريخ الامم والشعوب :

وقد جاءت قصة الطوفان في تاريخ الشعوب
القديمة كالهنود والبابليين ، وقد احتوى تاريخ
اليهود المسمى بالعهد القديم ، تفصيلا لقصة نوح ،
ولكنه ككل ما اشتمل عليه هذا الكتاب مليء بالكفريات
والعبارات التي لا تليق بكمال الله سبحانه وتعالى
تنزه عما يقولون وعلا علوا كبيرا ، كقولهم في سبب
الطوفان ، ان الله ندم على خلق الانسان فقرر ان
يهلكه ، وهو قول هراء بطبيعة الحال ، ليس فقط
لما يتضمنه من الاجترار على الله عز وجل ، بل لانه
يخالف ما حدث ، اذ لو شاء الله ان يهلك البشر
جميعا لما كان هناك معنى لانقاذ نوح ومن معه
ليعيدوا تعمير الكون ببنى الانسان ، واليك ما تضمنه
العهد القديم بهذا الصدد لتبين بنفسك جمال القرآن
ومعجزته الكبرى ليس فقط من حيث البلاغة والبيان
ولكن من حيث سرده الوقائع والحقائق في ايجاز
وجلال بعيدا عن كل حشو وتزديد وتفصيلات لا غناء
لها في حقيقة الموعظة والاثار المطلوب من ذكرها ،
واليك نص ما جاء في هذا العهد القديم كتاب اليهود
ونربا بانفسنا ان نسميه كما يسميه اليهود بالتوراة :
لان الذي لا شك فيه ان التوراة بنص القرآن الكريم
تنزله عن هذا اللغو واليك النص بعد تجاوز فصله
الاول الذي تضمن سبب غضب الله على البشر .
كان نوح رجلا برا كاملا في اجياله وسلك نوح مع
الله • وولد نوح ثلاثة بنين ساما وحاما ويافث •
وفسدت الارض امام الله وملئت جورا • ورأى الله
الارض فاذا هي قد فسدت لان كل جسد قد افسد
طريقه عليها • فقال الله لنوح قد دنا اجل كل بشر
بين يدي قد امتلات الارض من ايديهم جورا فهانذا
مهلكهم مع الارض • واصنع لك تابوتا من خشب
قطراني واجعله مساكن واطله من داخل ومن خارج
بالقار • كذا تصنعه ثلاثة مائة ذراع • طوله
وخمسون ذراعا عرضة وثلاثون ذراعا سمكه •
وتجعل طاقا للتابوت والى حد ذراع تكلمه من فوق
واجعل باب التابوت في جانبه ومساكن سفلى وثنائى
وثالث تصنعه • وهانذا آت بطوفان مياه على
الارض لاهلك كل جسد فيه روح حياة من تحت
السماء وكل ما في الارض يهلك • واقم عهدي معك
فتدخل التابوت انت وبنوك وامراتك ونسوة بنيك

معك • ومن كل حي من كل ذي حية اثنين من كل
تدخل التابوت لتحيي معك ذكرا وانثى تكون • من
الطير باصنافها ومن البهائم باصنافها ومن جميع
ديابات الارض باصنافها يدخل اليك اثنان من كل
لتحيي • وانت فخذ لك من كل طعام يؤكل وضمه
اليك فيكون لك ولهم مأكلا • ففعل نوح بحسب كل
ما امره الله به هكذا فعل •

وكان نوح ابن ست مئة سنة حين كان ماء
الطوفان على الارض • ودخل نوح التابوت هو
وبنوه وامراته ونسوة بنيه معه من ماء الطوفان •
ومن البهائم الطاهرة ومن البهائم التي ليست بطاهرة
ومن الطير وجميع ما يدب على الارض • دخل
التابوت اثنان اثنان الى نوح ذكورا واناثا كما امر
الله نوحا • وبعد سبعة ايام كانت مياه الطوفان
على الارض • في السنة الست مئة من عمر نوح
في الشهر الثاني في اليوم السابع عشر منه في ذلك
اليوم تفجرت عيون القمر العظيم • وتفتحت كوى
السماء • وكان المطر على الارض اربعين يوما
واربعين ليلة • وكثرت المياه جدا أو تعاظمت على
الارض فسار التابوت على وجه الماء • وكثرت المياه
جدا جدا على الارض فتغطت جميع الجبال الشامخة
التي تحت السماء كلها • وعلت المياه خمس عشرة
ذراعا على الارض وتغطت الجبال • فهلك كل ذي
جسد يدب على الارض من الطير والبهائم
والوحوش وجميع الزحافات التي ترحف على الارض
والناس كافة • كل من في انفه نسمة حياة من كل
من في اليبس ماتوا • ونكر الله نوحا وجميع
الوحوش والبهائم التي معه في التابوت فارسل
الله ريحا على الارض فتناقصت المياه • وانسدت
عيون القمر وكوى السماء واحتبس المطر من
السماء • وكانت المياه تراجع عن الارض كلما مرت
وعادت ونقصت المياه بعد مئة وخمسين يوما •
واستقر التابوت في الشهر السابع في اليوم السابع
عشر منه على جبال اراراط • وفي الشهر الثاني
في اليوم السابع والعشرين منه جفت الارض •
فخاطب الله نوحا قائلا • اخرج من التابوت انت
وامراتك وبنوك ونسوة بنيك معك • وجميع الوحوش
التي معك من كل ذي جسد من الطير والبهائم
وسائر الدبيب الساعي على الارض اخرجهم معك
ليتوالدن في الارض وينمون ويكثرون عليها •

وعلى ضوء هذا البسط الكافي لقصة سيدنا نوح
نشرع بعون الله في تفسير آيات السورة .

— انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر قومك من
قبل ان ياتيهم عذاب اليم • قال يا قوم انى لكم
نذير مبين • ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون •

نوح رسول لقومه ٢

يفهم من هذه الآية أن نوحا عليه السلام قد أرسل إلى قومه ، أى أنه لم يكن رسولا للإنسانية كلها كسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ، ومن هنا دار الجدل حول ما إذا كان الطوفان قد أغرق قوم نوح وبلادهم فقط أم أنه عم البشرية كلها وترجيح أحد القولين رجم بالغيب فمن ناحية لم يكن البشر في القديم موزعين كما هو اليوم على قارات الدنيا الست ، ولم يكونوا بهذه الكثافة بطبيعة الحال وهكذا يمكن الجمع بين أن يكون الطوفان قاصرا على قوم نوح وأرضهم وأن يكونوا هم كل البشر في عهدهم وتكون أرضهم هو ما عرف من الأرض في زمانهم وقد عبر القرآن الكريم بكلمة الأرض وهو يعنى اقليها محددا كمصر مثلا .

— وان فرعون لعال في الأرض .

— وكذلك مكنا ليوسف في الأرض .

— قال اجعلنى على خزان الأرض انى حفيظ عليم .

وهكذا نقف عند حد القرآن الكريم من أن نوحا أرسل إلى قومه ، وأن طوفانا قد أغرقهم وأغرق بلادهم وقضى على كل من فيها وما فيها ، وبالنسبة لما يقوله اليهود في كتابهم ، فنقف حيث أمرنا أن نقف فلا نصديق ولا تكذب في كل ما هو جائز ومحمّل .

وقد اعتدنا أن نضع أمام القارئ الحديث آخر معطيات العلم ليفكر على ضوءها بما يشاء ، ويقرر علماء الجيولوجيا أن سطح الكرة الأرضية ، قد غطى بالجليد أكثر من مرة ، بحيث هلك كل كائن حى على سطحها ، كما أنهم يعمرون دوما على بقايا كائنات بحرية فوق قمم التلال والجبال مما يدل على أنها كانت مغمورة بالماء ، وفي مصر على سبيل المثال يتحدثون عن وجود البحر في منطقة أسوان يوما ما ، إذ يجدون بين الصخور ما يدل على ذلك ، ولقد سمعنا وعينا في هذه الأيام الأخيرة ، كيف طغت مياه البحر على مدن في باكستان الشرقية فاهلكت من فيها واختفت مدن وفقرى من الدنيا وكأنها لم تكن .

بلاغة القرآن :

وتمضى آيات القرآن الكريم في تلاحق فتنتقل بنا من مشهد إلى مشهد آخر في الآية التالية ، فبينما تقص علينا الآية الأولى بعثة سيدنا نوح ، إذ تحكى الآية التالية على الفور كلام نوح إلى قومه بعد أن اضطلع بالرسالة ، ونراه أمينا ودقيقا ، فيعلن قومه بأنه نذير لهم .

والإنذار هو التحذير (ومبين) من الإهانة ، أى

الوضوح والإشراق . وفى هذه الآية الكريمة خلاصة ما دعا نوح قومه إليه ، وهو جوهر جميع الأدیان السماوية والهدف منها وهو :

— عبادة الله الواحد الاحد .

— تنفيذ أوامره واجتناب نواهيه .

— اطاعة أولى الامر الذين يحصلون الإمانة

ويقومون بأداء الرسالة .

وهذه الاسس الثلاثة متى اتبعت فى صدق وإمانة قام عليها العمران البشرى خير قيام وتحققت سعادة الإنسان بقدر الامكان فى الدنيا ، وبالقدر التام والكامل فى الآخرة .

يفغر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى أجل مسمى
ان أجل الله اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون .

مازق المفسرين القدامى :

وضع المفسرون القدامى أنفسهم فى مازق عندما تجاوزوا حدهم ولم يكتفوا بالوقوف موقف الصحابة والسلف الصالح حيال القرآن إذ يسمعون آيات القرآن وما تشعه فى النفوس من روح الايمان والتقوى ، وراحوا يحاولون تفصيل القول وتفريعه ، والسير حول مدلولات بعض الكلمات والحروف اللغوية كما حدد معناها المتأخرون لا السابقون .

فكان مما قالوه ووضعوا أنفسهم بذلك فى مازق :
أن (من) للتبويض ويكون معنى الآية أن قوم نوح أن هم آمنوا وانتقوا يغفر الله ذنوبهم ، ثم راحوا يتساءلون ، كيف ذلك والمفروض أن يغفر الله للمؤمنين كل ذنوبهم ، وردوا على هذا التساؤل بأن الله يغفر ذنوب ما قبل الايمان اذ أن الايمان يجب ما قبله .

وقال بعض آخر ، أن الذنوب التى تغفر هى الذنوب فى حق الله ، أما الذنوب فى حق العباد فأمرها منوط بأصحاب الحق فيها .

ورأى فريق ثالث أن يخرج من هذا الحرج بأن يقول أن (من) هنا زائدة وكل هذه أبحاث لا محل لها فقواعد النحو والصرف والبلاغة قد وضعت فى عصور متأخرة عن القرآن ، وهى اجتهادات لأصحابها ، وعندنا أن القرآن يفسر بعضه بعضا ، ويجب أن نفهم المقصود من أى آية على ضوء القرآن ككل .

والقرآن قد علمنا فى كثير من آياته أن المغفرة هى

حق الله المطلق فهو يغفر ما يشاء لمن يشاء بغفر
حد أو قيد على مشيئته ، فمن غير الصواب (في
رأينا) أن يقول قائل أن من للتبويض ، فكيف يغفر
الله بعض الذنوب دون بعض ، وما هي هذه التي
يغفرها والتي لا يغفرها ، كل ذلك منوط بإرادة الله
ومشيئته وليس من حقنا نحن البشر أن نخوض فيها
ليس من سلطاننا وحسبنا أن نعلم أن الله هو الغفور
وأنه رحيم .

**ويؤخركم الى اجل مسمى ان اجل الله اذا جاء
لا يؤخر لو كنتم تعلمون .**

ووقع المفسرون كذلك في حيرة من امرهم أمام
هذه الآية لا حيث يعد نوح المؤمنين بأنهم اذا آمنوا
يتأخر أجلهم ، في الوقت الذي تقرر فيه الآية الكريمة
بأن الأجل اذا جاء لا يمكن أن يؤخر .

وعندنا على ضوء آيات القرآن ان الاجال محددة
يستوى في ذلك الاخيار والاشرار ، والمؤمنون
والكافرون .

— «فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة
ولا يستقدمون» (٦١ ك النحل ١٦) وقد مات سيدنا
نوح نفسه ، كما ماتت القرون السابقة كلها ، ومات
سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، فهي سنة الله
في خلقه أن يموت جميع كل كائن حي (انك ميت
وانهم ميتون) .

وتكون القاعدة الثابتة هو ما نهبت عليه الآية
من أن (اجل الله اذا جاء لا يؤخر) اما كلمة اجل
الاولى فمعناها اجل العذاب فالمؤمنون لا يعذبون في
الدنيا ، لان قلوبهم تكون عامرة بالايمان راضية
مطمئنة ، فلا يحسون بالام الحياة أو الموت نفسه ،
ويستقبلونه اذا وقع برضا وطمأنينة ، أما غير المؤمنين
والعاصي والشرير ، فهو يتعذب بالليل والنهار
ولا يجد عزاء من داخل نفسه .

ويكون معنى الآية الكريمة في تصورنا أنكم أيها
الناس متى آمنتم أبعدتكم عن أنفسكم صور العذاب ،
والآلام الكوارث التي لا تفتأ تصيب الانسان ، والله
تعالى أعلم .

● قال رب انى دعوت قومي ليلا ونهارا ● فلم
يزدهم دعائى الا فرارا ● وانى كلما دعوتهم لتغفر
لهم جعلوا أصابعهم فى آذانهم واستغشوا ثيابهم
وأصروا واستكبروا استكبارا ثم انى دعوتهم
إجهارا ● ثم انى أعلنت لهم وأسررت لهم أسراراً ●
شكوى :

وفى هذه الايات يشكو سيدنا نوح الى الله عز

□ □ □

وجل ما قبل به من قومه من أعراض وتكذيب
وفشل كل محاولاته لحبلهم على الهداية والايمان
وهى تسرية عن سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام
وتعزية له عما يلقيه من قريش من الصد والاعراض .

فمن قبله عانى الانبياء والرسول مثل ما عانى
وجأروا جميعهم بالشكوى الى الله عز وجل ، ومرت
بهم لحظات اقرب الى ان تكون يأسا .

— « حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد
كذبوا جاءهم نصرنا » (١١٠ ك يوسف ١٢) وقد
سلك نوح عليه السلام فى دعوته نفس الطريق
الذى سلكه فيما بعد سيدنا محمد ، حيث بدأ دعوته
الى التوحيد سرا ، ثم نقل الدعوة الى العلن بعد
اسلام سيدنا عمر الذى لقب بالفاروق ، لان اسلامه
كان الفارق بين مرحلتين من مراحل الدعوة من
السرا الى العلن ، ثم بدأت الدعوة تتراوح بين السرا
والعلن حسب الظروف والاحوال والمناسبات ، ثم
وهو ما يقرره سيدنا نوح من أنه جهر بالدعوة ، ثم
أسر بها أو أسر أولا ثم جهر ، ثم تراوح بين الاسرار
والعلانية ، وقد قابل قومه هذه الدعوة الكريمة (كما
نعلت قريش) بالانكار والجحود والعدا ، حتى
لكانوا يضعون أصابعهم فى آذانهم ، ويحنون
رؤوسهم خلف ذيول ثيابهم (واستغشوا ثيابهم)
أى قطنوا وجوههم ورؤوسهم بأطراف أثوابهم وكل
ذلك فقلته قريش حتى لا يستمعون الى القرآن .

— « وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن
والغوا فيه » ٢٦ ك فصلت ٤١

**فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا ● يرسل
السماء عليكم مدرارا ● ويمددكم بأموال وبنين ويجعل
لكم جنات ويجعل لكم أنهارا ●**

ولم يكن هذا الذى دعا نوح اليه قومه كسائر
الانبياء والرسول من بعده والذى قابله الاشقياء بها
قابلوه من صد وكفر وعناد ، الا قول الحق بالدعوة
الى عبادة الله الذى يغفر الانسان بالنعم التي
لا يحصى بها الا الانسان المؤمن ، ولا يذوق حلاوتها
ويسعد بها الا من آمن بالله ، وعندنا أن هذه الايات
وأمثالها التي تتحدث عن نعم الله عز وجل يجب
أن تفهم على هذا الاساس فالامطار تهطل على
الاشرار مثل ما تهطل على الاخيار والشمس تطلع
على البر والفاجر ، والمؤمن والكافر ، ولكن غير
المؤمن والكافر يمر على هذه النعم ولا يكاد يحس بها
وانها يحس دائما بها ينقصه فيظل طول حياته فى
لوعة وحسرة ، لان الانسان منذ يولد الى ان يموت
يظل يتطلع لما ليس فى يده ، ولن يكون فى يده كل
شئ أبدا لان ذلك من طبيعة الحياة ، فيظل طول
حياته فى عذاب وشقاء ، أما المؤمن فان حياته كلها
ملينة بالرضا لما أنعم الله به عليه ، وما من

الَّذِي يَقْصُرُ مَنْشَأَ الْإِنْسَانِ وَأَنَّهُ خُلِقَ أَوَّلَ مَا خُلِقَ مِنْ سِلَاطَةٍ مِنْ طِينٍ ، ثُمَّ يَتَّبِعُ أَطْوَارَ الْجَنِينِ بَعْدَ ذَلِكَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ ، وَهِيَ كُلُّهَا أُمُورٌ لَمْ تَكْتَشَفْ إِلَّا فِي الْعَصْرِ الْحَدِيثِ بَعْدَ أَنْ اكْتَشَفَتْ الْمَجَاهِرُ (الْمِيكْرُوسْكُوبَاتُ) وَالتَّصْوِيرُ بِالْأَشْعَةِ وَعِلْمُ التَّشْرِيحِ كُلُّ ذَلِكَ جَاءَ مُفَصَّلًا فِي آيَاتِ سُورَةِ (الْمُؤْمِنُونَ) وَالتِّي أَجْمَلْتُهَا هَذِهِ الْآيَةُ مِنْ سُورَةِ نُوحٍ (وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا) .

خلق السموات والشمس والقمر :

وبعد أن استرعى نوح أنظار قومه إلى معجزة الخلق الإنساني ، وجه أنظارهم إلى معجزة الكون في مجموعه كما يتمثل في السماء ، والسماء في اللغة هي كل ما علا رأس الإنسان وهو ما أصبحنا اليوم نطلق عليه كلمة الفضاء الخارجي .

ولقد هزأ يوما ما بعض المتطعنين باسم العلم بأن السموات سبع ، وقالوا إن هي إلا أسماء واحدة هي تلك التي نراها بأعيننا واليوم بعد أن وصل الإنسان إلى القمر يحدثنا رواد الفضاء عن أن الظلام يسود الكون بمجرد خروجهم من الغلاف الجوي الذي لا يتجاوز سمكه بضعة كيلومترات وليس القمر الذي وصله الإنسان بالنسبة للأرض ، إلا كالفصاحة القريبة من المدينة حيث تقاس المسافة بالوقت الكلي ، مترات فحين ذلك من بقية الكواكب التي يقاس بعدها عن الأرض بـملايين الكيلومترات ، وأين ذلك كله من المجرات الأخرى التي تقاس أبعادها بـمترعة الضوء فيقال إنها تبعد عنا سنة ضوئية فمترعة سنووات فملياراتها والوفها ، والله وحده هو الذي يعلم بأسسها يتفتح أمام بصر الإنسان إذا هو وقَّعَ قَدَمَهُ عَلَى كَوْكَبٍ مِنْ هَذِهِ الْكَوَاكِبِ الَّتِي تَدُورُ فِي سَمَائِنَا الدُّنْيَا ؟ أَى فِي مَجْمُوعَتِنَا الشَّمْسِيَّةِ .

القمر نور والشمس سراج :

ولقد تحدثنا أكثر من مرة على معجزة القرآن الربانية في وصف الشمس بأنها سراج والقمر بأنه مجرد نور ، فالسراج هو الذي يحترق فيه الوقود ليضيء وهذا هو شأن الشمس فهي كتلة مشتعلة من النار تحترق فيها الغازات لتوليد هذه الطاقة الضخمة من الضوء والحرارة أما القمر فليس إلا جسما معتما يعكس نور الشمس فيكون هذا النور الذي نراه بالليل ويغيب بالنهار إذا تسلط علينا أشعة الشمس بذاتها وقد تأكد ذلك الآن بعد أن وصل الإنسان إلى القمر وعاد بعينات من ترابه وصخوره .

مرة أخرى أشهد أن القرآن حق من حق ، وأنه وحى من لدن سميع بصير .
فما كان العرب كلهم بالذين يكتشفون هذه الحقيقة العلمية التي لم تثبت وأصبحنا نلمسها باليد إلا في القرن العشرين .

□ ٢٢ □

إِنْسَانٌ إِيَّاكَ كَانَ شَأْنُهُ وَحَقْلُهُ فِي الْحَيَاةِ ؟ إِلَّا وَقَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِالْكَثِيرِ وَحَسْبُكَ نِعْمَةُ الْبَصَرِ وَالسَّمْعِ وَالْحَرَكَةِ وَفِي هَذِهِ الْآيَاتِ يُشِيرُ سَيِّدُنَا نُوحٌ إِلَى بَعْضِ نِعَمِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ ، عِنْدَمَا يَنْزِلُ لَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَطَرًا (مَدْرَارًا - كَثِيرَ الْإِزَارِ) فَيَكُونُ سَبَبًا فِي تَحْوِيلِ الْأَرْضِ الْفَاحِلَةِ الْمَاحِلَةِ الْجَدْبَاءِ الْمَيِّتَةِ ، إِلَى أَرْضٍ تَفْضُ بِالْحَدَائِقِ وَالْبَسَاتِينِ وَالْمَزَارِعِ وَالْإِنْبَارِ الْجَارِيَةِ .

ويفيض على الإنسان بنعمة الإنماء التي لا يعرف قيمتها وحلاوتها إلا من حرموا منها ولا يعرف قيمتها بالأكثر إلا المؤمنون يعرفون أكثر من غيرهم قدرة الله عز وجل على حرمانهم منها ، ومن هنا تكون سعادتهم عظيمة عندما يرزقون بالبنيين والبنيات والأحفاد ، وكل ما في الدنيا من نعم ومباهج ، لا يقدرها ويذوق حلاوتها كاملة كما قدمنا إلا الإنسان المؤمن .

« مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ؟ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا •
أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا • وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا •

يسألك نوح قومه في عجب ودهشة : كيف لا يخافون من الله وتخضع نفوسهم أمام عظمته ؟ ويعود فليفت نظرهم إلى آيات الله وقدرته كما تتجلى في أنفسهم وفي الكون من حولهم .

وليس هناك ما يرشدنا إلى طريق الله سوى التأمل في كتاب الطبيعة من حولنا وفي أنفسنا .

وقد خلقكم أطوارا • أى خلقكم حالا بعد حال .
وقد فصلنا قصة تطور الجنين في بطن أمه وكيف يبدأ من اتحاد حيوان منوي بإحدى بويضات الأنثى مما لا يمكن رؤيته بالعين المجردة ، ثم يظل هذا المخلوق الذي لا يكاد يرى ينمو ويتكاثر حتى يصبح طفلا يوزن بالأرطال .

وقد فصل القرآن الكريم في بعض آياته الأخرى هذه الأطوار التي يجتازها الجنين في رحم أمه فقال وهو أعلم القائلين :

— ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين • ثم جعلناه نطفة في قرار مكين • ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين • ثم أنكم بعد ذلك لآيتون • ثم أنكم يوم القيامة تبعثون •

هذه هي الأطوار التي يمر بها الإنسان منذ يخلق إلى أن يموت وخلق الإنسان من الطين حقيقة مذهلة ينادى بها العلم الحديث بعد أن ظهرت بدعة الإلحاد مما يقطع بأن القرآن من لدن سميع عليم ، فما كان سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام وهو النبي الأمي

(سبلا فجاجا) أى طرقا واسعة وهى رمز للطريق المفتوحة أمام الانسان وأهمها بطبيعة الحال والذي يجب أن يقطع فيه الانسان رحلة الحياة هو الطريق المستقيم .

— قال نوح رب انهم عصوني واتبعوا من لم يزد ماله وولده الا خسارا • ومكروا مكرا كبيرا • وقالوا لا تذرنا الهتك ولا تذرنا ودا ولا سواعا ولا يفيث ويعوق ونسرا • وقد أضلوا كثيرا ولا تزد الظالمين الا ضلالا •

يوصل سيدنا نوح شكواه الى الله عز وجل مما لقيه من قومه وكيف انصرفوا عن دعوته دعوة الحق وانطلقوا فى طريق الضلال والغواية خلف رؤسائهم وزعمائهم الذين زادهم ما أنعم به الله عليهم من المال والولد الا كفرا وجحودا بهذه النعم ، وراحوا يزينون لهم التمسك بعبادة الاصنام بدعوى أن عبادتهم هى دين الآباء والاجداد .

ودا ولا سواعا ولا يفيث ويعوق ونسرا

وهذه الخمس كلمات هى أسماء الاصنام التى كان يعبدها قوم نوح ، ومن عجب أن عبادة هذه الاصنام ، بقيت آثارها فى جزيرة العرب حتى البعثة المحمدية .

فكان العرب فى الجاهلية يسمون بعض أبنائهم عبد يفيث وعبد ود وقد أثبت المفسرون القدامى ما قاله ابن الكلبي فى كتابه عن الاصنام أن (ود) كان صنما على صورة رجل لبنى كلب فى حومة الجندل و (سواع) على صورة امرأة لهمدان أو هزيل و (يفيث) لخجج أو غطيف وكان على صورة امرأة و (يعوق) لمراد أو لهمدان وهو على صورة فرس و (نسر) لحمير أو لذى كلاع من حمير وهو على صورة نسر .

وكل هذه القبائل فى بلاد اليمن .

الاصل فى عبادة الاصنام :

والاصل فى عبادة الاصنام هو رغبة الانسان الحسية فى أن يكون الله قريبا من الانسان وفى متناول يده فرمز له بهذه التماثيل والنصب وهى آفة لم يتخلص منها اتباع أى دين من الأديان . ومن هنا تظهر عظمة الاسلام ، وتفوقه على سائر ما عرفت البشرية من الأديان إذ أنه استطاع أن يستأصل الوثنية من أعماق أتباعه حتى خلت دور العبادة الاسلامية على خلاف أى دور عبادة أخرى فى العالم كله ، ليس فقط من التماثيل ، بل ومن الصور أيضا وذلك سدا للزريعة ، وحذر الاسلام أتباعه من تخيل صورة الله فى أذهانهم ، مجرد تخيل ، حتى قرر الأصوليون أن كل ما دار فى ذهن الانسان عن الله فאלله بخلاف ذلك .

وأعنى بهذه الحقيقة كون الشمس تضىء لانها تحترق أما القمر فهو ينير فقط لانه يعكس ضوء الشمس .

— والله أتيتكم من الارض نباتا • ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخرجاً • والله جعل لكم الارض بساطا • لتسلكوا منها سبلا فجاجا •

يلفت سيدنا نوح نظر قومه الى أن الارض هى مصدر كل حياة بها فى ذلك الحياة الانسانية نفسها . فالنبات هو كائن حى تتمثل فيه كل خصائص الحياة من تنفس وغذاء ونمو وتكاثر وتوالد ثم موت فى خاتمة المطاف .

والحيوان هو كائن حى كالنبات تماما بزيادة واحدة وهى القدرة على الانتقال من مكان الى مكان وهو ما لا يقوى عليه النبات ، ويأتى الانسان بعد ذلك ولكنه يزيد على الحيوان بالعقل ، والمهم أن الارض هى منشأ كل الكائنات الحية ليس فقط لأن اصل الانسان من سلالة من طين ، ولكن لأن الانسان يتغذى وينمو وبالتالى يكبر ويعيش على ما يأكل من الحيوانات أو النباتات ، والحيوانات بدورها لاتعيش الا على ما تنبت الارض ، أو الحيوانات التى تعيش على نبات الارض ، فالمرجع فى النهاية والمعول فى حياة الانسان هو على ما تنبت الارض ، فلا عجب أن كان الانسان بعض نتاج الارض ، ولعل هذا هو ما يفسر لنا حب كل انسان لمسقط رأسه (الوطن) إذ أنه التربة التى عاش عليها ونما منها فهى داخلة فى بناء أُنسجته ، ولا يستطيع أى بيئة أخرى الا لفترات محدودة ، يحن بعدها الى مسقط رأسه الذى فيه نشأ ومن أرضه تكون .

كل هذه معانى قد تخصصت علوم الحياة فى عصرنا فى دراستها وتلخيصها هذه الآية الكريمة (والله أتيتكم من الارض نباتا) . أما عودة الانسان الى الارض التى حدثنا عنه الآية التالية فمسألة قد رآها كل انسان بالعين المجردة ، عندما يتحول كل انسان بعد موته الى تراب يسمدون به الارض فيزكو النبات الذى يسمد به ، وإذا كانت أرض مصر من أعظم أراضي الدنيا خصوبة ، فما ذلك الا لقدمها ووفاء الملايين تلو الملايين على أرضها عبر العصور ، وتحولهم الى تراب وتراب جيد لخصاب الارض .

وكما يتحول الانسان الى تراب ، فليس بعيدا عن التصور أن يعود الانسان مرة أخرى من التراب كما هو شأن النبات الأخضر المزهر المثمر عاما بعد عام .

— والله جعل لكم الارض بساطا •

أشرت أكثر من مرة الى أن موضع الشاهد فى مثل هذه الآية وهى أنه على الرغم من كروية الارض فهى صالحة تماما لسكنى الانسان الذى يسير عليها كأنها بساط مفروش .

وهذا تأسيس على قول القرآن الكريم (ليس كمثل شيء) وفي هذه الحقيقة يكمن سر قوة الإسلام ، وأنه دين الانسانية كلها ولا دين بعده لانه صور الالهية والربوبية في صورتها الكاملة الناصعة ، والتي لا يمكن أن يكون بعدها أو فوقها صورة عندما وصف الله عز وجل وصفا عقليا رياضيا علميا لا يستطيع العقل أي عقل ، في أي زمان أو مكان أن يفك منه حتى ولو كان ماديا ملحدا وذلك عندما يقول (هو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم) .

● ولا تزد الظالمين الا ضلالا ●

في هذه الآية كما سنرى في آيات تالية يتجلى صيق سيدنا نوح بقومه كفرهم وعنادهم ، حتى أنه بدأ يدعو عليهم ، وسنرى الفارق في ذلك بينه وبين سيدنا محمد .

مما خطبناهم أغرقوا فادخلوا نارا فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا ● وقال نوح رب لاترعل الأرض من الكافرين ديارا ● انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا ● رب اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين وللمؤمنات ولا تزد الظالمين الا تبارا ● (ديارا) أي كل صاحب دار أو المقصود هنا كل كافر سواء كانت له دار أو لم تكن (تبارا) أي هلاكاً .

وتعني الآيات لتشير إلى ما فصلته الآيات الأخرى التي ذكرناها من حديث الطوفان الذي أغرق قوم نوح ، وبعد أن أغرقهم الطوفان جازاهم الله على أعمالهم السيئة بما أعده للكافرين والاشرار والعصاة من نار جهنم ، وهذا هو الذي نفهمه من قول القرآن الكريم (مما خطبناهم أغرقوا فادخلوا نارا) ويتكلف البعض فيقول أنهم (أي قوم نوح) كانوا يغرقون في الماء ويحرقون بعد ذلك بالنار ، ويستند البعض إلى هذه الآية في اثبات عذاب القبر أي بمجرد موت الإنسان ، ونحن نمسك عن هذه القبيبات .

فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا ● كلام واضح مبين لا يحتاج إلى تفسير فالكفار والمشركون والطغاة والاشرار والمتجبرون يصلون ويجولون ما بقوا أحياء ، حتى إذا أدركهم الموت على أي صورة من الصور ظهر عجزهم وقلة حيلتهم أمام جبروت الله .

دعاء نوح :

ومعنى نوح يدعو بالمغفرة لمستحقها وهم كل من آمن بالله .

(ولان نخل بيتي) ●

ويثور التساؤل حول عبارة (بيتي) ما هو المقصود بها ؟ أهو بيت نوح فعلاً أم سفينته أم عقيدته وكل ذلك جائز لأن سيدنا نوح لم يلبث أن عمم الدعاء ليشمل كل مؤمن بالله في أي زمان ومكان وهناك أحاديث تفصيلية حول ما حدث لزوجته نوح وابنه سنعود إليها في مناسبة أخرى ، وحسبنا أن نشير إلى أنهما لم يكونا مؤمنين ، فخرجنا من نطاق هذه الدعوة .

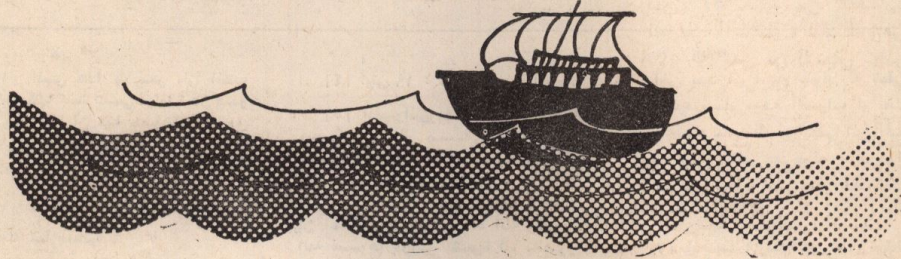
شدة سيدنا نوح :

وفي ختام السورة عاد سيدنا نوح يدعو الله لتشديد النكير على الكفار والظالمين وقد رأينا كيف دعا الله سبحانه وتعالى أن يبيدهم من فوق سطح الأرض بقوله أنهم مهما عاشوا فلن يلدوا (الا فاجرا كفارا) .

وهذا هو الفارق بين سيدنا نوح وسيدنا محمد فقد كانت دعوة سيدنا محمد على قريش عندما لجوا في عنادهم وكفرهم وخصومتهم ، (رب اغفر لقومي فانهم لا يعلمون) .

وعندما فتح مكة ووقف أهلها من الكفار بين يديه وهم يرتجفون رعباً مما قد يحل بهم ، فقال لهم (اذهبوا فانتم الطلقاء) وعفا عنهم جميعاً .

ولا عجب في ذلك فما سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام إلا رحمة للعالمين وصدق الله العظيم .
تم تفسير السورة



إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ

سبق أن قلنا أننا سنذكر ما تكاد تخر منه الجبال هذا من نسبة أكبر الجرائم للنبي صلى الله عليه وسلم . وسجلها المرحوم الشيخ السيوطي في تفسيره للقرآن الكريم في سورة الحج . ونقلها عنه المرحوم فريد وجدي في تفسيره ، ولم يعلقا على هذه الفرية بكلية واحدة تبطلها .

واليوم نقول : ان المرحوم الشيخ السيوطي قال في تفسير قول الله عز وجل [وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في أمنيه فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم] آية ٥٢ من سورة الحج .

قال : [تمنى] أى قرأ . [الشيطان في أمنيه] أى قراءته . المعنى : وما أرسلنا قبلك من رسول ولا نبي الا اذا قرأ ما ليس من القرآن (١) مما يرضاه المرسل اليهم (٢) . وقد قرأ النبي صلى الله عليه وسلم بمجلس من قريش بعد (أفرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى (٣)) قال السيوطي : قرأ صلى الله عليه وسلم بعد هاتين الآيتين (٤) [تلك الغرانيق (٥) العلى وان شفاعتهم لترتجى] ففرحوا بذلك ثم (٦) أخبره جبريل بها القاه الشيطان على لسانه من ذلك فحزن صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الآية .

وتبعه في ذلك الخطأ الشنيع المرحوم فريد وجدي في تفسيره لهذه الآية على هاشم المصنف (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في أمنيه) قال : وما أرسلنا

ذكر كثير من المفسرين هذه القصة مع بيان خطئها . ومن هؤلاء ما قاله ابن كثير في تفسيره : [ذكر كثير من المفسرين هنا قصة الفرانيق وما كان من رجوع كثير من المهاجرة الى ارض الحبشة فلما منهم أن مشركي قريش قد أسلموا ولكنها من طرق كلها مرسله (٧) ولم أرها مستندة من وجه صحيح .]

١ - ثم قال ابن كثير [قال ابن أبي حاتم حدثنا موسى بن أبي موسى الكوفي . حدثنا محمد بن اسحاق الشيباني حدثنا محمد بن فليح عن موسى ابن عقبة عن ابن شهاب (٨) قال : أنزلت سورة النجم وكان المشركون يقولون لو كان هذا الرجل يذكر آلهتنا بخير أقررناه وأصحابه ولكنه لا يذكر من خالف دينه من اليهود والنصارى بمثل الذى يذكر آلهتنا من التثمت والشر ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أشدد عليه ما ناله وأصحابه من أذاهم وتكذيبهم وأحزنه ضلالهم ، فكان يتمنى هداهم فلما أنزل الله سورة النجم قال (أفرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى . الكم الذكر وله الأنثى) القى

وتبعه في ذلك الخطأ الشنيع المرحوم فريد وجدي في تفسيره لهذه الآية على هاشم المصنف (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في أمنيه) قال : وما أرسلنا

القرأى يفيد ان اخبار جبريل له صلى الله عليه وسلم بوجه الصواب لم يات سريعا وجاء بيان ذلك في بعض الروايات التى ذكر ابن كثير بعد قوله [ففرحوا بذلك] قال : فلما أمضى صلى الله عليه وسلم آتاه جبريل .

[٧] الحديث المرسل هو الذى سقط منه الصحابي الراوى عن الرسول مباشرة (٨) ابن شهاب زهير بن الربيع

[٤] آيتى ١٩ ، ٢٠ من سورة النجم .

[٥] الفرانيق جمع غرنوق بضم فسكون طائر مسالى ابيض يشبه الكركى بضم الكاف وسكون الراء وهو طائر كبير طويل العنق ، قال ابن الانبارى : وكان مشركو العرب يزعمون ان اصنامهم تشفع لهم عند الله وتقربهم اليه فسموها غرانيق تشبيها لها بالطيور التى تعلق وترتفع فى السماء .

[٦] التعبير يتم الذى تسدل على

[١] ليس هذا يشعر بان الكتب السابقة كلها كانت تسمى قرآنا لان صدر الآية يدل على ان هذا حصل لكل رسول ونبي والشيخ هنا يقول : قرأ ما ليس من القرآن .

[٢] أى المشركون الذين كانوا يعبدون الاصنام كما سيأتى .

[٣] اللات والعزى ومناة : هذه الثلاثة اسماء اصنام قريش .

وَأَيُّهَا لَهْ لِحَافِظُونَ

جعلته صلى الله عليه وسلم ينطق بها هو كقرص صريح ثم لا يعقب السيوطى عليها بما يبطلها ، أو على الأقل يضرب عنها صفحا ولا يذكرها . لئلا يلوث بها كتابه ويوقع من قرأ تفسيره فى خطأ خطير على العقيدة . ثم ان فى هذا الافتراء الذى سجله فى كتابه امورا واضحة فى الدلالة على الكذب لم ينبه القارىء لها كما يفعل الغيور اليقظ على دينه .

١ - ذكر كلمة [ثم] الدالة على التراخى فى الزمن ، بين ما قبلها وما بعدها ، فى قوله [ثم اخبره جبريل بالخطأ] وهذا صريح فى أن نزول الوحي بما يبطل هذه الدسيسة قد تراخى ولم ينزل بعدها مباشرة . وقد جاء التصريح بأن زمن هذا التراخى كان فسيحا حيث جاء فى رواية القرطى المتقدمة [فلما امسى رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه جبريل .. الخ] . وهذا صريح بأن الخطأ كان فى الصباح والتصحيح كان فى المساء . وهذا مستحيل أن يكون من الله العليم الخبير الذى قرر فى كتابه الكريم أنه يحيط القرآن عند نزول الوحي به بكل عناية ويأمر الملائكة بحراسته حتى لا يدنو من ساحته شيطان . فقال سبحانه فى سورة الحن [عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عددا] ..

ومن الغريب أن المرحوم الشيخ السيوطى نفسه شرح تلك الآيات من سورة الجن على الوجه الصحيح الذى ينافى ما سجله هو فى سورة الحج . فقال فى تفسير سورة الجن (عالم الغيب) ما غاب عن العباد (فلا يظهر) أى فلا يطلع (على غيبه احدا) من الناس (الا من ارتضى من رسول فانه) عند اطلاعه على ما يشاء (يسلك) أى يجعل من بين يديه (أى الرسول) ومن خلفه رصدا (أى ملائكة يرصدونه أى يحفظونه حتى يبلغوه) ليعلم (أى الله علم ظهور) أن قد أبلغوا (أى الملائكة) رسالات

الشيطان عندها كلمات حين ذكر الله الطواغيت [١] فقال وانهم لهم الغرائيق العلى وان شفاعتهم لى التى ترتجى ، وكان ذلك من سجع الشيطان وفتنته فوقعت هاتان الكلمتان [٢] فى قلب كل مشرك بهكة وزلت بها السننهم وتباثروا بها وقالوا ان محمدا قد رجع الى دينه الاول ودين قومه ، فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر النجم سجد وسجد كل من حضره من مسلم أو مشرك [

قال محمد بن كعب القرظى وغيره من المفسرين لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم تولى قومه عنه ، وشق عليه ما رأى من مباعدهم عما جاءهم به من الله ، تمنى فى نفسه أن يأتيه من الله ما يقارب بينه وبين قومه . لحرصه على ايمانهم ، فكان يوما فى مجلس لقريش فأنزل الله تعالى سورة والنجم فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ قوله [افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى]لقى الشيطان على لسانه بما كان يحدث به نفسه ويتناهه تلك الغرائيق العلى وان شفاعتهم لترتجى ، فلما سمعت قریش ذلك فرحوا به ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قراءته يقرأ السورة كلها وسجد فى آخر السورة فسجد المسلمون بسجوده وسجد جميع من فى المسجد من المشركين ، فلم يبق فى المسجد مؤمن ولا كافر الا سجد . وقد سرهم ما سمعوا من ذكر آلهتهم ويقولون قد ذكر محمد آلهتنا بأحسن الذكر ، وقالوا : قد عرفنا أن الله يحيى ويبيت ويخلق ويرزق ولكن آلهتنا هذه تشفع لنا عنده فان جعل لها محمد نصيبا فنحن معه . فلما امسى رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه جبريل فقال يا محمد ماذا صنعت ؟ لقد تلوت على الناس ما لم آتك به من الله عز وجل . فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم حزنا شديدا وخاف من الله خوفا كثيرا فأنزل الله هذه الآية [٣] يعزيه وكان به رحيم] . ووجه الخطورة هنا أن المرحوم السيوطى يذكر هذه الدسيسة اليهودية . وانها لاخبت دسيسة لانها

(١) هذه هى الاصنام القديمة .

(٢) المراد بالكلمة الجيلة .

(٣) هذه الآية « وما أرسلنا من قبلك

من رسول ولا نبى . الخ »

وقال كثير من المفسرين أن معنى هذه الجملة [ليعلم | الرسول المرتضى . علما قاطعا ان رسل الوحي من الملائكة قد أبلغوا الانبياء رسالات ربهم كما هي من غير تخليط]

تقدم أن هذا الحديث على ما فيه من البشاعة [مرسل] فما هو رأى علماء الحديث فى المرسل ؟

قال النووى فى كتابه [التقريب] ان الحديث المرسل ضعيف عند جماهير المحدثين والشافعى ، وكثير من الفقهاء ، وأصحاب الأصول ، وما يؤيد الشافعى ومن معه ما قاله الحافظ بن حجر فى شرحه لحديث أم حبيبة أم المؤمنين زوج النبى صلى الله عليه وسلم وهو [قالت أم حبيبة للنبي صلى الله عليه وسلم انا أحدث (١) أنك تريد زواج بنت أم سلمة] وفى رواية [بلغنى أنك تخطب] وفى رواية أبى داود لهذا الحديث قالت [فوالله لقد أخبرت (٢) أنك تريد أن تتزوج .. الخ] فأنكر ذلك صلى الله عليه وسلم وبين وجه بطلانه. قال الحافظ ولم أقف على اسم من أخبرها بذلك ، ولعله كان من المنافقين . لانه قد ظهر أن الخبر لا أصل له . وهذا مما يستدل به على ضعف مراسيل الصحابة . ومن باب أولى إذا كان راوى الحديث المرسل غير صحابى كما فى حديث الغرانيق .

نقول : إذا كان هذا هو حكم الحافظ على المراسيل . أى احتمال أن يكون الساقط منافقا . لأن كثيرا من المنافقين كانوا يتقون إخفاء نفاقهم فلا يعلمهم أحد حتى النبى صلى الله عليه وسلم . قال تعالى فيهم (ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم) (٣) ومن العجب أن الشيخ السيوطى الذى يقول فى كتابه الذى سماه [تنزيه الانبياء عن تسفيه الاغبياء] يقول : [من روى الحديث الموضوع يعززه الحاكم ومن المعلوم شرعا أن التعزير درجات . يبدأ بالضرب ، والجلد ، الى القتل ، فهل كان الشيخ السيوطى رحمه الله عندما روى حديث الغرانيق فى تفسيره كان يعلم ما يقول أم كان يرى أنه حديث صحيح . وكلا الأمرين مر . ومما جعل

بطلان هذا الحديث بذهبا حتى عند عوام المسلمين أن الله تبارك وتعالى ذكر فى القرآن الكريم أكثر من دليل على أن كتابه مصون من كل باطل وأن الشياطين لا تستطيع الدنو منه كما يفترى المشركون أن هذا القرآن نزلت به على محمد الشياطين .

قال سبحانه فى ذلك [وانه لتنزيل رب العالمين] نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين [وقال] وما تنزلت به الشياطين . وما ينبى لهم وما يستطيعون انهم عن السمع لمعزولون . هل انبئكم على من تنزل الشياطين . تنزل على كل افاك اثم [٤] وقال سبحانه [انه لقول رسول كريم . وما هو بقول شاعر قليلا . ما يؤمنون . ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون . تنزيل من رب العالمين . ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين . ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين . . . وانه لحق اليقين] [٥]

ومما قد يكون من أقوى الأدلة على بطلان هذه الفرية ما حصل ليلة كنا فى جبهة من العلماء وجرى حديث فى الموضوع فقيل أن من الغريب أن يقول رواية هذا الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد بعد ما فرغ من قراءة سورة النجم وبأدنى تأمل نرى أن ما ذكر بعد قوله (ومائة الثالثة الأخرى) كله آيات تنادى بتسفيه المشركين وتكذيبهم فى جعل هذه الاصنام التى سبوا بأسماء الاناث تسفيها لهم بأن هذه الاصنام ما هى الا مجرد اسماء لا حقيقة لها . قال سبحانه .

الكم الذكر وله الانثى . تلك اذا قسمة ضيزى ان هى الا اسماء سميتنوها انتم وآبائكم ما أنزل الله بها من سلطان ان يتبعون الا الظن [٦] وما نهوى الانفس [٧] ثم قال [وان الظن لا يغنى من الحق شيئا] ثم قال [ذلك مبلغهم من العلم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله] اذا كان هذا كله سمعه المشركون فأى عقل هذا الذى يتصور انهم يسرون ويقولون رجع محمد لدح آلهتنا بعد هذا التسفيه ؟

للبحث بقية

معان : الوهم الذى لا حقيقة له كما هنا . والادراك السراج كما فى آية ١٧١ الاعراف [وظنوا أنه واقع بهم] ، وعلى اليقين كما فى آية ٤٦ سورة البقرة قال سبحانه فى مدح الفاضلين [الذين يظنون انهم ملأوا ربهم وانهم اليه راجعون]

(٤) آيات : ١٩٢ ، ١٩٤ ، ٢١٠ ، ٢١٢ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ الشعراء (٥) آيات : ٤٠ وما بعدها من سورة الحاقة . (٦) والظن جاء فى القرآن ثلاث

[١] [نحدث] بضم التون وفتح الحاء وتشديد الدال المفتوحة مبنيا للمجهول [٢] [أخبرت] بضم الهزة وسكون الخاء للمجهول ايضا . [٣] آية ١٠١ التوبة

معاني الأرض



[١]

لقد وردت كلمة الأرض في القرآن الكريم أربع مئة واحدة وستين مرة ، نستطيع أن نحصرها في سبع دلالات : الدلالة الأولى هي الكوكب الذي نعيش عليه ، وهو مانسيه الكرة الأرضية .

نجد هذا المعنى في آيات عدة منها قوله تعالى : « ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار ، فلن يقبل من احدثهم ملء الأرض ذهباً ، ولو افئدى به ، اولئك لهم عذاب اليم ، وما لهم من ناصرين »

فان المراد بالأرض هاهنا الكرة الأرضية كلها ، ماكان منها معلوما للناس وما كان مجهولاً حينما نزل القرآن الكريم ، وقوله سبحانه « وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض ، أعدت للمتقين » .

أي أن عرضها كعرض السماوات والأرض ، والمراد وصفها بالسعة والبسطة « فشبهت بأوسع ما علمه الناس بسطة وسعة » ونخص العرض بالذكر — وهو أقل من الطول — للدلالة على عظمة الاتساع التي يتردد دونها الخيال وهو حسيرو .

وقوله تعالى : « ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم ؟ قالوا : كنا مستضعفين في الأرض ، قالوا : ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ؟ »

أي ان الذين توفاهم الملائكة وهم ظالمون لأنفسهم ، مقصرون فيها كان يجب عليهم من حماية لها وفرار دينهم — والمراد ناس من اهل مكة أسلموا ولم يهاجروا حينما كانت الهجرة فريضة — تقول لهم الملائكة موبخة مفرعة : في أى شئ كنتم من أمر دينكم ؟ فيقولون : كنا مستضعفين في مكة ، يعتذرون بهذا مما وبخوا به ، ويعللون بضعفهم أنهم لم يتمكنوا من الهجرة ، فتبكتهم الملائكة قائلة : ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ؟ لقد كنتم قادرين على الخروج من مكة الى بلاد لا تمنعون فيها من اظهار دينكم كما فعل المهاجرون الى الحبشة .

فكلمة الأرض الثانية هي التي نعنيها ، لأنها تدل على الأرض كلها ، أما الأولى فانها تدل على مكان معين سيأتى تفصيله ، وقوله سبحانه : « ألم تعلم أن الله له ملك السماوات والأرض ؟ يعذب من يشاء ، ويفخر لمن يشاء والله على كل شئ قدير » [٢] ويديهى أن الله تعالى يملك السماوات جميعاً والأرض كلها ، وقوله تعالى : « انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء ، فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام ، حتى اذا أخذت الأرض زخرفها وازينت ، وظن أهلها أنهم قادرون عليها ، اتاهم أمرنا ليلاً أو نهارة ، فجعلناها حصيداً ، كان لم تغن بالأمس ، كذلك نفصل الآيات لقوم يفتكرون »

هاهنا تشبيه مركب ، اذ شبهت حالة الدنيا في سرعة فنائها ، وزوال نعيمها بعد أن كانت معمورة مزدانة بحال النبات الذي جف وصار حطاماً بعد أن كان ملتفاً مزدهراً يزين الأرض بخضرته ورفيقه .

وليس المراد نبات بقعة أو جهة معينة من الأرض ، بل المراد نبات الأرض كلها .

وقوله تعالى : « ولله يسجد من فى السماوات والأرض طوعاً وكرهاً ، وظلالهم بالغدو والآصال »

أي ينقادون لاحداث ماأمره فيهم من أفعال ، شاءوا أو أبوا ، لايقدرون أن يمتنعوا ، وكذلك تنقاد ظلالهم حيث تخضع لمشيئته وللنواميس التي وضعها في حدودها وامتدادها وتقصصها وكثافتها ورققتها وفينها وزوالها وقوله سبحانه : « ولو ان قرآنا سيرت به الجبال ، او قطعت به الأرض ، أو

الكتبة أحمد الحوفي

كلم به الموتى ؟ بل لله الأمر جميعا » [٣] . والمعنى لو أن قرآنا حركت به الجبال من مقارها وأزيلت من أماكنها ، أو تصدعت به الأرض ، وتزايلت قطعها ، أو كلم به الموتى فأسمعهم وأجابهم ، لكان هذا القرآن ، لانه الغاية في التذكير ، والنهاية في الانذار والتخويف ، كما قال تعالى : « لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خائسعا متصدعا من خشية الله » [٤]

وقيل ان المعنى لو أن قرآنا حدث به تسيير الجبال ، وتطليع الأرض ، وتكليم الموتى ، وتنبههم ما آمن به كفارقيش ، ولظلوا على صميمهم وعماهم ، كقوله تعالى : « ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة ، وكلمهم الموتي ، وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا »

وقوله سبحانه في وصف يوم القيامة « يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات ، وبرزوا لله الواحد القهار »

والتبديل ، التغيير ، وقد يكون في الأجسام كقولك بدلت الدراهم دنائير ، ومنه قوله تعالى : « كلها نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها » وقوله : « وبدلناهم بجنتيهم جنتين » وقد يكون في الأوصاف كقولك : بدلت الحلقة خاتما ، اذا أذبتها وسويتها خاتما ، فنقلتها من شكل الى شكل .

والمعنى ان هذه الأرض التي تعرفونها تبدل أرضا أخرى ، وكذلك السموات .

ولكن ما حقيقة هذا التبديل ؟

أهو خلق أرض أخرى وسموات أخرى ؟

أم هو تغيير في أوصاف الأرض والسماء ، فتسير عن الأرض جبالها ، وتتفجر بحارها ، وتستوى بقاعها ، وتبديل السماء بانتشار كواكبها وكسوف شمسها ، وخسوف قمرها ، وانشقاقها ؟

الله هو الذي يعلم ذلك كله .

وقوله تعالى : « تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن ، وإن من شيء الا يسبح بحمده ، ولكن لا تفقهون تسبيحهم ، انه كان حليما غفورا »

فالسموات والأرض ومن فيهن كلها تسبح لله بلسان الحال حيث تدل على الصانع وعلى قدرته وحكمته ، فكانها تتعلق بذلك ، وكأنها تنزه الله عز وجل عما لا يجوز عليه من الشركاء . وهذا التسبيح معلوم للمؤمنين ، ولكن المشركين جعلوا مع الله آلهة ، فصاروا في غفلة وعمى ، ولأن النظر الصحيح والفكر الصائب يخالف ما هم عليه .

□ ٣٠ □

وقد عطف على السموات [من فيهن] وهؤلاء يسبحون حقيقة ، وهم الملائكة والانس والجن ، ولكن التسبيح المجازي واقع من الجميع ، فوجب الحمل عليه ، والا كانت الكلمة الواحدة محمولة على الحقيقة والجواز في تعبير واحد .

وقد علق ابن المنير على ما ذكره الزمخشري فقال : ما يصنع بقوله [كان حليما غفورا] وهو تعالى لا يغفر للمشركين ، ولا يتجاوز عن جهلهم وكفرهم واشراكهم ، وانما يخاطب الله بهاتين الصفتين المؤمنين .

وزهد ابن المنير الى ترجيح ان المخاطبين هم المؤمنون ، وأما عدم تفهيم للتسبيح الصادر من الجمادات فكانه — والله اعلم — من عدم العمل بمقتضاه ، فان الانسان لو يقيظ حق التيقظ الى ان النملة والبعوضة وكل ذرة من ذرات الكون تسبح الله وتنزهه وتشهد بجلاله وكبريائه وقهره ، وعمر خاطره بهذا الفهم ، لكان ذلك شاعلا له عن القوت ، فضلا عن فضول الكلام والافعال .

فالظاهر ان الآية وردت خطابا على الغالب في أحوال الغافلين ، وان كانوا مؤمنين .

ويصح أن يكون المراد بتسبيح السموات والأرض ومن فيهن خضوعها للنواميس التي أودعها الله في الكائنات كلها ، فهي تنقاد لها وتخضع ، شاعت أم أبت ، كما سبق في قوله تعالى : « ولله يسجد من في السموات والأرض طوعا وكرها » .

وقوله سبحانه : « انا نحن نرث الأرض ومن عليها ، والينا يرجعون »

وذلك ان الكرة الأرضية كلها ومن عليها وما عليها مرجعهم جميعا الى الله تعالى .

وقوله تعالى : « ألم تر أن الله سخر لكم مافي الأرض ، والفلك تجري في البحر بأمره ، ويمسك السماء أن تقع على الأرض الا بأذنه ، ان الله بالناس لرؤف رحيم » .

فان المقصود بالأرض في الكلمتين الأرض جميعا . وقوله سبحانه : « قل لمن الأرض ومن فيها ان كنتم تعلمون ؟ سيقولون : لله ، قل : أفلا تذكرون ؟ »

فان الأرض كلها ومن فيها من خلق الله ، ومصيرهم جميعا الى الله .

وقوله تعالى : « يا عبادي الذين آمنوا ان أرضي واسعة ، فإياي فاعبدون » .

والمراد هنا الأرض كلها ؟ ومعنى الآية ان المؤمن اذا لم تتيسر له العبادة في بلد ، ولم يستقم له دينه كما يجب ، فليهاجر الى بلد آخر يرجح انه سيكون فيه اسلم قلبا ، واصح دينا ، واكثر عبادة ، واعظم خشوعا .

قال الزمخشري : لعمرى ان البقاع تتفاوت في ذلك التفاوت الكثير ، وقد جربنا وجرب اولونا ، فلم نجد فيما درنا وداروا اعون على قهر النفس ، وعصيان الشهوة ، واجمع للقلب المتلفت ، واضم للهم المنتشر ، واحصن على القناعة ، واطرد للشيطان ، وابعد من كثير من الفتن ، واضبط للأمر الديني في الجملة ، من سكتى حرم الله ، وجوار بيت الله ، فله الحمد على ما سهل من ذلك ، وقرب ، ورزق من الصبر ، واوزع من الشكر . وعن النبي صلى الله عليه وسلم : من فن بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجب الجنة ، وكان رفيق ابراهيم ومحمد .

وقيل ان الآية نزلت في المستضعفين بمكة ، لان امر دينهم ما كان يستتب لهم بين ظهرائى الكفرة وقوله تعالى : **« وما قدروا الله حق قدره ، والأرض جميعا قبضته يوم القيامة ، والسموات مطويات بيمينه ، سبحانه وتعالى عما يشركون »** .

أى أنهم لم يعطوا الله تعالى كنه تعظيمه ، ولم ينزهوه حقيقة تنزيهه ، ثم صور سبحانه وتعالى جلالة شأنه بهذا التمثيل [والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه] ، وليس المراد بالقبضة أو اليمين حقيقة ولا مجازا ، بل المراد الدلالة على القدرة الباهرة التي تهون الاعمال العظام الحيرة للأفهام والأذهان ، لأنه تعالى يقبض الأرض كلها قبضة واحدة يوم القيامة ، ولأنه يطوى السموات بيمينه طى السجل للكتاب .

وقوله تعالى في وصف يوم القيامة : **« فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة ، وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة ، فيومئذ وقعت الواقعة ، وانشقت السماء ، فهي يومئذ واهية »** .

في هذا وصف لبعض ما يحدث يوم القيامة من خراب العالم ، ووصف لبعض ما يحدث للأرض كلها ، فهي وجبالها يضرب بعضها بعضا حتى تندق وتصير كشيا مهيلا وهباء منبثا ، وتفقد السماء قوتها بعد ان كانت مستبسكة محكمة .

وقوله سبحانه : **« اذا زلزلت الأرض زلزالها ، وأخرجت الأرض أثقالها ، وقال الانسان : ما لها ؟ يومئذ تحدث أخبارها ، بأن ربك أوحى لها »** .

فان الكرة الأرضية كلها ستزلزل زلزالا شديدا لا مثيل له ، وستخرج ما في جوفها من مواد ودفائن ، خاضعة لأمر الله تعالى .



صيانة أعراض المسلمين والدفاع عنها

من الواجبات التي تقتضيها اخوة الاسلام ان يصون المسلم عرض اخيه المسلم ونفسه وماله عن ظلم غيره ما استطاع الى ذلك سبيلا ، ويرد عنه ويناضل دونه وينصره كلما قدر على ذلك .

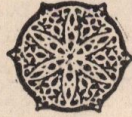
روى ابو الدرداء ان رجلا نال من رجل عند رسول الله [صلى الله عليه وسلم] فرد عنه رجل ، فقال النبي [صلى الله عليه وسلم] : « من رد عن عرض اخيه كان له حجابا من النار » .

وقال [صلى الله عليه وسلم] : « ما من امرئ مسلم يرد عن عرض اخيه الا كان حقا على الله ان يرد عنه نار جهنم يوم القيامة » .

وعن انس [رضي الله عنه] ان النبي [صلى الله عليه وسلم] قال : « من ذكر عنده اخوه المسلم وهو يستطيع نصره فلم ينصره ادركه الله بها في الدنيا والاخرة ، ومن ذكر عنده اخوه المسلم فنصره نصره الله تعالى في الدنيا والاخرة » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « من حصى عن عرض اخيه المسلم في الدنيا بعت الله تعالى له ملكا يصيبه يوم القيامة من النار » .

وقال جابر وابو طلحة : سمعنا رسول الله [صلى الله عليه وسلم] يقول : « ما من امرئ مسلم ينصر مسلما في وضع يده في حرمته ويستحل حرمته الا نصره الله في موطن يحب فيه نصره ، وما من امرئ خذل مسلما في موطن ينتهك فيه حرمته الا خذله الله في موضع يحب فيه نصرته » .



براعة الاستهلال وروعة الأساليب في فوائح سور القرآن الكريم



فضيلة الدكتور عبد الغنى الرامسى

عذاب الله وانتقامه ، وردت السورة التالية سورة الرحمن ، مبينة عظمة هذا الذى كفروا به ، ورحمته وأنعمه وآلائه ، وما خلق فى الوجود من آيات كونية ، علوية وسفلية ، لو اعتبروا بما فيها من آثار عظمة الله وقدرته ، لكان لهم عن اجرامهم وكفرهم معدى • وكانوا فى عداد المتقين ، لا فى عداد المجرمين ••

ثانيا : - فى جمال التناسب بينها وبين نفسها - أعنى بين بعض آياتها وبعض - بين أولها وما تحقها ككل ، وبين نهايتها وخواتيمها ككل ، بين ما ابتدأت به ، وبين ما انتهت اليه ، نجد أنها فى أولها وافتحتها تتحدث عن البدء والنشأة ، وخلق الانسان والكائنات ، ومظاهر الوجود والحياة من آيات الله الكونية ، فى الانفس والافاق ، ثم تتحدث بعد ذلك الى خواتيمها ، عن النهاية وحتمية القيامة وافضاء الخلائق الى التقائهم بحالهم للحساب والجزاء ، بالحسنى ان فعلوا فى الاولى والدنيا الحسنى من الاعتبار والاتعاظ ، وبالسواى ان فعلوا فى الاولى وفى الدنيا السواى من الكفر والجحود والعصيان ، وعدم الانتفاع بما خلق الله من آيات بينات ، فالخاتمة بنت الفاتحة ، والنتيجة بنت المقدمة والاخيرة من الاولى ، والدنيا مزنة الاخيرة • وفى الحديث الشريف « يموت الانسان على ما عاش عليه ويحشر الانسان على ما مات عليه » ومن حسنت أولاه حسنت عاقبته • ومن ساءت فاتحته ساءت نهايته •

فى مقالنا السابق ، وعدنا بالعودة الى تقديم وجبات أشهى ، ونماذج أخرى من براعة الاستهلال ، وروعة الأساليب : وجمال التصوير ، ودقة التعبير ، ولطائف المناسبات فى هذه السورة الكريمة سورة الرحمن ، واليوم وفى هذا المقال ، نحاول الوفاء بوعدنا على النحو التالى : -

أولاً : - فى جمال التناسب والارتباط بينها وبين سورة القمر ، السابقة عليها فى ترتيب المصحف ، نجد أن سورة القمر قد ختمت فى آخر آية فيها ، بالحديث عن الملك المقتدر فى قوله تعالى « ان المتقين فى جنات ونهر ، فى مقعد صدق عند ملك مقتدر : فما أروع أن يكون افتتاح السورة التالية ، سورة الرحمن بالحديث عن نفس هذا الملك المقتدر ، فتقول بسم الله الرحمن الرحيم ، الرحمن • علم القرآن • خلق الانسان • علمه البيان •• الايات •• وفى خواتيم سورة القمر الحديث عن المجرمين بقوله تعالى « ان المجرمين فى ضلال وسعر » وفى السورة التالية سورة الرحمن ، نفس الحديث عن هؤلاء المجرمين فى قوله تعالى « يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والاقدام » ولما بينت سورة القمر كثيرا من أحوال المجرمين من أهل مكة ، ومن أهل القرى الظالمة التى كذبت أنبياء ربها ورسله ، من قوم نوح وعاد وثمود ، وقوم لوط وآل فرعون ، وبينت ما نزل بهم من

من يزرع الشر يحصد في عواقبه ندامة ولحصد الزرع ابا

غيرها من السور، آية تكون لفظة واحدة كما جاء فيها الآية رقم «١» «الرحمن» والآية رقم «٦٤» «مدهامقان» والآية رقم «٤٨» «ذواتا أفنان» والمضاف والمضاف اليه كالمشء الواحد .

وأما الاثني عشرية بعطف الشيء على نظيره أو تثنيتهما تثنية صرفية في الاسم والفعل، مع الاسترسال والإيغال في ذلك، وإيراد صيغة الطباق والمقابلة أحيانا، فأننا نرى ذلك ماثلا في مثل قوله تعالى «الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان» فمع التناسب بين الشمس والقمر في العلوية والفلكية، والتناسب في البائية بين الشجر والنجم وهو ما لا ساق له من النبات، توجد علاقة المقابلة والتضاد بين الأولين العلويين والآخرين الأرضيين .

ثم الاثني عشرية والتناسب والتقابل، في خلق الانسان من صلصال كالفخار، وخلق الجن من مارج من نار الآية ١٤، ١٥ ثم الاثني عشرية والتناسب والتقابل في ذكر المشرقين والمغربين الآية ١٧، والبحران يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان واللولؤ والمرجان يخرجان منهما في لفظ واحد مثني في قوله تعالى «سنفرغ لكم أيها الجنان» الامر الذي انبنت عليه التثنية في إحدى وثلاثين آية مكررة تقول «فبأي آلاء ربكما تكذبان» الامر الذي انبنى عليه رد الجن على رسول الله صلى الله عليه وسلم، لما قرأ هذه الآيات، فحنه صلى الله عليه وسلم قرأ السورة الكريمة على أصحابه صابئين، «فقال لهم مالي أراكم سكونا، الجن كانوا أفضل ردا، ما قلت «فبأي آلاء ربكما تكذبان» الا قالوا «ولا بشيء من نعمك يا ربنا تكذب» .

ثم التثنية بطريقة عطف الشئين بينهما التناسب والتقابل الجن والانس مرة أخرى ويعنوان هذين اللفظين في مقام تعجيزهما وتحديهما «يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان» الآية ٣٢ . ثم مرة أخرى في مقام سؤالهما يوم القيامة بتقديم الانس على الجن، عكس الترتيب السابق، والتعبير بلفظ الجن بدل لفظ الجن في التعبير الاول «فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان» ثم تتكرر اثني عشرية الانس والجن مرتين آخرين في نفس السورة الكريمة، في مقام مدح الحور العين في الجنين، بأنهن «لم يطمثنه انس قبلهم ولا جان» الآية ٥٦ والآية ٧٤ .

ثم يكون التصادم والامعان في ترسيخ هذه الظاهرة في السورة الكريمة، كأنه تأكيد وبرهان لما ادعينا

ان الصورة اللفظية في آيات السورة الكريمة، ونظام وأوضاع وترتيب عباراتها وتركيبها، وتقديم المقدم منها وتأخير المؤخر، جاءت محاذية ومماثلة للصورة الذهنية المعنوية، المراد تحقيقها ووقوعها في الخارج . الصورة اللفظية الحسية منبهة ومرشدة ومشيرة الى الصورة الذهنية المعنوية، وتدل عليها بأوضاع العبارات وهيئة تركيبها وترتيبها، فوق الدلالة على ذلك بالمعاني الوضعية للالفاظ، فيكون ذلك بيانا فوق بيان واعجازا فوق اعجاز . فالحديث عن البدء والخلق والاياد، والكائنات علويها وسفليها الى الآية ٢٥ . ثم الحديث عن الفناء والقيامة والسؤال والحساب، وتعذيب المجرمين الى الآية ٤٥، ثم الحديث عن نعيم الذين خافوا مقام ربهم، وما أعد لهم من الجنات الى نهاية السورة الكريمة، الاول في الاول، والآخر في الآخر، والآخر من الاول كاستيجة من المقدمة .

ثالثا :- في السورة الكريمة ظاهرة واضحة وسمة غالبية، تتغلغل في تراكيبيها وعباراتها وتتوزع فيها بانتظام، تشد الانظار اليها وتسترعى الانتباه، وتثير السؤال والعجب والدهشة، لهذا الاقتدار العجيب على ابراز هذه المعاني، الدينية والاجتماعية الفحلة العريقة، في هذه الاساليب البيانية الرائعة، المتأنقة الزاهية الالوان، تبدو عليها مسحة البساطة وعدم التكلف، بينما هي لا تتأتى لبليغ أو أديب، الا بنوع تكلف وتعمل واصطناع، يجعلها ضربا من سجع الكهان، أو مقامة من مقامات بديع الزمان، نعى بهذه الظاهرة الغالبة في السورة الكريمة ظاهرة الاثني عشرية والتثنية، بالجمع بين شئين بواسطة حرف الواو، أو بواسطة التثنية الصرفية، هذان الشئين غالبا ما تجمع بينهما المناسبة والارتباط في الذهن والوجود، بالقرب بينهما أو بالتضاد والمقابلة التي هي نوع من التناسب والارتباط الذهني، لان الضد أقرب خطورا بالبال الى ضده، يكون ذلك كله في آيات قصيرة قليلة الحجم، تلتزم فاصلتها الالف والنون، اللتين هما علامة التثنية في حالة الرفع في المثني الاسمي الصرفي، كقوله «جناتان» «مدهامقان»، وفي المثني الفعلي كقوله تعالى «تكذبان» «تبغيان» حتى ما جاء بغير هاتين الصورتين للتثنية، جاء أيضا فاصلة مختومة بالالف والنون في الاسم المفرد، «كالرحمن» و «البيان» و «الاحسان»، وفي جمع التكسير مثل «افنان» و «حسان» .

أما ظاهرة قصر الآيات وصغر حجمها فانه رأى عين بالمشاهدة والمعاينة، لا تكاد تزيد آية فيها عن خمس كلمات الا في النادر القليل، ويندر أن تكون في

من الله صار سمة بارزة وظاهرة غالية فيها ، وذلك بمعنى التثنية فيما ظاهره والاصل فيه أن يفرد ، وذلك في ذكر الجنتين في قوله تعالى في الآية ٤٦ « ولئن خاف مقام ربه جنتان » والآية ٦٢ « ومن دونهما جنتان » فإن المعروف المؤلف المذكور في نفوس الدارسين والقارئين والباحثين أن للمؤمنين الصالحين في الآخرة ، جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ، وأن للكافرين العاصين نارا لا يصلاها الا الأشقي الذي كذب وتولى ، وفي هذا المقام نفسه ، مقام الخوف من الله ، ورد التعبير عنها بالفرد في سورة النازعات في قوله تعالى « وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى » ثم ان النار لم ترد في القرآن الا مفردة لا مثناة ولا مجموعة ، والجنة وان وردت في القرآن على الاصل من الافراد كثيرا ، الا أنها عادت فجاءت في مواضع كثيرة بلفظ الجمع « جئات النعيم » « جئات تجري من تحتها الأنهار » « جئات الفردوس » « ان المتقين في جئات ونهر ، الامر الذي حدى بالمفسرين أن يقولوا أنها جنة واحدة ، ولكنها عدة جئات ، وجئات عدة ، باعتبار تعدد منازلها ومراتبها ، ودرجاتها وترامى أطرافها واتساع مدى ومجال النعيم فيها . أما ورودها في القرآن مثناة ، فلم يوجد ذلك الا في آيتي سورة الرحمن التي نمارس الحديث عنها الآن ، ولعل الذي استخرجته وذكرته وتبعته في السورة الكريمة ، وبرهنت عليه من شيوخ ظاهرة الاثنية فيها يكون كافيا ومقنعا في بيان السر في هذه التثنية بالذات ، تثنية الجنة والتعبير عنها بالثنى مرتين في مقام عدة الله لمن خاف مقامه . « ولئن خاف مقام ربه جنتان » وبعد قليل من الايات « ومن دونهما جنتان » تتغلغل طريقة التثنية في وصفها ووصف ما فيهما من النعيم حتى نهاية السورة الكريمة ، فهما « ذواقا أفنان » الآية ٤٨ صاحبنا أفنان جمع فتن مفرد أغصان الاشجار ، وهما « فيهما عينان تجريان » هكذا بالتثنية وهما « فيهما من كل فاكهة زوجان » هكذا بالتثنية ، والمشبّه به للهور فيها اثنان الباقوت والمرجان « كأنهن الباقوت والمرجان » والجنتان الاخرتان « مدهامتان » « فيهما عينان نضاختان » هكذا بالتثنية . ثم الاثنية بطريقة العطف في الخاص بعد العام في قولها « فيها فاكهة ونخل ورمان » فالفاكهة هي العام وما بعدها من النخل والرمان هو الخاص اثنان فقط .

والسؤال الآن ، هل يجوز أن تكون لبعض سور القرآن سمات بارزة وخواص مميزة ، وظواهر تشيع فيها في العبارات والمعاني ، وطريقة الاداء ونوع الفاصلة والجرس الصوتي للالفاظ . يستدعي ذلك كله العدول عن لفظ الى لفظ ، وعن طريقة الى طريقة ويرجح تعبيرا على آخر ؟ اللهم نعم ؛ وهو موضوع

□ ٢٤ □

دقيق بعيد الغور ، لنا اليه عودة في مقالات لخاصته نكثر فيها من ذكر الامثلة من واقع السور القرآنية .

مهما يكن من شيء فان محصل هذه التثنية للجنة مرتين في سورة الرحمن ، مراعاة لما قلناه وقررناه ، هو انه قد صار لمن خاف مقام ربه أربع جئات ، جنتان ومن دونهما جنتان . والظاهر أن الغرض من ذلك في النهاية هو المبالغة والتكثير في النعيم ، بدليل أن ما ذكره الله في وصف كل من نعيم الجنتين متقارب ، كأنه هو ، الزرع الاخضر والشجر الجميل ، والعيون الجارية النضاخة بالماء ، والوجوه الحسان من الحور المقصورات في الخيام ، القاصرات الطرف لم يطمثن انس قبلهم ولا جان ، الثلاثة اللاتي يذهبن الحزن ، الماء والخضرة والوجه الحسن ، ثم الفرش الوفيرة من استبرق وزفر خضر وعبقري حسان . وينقل المفسرون عن شيخ الاسلام ، ان المراد بالجننتين جنة واحدة وانما ثنى مراعاة للفواصل وعن مقاتل ، أنهما جنة عدن وجنة النعيم ، وعن الفراء انها هي جنة واحدة ، ولكنه ثنى لرؤوس الايات . وعن غيره انما كانتا اثنتين ليضاعف له السرور بالتثنية من جنة الى أخرى .

هذا كله فيما يتعلق بجنة الآخرة ، أما جنة الدنيا بمعنى الحديقة والبستان فقد جاءت مجموعة كما في سورة الانعام الآية ١٤١ ، وجاءت مفردة كما في سورة البقرة الآية ٢٦٦ ، وجاءت مثناة كما في سورة سبا الآية ١٥ ، ١٦ ، وذلك كله في مقامات تستدعي ما جاء فيها من الجمع والافراد والتثنية ، لكن ما يستشكل به ويتصل بما نحن فيه اتصالا وثيقا ، مجيء المثناة في سورة الكهف في قوله تعالى « واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من اعناب وحققناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا كلتا الجنتين أتت أكلها ولم تظلم منه شيئا وفجرنا خلالهما نهرا » ثم جاءت عقب ذلك وفي نفس القصة ونفس الواقعة مفردة في قوله تعالى عن هذا الرجل صاحب هاتين الجنتين « ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما اظن ان تبيد هذه أبدا » ويقول المفسرون انه ثناها اول القصة في مقام مدحها وبيان عظمها وجلالها وجمالها ، ثم عاد فأفردتها في مقام ذم صاحبها وتحقيرها لانه خدع واغتر بها وكفر .

والسؤال الآن : هل يكون الشيء واحدا في ذاته ، ولكنه يثنى احيانا ، أو يجمع لاعتبار أو لآخر ؟...

هذا الحديث - اذا أعان الله - موصول لتقديم وجبات أشهى . وعرض نماذج أخرى من روعة الاساليب وعظمة البيان ، في آيات سورة الرحمن ، والله المستعان .

لهو شئ ومَدَامُومَ والخييار هو الوسط بين طرفي الامر ، أى المتوسط بينهما ، ولذلك يقول القرطبي : « لما كان الوسط مجانباً للفلو والتقصير كان محموداً » . ولما كانت الوسطية تفيد معنى الخيرية والعدالة قال الشاعر زهير يمدح قوما :

هم وسط يرضى الانام بحكمهم

إذا نزلت احدى الليالي بمعظم

وهناك كلمات تقرب في معناها من كلمة «الوسط»، ومن هذه الكلمات : السواء ، والنصفة ، والعدل .

وقد وردت مادة « وسط » في القرآن الكريم عدة مرات ، ولم تذكر الا في موطن المدح والتقدير ، ونفهم من حديث القرآن عن هذه المادة أن التوسط فضيلة من فضائل الاسلام ، وخلق من اخلاق القرآن ، وأنه الصفة الأساسية الجليلة التي أرادها الحق تبارك وتعالى للامة المؤمنة ، ولذلك يقول عز من قائل في سورة البقرة : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا ، لتكونوا شهداء على الناس ، ويكون الرسول عليكم شهيدا » .

أى جعلناكم أخيارا عدولا ، وجعلناكم دون الانبياء وفوق الأمم ، مادمتم مهتدين بهدى الله ، عاملين بدينه ، وأخذ الأشياء أوسطها وأعدلها ، وقد فسر النبي صلى الله عليه وسلم كلمة « وسطا » في الآية بكلمة « عدلا » . وقوله : « لتكونوا شهداء على الناس » أى تشهدوا في المحشر للانبياء على أمهم أن الانبياء بلغوا الرسالة وأدوا الامانة . وقوله : « ويكون الرسول عليكم شهيدا » أى يشهد لكم بأنه بلغكم ، وانكم اهل الايمان .

وقد ورد في هذا حديث زواه البخاري عن أبي سعيد الخدري جاء فيه : « يدعى نوح عليه السلام يوم القيامة فيقول : لبيك وسعديك يارب . فيقول هل بلغت ؟ فيقول : نعم . فيقال لأمتك : هل بلغكم ؟ فيقولون : ماأنا من نذير . فيقول : من يشهد لك ؟ فيقول : محمد وأمتك فيشهدون أنه قد بلغ » ويكون الرسول عليكم شهيدا » فذلك قول الله عز وجل : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا »

وقد صور « تفسير المنار » كيف اقبلت الامة الاسلامية ، فجعلها الله تبارك وتعالى وسطا بينها وعملها به وتمسكها بأخلاقه ، وحرصها على تعاليمه ، بعد أن سبقها صنفان من الناس : أحدهما أفرط ، والآخر فرط ، وذلك — كما عبر التفسير — بعبارة الواسعة البسطة أن الناس كانوا قبل ظهور الاسلام على قسمين : قسم تقضى عليه تقاليدهم بالمادية المحضة ، فلا هم له الا الحظوظ الجسدية ، كاليهود والمشركين ، وقسم تحكم عليه تقاليدهم بالروحانية الخالصة ، وهجر الدنيا ، وترك ما فيها

□ ٣٥ □

مت أخلاق القرآن

تدل مادة « الوسط » في لغة العرب على العدل والنصف ، وأوسط الشئ هو وسطه أعدله ، ووسط الشئ ماله طرفان متساويان في القدر ، ويقال : فلان من أوسط قومه ، أى من خيارهم ، والرجل الوسيط هو الحسيب بين جماعته . والوسط يفيد معنى البعد عن الإفراط والتفريط ، والزيادة على المطلوب في الأمر إفراط ، والنقص عنه تفريط ، وكل من الإفراط والتفريط ميل عن الجادة القوية ،

الوسط

الكتب أحمد الشرباصي

من اللذات الجنسية كالنصارى والصابئين وطوائف من الوثنيين في الهند أصحاب الرياضات .

وأما الأمة الإسلامية فقد جمع الله لها في دينها بين الحقين : حق الروح وحق البدن ، فهي أمة مادية روحية ، فقد أعطاهم دينها جميع حقوق الإنسانية ، لأن الإنسان جسم وروح ، فكان الآية الكريمة تقول : « جعلناكم أمة وسطا » تعرفون الحقين ، وتبلغون الكمالين ، لتكونوا شهداء بالحق على الناس الماديين بما فرطوا في جنب الدين ، والروحانيين بما فرطوا وكانوا من الغالين : تشهدون على المفرطين بالتعطيل الغائلين « ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ، وما يهلكنا إلا الدهر » بأنهم أخذوا إلى البهيمية ، وقضوا على استعدادهم بالحمران من المزايا الزوجية ، وتشهدون على المفرطين بالغلو في الدين الغائلين ، أن هذا الوجود حبيس للأرواح وعقوبة لها ، فعليها أن تتخلص منه بالتخلي عن جميع اللذات الجسدية ، وبتمذيب الجسد ، وهضم حقوق النفس ، وحرمانها من جميع ما أعده الله لها في هذه الحياة .

تشهدون عليهم بأنهم خرجوا عن طريق الاعتدال ، وجنوا على أرواحهم بجنايتهم على أجسادهم وقواها الحيوية . تشهدون على هؤلاء وهؤلاء ، وتسببون الأمم كلها باعتدالكم وتوسطكم في الأمور كلها ، لأن الإسلام الذي هداكم الله إليه وحاكم به فيه الكمال الإنساني الذي ليس بعده كمال ، لأن الملتزم به يعطى كل ذي حق حقه ، يؤدي حقوق ربه ، وحقوق روحه ، وحقوق جسده ، وحقوق ذوى القربى ، وحقوق سائر الناس .

ويكون الرسول صلى الله عليه وسلم شهيدا عليكم ، لأنه المثل الأعلى في التوسط والاعتدال ، وإنما تكون هذه الأمة وسطا باتباعها له في سنته وشريعته وسيروته ، وهو القاضى بين الناس فيمن اتبع سنته ، ومن ابتدع لنفسه تقاليد أخرى ، أو حذا حذو المبتدعين .

فكما تشهد هذه الأمة العاملة بالإسلام على الناس بسيرتها وريقها المادى والروحى بأن الناس قد ضلوا عن القصد ، يشهد الرسول صلى الله عليه وسلم لأمته بما وافقت فيه سنته ، وما كان لها من الأسوة الحسنة فيه ، وبأنها استقامت على الصراط المستقيم .

وإنما يتحقق لكم وصف الوسطية إذا حافظتم على العمل بهدى الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وأما إذا انحرفتم أو غيرتم وبدلتم فالرسول بنفسه ودينه وسيرته حجة عليكم بأنكم لستم من أمته التى وصفها الحق جل جلاله بقوله في كتابه : « كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تآمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله » .

□ ٢٦ □

ووردت في القرآن المجيد آية أخرى تشير إلى فضيلة الوسطية حتى في العبادة ، وهي قوله تعالى في سورة البقرة : « حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى » وقوموا لله قانتين . وقد قال العلماء إنها سميت « الوسطى » لأنها أفضل الصلاة وأعظمها أجرا ، ولذلك خصت بطلب المحافظة عليها ، وقد تكاثرت أقوال المفسرين في المراد بالصلوة الوسطى حتى شملت هذه الأقوال كل الصلوات ، وأيد كل مفسر قوله بدليل ، وكلمة « الوسطى » تحتل أن يكون المراد بالصلوة الوسطى الصلاة المتوسطة المعتدلة التى لانقصان فيها ولا إفراط ، لأن النقصان لا يكون وسطا ، لأن الوسط هو العدل والخير ، والإفراط لا يكون وسطا ، لأنه مدعاة إلى الملل .

ولقد تعرض الأستاذ الامام محمد عبده لبيان المراد من الصلاة الوسطى ، وذكر خلاف المفسرين في ذلك ، وأورد الحديث القائل : « شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر » ، ثم قال : « ولولا أنهم اتفقوا على أنها إحدى الخمس لكان يتبادر إلى فهمي من قوله [والصلاة الوسطى] أن المراد بالصلاة الفعل ، وبالصلاة الفضلى ، أى حافظوا على أفضل أنواع الصلاة ، وهى الصلاة التى يحضر فيها القلب ، وتتوجه بها النفس إلى الله تعالى ، وتخضع لذكره وتدبر كلامه ، لا صلاة المرائين ولا الغافلين .

ويقوى هذا قوله بعدها [وقوموا لله قانتين] فهو بيان لمعنى الفضل فى الفضلى وتأكيد له ، إذ قالوا ان فى القنوت معنى الدائمة على الضراعة والخشوع ، أى قوموا ملتزمين لخشية الله تعالى ، واستشعار هيئته وعظمته ، ولا تكمل الصلاة وتكون حقيقية ينشأ عنها مذكر الله تعالى من كل فائدتها إلا بهذا ، وهو يتوقف على التفرغ من كل فكر وعمل يشغل عن حضور القلب فى الصلاة وخشوعه ، ولما فيها من ذكر الله بقدر الطائفة » .

وقد علق السيد رشيد رضا على رأى الأستاذ الامام مؤيدا له بأنه ليس هناك نص فى الحديث المرفوع ينافى ما ذكره الأستاذ الامام ، لأن بعض المحدثين يقول ان كلمة « صلاة العصر » الموجودة فى الحديث ، مدرجة من تفسير الراوى .

ويقول الله تبارك وتعالى فى سورة القلم عن أصحاب الجنة : « قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون » . وأوسطهم أى خيرهم ، وأعدلهم رأيا وأمثلهم طريقة ، وأسرعهم رجعة الى الله عز وجل

وقال فى سورة العاديات عن الخيل التى ينافس عليها أصحابها : « فوسطن به جمعا » أى توسطن جوع الحاربين ، وهذا يفيد شجاعة أصحابها واقdamهم .

وقال في صورة المائدة عن كفارة الحلف :
« فكفارته اطعام عشرة مساكين من اوسط ماتطعمون
اهليكم » أى من أقصده وأعدله فى النوع والقدر.

ونحن نرى أن مادة « الوسط » قد جاء ذكرها
فى هذه الآيات بمعنى التقدير والرضى .

وإذا كان كتاب الله المجيد قد دعا الى التوسط
وحث على الاعتدال ، فإن السنة النبوية قد جاءت
من وراء القرآن تؤكد هذا المعنى وتؤيده ، فالحديث
الشريف يقول : « خير الأمور أوسطها » ويشرح
ابن الأثير ذلك التعبير بأن كل خصلة محمودة لها
طرفان مذمومان ، فإن السخاء وسط بين البخل
والتبذير ، والشجاعة وسط بين الجبن والتردد ،
والإنسان مأثور أن يتجنب كل وصف مذموم ،
وتجنبه يكون بالتعزى منه والبعد عنه ، فكلما ازداد
منه بعدا ازداد منه تعزى ، وأبعد الجهات والمقادير
والمعاني من كل طرفين وسطهما ، وهو غاية البعد
عنهما ، فإذا كان فى الوسط فقد بعد عن الأطراف
المذمومة بقدر الامكان .

وجاء فى الحديث : « إذا سألتكم الله فاسألوه
الفردوس ، فإنه اوسط الجنة وأعلى الجنة » .
وقال عليه الصلاة والسلام دالا على التوسط مرشدا
الى الاعتدال : « ليس خيركم من ترك الدنيا
للاخرة ، ولا الاخرة للدنيا ، ولكن خيركم من أخذ من
هذه وهذه » . وقال أيضا « ان الله يعثى بالحنيفية
السهلة ، ولم يعثى بالرهبانية المتدعة ، سنتى
الصلاة والنوم ، والافطار والصوم ، ومن رغب
عن سنتى فليس منى » .

ويقول الامام على رضى الله عنه وكرم الله وجهه:
« عليكم بالنمط الاوسط ، فاليه ينزل العالى ، واليه
يرتفع النازل » . والنمط هو الطريق ، وقيل ان
النمط هم الجماعة من الناس أمرهم واحد .

ويعود الامام على الى التنويه بالوسطية والدعوة
اليها ، والتحذير من الانحراف عن الصراط ذات
اليمين أو ذات الشمال ، فيقول : « اليمين والشمال
مضلة ، والطريق الوسطى هى الجادة ، عليها
باقى الكتاب ، وآثار النبوة ، ومنها منفذ السنة ،
واليها مصير العاقبة ، هلك من ادعى ، وخاب
من افترى » .

وللفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه كلمة
مشابهة يقول فيها : « أيها الناس ، قد سنت لكم
السنن ، وفرضت لكم الفرائض ، وتركتم على
الواضحة ، الا ان تميلوا بالناس يمينا وشمالا » .

وإذا تجتنب الانسان الميل يمينا أو شمالا فقد توسط
واعتدل .

ثم يعود الامام على الى تأكيد النباء على التوسط
فيقول : « خير هذه الامة النمط الاوسط ، يرجع
اليهم الفالى ، ويلحق بهم التالى » . ويقول :
« نحن النمرة الوسطى ، بها يلحق الفالى ، واليه
يرجع التالى » . ويفسر هذا التعبير بعض العلماء
بأن آل البيت أشبه بالنمرقة — وهى الوسادة —
للاستناد اليهم فى أمور الدين ، كما يستند الانسان
الى الوسادة لراحة الظهر واطمئنان الاعضاء ،
ووصفها بالوسطى لاتصال سائر النمارق بها ،
فكان الكل يعتمد عليها ، أما مباشرة أو بواسطة ،
وآل البيت على الصراط الوسط العدل ، يلحق بهم
من قصر ، ويرجع اليهم من غلا وتجاوز .

هذا ولقد وردت كلمات حكيمة لاعلام سبقوا :
تدعو الى التوسط والاعتدال ، مما يدل على أن
الوسطية فضيلة اسلامية محمودة ، فقال مطرف
لابنه : « يابنى ، الحسنة بين السيئتين — يعنى بين
الافراط والتفريط — وخير الأمور أوسطها ، وشر
السير الحقيقية » ، والحققة هى أشد السير
وأعقبه للظهر .

وقال أبو المعتمر السلمي : « الناس ثلاثة أصناف :
اغنياء وفقراء واوسط ، فالفقراء موتى الا من اغناه
الله بجز القناعة ، والاغنياء سكارى الا من عصمه
الله بتوقع الغير — بكسر الفين وفتح الياء —
واكثر الخير مع اكثر الاوسط ، واكثر الشر مع
الفقراء والاغنياء ، لسخف الفقر وبطر الفنى » .

والامام ابن القيم يتكلم عن « التوسط » فيرفع
شأنه ويقدر مكانه ، فيرى أن « التوسط » أحذر كان
أربعة يقوم عليها حسن الاخلاق ، وهى الصبر
والعفة والشجاعة والتوسط ، ويعبر عن معنى
التوسط بلفظ « العدل » ويقول ان العدل يحمل
الانسان على اعتدال اخلاقه ، وتوسطه فيها بين
طرفى الافراط والتفريط ، فيحمله على خلق الجود
او السخاء الذى هو توسط بين الذلة والوقاحة ،
وعلى خلق الشجاعة الذى هو توسط بين الجبن
والتهور ، وعلى خلق الحلم ، الذى هو توسط بين
الغضب والمهانة .

وانما كان للتوسط هذه المكانة الجليلة لان كل
خلق محمود — كما يتحدث ابن القيم فى توسع —
مكتنف بخلقين ذميين ، وهو وسط بينهما ، وطرفاه
خلقان ذميان ، كالجود الذى يكتنفه خلقا البخل
والتبذير ، والتواضع الذى يكتنفه خلقا المهانة

الَّذِينَ اتَّقَوْا [أَي الَّذِينَ كَانَ تَرْبِهِمْ إِلَى الصِّرَاطِ
المستقيم أكثر من بعدهم هنا] .

ولاجل عسر الاستقامة وجب على كل عبد أن
يدعو الله تعالى في كل يوم سبع عشرة مرة ، في
قوله : اهدنا الصراط المستقيم ، اذ وجبت قراءة
الفاتحة في كل ركعة ، فقد روي أن بعضهم رأى
رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام :
فقال : قد قلت يا رسول الله : شيبني هود ، فلم
تلت ذلك ؟ . فقال عليه السلام : لا لقوله تعالى :
[فاستقم كما أمرت] .

فالاستقامة على سواء السبيل في غاية الغموض ،
ولكن ينبغي أن يجتهد الإنسان في القرب من الاستقامة
ان لم يقدر على حقيقتها .

ويتفنن حجة الاسلام في تفصيل الحديث عن
الوسيلة الى بلوغ مرتبة الوسط ، عن طريق العلاج
لتجنب الانسان التفريط والافراط ، فيقول فيمايقول
عن علاج الاخلاق السيئة : « فان اردت ان تعرف
الوسط . فانظر الى الفعل الذي يوجب الخلق
المحذور . فان كان اسهل عليك والذ من الذي
يضاده ، فالغالب عليك ذلك الخلق الموجب له ، مثل
أن يكون امساك المال وجمعه الذ عندك ويسر عليك
من بذله لمستحقه ، فاعلم ان الغالب عليك خلق
البخل ، فزد في المواظبة على البذل ، فان صار
البذل على غير المستحق الذ عندك واخف عليك
من الامساك بالحق ، فقد غلب عليك التبذير ،
فارجع الى المواظبة على الامساك .

فلا تزال تراقب نفسك ، وتستدل على خلقك
بتفسير الأعمال وتفسيرها ، حتى تنقطع علاقة قلبك
عن الالتفات الى المال ، فلا تميل الى بذله ولا الى
امساكه ، بل يصير عندك كالماء ، فلا تطلب فيه الا
امساكه لحاجة محتاج ، او بذله لحاجة محتاج ،
ولا يترجع عندك البذل على الامساك ، فكل قلب
صار كذلك فقد أتى الله سليما . . . »

وما أجمل قول القائل الحكيم الداعي الى فضيلة
الوسط والاعتدال :

لا تذهبن في الامور فرطاً
لاتسالن ان سالت شططا
وكن من الناس جميعا وسطا

وفقتي الله واباك الى أن تكون من الامة المؤمنة
الوسط . لننال رضي الله عز وجل . . .

والكبر . . فان النفس متى انحرفت عن « التوسط »
انحرفت الى أحد الخلقين الذيين ، ولابد « فاذ
انحرفت عن خلق » التواضع » انحرفت اما الى كبر
واما الى ذلة . واذا انحرفت عن خلق
« الحياء » انحرفت اما الى وقاحة واما الى
خور . . وكذلك اذا انحرفت عن خلق « الصبر »
المحمود » انحرفت اما الى جزع ، واما الى غلظة .

واذا انحرفت النفس عن خلق « الحلم » انحرفت
اما الى طيش واما الى عجز ، واذا انحرفت عن
خلق « الرفق » انحرفت اما الى عنف ، واما الى
اضاعة . واذا انحرفت عن خلق « العزة » التي
وهبها الله للمؤمنين ، انحرفت اما الى كبر واما
الى ذل . واذا انحرفت عن خلق « الشجاعة »
انحرفت اما الى تهور واما الى جبن . واذا انحرفت
عن خلق « المنافسة في المراتب العالية » انحرفت
اما الى الحسد واما الى الرضى بالدون . واذا
انحرفت عن خلق « القناعة » انحرفت اما الى
الحرص . واما الى الخسة . واذا انحرفت عن
خلق « الرحمة » انحرفت اما الى القسوة واما الى
ضعف القلب . . . الخ .

ثم يقول الامام ابن القيم : « صاحب الخلق
الوسط مهيب محبوب ، عزيز جانيه ، حبيب لقاؤه .
وفي صفة نبينا صلى الله عليه وسلم : من رآه
بديهة هابه ، ومن خالطه عشرة احبه . »

وقد يظن ظان أن بلوغ فضيلة التوسط امر سهل
ميسور ، مع أن الشوط بعيد ، وقد تحدث حجة
الاسلام الغزالي عن شدة الغموض الذي يحيط
بدرجة الوسطية ، فلا يستطيع أن يلحها ويتحلى
بها الا من ادام المجاهدة لنفسه والسعى نحو
غاياته ، فيقول : « ولما كان الوسط الحقيقي
بين الطرفين في غاية الغموض ، بل هو ادق من
الشعر واحد من السيف ، فلا جرم من استوى على
هذا الصراط المستقيم في الدنيا ، جاز على مثل هذا
الصراط في الآخرة . وقلها ينفك العبد من ميل
عن الصراط المستقيم ، اعنى الوسط ، حتى لايميل
الى أحد الجانبين . فيكون قلبه متعلقا بالجانب
الذي مال اليه .

ولذلك لاينفك عن عذاب ما ، واجتياز على النار
وان كان مثل البرق ، قال الله تعالى : [وان منكم
الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ، ثم ننجي

بشارة النصر

فضيلة الشيخ
عبد الحكيم سرور

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « تقاتلون اليهود حتى يختبئ أحدهم وراء الحجر فيقول : يا عبد الله هذا يهودى ورائى فاقتله » رواه البخارى . وفي رواية تقاتلكم اليهود ومعناه أن اليهود هم الذين يبدؤكم بالقتال وما يكون ذلك منهم الا اذا كانت دولة بل ذات شوكة وقوة ، حتى يكون البدء منهم بالقتال ، هناك رواية تاتى أن تكون هذه الإشارة الغيبية فى مشارف الدعوة وانما يتعين أن تكون فى المستقبل البعيد حيث جاءت الرواية تقول « لا تقوم الساعة حتى . . . وقطعا ومما لا شك فيه أن هذه المبشرات الغيبية لها من الاثر الكبير العظيم فى القوة العظيمة واستثارة معنويات الجيش والحافز العظيم للامة لها ما لها من قوة التأثير لانها تكون داخلية تحت اطار قوله تعالى : « واعدوا لهم ما استطعتم » ومن ثم كان لزاما أن تكون ضمن حسابنا فى المعركة . فذلك مما يشد القلوب ويحفز النفوس ، ولما لها من الاثر الكبير فى الثقة بالله من أجل دفعنا الى امكان استعمال القوة والاستفادة منها . وكما كان للمبشرات التى اخترعها اليهود من أثر قوى ونفع عظيم فى تقوية روحهم وشد أزهم مع علمنا بفرط كذبها وحرصهم على اختراعها .

واليهود بطبيعتهم منذ خلقوا طبعوا على المكر الخبيث والخديعة الخسيسة والنذالة والخيانة بل انهم قد مردوا على البغى والسلب والنهب وحب التوسع فى الارض حفاظا على كيانهم وابقاء على حياتهم وما كان يدفعهم الى هذا الا حرصهم على الحياة : « ولتجدنهم أحرص الناس على حياة » واستجابة لما طبعوا عليه وما استقروا معه كانوا يقتلون النبيين بغير حق ويأكلون السحت وينهمون فى استغلال الناس فى الربا بل انهم أكلوا أموال الناس بالباطل وفوق ذلك جمحت نفوسهم الى الشر وحرصوا دائما على الميل الى اضرارهم بالغير . وإذا أخذ فى اعتبار الباحث أو الكاتب تلك الطبيعة وهذا الجموح لم يستغرب أن نرى هذه العداوة متأصلة من قديم حتى أنهم وقفوا من الرسول صلى الله عليه وسلم مواقف غير انسانية فكما من سبيل سلكه أجدادهم للغدر بالرسول وكما من نذالة وبذاءة ارتكبوها مع المسلمين . فهل نالوا شيئا . ؟ لا . ولكنهم دائما

كانوا يرجعون بالفشل وخيبة الامل ولكنهم مع هذا قد رسخوا العداوات فى قلوب المسلمين . أنهم كانوا حريصين على الغدر برسول الله بالقاء الحجر عليه ليقتلوه فانجاه الله من تدبيرهم وكما نقضوا عهودهم مع الرسول صلى الله عليه وسلم حتى لقد وصل بهم حالهم ان تعاهدوا مع المشركين ليكونوا لهم حلفا ضد الرسول صلى الله عليه وسلم ومن أجل ذلك شاء الله أن يؤدبهم على يد محمد صلى الله عليه وسلم فحاربهم حربا لا هوادة فيها . قطعوا لاذناب الشر وبتروا لمواقع الفتن فحارب بنى فينقاع وحارب بنى النضير كما حارب يهود خيبر وبنى قريظة . ولقد كانوا شرارهم بغى وقواعد تثير الفتن وتحرض على الشر ولم تكن دولة لها قوة وشوكة فضلا عن أنهم جبناء أذال . ولا يمكن أن يعنى الحديث الشريف بالتنقي لهذه الشرائع يتحدث عنهم أو يناصبهم العدا . وهم قبل الاسلام لم يكن لهم كيان دولى وهم بعد الاسلام لم تكن لهم حوزة قوية ولا شوكة ذات منعة . بل اكبر الظن أنهم محبت آثارهم من الجزيرة فلم يعد لهم قوة يقاتلون بها المسلمين وبعد هذا تناثرت أشلائهم وتمزقت قواهم فى الدنيا فمن وجد منهم فى أى مكان كان من أهل الذمة الذين لا يناصبهم الاسلام عدا ولا يقيم لهم وزنا . بل ان الاسلام يحث على حمايتهم كما هو شأنه دائما مع أهل الذمة . الرسول عليه الصلاة والسلام يقول : « من آذى ذميا فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله » وكذلك أصبحوا شتات الارض فضاحت بهم النازية والفاشستية وكل مكان حلوا فيه وبذا لا يمكن أن يعنى الحديث بهذه الشرائع الباغية الطاغية انمسا لابد للحديث من هدف يحطم به الاسلام قوة أمامه ودونة ذات شوكة وقوة وهم مهما خبروا فى دولتهم وكيانهم فهم لا يقوون على لقاء أعدائهم لقاء مكشوف الا اذا كانوا مخالبا قطط لغيرهم انهم بانفسهم أجبن من أن يصلوا الى عدو أو يحققوا نصرا . قاله يقول عنهم واصفا لطبيعتهم : « لا يقاتلونكم جميعا الا فى فرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون » لقد وصل جبنهم وخورهم وسوء حالهم انهم لا يعتمدون على خالقهم وانهم لا يعتمدون الا على خبثهم وسوء طبيعتهم وبذا لم يكن لهم شيء من شجاعة ولا ثبات

ولذا فهم يتهأرون دائما في بداية الطريق : « لانتم اشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بانهم قوم لا يفقهون » .

ثم كم لهم من مواقف مخزية ومواطن مشينة طالما أعلنت عن تديدهم في مهاوى الجبن المنهار يؤثرون دائما حياة الذلة والهوان . لكم ناداهم انبيائهم الى منابت العزة وابراج الكرامة فلم يستبينوا النصيح الاضحي الغد ولم يقووا على أن يخوضوا معركة تحقق لهم شرفا لانهم ليسوا أهله ولا تكون لهم كرامة لانهم لا يحرصون عليها .

وها هو موقف من مواقفهم الهزيلة وقد دعاهم موسى الى دخول الارض المقدسة من أجل أن يلقوا المصالحة فما كان جوابهم الا ناطقا بالجبن مرددا الحان الضعف والخور : « قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين وانائن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون » قال رجلان من الذين يخافون انعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين قالوا يا موسى انا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا انا ها هنا قاعدون » .

ويا له من استهزاء وسخرية من قوم انزال جبناء فآين هذا من مواقف الشجاعة والثبات والجرأة والاقدام . التي جبل عليها المسلمون ودأب عليها المؤمنون فهم لا يخافون في الله لومة لائم . أين جبن اليهود ؟ من شجاعة القاتل للرسول صلى الله عليه وسلم : « انا يا رسول الله لنقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك ولن نكون معك كقوم موسى معه عندما قالوا اذهب أنت وربك فقاتلا انا ها هنا قاعدون » . وهكذا ينفث القوم سفالتهم ووقاحتهم فيتوقحون ويفزعون من الخوف امامهم فيرفسون كما ترفس الحمر وهم لا يقدمون . والجبن والتوقع ليسا متناقضين ولا متباعيين وانها هما صنوان في كثير من الاحيان . هؤلاء يدفعون الى الواجب فيجبنون ويسبون هذا الواجب لانهم لا يقوون على عمل محمود وتلك كما قدمنا جبلتهم وتبدو هنا على اصلها مكشوفة بلا حجاب حتى أنهم لا يحاولون التشجيع فان الخطر ماثل بين أيديهم واليهود في حياتهم لا يبتغون الا نصرا رخيصا يتنزل عليهم من السماء تنزل المن والسلوى . واني لهم ذلك ؟ أبدا وحتى أنهم ليكسلون عن التقاطه لو نزل عليهم فاما في الكفر والطغيان فهم أحرص عليه فلقد عبدوا العجل بمجرد أن مروا على قوم يعبدونه ونسوا الهمم الذي انقذهم ونبيهم الذي قادهم فأنزل لهم الله المن والسلوى فطلبوا ما اعتادوا من طعام مألوف ولم يصبروا في سبيل الهدف الاسمي من دخول الارض المقدسة وبهذا عتوا عن أمر ربهم فكيف تكون لهم القوة والمنعة ولذا فان

□ ٤٠ □

النصر للمؤمنين والعاقبة للمتقين وأن الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وبذا ترى الحديث ناطقا بنصر مؤزر ان شاء الله وسيكون في هذه الفترة باذن الله والحديث نفسه ينطق بجبنهم وانهيائهم ونذلهم وضعفهم حتى ان الواحد منهم لا يقوى على ملاقاته المسلم وانما يختبئ وراء الحجر ويحاول الهرب والاختفاء لولا من يؤيدونهم ويمدوهم بالاسلحة . ان الحديث ليكشفهم بانهم ليسوا الا كالحشرات التي تخفق بين الاحجار وان نداء الحجر للمسلم ان ورائي يهودى لدليل على مدى ما يمكنه الناس جميعا من دول العدل والحرية التي بدأت تضع أيديها على لؤمهم وخبتهم وخاصة بعد أن لفظهم الناس جميعا من كثرة ما اعتدوا ومن سوء ما بغوا وقوله يا مسلم . الخ كناية عن البغض الذي سيحيط بهم من جميع الدول والشعوب المحبة للعدل والسلام منذ أربعة عشر قرنا وهدفه ومعناه وغايته البشارة المخبوءة بداخله حتى اذا أصبحت اسرائيل دولة في قلب الامة العربية بل في الارض المقدسة التي نكسوا على أعقابهم وامتنعوا عن الدخول فيها عندما طلب منهم موسى ذلك وما هم فيها الا ن ظلما وعدوانا وغصبا وأنهم لقرييون من أرض شريفة عزيزة وثرى عظيم من أعز بلاد الاسلام هو مدينة الرسول عليه الصلاة والسلام ولهم فيها ذكريات مألقتها الاحقاد وتتحرق قلوبهم طمعا في أن ينالوا مآربهم ويدركوا غاياتهم فهل بقى الا أن تحقق البشارة لتقاتلن اليهود فلتقتلنهم حتى يقول الحجر يا مسلم هذا يهودى تعال فاقتله . وفي رواية تقاتلكم اليهود فقتلون عليهم حتى يقول الحجر يا مسلم هذا يهودى ورائي فاقتله . وما نحن أولاء قد اجتمعت كلمتنا وقوى عزمنا واشتد بأسنا ووقفت أمامنا اسرائيل دولة تدعما أمريكا وتعصب الاستعمار لهذه العصاة المردولة وجد الجد لنظهر الارض منهم ومن آثامهم وعلينا أن نسعد البشرية كلها بتخليصها منهم ونحن يا ربنا لا نتمنى لقاء العدو ولكن فما حيلة المضطر الا ركوبها فسلوا الله العافية واذا لقيتموهم فاصبروا وأعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف « قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين » وأعلموا أن الاقدار مكتوبة والاعمار محدودة والانفاس معدودة والبطولة لا تنقص من الاعمار شيئا والخور لا يزيد الايام ولا يموت الانسان الا اذا انتهى أجله وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا فشدوا عليهم وأضربوهم ضربة رجل واحد يحقق الله لكم نصرا أكيدا وعمرا مديدا وسعيدا والله يقول الحق وهو يهدي السبيل وأعلموا أن النصر سيادة والاستشهاد سعادة وليلد كل واحد منا في المعركة الفاصلة بنصيبه لتكون كلمة الله هي العليا فالرسول يقول « من قاتل في سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة » .



شرح بعض الفاظ الحديث

وزد في بعض طرق هذا الحديث أن أبي بن كعب سأل كلا من الرجلين من أتراك؟ فيقول أقراني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال لهما أبي: وأنا أقراني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأذهبن بكما إليه، فذهب الجميع إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فحسن النبي - صلى الله عليه وسلم - شأنهما، وفي بعض الروايات أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال لكل منهما: أصبت، فصوب كلا في قراءته مع اختلافهما.

« فسقط في نفسي من التكذيب ولا إذا كنت في الجاهلية » فسقط: وقع، ويظهر لي - والله أعلم - أن أصل هذا التركيب: فسقط في نفسي من التكذيب ما لم يحصل لي وقتاً من الاوقات ولا وقت كنت فيه في الجاهلية، فقله - بالنظر لأصل التركيب - ما: فاعل سقط وقوله من التكذيب جار ومجرور متعلق بمحذوف حال من الفاعل وهو ما وبيان له، وقوله: ولا: الواو فيه عاطفة ولا حرف نفى، مؤكداً للنفي المستفاد من لم، واذا ظرف للزمن الماضي بمعنى وقت معطوف على « وقتا » المقدر.

وفي بعض روايات الحديث: فسقط في نفسي من الشك والتكذيب أشد مما كنت في الجاهلية.

قال الامام النووي - مبيناً معنى هذه الجملة - : وسوس لي الشيطان تكذيباً للنبوة أشد مما كنت



□ ٤١ □



مصدر القراءات الوحد لا الرسم

(٣)

[٥] عن أبي بن كعب - رضي الله عنه - قال: كنت في المسجد فدخل رجل يصلي فقرأ قراءة أنكرتها عليه، ثم دخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه، فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعاً على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقلت أن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه، ودخل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه، فأمرهما رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقرأ فحسن النبي - صلى الله عليه وسلم - شأنهما، فسقط في نفسي من التكذيب ولا إذا كنت في الجاهلية، فلما رأى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما قد غشيتني ضرب في صدري ففضت عرقاً، وكأنما أنظر إلى الله تعالى فرقاً، فقال لي يا أبا: أرسل إلى أن أقرأ القرآن على حرف، فرددت إليه أن هون على أمتي، فرد إلى الثانية أقراه على حرفين، فرددت إليه أن هون على أمتي، فرد إلى الثالثة أقراه على سبعة أحرف، فلك بكل ردة رددتها مسألة تسألنيها، فقلت: اللهم اغفر لأمي، اللهم اغفر لأمي، وأخرت الثالثة ليوم يرغب إلى الخلق كلهم حتى إبراهيم عليه السلام.

رواه مسلم وأحمد، وفي بعض طرق هذا الحديث « واختبأت الثالثة شفاعاً لأمي يوم القيامة ».

عليه في الجاهلية لانه في الجاهلية كان غافلا أو متشككا فوسوس له الشيطان الجزم بالتكذيب ، انتهى شرح الامام النووي للمسلم .

وقال الامام القرطبي : ان ابي بن كعب اصابته نزغة من الشيطان ليشوش عليه حاله ، ويكدر عليه وقته ، ولما رأى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما اصابه من هذا الخاطر ضربه في صدره فانشرح صدره وتنور باطنه حتى آل به الكشف وشرح الصدر الى حال المعاناة ، ولما ظهر له قبح ذلك الخاطر خاف من الله - عز وجل - وفاض بالعرق اى سال عرقه من جميع جسمه استحياء من الله تعالى . فكان هذا الخاطر من قبيل ما قال فيه الرسول - صلى الله عليه وسلم - حين ساله الصحابة انا نجد في انفسنا ما يتعاضم احدنا ان يتكلم به . قال : اوقد وجدتموه ؟ قالوا : نعم : قال : ذلك صريح الايمان . انتهى .

وقال القاضي عياض : ضربه - صلى الله عليه وسلم - في صدره تثبيتا له حين رآه قد غشيه ذلك الخاطر المذموم ، والفرق بفتح الفاء والراء : العرب والخوف والفرع انتهى . وقال الطيبي فكان ابي - رضى الله عنه - من اكمل الصحابة ايمانا ، واقوامهم يقينا ، وانما طرا عليه بسبب الاختلاف نزغة من الشيطان . فلما اصابته بركة ضربه - صلى الله عليه وسلم - بيده المباركة على صدره ذهبت تلك الهاجسة وخرجت مع العرق ، مرجع الى اليقين فنظر الى الله تعالى خوفا وخجلا مما غشيه من الشيطان انتهى .

وورد في بعض طرق هذا الحديث عن ابي قال فوجدت في نفسي وسوسة الشيطان حتى احمر وجهي فضرب النبي - صلى الله عليه وسلم - في صدرى وقال : اللهم اخسئ عنه الشيطان ، وفي بعض الطرق : اللهم اذهب عن ابي انك .

ويجب ان يعتقد ان الذي حصل في نفس ابي خطرة من خطرات الشيطان لا تستقر ، وهاجس من هواجس النفس لا يلبث ان يزول ، لان في ايمان الصحابة من القوة والمنعة ما يبدد ظلمات كل شبهة ، ويزيل كل اضطراب وحيرة ، ومن المعلوم في الدين ان نزغات الشيطان وهواجس النفس لا يحاسب الانسان عليهما ، ولا يؤاخذ بهما مادام لم يستسلم لهما ، ولم يسترسل معهما ولم يعمل بمقتضاها ، بل اجتهد في ردهما عن نفسه ودفعهما عن فؤاده .

والخلاصة ان ابي بن كعب قد مر بنفسه شيء

من وسوسة الشيطان التي تمر بتويع البشر جميعا ، بكل انسان مهما رسخ ايمانه وقوى يقينه وهى خاصة من خواص النوع البشرى وقد كان ذلك قبل ان يعلم ان القرآن نزل على هذه القراءات ثم لم تلبث تلك الوسوسة ان ذهبت من صدره وصار من اعلام الصحابة واجلائهم ، وهو احد الذين كانوا يحفظون القرآن كله على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - واحد الجامعين له على عهد عثمان رضى الله عنهما .

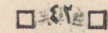
وقوله في الحديث : « وكأننا انظر الى الله تعالى فرقا » يفيد انها كانت كخطرة البرق او اسرع .

فلما ان جاءه البيان عرف الحق وايقن به كل الايقان ، وكل انسان منا يمر به من الخواطر مالا يعلمه الا الله ولا يمكن احدا ان يحفظ قلبه من تلك الخواطر الا انها تجتاز قلب المؤمن اجتيازاً ولا يلبث ان ينزل جند الله فيذهب جند الشيطان يلتبس قلبا آخر لا تنزله الانوار ولا تفاض عليه الاسرار .

« فزدت اليه ان هون على امتى » ان فيه مفسرة لان في رددت معنى القول اى فرجعت اليه القول ان هون على امتى وهذا معنى قوله في الحديث الآخر اسأل الله معافاته ومغفرته . وقوله : « فرد الى الثالثة اقراه على سبعة احرف » صريح في ان الرسول - صلى الله عليه وسلم - امر بالقراءة على سبعة احرف في المرة الثالثة ، والحديث السابق - الثالث - يدل على انه امر بالقراءة على سبعة احرف في المرة الرابعة ، ويجمع بين الحديثين بانه في هذا الحديث حذف بعض المرات ، « لك بكل ردة رددتها مسألة تسألنيها » قال الامام النووي في شرح مسلم : معناه : مسألة مجابة قطعاً ، واما باقى الدعوات فمرجوة ليست قطعياً الاجابة . انتهى .

« تمة » : القراءة التي انكرها ابي على صاحبيه كانت في آيات من سورة التخل ولكن لم نعثر على تعيين هذه الايات .

[٦] عن ابي قيس مولى عمرو بن العاص ان رجلا قرأ آية من القرآن فقال له عمرو : انما هي كذا وكذا بغير ما قرأ الرجل . فقال الرجل : هكذا اقرانيها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فخرجنا الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -



حتى أتياه فذكرنا ذلك له فقال: « صلى الله عليه وسلم — أن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف » فأى ذلك قرأتم أصبتم فلا تماروا في القرآن فإن المراء فيه كفر » رواه أحمد في مسنده وسنده جيد

قال الإمام أبو عبيد: ليس وجه الحديث عندنا على الاختلاف في التأويل ولكنه على الاختلاف في اللفظ ، وهو أن يقول الرجل على حرف فيقول آخر ليس هو هكذا ولكنه على خلافه وكلاهما منزل مقروء به ، فإذا جحد كل واحد منهما قراءة صاحبه لم يؤمن أن يكون ذلك يخرج به إلى الكفر ، لأنه نفي حرفاً أنزله الله على نبيه — صلى الله عليه وسلم — انتهى . وفي بعض طرق هذا الحديث فإن مراء فيه كفر والتكثير فيه التقليل ، ففيه إيدان بأن أقل مراء فيه يجر إلى الكفر .

[٧] عن أبي هريرة — رضى الله عنه — أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال [نزل القرآن على سبعة أحرف ، والمراء فيه كفر ثلاث مرات — فما عرفتم منه فاعملوا] وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه [أى فتعلموه ممن هو أعلم منكم . رواه النسائي والإمام أحمد .]

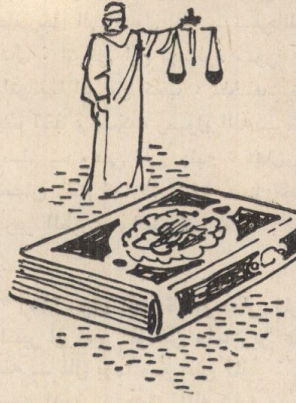
[٨] عن ابن مسعود — رضى الله عنه — قال : أقرأني رسول الله — صلى الله عليه وسلم — سورة من آل حم ، فرجعت إلى المسجد فقلت لرجل : أقرأها فإذا هو يقرأ حروفاً ما أقرأها ، فقال أقرأنيها رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فأخبرناه فتغير وجهه وقال : إنما هلك من كان قبلكم الاختلاف ثم أسر إلى على شيئاً فقال على : أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يأمركم أن يقرأ كل منكم كما علم ، قال : فانطلقنا وكل رجل منا يقرأ حروفاً لا يقرؤها صاحبه ، رواه ابن حبان والحاكم .

[٩] عن زيد بن أرقم : رضى الله عنه — قال : جاء رجل إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقال : أقرأني ابن مسعود سورة أقرأنيها زيد ، وأقرأنيها أبي بن كعب ، فاختلفت قراءتهم ، فقرأة أيهم أخذ ؟ فسكت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وعلى إلى جنبه ، فقال على : ليقرأ كل إنسان منكم كما علم فإنه حسن جميل . رواه ابن جرير الطبري والطبراني .

[١٠] روى الحافظ أبو يعلى الموصلى في مسنده الكبير أن أمير المؤمنين عثمان بن عفان — رضى الله عنه — قال يوماً وهو على المنبر : [أذكر الله رجلاً سمع النبي — صلى الله عليه وسلم — قال : أن القرآن نزل على سبعة أحرف كلها شاف كاف لا (أ) قام ، فقاموا حتى لم يحصوا ، فشهدوا أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال : أنزل القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف ، فقال عثمان رضى الله عنه — وأنا أشهد معهم ، وقوله : فقاموا حتى لم يحصوا ، صريح في تواتر هذا الحديث ، وقد نص جمع من الحفاظ على تواتره ، منهم الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام والحاكم . قال الإمام السيوطي في الاتقان : ورد حديث [أنزل القرآن على سبعة أحرف من رواية جمع من الصحابة ، أبي بن كعب ، أنس بن مالك ، حذيفة بن اليمان ، زيد بن أرقم ، سمرة بن جندب ، سليمان بن صرد ، عبد الله بن مسعود ، عبد الله بن عباس ، عبد الرحمن بن عوف ، عثمان بن عفان ، عمرو بن الخطاب ، عمرو بن أبي سلمة عمرو بن العاص ، معاذ بن جبل ، هشام بن حكيم ، أبي بكر ، أبي جهم ، أبي سعيد الخدري ، أبي طلحة الانصاري ، أبي هريرة ، أم أيوب ، فهؤلاء واحد وعشرون صحابياً . انتهى .]

[١١] لما يفتح اللام وتشديد الميم بمعنى لا أسأل رجلاً سمع النبي صلى الله عليه وسلم قال كذا الا قام .

لا يزال الجدل قائما حول مدى قيام فقه جنائي إسلامي ، فالمعروف أن الفقهاء المسلمين قد اهتموا اول ما اهتموا بما يسمى بالمعاملات ، ولذلك قيل انهم لم يولوا المسائل الجنائية او العقابية اهتمامهم ، وقد برر البعض ذلك بأن القرآن الكريم قد حدد الحدود والقصاص وجعل التعازير من اختصاص الحاكم يحددها بما يقرأى له دون أن يصل في ذلك الى الحدود لأنها ليست من جنسها . والحقيقة أن هذه تهمة الفقه الإسلامي برىء منها ، ذلك أن المتأمل الدارس لهذا الفقه يجد أنه في اجتهاده قد بلغ حدا لم يسبقه اليه غيره ، ولا يزال الفقه الغربي حتى يومنا هذا يسعى الى تحقيق نتائج سبقه اليها الفقه الإسلامي ، ومع ذلك يعتبرها - أي الفقه الغربي - سبقا ونصرا ويجد منا للأسف تصديقا لمزاعمه وانسياقا وراء ادعاءاته ولعل ذلك يرجع في الغالب الى جهلنا باعمال فقهاءنا الاول وانصرافنا المتعمد عن متابعة انجازاتهم في هذا السبيل .



نظريات من الفقه

ويرجع السبب في أن هذه النظرية لم تثل الحظ الكافي من الشهرة باعتبارها نشأت اول ما نشأت في كنف الفقه الجنائي الإسلامي الى أن الفاعل المعنوي وهو بحسب الاصل شريك « وهو يسمى في الشريعة الإسلامية شريكا بالتسبب » لا يعاقب بعقوبة الجريمة التي وقعت سواء كانت حدا أو قصاصا ، لأن هذه العقوبة توقع فقط على الفاعل (وهو يسمى في الشريعة الإسلامية شريكا مباشرا) في حين أن الشريك بالتسبب توقع عليه عقوبة التعزير ، والملاحظ أن الفقه الإسلامي لم يهتم بنظام الاشتراك بمعناه الحديث وهو الذي يطلق عليه في الشريعة الإسلامية الاشتراك بالتسبب باعتباره مشكلة كلية وإنما اهتم به كجزئية في كل ، هو نظام المساهمة الأصلية الذي ركز عليه اهتمامه ، إلا أن هذا لم يحل دون أن ترد في ثنايا هذه الدراسة حلولاً لغالبية المشكلات المتعلقة بالمساهمة الثانوية ، ويرجع تركيز الفقه الجنائي الإسلامي اهتمامه في دائرة المساهمة الأصلية الى الأسباب الآتية :

اولا :

انهم قد اهتموا ببيان أحكام الجرائم ذات العقوبات المقدرة وهي جرائم الحدود والقصاص لأنها جرائم ثابتة لا تقبل التفسير ولا التعديل كما أن عقوبتها لا تقبل الزيادة أو النقص في حين أن جرائم التعزير - في

والفرق بين ما حققه هؤلاء الفقهاء وما يحققه فقهاء الغرب هو نفسه الفرق بين أي عمل تقوم به وأي عمل يقومون هم به وهو الصياغة ، أو ما يمكن أن يسمى بالتنظير ، أي الوضع في نظرية ، فهم يتناولون الأمور الجزئية ويضعونها في نظريات تمنحها القيمة وتضفي عليها الأهمية ، بينما تقتصر نحن على الأمور الكلية دون ما اهتمام بالتفصيلات التي تنطوي في ذاتها على قيمة كبرى .

ولكن ليس معنى هذا أن الفقه الإسلامي قد أهمل الجزئيات ، وإنما أعطاها اهتماما يليق بها في إطار الأمور الكلية التي تعرض لها بالدراسة ، ولذلك فإنه يمكننا أن نجد حلولاً للمشكلات الجزئية وردت في ثنايا الدراسة الخاصة بما اعتبروه أمورا كلية .

من ذلك ما يسميه الفقه الغربي بنظرية الفاعل المعنوي التي عرفها هذا الفقه في نهاية القرن التاسع عشر تقريبا في حين عرفها الفقهاء المسلمون منذ نيف واحد عشر قرنا . وهذه النظرية ترجع شهرتها الى ما تنطوي عليه من خروج على الاصل ، وهو انه لا يعتبر فاعلا للجريمة الا من باشر ركنها المادي أي قام بتنفيذها ، فهي تذهب الى اعتبار المحرض على الجريمة أي الامر بها فاعلا معنويا لها ، في احوال معينة تتعلق في الغالب بالمنفذ ذاته كأن يكون حسن النية أو غير ذي اهلية جنائية .

القالب جرائم غير ثابتة فهي تتغير بتغير ظروف الزمان والمكان واختلاف وجهات النظر كما أن عقوباتها غير ثابتة فهي تقبل الزيادة والنقص ولذلك لم يهتموا بها ولم يضعوا لها أحكاما خاصة •

ثانيا :

أن القاعدة العامة في الشريعة الإسلامية أن العقوبات المقدرة تقع على من باشر الجريمة دون المتسبب (أي الشريك) « ١ » وأن كان المتسبب يمكن أن توقع عليه عقوبة تعزيرية ولا يمكن أن توقع عليه عقوبة الحد أو القصاص لأنها لا توقع إلا على الفاعل (أي المباشر) والسبب في ذلك يرجع إلى أن العقوبات المقررة لهذه الجرائم تنقسم بالشدة ولما كانت الحدود تدرا بالشبهات وكان عدم مباشرة الشريك للجريمة شبهة فإن عقوبة الحد لا توقع عليه بالإضافة إلى أنه أي الشريك يعتبر أخف جرما وأقل من الفاعل وبالتالي فلا تستوى عقوبتهما •

من دقعة إلى ارتكاب الجريمة (الشيخ محمد أبو زهرة ، الجريمة والعقوبة في الفقه الإسلامي - القسم العام ص ٤٠٤ ، وقد أيدهم في هذا الاتجاه أحمد بن حنبل والشافعي فكلاهما يرى أن ما صدر من الأمر لا يعتبر تسببا وإنما مباشرة للجريمة طالما أن الفاعل كان غير مميز أو حسن النية مع اختلاف بين الإمامين ابن حنبل والشافعي من جهة والحنفية من جهة أخرى بشأن جريمة القتل فأبن حنبل والشافعي ذهبوا إلى أنه لا يقتص من الأمر في القتل وإنما يقتص من باشر القتل أي الفاعل في حين يرى الحنفية أنه في هذه الحالة لا يقتص لا من الأمن ولا من المأمور وإنما يقتص بالدية إذا كان فيمن اشتركوا في القتل من لا يقتص منه كالصبي أو المجنون •

أما الإمام مالك رضوان الله عليه فقد ذهب إلى أبعد مما ذهب إليه غيره من فقهاء الشريعة الإسلامية فهو فضلا عن إقراره للنظرية التي يطلق عليها الفقه الغربي اليوم بنظرية الفاعل المعنوي يضع أساس نظرية

الجنايات الإسلامية

الدكتور أحمد المجدوب

أخرى يسميها هذا الفقه بنظرية مسرح الجريمة فاعتبر مالك الأمر الذي يظهر على مسرح الجريمة أثناء ارتكابها فاعلا أصليا فيها سواء ساعد المنفذ أو لم يساعده ، ولكنه اشترط لاعتباره كذلك أن يكون الأمر قد وضع نفسه بحيث يكون قادرا على تنفيذ الجريمة إذا لم ينفذها الفاعل وقال مالك أن الأمر يعاقب في هذه الحالة بعقوبة الحد أو القصاص حيث أنه لا يفرق بين مباشرة الجريمة والاعانة عليها ويمكن القول أن الإمام مالكا لم يترك بعد ذلك مجالا لفقيه بعده لكي يأتي بجديد في هذا المضمار حيث أنه اعتبر الأمر مسئولاً وحده حتى ولو كان سلطانه على الأمور مجرد سلطان أدبي كسلطان الأب على ابنه وهو ما يقرره اليوم فقهاء الغرب في الفروض المختلفة التي تنطبق فيها نظرية الفاعل المعنوي • في حين اشترط الحنفية أن يكون التحريض قد بلغ حد الإكراه المدمر للإرادة أو أن يكون المنفذ غير ذي أهلية جنائية ذهب مالك إلى القول بأنه إذا أمر شخص آخر بارتكاب الجريمة وكان كلاهما عاقلا فانهما يقتلان معا لأنهما تمالا على القتل •

وهكذا تجد أن الفقهاء المسلمين كانوا أسبق إلى مناقشة الفروض المختلفة التي تثار فيها مسئولية الشريك في الجريمة التي يدفع إلى ارتكابها وخاصة في حالة التحريض الموجه إلى شخص غير مسئول جنائيا كالمجنون وغير المميز • وهي الفروض التي

□ ٤٥ □

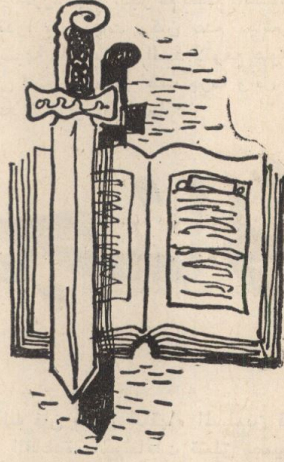
ومع ذلك فإن بعض الفقهاء المسلمين قد خرجوا على هذه القاعدة باستثناءات تتعلق جميعها بحالة التحريض الصادر إلى شخص غير ذي أهلية جنائية ، فمن يأمر آخر بارتكاب جريمة قتل يعتبر محرصا له عليها فإذا ارتكبها الشخص الذي وجه إليه التحريض وقعت عليه عقوبة الجريمة أي القصاص في حين يعاقب من صدر منه التحريض بعقوبة تعزيرية على شريطة أن يكون للأمر سلطان على الفاعل يكون دافعا له إلى ارتكاب الجريمة خضوعا منه لهذا السلطان وهذا الموضوع تطبيق صرف للقاعدة العامة في الشريعة الإسلامية وهي التي تقضي بأن الفاعل (أو الشريك المباشر) هو من يأتي الركن المادي للجريمة ومن عداه شريك بالتسبب أو ما يسمى شريكا •

إلا أن جانباً كبيراً من الفقهاء المسلمين وجدوا أن هناك أحوالا لا يمكن أن تسرى عليها هذه القاعدة وهي التي يكون المنفذ فيها شخصا غير مميز لا يدري كنه العمل الذي يقوم به ولكن من دفعه إلى القيام به يعلم كنهه فاعتبروا المنفذ في هذه الأحوال مجرد أداة لمن دفعه إلى ارتكاب الجريمة ومن ثم يعتبر الأمر هو المباشر لها وليس شريكا فيها بالتسبب (الشرح الكبير للدردير ج ٤ ص ٢١٦ - ١٢٨ ، المغني ج ٩ ص ٣٣١ وبداية الصنائع ج ٧ ص ١٨٠) بل أن الحنفية ذهبوا إلى حد اعتبار هذا التصرف من الأمر مباشرة للجريمة وليس تسببا لأن المنفذ يكون كالآلة في يد

يعرض شخصاً منوماً تنويماً مغناطيسياً لارتكاب فعل
معاقب عليه .

ثانياً ،

إذا كان المنفذ قد ارتكب الجريمة وهو تحت تأثير
اكراه معنوي من جانب المحرض الذي كان يتمتع
بسلطة على المنفذ المادي لا يمكن لهذا الأخير أن
يناقشها . مما يعتبر مانعاً لقيام المسؤولية الجنائية
للمكره .



ثالثاً :

إذا كان المنفذ قد تصرف عن جهل أو إهمال وكان
المحرض قد قام بدور المضلل كأن يجعله يعطى للمريض
زرنيقاً على أنه دواء .

رابعاً :

إذا لم يكن لدى المنفذ القصد الخاص الذي لا تقوم
الجريمة إلا به مثال ذلك أن يستولى على شيء دون
أن يكون لديه قصد امتلاكه مع وجود هذا القصد لدى
المحرض .

خامساً :

إذا كان المنفذ قد ارتكب الفعل غير المشروع في
ظروف تستبعد عدم مشروعيته أي تجعله مباحاً أو في
ظروف تجعله غير معاقب عليه (حالة الدفاع

غابت عن أعين فقهاء القرب حين وضعوا نظام
المساهمة الجنائية واخذوا فيه - بنظريات الاستعارة
التي أدت إلى اعتبار مسؤولية الشريك تابعة لمسؤولية
الفاعل الأصلي وجوداً وعدماً . مما ترتب عليه أن من
يدفع شخصاً حسن النية أو غير ذي أهلية جنائية إلى
ارتكاب فعل يعد جريمة لا يعاقب عليها بدوره لأن الفاعل
نفسه لا يعاقب . فإذا أراد شخص أن يرتكب جريمة
دون أن يتعرض لتوقيع العقاب عليه ، فليس عليه إلا
أن يلجأ إلى دفع شخص حسن النية أو غير مسئول
جنائياً لارتكاب الجريمة .

وحتى يمكن علاج هذا الموقف الغريب كان يجب أن
يتناول التعديل إما فكرة المساهمة الثانوية وإما فكرة
المساهمة الأصلية وهو ما أدى إلى ظهور اتجاهين
مختلفين أحدهما ينادى بالابقاء على التحريض كنشاط
ثانوي وتابع مع التخلي عن اشتراط كون النشاط
الأصلي عمدياً بحيث أن المحرض لشخص غير مسئول
أو حسن النية يمكن أن يعاقب وهذا اتجاه القضاء
والفقه الفرنسيين وبعض الفقهاء الألمان القدامى أمثال
شولتز ، وهرست ، وهرونج وبعض الفقهاء المحدثين
أمثال فون هيل ، وجرنهوت . في حين يرى الاتجاه
الثاني أن يخرج المحرض من طائفة المساهمين
الثانويين ويوضع في طائفة المساهمين الأصليين بعد
توسيع فكرة الفاعل بحيث تشمل المحرض الذي
يوصف بأنه فاعل معنوي أو فاعل بالواسطة . وهو
الاتجاه السائد في ألمانيا ، والذي يبدو ملائماً لقانون
العقوبات الألماني الذي لم يعرف الفاعل ، وإن كان
هذا الاتجاه لا يتلاءم مع التعريف الضيق للفاعل فنظرية
الفاعل المعنوي من وضع الفقهاء الألمان الذين يطلقون
عليه وصف الفاعل بالواسطة أو غير المباشر فهو
اصطلاح فقهي وليس تشريعياً ولذلك لا نجده في
التشريعات العقابية حتى ما كان منها يعاقب المحرض
كناعل معنوي . وقد أخذ القضاء عن الفقه وأطلقه
على المحرض في الكثير من الحالات التي اعتبره فيها
فاعلاً .

وقد قام الفقهاء الألمان بتحديد الحالات التي تحل
فيها مسؤولية المحرض باعتباره فاعلاً (معنوياً)
للجريمة محل مسؤولية المنفذ وكذلك الجرائم التي يقع
هذا الحل في نطاقها . والفقه والقضاء يكادان
يتفقان على أن نظرية الفاعل المعنوي أو الفاعل
بالواسطة تطبق في الحالات الآتية :

أولاً :

إذا كان الشخص الذي استخدمه المحرض في
ارتكاب الجريمة غير ذي أهلية جنائية كما لو كان
صغيراً أو مجنوناً أو منوماً تنويماً مغناطيسياً مثال
ذلك من يضع سكيناً في يد مجنون ليقتل بها آخر ومن

الشرعى ٢ * وكان الفاعل المعنوي قد خلق هذه الحالة (أى الدفاع الشرعى) خلفا ١٠

سادسا :

إذا كان المنفذ لا تتوفر لديه الصفة الموضوعية اللازم توفرها لدى الفاعل كصفة الموظف على سبيل المثال *

سابعاً :

إذا كان المنفذ قد ارتكب فعلا عمديا على نفسه أو على ماله لو أنه ارتكب من جانب شخص آخر لا يعتبر جريمة (كالانتحار مثلا) *

ثامنا :

إذا كان المنفذ قد ارتكب الفعل تحت ضغط اكراه مادي (وفى هذه الحالة تثار مشكلة ارتكاب غير المباشر) فالفقه يرى بالنسبة لهذا الفرض أن الشخص الذى صدر عنه الاكراه يعتبر فاعلا أصليا * ولكن هناك اختلافا فى وجهات النظر فيما يتعلق بالشخص الذى صدر عنه الاكراه (المكره) فالبعض يعتبره فاعلا مباشرا وان كان فعله لا يعتبر عملا بالمعنى القانونى للكلمة فى قانون العقوبات فى حين أن البعض الآخر يعتبر العمل الصادر عنه عمل المكره وليس عمله هو والملاحظ أن هذه الفروض لا تخرج كثيرا عن الفروض التى اخذ فيها الفقهاء المسلمون بنظرية الفاعل المعنوى مع التوسع بإضافة بعض الفروض الحديثة التى لم تكن قائمة فى عهد هؤلاء الفقهاء مثل التنويم المغناطيسى *

وبالرغم من محاولة الفقه الالماني حصر الحالات التى تنطبق عليها نظرية الفاعل المعنوى مما يوحى بأن المشكلات الناشئة عن اعتبار التحريض نشاطا ذا طبيعة ثانوية وتابعا للنشاط الاصلى فى الجريمة قد حلت بشكل حاسم فإن الدراسة المتعمقة لهذه النظرية يتبين منها أنها قد أضافت مشكلات جديدة الى ما كان قائما بالفعل وهو ما تدرجه الفقه الجنائى الاسلامى عن طريق ما يسمى بالجرائم التعزيرية أى التى توقع على مرتكبها عقوبة التعزير وهى دون عقوبات الحدود والقصاص فنظام التعزير يسمح بمعاقبة من يأمر آخر بارتكاب الجريمة دون أن يكون المأمور قد ارتكبها فالشريعة الاسلامية تحرم الامر بالمعكر والاتفاق

والاعانة عليه ولما كانت الجرائم هى اشنة التكرار واعظمها فان من يأمر آخر بارتكاب جريمة يعتبر محرضا له على اتيان مثلن مما تنهى عنه الشريعة والقاعدة الاصولية ان مآدى الى محرم فهو محرم ومن ثم يجوز عقاب المحرض ولو لم تقع الجريمة موضوع التحريض لأن مجرد التحريض لا يخرج عن كونه جريمة فى ذاته (الشيخ محمد ابو زهرة المرجع السابق ص ٤٠٥) وهذا تطبيق آخر لنظرية الفاعل المعنوى

وقد يبدو للوهلة الاولى ان موقف المشرع من المساهمة الثانوية فى التشريع العقابى المقارن يفضل من نواح كثيرة موقف التشريع العقابى الاسلامى منه حيث انه طبقا لنظرية الاستعارة الاجرامية توقع عليه عقوبة الجريمة التى اشترك فيها * وليس عقوبة تعزيرية كما هو الحال فى الشريعة الاسلامية حيث انه لا يعاقب بعقوبة الجريمة اذا كانت حدا او قصاصا ١٠ الا أن هذا الوضع يفترض أمرا معينا هو أن يكون الفاعل معاقبا فعلا بالنسبة للتشريع المقارن ذلك انه اذا لم يكن معاقبا اما لحسن نيته او لانه غير مسئول جنائيا فانه طبقا لنظرية الاستعارة المطلقة لا يعاقب الشريك * وهو ما أدى الى ظهور نظرية الاستعارة النسبية ونظرية الاشتراك جريمة مستقلة * بقصد تلافي بعض عيوب نظرية الاستعارة الاجرامية المطلقة ثم ظهور نظرية الفاعل المعنوى لتلافي البعض الآخر من العيوب * فى حين انه طبقا للنظم التشريعية الاسلامية فان الشريك يعاقب بعقوبة تعزيرية عن الجريمة التى ساهم فيها وهو ما يحول دون افلاته من العقاب اذا كان الفاعل الاصلى غير معاقب بسبب او لآخر وهذا الحل يجعل اللجوء الى نظرية الفاعل المعنوى غير ضرورى الا أن فقهاء الشريعة الاسلامية رأوا ان عقوبة التعزير لا تتكافأ مع جريمة الشريك احيانا فوضعوا النظرية للارتفاع بعقوبته الى الحد الذى يتكافأ مع جرمه بجعلها عقوبة الجريمة التى اشترك فيها سواء كانت حدا او قصاصا *

وهو فضل يجب ان يذكر لهؤلاء الفقهاء العظام وعمل كبير ينبغي ان يتم الكشف عنه وابرازه حتى يتم الاعتراف لهم بالسبق فى هذا المجال ويا حبذا لو انا لجأنا الى فقهاء الاسلامى نستوحيه الحلول الملائمة لمشكلاتنا القانونية قبل ان نلجأ لفقه غريب عنا تختلف مشكلاته عن مشكلاتنا تمام الاختلاف *

الكتوب بدوى طبانة

شجاعة الإيمان



لماذا اعتاد الناس تمجيد الشجعان • ولماذا يعد
فلاسفة الاخلاق خلق الشجاعة فى مقدمة فضائل
الانسان ؟

والانتصار ، والخسارة عندئذ هى أفدح ما يتصور من
الخسائر التى يبنى بها الانسان . ثم ان الحماية
والدفاع والاخذ بالثأر والنكاية فى العدو والمهابة فى
عيون الناس كلها من أقسام الشجاعة ، أى أنها من
فضائل النفس التى يمدح بها الانسان ، منذ كانت له
حياة على وجه الارض ، ومنذ تعارضت مصالح
الناس ومناقضهم ، وتصادمت أهواؤهم ومطامعهم ،
ومنذ اختلفت مشاربهم ، وتباينت طبائعهم ، ومنذ
كانت هنالك مودات وصدقات ، تقابلها خصومات
وعداوات •

وقديما عد أرسطو العدالة والشجاعة صنوين ،
وجعلهما فى طليعة كبريات الفضائل الانسانية ،
وكبريات الفضائل عنده هى أكثرها نفعا للناس ، ومن
هنا تعلق العدالة والشجاعة سائر الفضائل ، لان
العدالة تؤثر تأثيرا كبيرا فى السلم وفى الحرب ، ولان
الشجاعة تؤثر تأثيرا كبيرا فى وقت الحرب ، وتأتى
بعد هاتين الفضيلتين فضيلة الكرم ، لان المتعين بهذه

الجواب على ذلك أن الشجاعة آية توازن
الشخصية وتماسكها ، وتوسطها بين دوافع العقل
ونوازع العاطفة ، وبين الجبن الذى يظن الجبان أنه
يبقى به على نفسه ، ويصون به حياته ، فيرضى بالذلة
والهوان : والتهور الذى تدفع اليه طبيعة الشر وروح
العدوان من غير أن يكون ما يقتضى الشر والعدوان •
وهى كذلك آية الحفاظ على المثل العالية والمبادئ
السامية التى يؤمن بها أصحاب المثل والمبادئ من
القادة والزعماء والمصلحين ، وممن يضعون أنفسهم
موضع الاثمة الذين يؤتم بهم ، والهداة الذين يهتدى
بهديهم •

ومما يكبر فضيلة الشجاعة ويعظم من قدرها أنها
ليست من الفضائل التى يحسب فيها حساب الربح
والمنفعة ، حتى لو كانت المنفعة مقياسا من المقاييس
التي يقاس بها السلوك ، وتقدر بها الاعمال ، فان
الشجاع لا يسقط من حسابه فى جميع الاحوال حساب
الهزيمة والخسران ، قبل أن يحسب حساب الفوز

الفضيلة يعطون من أموالهم بغير حساب ، ولا يفكرون في المنفعة .

والشجاعة هي الفضيلة التي تدفعنا الى الاعمال النافعة في الجهاد . والفضائل التي تمتد منفعتها الى الغير اجمل من التي تكون منفعتها مقصورة على صاحبها . . . ويقول أرسطو : ان عقاب الاعداء اجمل من التساهل معهم ، لان مقابلة المثل بالمثل عدالة ، وكل عدل جميل ، والشجعان لا يرضون الهزيمة ، والانتصار واحزان والشرف جميل ، ولو لم يعد علينا بفائدة مادية . وهذه الاشياء كلها مشتهة لانها مظاهر عالية للفضيلة . .

واذا كانت فضيلة الشجاعة على ذلك النحو من التقدير والاكبار لدى الحكماء وفلاسفة الاخلاق اذا توافرت في بعض العامة من البشر فما بالك بالرسول والانبياء ، وهم حملة الامانة الذين يبلغون رسالات الله للناس ، وهي رسالات الهدى والصلاح التي تمثل حبال النجاة لمن تشبث بها ، ومن جحد بها من العصاة وأهل الضلال كان في جملة الهالكين ، وما يجحد بها الا اولو الزيف الذين عميت قلوبهم فهم لا يفقهون .

وفيما تحمل تلك الرسالات المنزلة من اسباب الهدى والرشاد ومفاتيح السعادة للبشرية في حياتها الدنيا وحياتها الاجلة اذا هي وفقت للاخذ بها والحرص عليها ، تحمل تكاليف هي مجموعة الاوامر والنواهي ، وفي تلك الاوامر والنواهي ما يعترض سبيل الشهوات ، وما يكبح جماح النفوس ، وما يقف في سبيل تمرداها على الحق ، وعدوانها على القيم والفضائل البشرية .

وليس من اليسير على كثير من النفوس الانقياد للطاعات والصبر على المكاره ، ومن هنا كان التمرد على الحق ، والخروج على المبادئ الشريفة التي تحملها رسالات السماء ، ويصطفى لها الله عز وجل خاصة عباده لحملها ، ويزودهم بطاقات من الشجاعة يواجهون بها أولئك المتمردين على الحق والخارجين على مبادئ الشرف والاستقامة .

ولذلك قال الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم « يا ايها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك ، وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ، ان الله لا يهدي القوم الكافرين » .

فقد أمره سبحانه ، كما أمر النبيين من قبله ، بأن يبلغ جميع ما أنزل عليه غير مراقب في تبليغه أحدا غير الله ولا خائف أن يناله مكروه اذا كان فيما أمر بتبليغه بعض ما يعترض سبيل شهوات الذين أرسل اليهم ، أو ما يقضى على مظاهر زعاماتهم أو رياستهم . وليس بعض ما أنزل على الرسول بأولى

بالاداء والتبليغ من بعض ، فاذا لم يؤد بعضها فكأنه أهمل أدائها جميعا ، كما أن الذي لا يؤمن ببعضها كالذي لا يؤمن بها كلها ، لكونها في حكم شيء واحد ، لدخولها في خطاب واحد . ولقد أنكر الله سبحانه وتعالى مثل ذلك فقال « افتمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض » .

ولذلك كان من الطبيعي أن يتصدى للرسول عليه الصلاة والسلام أعداء الحق وعبيد الدنيا من الكفار والمنافقين بالكيد ، واعتراض طريق دعوته الى الهدى والرشاد ، وأن يسلكوا في محاولة القضاء على هذه الدعوة كل سبيل ، وأن يشهروا في وجهها كل سلاح ، حتى أجمعوا على حربه ، واحتكموا الى السيف ، ليقتل بينهم وبين صاحب الدعوة وانصاره من المؤمنين ، حتى أمره الله بجهادهم في كثير من آياته كقوله تعالى « يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير » . وكقوله تعالى « لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا » .

وبهذا كتب الله على رسوله وعلى المسلمين أن يجادلوا أعداءهم ، وأن يلقوهم في ميادين القتال « كتب عليكم القتال وهو كره لكم ، وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم ، والله يعلم وانتم لا تعلمون ! » .

ولذلك بعد أن بين لهم سبحانه طريق القتال ، وعرفهم بمن ينبغي أن يقاتلوه ، وهم أعدائهم الذين أشعلوا نار الفتنة وبدعوهم بالحرب ، وحذرهم من البغى في عبارات القرآن الصريحة ، وذلك آية الايات في عدالة الاسلام ، وشرف الرسالة المحمدية ، فقال عز من قائل : « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ، ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين » . واقتلوه حيث تقفتموهم ، وأخرجوهم من حيث أخرجوكم ، والفتنة أشد من القتل ، ولا تقاتلوه عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه ، فان قاتلوكم فاقتلوه : كذلك جزاء الكافرين . فان انتهوا فان الله غفور رحيم . وقاتلوه حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين . الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص : فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم : واتقوا الله ، واعلموا أن الله مع المتقين . » .

وفي هذه الايات المتتابعة الكريمة أبلغ رد على دعوى أولئك الذين يزعمون أن الاسلام انتشر بحد السيف ، وملا نوره الدنيا بالغلبة والقهر ، فما كان

المسلمون بقا ولا معتدين ، وما كان دينهم دين بغى أو عدوان ، وإنما يشهر المسلمون السيف كما أمرهم الله على الذين يشبهون في وجوههم السيف ، ومن أرادهم ضعافا أذلة ، ومن أوقعوا في صفوفهم الفتنة ، ولو كانوا من أوليائهم ، إذ أن الفتنة كما يقول القرآن أشد من القتل ، بما تضعف من شوكة المسلمين ، وتفت في أعضادهم ، وتفرق من صفوفهم ، والله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص ، فإذا جنحوا للسلم وانتهوا عن الفتنة فإن الله غفور رحيم ، ولا عدوان إلا على الظالمين .

● (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم) .

● (واقتلوهم حيث تفتنهم ، وأخرجوهم من حيث أخرجوكم) .

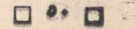
● (فإن قاتلوكم فاقتلوهم) .

● (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) .

آيات شريفة مطهرة ، ينبغي أن يتدبرها الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ، ويعرفون أنها آيات الله . وليس هنالك زمان أحق بتدبر هذه الآيات والعمل بما جاء فيها من هذا الزمان الذي اعتدت فيه شرذمة من جثالة البشر على مقدساتنا ، واحتلت أرضينا ، وسفكت دماءنا ، وأخرجت أهلنا وأخواننا من أرضهم ومزقتهم شر مرقق ، ودنست المسجد الأقصى الذي باركه الله وأحرقته ، ولو استطاعت تلك الفئة الباغية لصنعت بالبيت الحرام وبالبلد الأمين ما صنعت بثالث الحرمين الشريفين والقبلة الأولى لسيد ولد آدم محمد صلى الله عليه وسلم .

وليس تدبر هذه الآيات المحكمة والعمل بما أمرت به مقصورا على جماعة من المسلمين دون جماعة ، فإن الله تعالى لم يخص بالخطاب قوما دون قوم ، ولا بلدا دون بلد ، بل أن استخلاص الأرض ، واسترجاع الحقوق ، واسترداد ما ذهب من الكرامة دين في عنق الأمة كلها ، وهي مسئولة عن الإعداد له ، وأدائه بكل ما منحها الله من قوة ، محتسبة عند الله أجرها ، ومستعدة من الله نصرها ، وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم .

إن قوة الإيمان أشد فتكا بالعدو من كل ما عرفت



البشرية من أسباب الفتك ، لأن الإيمان سلاح لا تفل حذته ، ولا تبلى عدته ، ولا تنفذ ذخيرته ، لأن من ورائه قلبا سليما يعتمد على الله ، ويستمد منه القوة ، ويؤمن بقوله تعالى « أن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله » .

فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم »

إنه الإيمان الذي نصر الفئة القليلة المستضعفة على جحافل الشرك والباطل ، فقد أعان الله نبيه وأوليائه بالملائكة ، وثبت قلوب المؤمنين ، ووجد كلمتهم وصوفهم فأقاموا أمرهم على التدبير لأعداء الله والشورى في تخير المنازل ، ورسم خطط القتال ، وألقى الرعب في قلوب المشركين والمنافقين .

وقد أبلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما خاض من حرب المشركين الذين تحدوا المسلمين ، وبدعوا بالاغارة عليهم ، أو الذين كانوا يعدون العدة لحربهم - خير ما يبلى قائد أمة وصاحب رسالة ، وكان المثل الأعلى في الشجاعة لجماعة المسلمين .

قال على كرم الله وجهه : لقد رأيتني يوم بدر ، ونحن نلوذ بالذي صلى الله عليه وسلم ، وهو أقربنا إلى العدو ، وكان من أشد الناس يومئذ بأسا .

وقال أيضا : كنا إذا احمر البأس ولقي القوم القوم اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه .

إنه الإيمان الذي يدعو المؤمن إلى أخصاص حياته ، والجود بنفسه ، في سبيل مبدئه ومعقده ، وفي رد عادية المعتدين على حرمانه وكرامته .

إنه الإيمان الذي وهب الشجاعة لسيف الله خالد ابن الوليد ، فشده مائة زحف أو زهاءها ، وما خلا في جسده موضع من ضربة سيف أو طعنة رمح . ثم مات على فراشه راضيا آمنا وهو يقول : ألا فليشهد الجناء !

إنه الإيمان الذي أوحى للصديق رضى الله عنه أن يقول كلمته الخالدة : أحرص على الموت توهب لك الحياة .

بلى ! إنه الإيمان الذي ثبت به الله قلوب المؤمنين « الذين قال لهم الناس أن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واقبعوا رضىوان الله والله ذو فضل عظيم » .

الطريق إلى الله

الدكتور أحمد زين

تناولت في مقالى السابق عن « الطريق إلى الله »
كيف أن هذا الدين هو بناء داخلى للإنسان .. هو
منهج حياة .. هو يعيش معنا فى كل لحظة كنبضات
القلب .. وكالهواء الذى نتنفسه .. هو الحياة
الصحيحة السليمة .. التى تمكن الإنسان فى
الأرض ..

والدين الإسلامى لاينتهى عند الخروج من المسجد .. ولايقف بعد نهاية الصلاة .. بل انه فى كل شيء
له احكام رائعة جليلة . فى الكلمة التى تقولها .. فى النية التى تنويها .. فى السعى الذى تقوم به ..
فى حياتك مع زوجتك .. فى تربيتك لطفلك .. فى معاملتك لجارك .. فى تجارتك وعملك .. وكل
شيء حولك .. فى طعامك وشرايك وصحتك .. فى دنياك وآخرتك .. أن هذا الدين لم يفرط فى شيء
أبدا .. لقد وضع لك سبيل السعادة فى الدنيا والآخرة .. سبيل النجاح والعلو فى الدنيا والآخرة
.. وليس ادل على ذلك من أن هذا الدين وحده باتباع طريقة الحياة التى رسمها قد استطاع أن
يحول أمة مكونة من قبائل مختلفة متفرقة الكلمة يحارب بعضها بعضا ، الى أمة متحدة قوية ..
استطاعت أن تهزم العالم كله .. وأن تهزم أقوى الامبراطوريات وأغرق الحضارات فى عمرها ..
وقلت أننا اذا درسنا مجتمعات الأمم المتقدمة وأسباب التقدم الحقيقى فيها .. لوجدنا كل هذه
المقومات موجودة ومفصلة فى الدين الإسلامى ..
الذى يصنع الحضارة فى أى أمة هما العقل والعمل .. العقل بالهام من الله يفكر ويخترع ..
والعمل يبنى التقدم ..

ماذا نجد عندنا .. ؟ .. نجد فى القرآن تقديسا للعقل وحثا على استخدامه .. ونجد الإشارة للعقل
.. افلا تفعلون وافلا تتدبرون فى أكثر من مكان .. بل نجد أن وصف الكفار أنهم قوم لايعقلون .. ومعنى
ذلك أن استخدام العقل جزء من الإيمان .. والحث على استخدام العقل وتطويره بالعلم موجود .. بل
أن الإسلام يحرم الخمر لأنها تؤثر على العقل .. ويحرم كل مايفيب العقل أو يؤثر عليه ولو تأثرا
وقتيا .. أن يكون الذهن حاضرا ومتيقظا فى كل لحظة مسألة هامة لكل مؤمن ..
ياتى بعد ذلك العمل .. والإسلام يقدس العمل ايضا .. بل انه يذهب الى أن أولئك الذين يعملون
ويتعبدون خير من ذلك الذى يقضى ليله ونهاره فى العبادة . ولا يفعل شيئا ينتظر أن يطعمه الناس ،
ثم تاتى الى مقومات التقدم .. هذه المقومات منصوص عليها فى القرآن والسنة .. الصدق .. الأمانة ..
اتقان العمل .. الشجاعة الفائقة .. الاخلاص فى كل شيء .. الرحمة بلا ضعف أو استكانة .. عدم
الانفعال .. الحرية باكبر واقدس معانيها ..

إذا اسس التخلف غير موجودة على الإطلاق فى الدين الإسلامى .. بل اسس التقدم بكل معانيها
ومقوماتها هى المنصوص عليها .. والمطلوب تطبيقها ..
ناتى بعد ذلك الى نقطتين رئيسيتين .. أريد أن أناقشهما .. تلك النقطتان اللتان تفسران بغير
معناهما الحقيقى .. وهما التوكل على الله .. والصبر ..
الكلمتان فى حقيقتهما قوة وانفة .. دعوة الى الاقدام والشجاعة .. ولكن بعض الناس
يفسرونها على أساس الاستسلام .. وعدم التحرك لعمل أى شيء ..
ماهو معنى التوكل .. هل معناه هو التواكل .. فرق كبير بين الكلمتين .. لو كان معناه التواكل لما
خرج النبى صلى الله عليه وسلم وهو أولى الناس باتباع تعاليم الله .. ماكان قد خرج وجاهد وهاجر

وحارب وواجه كل المتاعب والصعاب لينتصر دين الله .. الم يكن الله يستطيع أن ينصر دينه دون أن يتم أى شيء من هذا .. سبحانه وتعالى قادر وليس لقدرته حدود .. ولكنه فرض علينا الجهاد والسعى ليكون هذا هوسنا الحياة الدنيا وليمتحن به القلوب، ولحكم كثيرة جدا ..
اذن كلمة التوكل على الله ليس معناها أبدا التواكل .. وإنما معناها عكس ذلك تماما .. معناها ان تدبر امرك وتفعل كل ما فى وسعك ثم بعد ذلك تتجه الى الله طالبا توفيقه متاكدا ان سينصرك اذا كنت على حق .. وانه معك اذا كنت مؤمنا ..

ان تقف فى شجاعة لاتعرف الاهتزاز امام أى موقف حق او جهاد .. لاتبالى بمن امامك .. ولا بمن يريد ان يفتصب حقوقك ولا بمن يريد ان يظلمك مهما كانت قوته .. لماذا .. لانك متوكل على الله .. الله معك .. هو ينصرك .. وهو أقوى من الدنيا كلها ومن أى مصاعب واجهتك .. ومن هنا فان كلمة التوكل على الله لا يمكن ان يكون معناها عدم الحركة .. ولكن معناها الشجاعة .. عدم الخوف .. الثقة فى النفس .. الثقة فى انتصار الحق والتوكل على الله معناها ان تؤمن ان هذه القوة التى لا حدود لها .. التى خلقت كل شيء وصنعت كل شيء .. هذه القوة معك .. فاذا اظلمت الدنيا فى وجهك .. فان نور الله سيضيئها .. واذا تخلى عنك الجميع .. فان الله سينصرك .. واذا احسست ان كل شيء قد ضاع فان القد فى يد الله .. توكل عليه .. ادعه وتوكل عليه .. انه يسمعك ويراك ويعرف ماتخفى وماتعلن .. توكل عليه وامض فى طريقك .. فى جهادك .. فى سعيك .. سترى التوفيق .. ستجد السعادة .. وستحس بالطمأنينة تسرى فى اوصالك .. سيصبح قلبك أقوى من الفولاذ .. لن يمسسه خوف ولن يصل اليه باس .. انت تعرف انه قاضى الحاجات فتوكل عليه وانت تطلب حاجتك .. انت تعرف انه الرازق فتوكل عليه وانت تسعى لرزقك .. انت تعلم انه الرحيم فاطلب رحمته فى كل سوء يصيبك .. لاتدع الدنيا تغريك فتحسب ان هناك شيئا بيد البشر .. لاتندع باى شيء .. توكل على الله وهو يفيك كل شيء ..

هذا معنى التوكل .. تخلص من الخوف .. تخلص من اليأس .. تخلص من الجبن .. انطلق بعزة المؤمن .. هو قوة دافعة الى الامام وليس قوة مائعة من السعى والجهاد ..
تأتى بعد ذلك كلمة الصبر .. ما معنى الصبر .. الصبر ليس استسلاما لما يحدث .. ولكنه ارتفاع فوق ما يحدث .. الصبر ليس نفسا دامية وعينا تنكس .. ولكنه رفض لان تكون النفس باكية .. وامر لجمعة العين الا تنزل .. الصبر رفض للاستسلام .. واستمرار فى تحمل كل مكروه فى سبيل المبدأ .. الصبر رفض للاستكانة والموافقة .. وهو مقاومة داخلية لها .. مقاومة داخل النفس البشرية لكل معانى الاستسلام والخلود الى الامر الواقع بحجة الصبر .. انه فوق هذا كله .. واصبر على ما اصابك .. ان ذلك من عزم الامور [.. لاتجزع لما اصابك بل كن قويا .. تحمله بشجاعة الرجال .. لاتستسلم له أبدا ولكن ابق على مبدئك واجاهد وقاوم .. واصبر على الاذى .. واصبر على الاله ..
قوة دافعة ترفض ان تسكن هذه النفس الى أى وضع تعافه او لاتقبله .. او يخالف تعاليم الله .. اذن الصبر هو قوة دافعة ايضا .. هو انطلاق لتحرير النفس البشرية بحيث لاتقبل أى قيد او أى وضع قهرى يحاول احد ان يضعه عليها .. انه امر لها بان تكون أقوى واكبر واصلب من كل ما هو خارج عنها ..

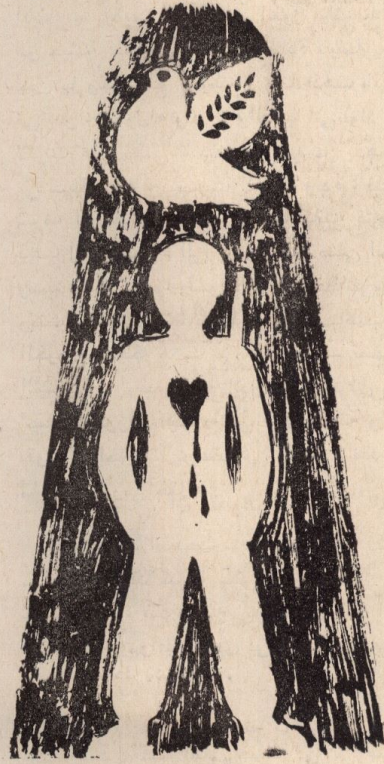
وهذا يرى ان كلتا الكلمتين .. التوكل والصبر هما قوة دافعة للانسان وليس قيودا على حركته .. هما الحركة وليس السكون .. والشجاعة وليس الجبن .. النفس القوية وليس النفس الضعيفة .. القوة الدافعة للحق والعدل والحياة ..

واخيرا قد يأتى ماتمنى .. وقد يأتى ماتكره .. فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا « فى حياتنا نجد الامثلة .. ان الله حين يأمرنا بالتوكل عليه يأمرنا بان نعمل ونجاهد ونمضى فى حياتنا الدنيا وان نتسلح وننتزع حقنا .. وان نخلص انفسنا من ذل الدنيا متوكلين على الله سبحانه وتعالى ، يفتح ويبارك ويحقق وييسر ويجيب .. ان هذا هو الطريق وتلك هى خطوات واضحة بلا لبس ولا ابهام ولا طلاس طريق يدفعنا الى الامام .. ولا يشغلنا عن السعى .. ولكنه يحررنا من كل القيود كلها .. يحررنا من كل ما يعوق ويهدم امامنا كل العقبات ..
اما الصبر فهو قوة احتمال لا يمكن ان تحطمها الحوادث .. ثقة فى الله .. وفى نصره .. نفس قوية فى داخلك لاتتهتز مهما اهتز كل ما حولها .. تلك هى النفس المؤمنة .. ذلك معنى الصبر فى الاسلام .. انه يزيد الايمان فى تكويننا .. ويقويه ..

من قصص السنة



فضيلة الشيخ محمود أحمد هاشم



أن الاستشهاد في سبيل الله أعظم وسام للشرف لا يتقلده الا ذو عقيدة سليمة وإيمان قوى وأخلاص صادق لله تعالى ولهذا أحاط الله الشهيد بعناية خاصة في دنياه وآخره وفى نفسه وأهله وعوضه بدنياه الآتية توضح لنا مكانة الشهيد عند الله تعالى أخرج ابن ماجة في سننه ، والترمذى في جامعه « عن جابر رضى الله عنه :

قال « لقينى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ! يا جابر مالى أراك منكساً مهتماً ، فقلت يا رسول الله ، استشهد أبى وترك عيالا ، وعليه دين ، فقال « ألا ابشرك بما لقي الله عز وجل به أباك » قلت بلى يا رسول الله قال « ان الله أحيا أباك وكله كفاحا ، وما كلم أحدا قط الا من وراء حجاب : فقال له : يا عبدى تمن أعطك ، قال : يارب تردنى الى الدنيا فاقتل فيك ثانية ، فقال الرب تبارك وتعالى : انه قد سبق منى أنهم اليها لا يرجعون » قال يا ربى فابلغ من ورائى فانزل الله عز وجل « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون » .

ففى هذا المشهد الرائع تصور لنا السنة المظهرة المنزلة الجليلة التى أعدها الله تعالى للشهداء الذين ضحوا بأرواحهم وأنفسهم فى سبيل الله تعالى فهم أحياء عند ربهم يرزقون ، وقد صور لنا هذا الموقف لقاء الله تعالى للشهيد وكيف أنه يحييه بعد موته بل وأعظم من ذلك يكلمه الله بنفسه مشافهة انها اذن لمنزلة عالية حظى بها أبو جابر رضى الله عنه وأنها كذلك لمكانة عالية للشهيد دونها كل مكانة وان السعادة الفامرة التى ينعم بها فى جنة الله لا تعادلها سعادة لدرجة أن الشهيد بعد أن يرى مكانته هذه لا يتمنى شيئا الا أن يعود الى الدنيا كي يقتل ثانية فى سبيل الله لما يرى من الكرامة والفضل والثوبة والاجر .

ان الشهيد فى غاية الفرح والسرور بما آتاه الله اياه وان مكانته العظيمة لتوحى لنا بالثمن الغالى الذى اشترى الله به انفس المؤمنين وأموالهم « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم » .

والصورة التى تصاحب الشهادة أثناء القتل فى سبيل الله كريمة المظهر طيبة الاثر لها رائحة المسك لان روح صاحبها أصبحت تعلق فى الجنة ولان

كرامة الحق لاحقت صاحبها بالتكريم والتعظيم ففي الحديث المتفق عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ما من مكلوم يكلم في سبيل الله الا جاء يوم القيامة وكله يدمى اللون لون الدم والريح ريح المسك » .

ويشبه لنا الرسول صلى الله عليه وسلم الذي يسعى مجاهداً بانه في عبادة دائمة مثله كمثله الصائم القائم فاذا ما انتهى به جهاده الى الشهادة في سبيل الله فهو في الجنة ، اما اذا رجع سالماً فله من الله الاجر والغنيمة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مثل المجاهد في سبيل الله والله اعلم بمن جاهد في سبيله كمثله الصائم القائم وتكفل الله للمجاهد في سبيله ان يتوفاه ان يدخله الجنة أو يرجعه سالماً مع أجر أو غنيمة » ولما كان للشهيد هذه المنزلة العظيمة فهو يتمنى ان يرجع الى الدنيا ليعيد البذل والجهاد في سبيل الله مرة أخرى ليحظى بفضل الشهادة قال صلى الله عليه وسلم :

« ما من عبد يموت له عند الله خير ليسره ان يرجع الى الدنيا وان له الدنيا وما فيها الا الشهيد لما يرى من فضل الشهادة فانه ليسره ان يرجع الى الدنيا فيقتل مرة أخرى » .

لهذا نرى امثلة البطولة والفداء والتضحية والجهاد في سلفنا الصالح تأخذ مكانها على صعيد الحياة الكريمة فتراهم يتسابقون في بذل أموالهم وأنفسهم في سبيل الله لا يهابون الموت ولا يخافون الهلاك لان الايمان الذي عمر قلوبهم جعلهم ينظرون الى اجالهم نظرة ثقة ويقين بأن الاجل واحد وأن الجهاد لا يقصر العمر وأن النكوص عنه لا يطيل العمر فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون لذا عاهدوا الله ورسوله وصدقوا في وعدهم وقدموا من امثلة الفداء ما يعجز به الاسلام .

عن أنس رضي الله عنه فيما يرويه البخاري ومسلم « غاب عني أنس بن النضر رضي الله عنه عن قتال بدر ، فقال :

يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت المشركين لئن أشهدني الله قتال المشركين ليرين الله ما اصنع فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون فقال اللهم اني

□ ٥٤ □

أعذر اليك مما صنع هؤلاء يعني أصحابك وأبرأ اليك مما صنع هؤلاء يعني المشركين ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال يا سعد بن معاذ الجنة ورب النضر اني أجد ريحها من دون أحد ، قال سعد : فما استطعت يا رسول الله ما صنع ، قال أنس : فوجدنا به بضعا وثمانين ضربة بالسيف ، أو طعنة برمح أو رمية بسهم ، ووجدناه قد قتل ومثل به المشركون فما عرفه أحد الا اخته بينانة . قال أنس : كنا نرى — أو نظن — أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه ! « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلا ليجزي الله الصادقين بصدقهم ، ويعذب المنافقين ان شاء أو يتوب عليهم ان الله كان غفورا رحيمًا » الايتان ٢٣ ، ٢٤ من سورة الاحزاب ولقد ترك لنا الشهداء نورا ، يبصرنا الطريق الامثل ، للانتصار على الاعداء ، فلقد كان الابناء يسابقون الاباء على الفوز بالشهادة ، فهذا أبو خيثمة الحارثي ، يقول لولده خيثمة يوم بدر ، لتبقي يا ولدي مع أخوتك ، وانا اذهب الى الجهاد في بدر ، فيقول له ولده ، والله يا ابي لولم تكن الجنة لاثرتك على نفسي ، فاقترعا على من يذهب للجهاد في سبيل الله ، فأصابته القرعة ولده ، فشارك في شرف الجهاد واستشهد ، فلما كانت غزوة أحد ، ذهب [أبو خيثمة] الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : (يا رسول الله لقد أخطأتني وقعة بدر ، وكنت والله حريصا عليها — حتى ساهمت ابني في الخروج ، فخرج — في القرعة — سهمه ففرق الشهادة . وقد رايت البارحة ابني في النوم في أحسن صورة ، يسرح في ثمار الجنة وانهارها . يقول : الحق بنا ترافقنا في الجنة ، فقد وجدت ما وعدني ربي حقا .

ثم قال وقد أصبحت يا رسول الله ، مشتاقا الى مرافقته ، وقد كبرت سني ورق عظمي ، وأحببت لقاء ربي ، فادع الله يا رسول الله ان يرزقني الشهادة ، ومرافقة ولدي في الجنة ، فدعا الرسول له وقتل بأحد شهيدا ..

وهذا ابن هشام ، يحدثنا في سيرته ، فيقول في يوم أحد « لما التقى حنظلة بن أبي عامر بأبي سفيان ، واستعلى حنظلة أبا سفيان بسيفه ، رآه شداد بن الأسود ، فضرب شداد حنظلة فقتله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان صاحبكم

حبذا الجنة وأقرباها طيبة وباردا ثرابها

وما أروع قصص السنة في المقام الذي ينتظر
الشهيد ، فمن سمرة رضى الله عنه ، فيما يرويهِ
البخارى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
« رأيت الليلة رجلين أتيا ، فمعدا بى الشجرة »
فأدخلاني دارا هي أحسن وأفضل لم أر قط أحسن
منها ، قالا : أما هذه الدار فدار الشهداء .

لذلك حرص الشهيد على العودة للدار ، حتى ينال
شرف الشهادة مرة ومرات ، مخالفا سنة من دخل
الجنة ممن مات ، فمن أنس رضى الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال « ما أحد يدخل الجنة يحب
أن يرجع الى الدنيا » وأن له ما على الأرض من
شيء الا الشهيد ، فانه يتمنى أن يرجع الى الدنيا
فيقتل عشر مرات ، كما يرى من الكرامة « وفي
رواية كما يرى من فضل الشهادة » رواء البخارى
ومسلم والترمذى ، وما أحوج الأمة الى نماذج من
هذه البطولات ، حتى تفوز بالنصر على الأعداء
وانه لآت وقريب ، ان شاء الله تعالى والله ولي
التوفيق .

لتغسله الملائكة في طست من ذهب ، بماء المزن
الطاهر من فوق سبعة أرقعة » فسأل بعض أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجة حنظلة عن
شائه فقالت : خرج وهو جنب ، حينما سمع الهاتفة
الى الخروج في الجهاد ..

وهذا نعيم بن مالك ، يقول : « يا نبي الله
لا تحرمنا الجنة - وذلك قبل نشوب القتال -
فوالذى نفسى بيده لا دخلنا !! فقال له رسول الله :
بم ؟ قال : بأنى أحب الله ورسوله . ولا أفر يوم
الزحف ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم :
صدقيت . واستشهد يومئذ . »

وان السنة المليئة بالشهداء الذين سبقونا على
طريق النضال والجهاد في سبيل الله ، ودفعوا
حياتهم وهم مبتهجون ، ويروى الطبراني بإسناد حسن
انه « لما قتل جعفر بن ابى طالب ، في غزوة مؤتة ،
جاء ابنه عبد الله الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، والدمع يسبق قوله ، وكأنه يقول اين أبى
يا رسول الله ، فيقول عليه الصلاة والسلام هنيئا
لك يا عبد الله ، أبوك يطير مع الملائكة في السماء »
هذا الشهيد البطل ، الذى يند الى الله ، مشطورا
نصفين وهو يقول !

مناجاة

عابدة من العابدات

روى عن حبيبة المدوية :

انها كانت اذا صلت العتمة [المغرب والعشاء] قامت على سطح
لها وشدت عليها درعها وخيارها ثم قالت :

« الهى قد غارت النجوم ، ونامت العيون ، وغلقت الملوك أبوابها »
وخلا كل حبيب بحبيبه ، وهذا مقامى بين يديك « ثم تقبل على صلاتها
فاذا طلع الفجر قالت :

« الهى هذا الليل قد أدبر ، وهذا النهار قد اسفر ، فليت شعري
أقبلت منى ليلتى فأهنا أم رددتها على فأعزى ؟ وعزتك لهذا دأبى
ودابك ما ابتغيتنى ، وعزتك لو انتهرتني عن بابك ما برحت لما وقع
فى نفسى من جودك وكرمك » .

الزكاة وأثرها في الفرد والمجتمع



٢ - قيمتها المالية والاقتصادية :

والزكاة تنمي المال أي تزيده - بخلاف ما يظن البعض أنها تنقصه (**يحق الله الربا ويربي الصدقات**) وربما يقف المرء متأملا كيف يزيد المال بسبب الزكاة مع أنه ينقص في المشاهد المحسوس . ولعل مما يزيل هذا اللبس . أن الزكاة في المال النامي . أي الذي من شأنه أن يستثمر وكأنها شرعت قوة دافعة محركة لكل من يملك مالا أن يسارع في استثماره . فإن لم يستثمره وجبت فيه الزكاة وهو ملام على عدم استثماره وقد حذرنا من مال لا يستثمره صاحبه فتأكله الزكاة والقاعدة أن المال إذا بلغ نصيبا وحال عليه الحول وكان هذا المال فاضلا فقد وجبت فيه الزكاة استثماره صاحبه أو لم يستثمره بيد أنه في حالة عدم استثماره يخسر صاحب هذا المال بسبب الزكاة ومن هنا كانت الزكاة قوة دافعة لأصحاب الأموال أن يسارعوا باستثمارها لئلا تأكلها الزكاة ويصير صاحب المال فقيرا ضعيفا . كلاوعالة وهذا ما لا يرضاه المسلم لنفسه . فهو يعلم أن الله يحب التقى الغنى الخفى .

وكما أحس المؤمن بأن تلك الفريضة تدفعه لاستثمار ماله . وأن في هذا الاستثمار مضاعفة دخله . وبالتالي مضاعفة إعطائه وأعانتة للعاجزين - أندفع إلى العمل مدركا أن خير الناس أنفعهم للناس . وأن اليد العليا خير من اليد السفلى من غير غرور ولا استكبار وإنما هو التعاون البناء . وفي الزكاة عنصر العبادة للخالق سبحانه وعنصر الحق للمجتمع (**والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم**) .

وقد تختلف الأنظار عند تغليب أحد هذين الاعتبارين كما هو الشأن في مال الصبي الذي لم يكلفه الله بالعبادة هل تجب عليه ؟ . ونحن نميل إلى وجوبها مادام ماله يستثمر فإذا انعدم هذا الشرط - فلا زكاة في مال الصبي الذي لم يستثمر نتيجة عدم أهلية صاحبه .

وقد سبق أن مال المكلف تجب فيه الزكاة استثمار أو لم يستثمر أما مال الصبي والمجنون فإذا استثمار ففيه الزكاة باعتبار أن لهما ذمة وأن الزكاة حق وإذا

١١ - موضوعها من كتاب الله وسنة رسوله . تكررت هذه الكلمة كثيرا في كتاب الله وسنة رسوله وكثيرا ما اقترنت بالصلاة قال تعالى في غير موضع (**وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة**) وقوبلت الزكاة مرة بالشرك قال تعالى (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما ألهمكم الله واحد فاستقيموا إليه واستغفروا) وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون) ومعنى هذا أن التوحيد زكاة مفروضة على القلب أن يؤديها . فالتوحيد زكاة لا يسقط به الركن المالي المعروف بالزكاة والحق أن على كل عضو من أعضاء البدن صدقة في كل يوم كما هو في معنى الحديث ومعلوم أن هذه الآية السابقة نزلت في مكة ولم تكن فريضة الزكاة قد تقررت فأنها فرضت في السنة الثانية الهجرية واستقرت وتحددت أنصبتها في ذلك التاريخ بعد اثسارات إليها في آيات نزلت قبل ذلك .

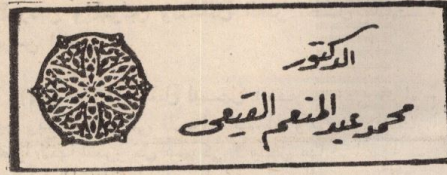
وقوبلت الزكاة مرة أخرى بالربا ولهذا التقابل دلالة قال تعالى (**يحق الله الربا ويربي الصدقات**) والزكاة بمعناها اللغوي والشرعي تحمل معنى النماء والطهر . ولهذا الحمل دلالة ومغزاه فيعني التطهير للنفس من كل نقيصه سواء كانت ترجع إلى نقص في الاخلاص . أم إلى نقص في المروءة والتفكير وغير ذلك .

ومن هنا كانت الآيات المكية تشير إلى هذا المعنى العام في قوله جل شأنه من سورة فصلت « **وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة** » .

وللتوحيد والاخلاص صلة وثيقة باداء هذا الركن . فهو لم يقبل إلا من موحد مخلص والمفروض أنه لا يؤدي إلا الله ، ولا يبتغي من ورائه إلا ثواب الله وفي الاثر : أن الصدقة تقع في يد الرحمن قبل أن تقع في يد المسكين قال تعالى .

(**ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده**) **ويأخذ الصدقات**) والصدقات والزكاة تحمل معنى صدق العبد مع الله ، لا فرق بينهما . وجعل الفريضة زكاة والنافلة صدقة لم يعد أن يكون مجرد اصطلاح .

□ ه □



لم يستثمر مالهما فلا زكاة عليهما لان الزكاة عبادة وهما ليسا من المكلفين بالعبادة اذ لا تكليف الا بعقل وبلوغ وكون الزكاة في نظر الاسلام طهرا ونماء - فان هذا الاعتبار يكون أكثر خدمة للاقتصاد من أي اغراء آخر .

ولقد كان الاوائل يعتمدون عليها كمصدر من مصادر الإيرادات وكانوا يقدمونها قبل حلول وقتها - شعورا منهم أنها دين عليهم وحق لغيرهم . وللعامل في جمعها من يد الاغنياء حق فيها ان احتاج اليها فاذا جمعها غنى لم يحتج اليها فلا نميل الى اعطائه منها وان خالف في ذلك بعض الفقهاء . وتمتاز تلك الفريضة بميزات - أبرزها : - (١) أنها حق .. ومعنى هذا ألا يعبر الفقير بسبب أخذها لها ولا يعطيها الغنى إلا لمن يعلم أنه عاجز عن العمل فلا يعطى لمجرد الفقر فربما كان بسبب الإهمال والكسل ، وهذا لا حق له . بل عليه أن يعمل حتى لا يكون عالة ، وعليه أن يسعى فقد يكون يوما ما مزيكا ومتصدقا .

(٢) المستحقون لها معروفون ، لا في الاصناف الثمانية التي احتوتها الآية الكريمة (**انها الصدقات** ...) وانما هم المحتاجون فعلا اليها . والذين لا مجال للتكسب أمامهم إلا أخذهم منها ، ولا نميل الى أن الآية افادت الحصر . وانما وجهت الانظار الى هذا المبدأ فالمنافقون لما غضبوا لعدم نيلهم من الصدقات . نزلت الآيات توضح أنها ليست لهم ، فأمامهم سبل أخرى للتكسب (ومنهم من يلزمك في الصدقات فان أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون ، ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالو حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله . انا الى الله راغبون - انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله . والله عليم حكيم) .

فسياق الآية لتقرير المبدأ لا لحصر الاصناف . وهذا ظاهر في الفقراء والمساكين ، المعبر عنهما في مواضع أخرى من الكتاب والسنة (**للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف ، تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الحافا**) وفي الحديث (**ليس المسكين الذي يطوف على الناس ترده اللقمة واللقمتان، والتمرة والتمرتان ولكن المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه ، ولا يفطن اليه فيتصدق عليه . ولا يقوم فيسأل الناس**) وقوله تعالى (**أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر** ...) يقرر أن الحاجة هي المبرر لنيل الزكاة ... وأولى الناس بها الرجل الذي لا يكفيه أجره .

وليس بالمهم التفريق بين المسكين والفقير - فكل منهما محتاج . ويتحقق ذلك المبدأ في الغارمين وأبناء السبيل فحاجتهما ظاهرة - وأما الاصناف الأربعة الأخرى فقد يكون مبدأ الحاجة محتاجا الى الإيضاح فالعامل على الزكاة لم يبذل مجهودا أكثر مما يبذله الوصي على اليتيم والذي قال الله فيه (**ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف**) . وإذا كان قيام الغنى بجمع الزكاة يؤدي الى تيسير جلبها لثقة الناس به ، فما يأخذ من أموال الصدقات يعتبر أجرا وليس بصدقة لأنها لا تجوزا على غنى ولاذى مرة سوى .

وأما المؤلفة قلوبهم - فانها تدفع اليهم لتقريبهم من المجتمع الاسلامي . ثم تعدهم وتؤهلهم الى أن يكونوا متصدقين بعد أن يزودهم الاسلام بأن أفضل ما يأكل العبد من كديده فاذا لم يندمجوا فلا حق لهم ، وهذا ما فطن له عمر بن الخطاب حين منع العطاء عنهم وقال : **لا حاجة لنا فيكم** .

وأما العبيد المكاتبون - فانهم كانوا يعاونون من الصدقات ليكونوا أحرارا حيث يجوز لهم التملك التام ، وعندئذ يصبحون أهلا لخراج الزكاة . اذا العبد وما ملكتيده لسيده . فاذا أعين من الصدقات على تحرير نفسه - فقد أضفنا للمجتمع لبنه تسهم ان أجلا أو عاجلا في تحمل أعبائه .

وأخيرا - **في سبيل الله** .. وهذا تعبير عام مراد المهم فيه أن يحقق المال المبذول ما شرعت الزكاة من أجله ... فبناء المساجد والمستشفيات وتكفين الموتى - كل هذا سبيل الله ولكن بهال الزكاة لانهم اليه لانها حق الفقراء - فكيف نجيز اقامة هذه المصالح من أموال المحتاجين وانما لو أقيمت من الضرائب ، لكانت تلك الطريقة أعدل من أن تقام على حساب المحتاجين ... وعلاج المحتاج لا يصح أن يمس قوته الضروري - وقد يكتفى بالقديم من الثياب لتكفين الموتى والحى أولى بالجديد .

(٣) النصاب الذي تجب فيه الزكاة ميسور ، ويساوي ثمانين جنيها مصريا تقريبا ونلاحظ أن هذا النصاب مشروط فيه أن يكون فاضلا عن نفقة صاحبه ومن يعولهم وهذا يعني مستوى معينا من العيش يكون الانحطاط عنه ظاهرة تندر بتأخر المجتمع وتخلقه - اقتصاديا . ويعنى كذلك زيادة عدد

الزكاة والحوالين ومشاكل الفقر تحل بالثأحة نرمس العمل .

(٤) مقدارها ضئيل ليسهل الدفع - فهي تتراوح بين ربع العشر في الاموال السائلة وعروض التجارة نظرا لانها تكرر كل عام كي لا يخل بها صاحبها - واحيانا تبلغ نصف العشر في الزروع والثمار التي زادت مصاريف الاتفاق عليها وحين تقل النفقات وتبقى بلا تكاليف - يكون العشر هو المطلوب . وعندما تلعب المفاجأة دورها فيكون الحصول على المال عن طريق المصادفة يجب الخمس وفي الركاز الخمس وقد تختلف النسبة عن ذلك كما هو الشأن في زكاة ابل والبقر والغنم بيد ان مبدأ تيسير الدفع ملحوظ .

(٥) والزكاة عامل هام في تفتيت الثروات - كي لا يكون المال دولة بين الاغنياء ... ومن هنا يشعر الفرد بالرابطه بينه وبين المجتمع الذي يعيش فيه - فلا عزلة ولا اناثية ولا احتكار ولا استغلال (وفي اموالهم حق للسائل والمحروم) .

(٦) وهي تنشر الالفه والتعاون .. فالمحتاج يدعو للفنى ان يزيد الله ماله ليكثر الانتفاع من ورائه . والفنى يزداد نشاطه ليمسك المجتمع به . (٧) وهي تمثل القومية الاقتصادية وكل بلد مستقل . وما فضل منه يعود الى اقرب البلدان له (هذا من اغنيائهم صدقة وردها على فقرائهم) . وسدق الله اذ يقول (خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيتهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم) .

٣ - مع الاصوليين والفقهاء :-

يقدر الاصوليون ان ملك النصاب هو سبب وجوب الزكاة وان حوّل الحول شرط لوجوبها وان دين المالك للنصاب مانع من وجوبها ومعنى هذا ان المالك للنصاب اذا كان مدينا للآخرين يدين لو دفعه لم يكن مائلا للنصاب فانه لا زكاة عليه وهذا كله مسلم . ولكن ما مقدار هذا النصاب ؟ انهم يقدرونه في الاموال بستة وعشرين ريالاً مصرياً تقريبا ونحن لا نميل الى هذا التقدير ولعلنا ندرك ان ملك النصاب هو الحد الفاصل بين الفنى والفقر ولا ترتضى ان يكون هذا القدر فاصلا بين اعتبار الشخص غنيا او فقيرا بل نميل الى اعتبار النصاب ثمانين جنيها مصرياً تقريبا .

اما حوّل الحول فانه شرط في غير زكاة الزرع والثمار فانها تجب يوم الحصاد كما قال الله تعالى

(واتوا حقه يوم حصاده) ومما يجدر التنبيه اليه

□ ٥٨ □

ان بعض الناس قد يتحايّل على اسقاط الزكاة متأثرا بما هو مسطور في كتب الفقه كتبه المتأخرون ونسبوه الى المتقدمين والله يعلم مدى صحة هذه النسبة فمثلا (من ملك نصابا تجب فيه الزكاة وأراد أن يسقط عنه وجوبها فما عليه الا أن يهب هذا المال لبعض اقاربه يوما او يومين من آخر أيام الحول وعلى الموهوب له أن يرده للواهب حتى يتذرّع الواهب لاسقاط الزكاة عنه بأن هذا المال لم يحل عليه الحول وهذا التصرف حيلة باطلة لا تسقط وجوب الزكاة وهذا أمر لم يأذن به الله وكل حيلة باطلة لا اثر لها .

ومما وقعوا فيه من الحيل ان الشخص ان كانت له ارض فما عليه الا أن يبيعها ليشتري بها عمارة فانه لا زكاة فيما تدره تلك العمارة وهذا زعم خاطيء ويتساءل الناس عما تدره العقارات هل هو ملحوق بزكاة الاموال التي لاتجب الا بحولان الحول والجواب الذي نرتضيه هو ان هذه العقارات اشبه بالارض الزراعية فتجب فيها الزكاة من حين الاستيلاء عليها متى بلغ الدخل ثمانين جنيها ولقد قال سبحانه (يا ايها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا لكم من الارض) والعقارات تدر اموالا كما تدر الارض زروعا وثمارا فاذا بلغ دخل المنزل ثمانين جنيها في الشهر وجب على صاحبه كل شهر ان يخرج ربع العشر جنيها فلعقارات شبه بالارض الزراعية باعتبار ان الحول ليس شرطا ولها شبه بعروض التجارة من حيث انه ابتغى من ورائها الثمرة فالحقنا بعروض التجارة من حيث النصاب والمقدار الذي يجب اخراجه والحقنا بالارض الزراعية

ومن المعلوم ان الحكمة من الزكاة مساعدة المحتاجين وغير معقول الا تكون زكاة في حلى بلغت قيمتها آلاف الجنيها وفي خمسين كيلة من الشعير مثلا العشر أو نصف العشر ان الامر الذي نرتضيه هو ان ما زاد عن زينة المرأة ففيه الزكاة ويختلف ذلك باختلاف منازل الناس اما الفقير الذي استخرج من الارض خمسين كيلة فعليه الزكاة وان كان هو محتاجا الى هذه الحبوب وتخريج ذلك وتوجيهه هو ان الفقير مستثمر ولا بد من اداعضرية هذا الاستثمار وكونه محتاجا يلزم غيره ممن هم اغنى منه سدد حاجاته فما احسن هذا التعاون والترايط المصلحي . فاذا قلنا بانه لا زكاة على هذا الذي يحتاج الى الحبوب التي يخرجها فقد عزلناه عن مجتمع يستثمر فيه بجده واخيرا نقرر ان الزكاة مناصفة بين المالك والمستأجر وليس على أحدهما فقط .

والله اعلم بأسرار شريعته

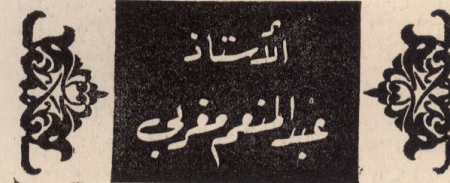
في الإسلام



من حب وإيناس ومودة لقد كان من أول منازل من الوحي في مكة ترغيب الناس في فك الرقاب العانية وتحرير النفوس الأسيرة وأطعام البطون الخاوية وإيواء اليتيم المستوحش ، واعتبار ذلك كله قرين الإيمان بالله الواحد ، قال تعالى مبينا أن دون الجنة عقبة يجب اجتيازها « فلا اقتحم العقبة وما أدراك ما العقبة فك رقبة ، أو أطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة أو مسكينا ذا مقربة ثم كان من الذين آمنوا ، وتواصوا بالصبر وتواصوا بالرحمة . أولئك أصحاب الميمنة » أي أن الجامعين لهذه الخصال الرقيقة هم أهل القبول والرضا . . . وقد أمر الإسلام بالترحم العام ، وجعله دالة الإيمان الكامل واليقين الصادق فالمسلم يلقي الناس كلهم وفي قلبه عطف كامن وبر خالص يجتهد في تخفيف آلامهم وتخفيف دموعهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لن تؤمنوا حتى ترحموا ، قالوا : يا رسول الله كلنا رحيم » قال : انهما ليست رحمة أحدهم صاحبه ولكنها رحمة العامة » أي أن المرء قد يرحم قريبة أو صديقة ، وقد يسارع إلى إبداء عطفه على من يعرف . أما إذا تعلق الأمر بالغريب والأباعد من كان شيئا لا يعنيه ، وهذا ما يرفضه الإسلام . يجب أن يكون المسلم مبذول المعروف رقيق الفؤاد للناس قاطبة . يسارع إلى نجدة من يعرف ومن لا يعرف أجابة لمشاعر الرحمة التي أسسها الإيمان في نفسه . روى البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من لا يرحم الناس لا يرحمه الله » زاد في رواية « ومن لا يغفر لا يغفر له » وروى الطبراني عن رسول الله : صلى الله عليه وسلم .

من لطائف القرآن الكريم أن افتتحت سورة كلها بهذه الآية الكريمة « بسم الله الرحمن الرحيم ، ما عدا سورة براءة فقد اختار الله سبحانه وتعالى اسمين جليين من أسمائه الحسنين يرمان إلى الصفة الأولى في علاقته — جل شأنه — بعباده ، وفضله عليهم ، وبره بهم . . . إنها صفة الرحمة التي سرت في أرجاء الوجود لم تدع منه شيئا كما أن العلم الإلهي أحاط بكل شيء فلم تغب عنه ذرة . . . ولذلك جاء في دعاء الملائكة حملة العرش ومن حوله « ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فأغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ! » والرحمة المطلقة شارة الكمال المطلق ، وعلى قدر حظ الإنسان من هذا الوصف الجميل تكون عظيمته ، ومن هنا كان الأنبياء أرحم الناس ، وكان خاتم الأنبياء محمد صلوات الله عليه أوفرهم نصيبا من هذا الخلق العالي . قال تعالى : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم » ولا شك أن رحمته الغامرة هي التي جعلته يتألف طباعهم ويقرب بعيدهم وسلس قيادهم ، ولولا بشاشته التي لا تنطفئ ورقته التي لا تغيض ما استطاع أن يؤلف هذه الجموع « فيما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من حولك . . . » فلا عجب إذا كانت رسالته رحمة للعالمين ، وكانت تعاليم هذه الرسالة ينبوعا جياشيا بكل ما تحتاج إليه الإنسانية

« من لا يرحم من في الأرض ، لا يرحمه من في السماء » وعن الطبراني كذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « طوبى لمن تواضع في غير مقتضاه ، ودل في نفسه من غير مسألة ، وانفق مالا جمعه في غير معصية ، ورحم أهل الذلّة



والمسكنة ، وخالف أهل الفقه والحكمة » ومعنى ذلك من غير مسألة أنه لان وخفض جناحه لغيره دون ما حاجة الى أحد تدعوه للانكسار ، وقد أوصى القرآن الكريم بجهور المؤمنين أن يكون بعضهم ذلولا هينا أما مع الإعداء فينبغي اظهار الشدة والصرامة ، وهذا معنى قوله تعالى **« اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين »** ومعنى قوله : **« أشداء على الكفار رحماء بينهم »** .

ومن الطبيعي أن توجد طوائف من الناس أحوج الى الرحمة والرعاية من غيرها ، من هؤلاء اليتامى ، فان الإحسان اليهم والبر بهم وكفالة عيشتهم وصيانة مستقبلهم من أركى القربات وأشرف العبادات ، ومما يلفت النظر أن الله جل شأنه فى كتابه العزيز جعل علامة الكفر والتكذيب القسوة على اليتيم وزجره **« أرأيت الذى يكذب بالدين ، فذلك الذى يدع اليتيم . ولا يحض على طعام المسكين »** والاقتراب من اليتامى وسيلة جميلة لترويق القلب وتهذيب الطباع فقد قال الإمام أحمد فى مسنده **« ان رجلا شكنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قسوة قلبه ! فقال له : امسح رأس اليتيم وأطعم المسكين »** وفى رواية **« ان رجلا جاءه يشكو قسوة قلبه فقال له : أحب أن يلين قلبك وتذكر حاجتك . ارحم اليتيم وامسح رأسه وأطعمه من طعامك . يلن قلبك وتذكر حاجتك »** وذلك أن القلب يتبدل فى البنيات التى تصبغ بالمرح الدائم . وتصبح وتمسى غريقة فى المتع واللذات ، وتجلجلى عنه هذه الغشاوة عندها يحك بالالام والمآسى . وممن تجب الرحمة بهم المرضى وأصحاب العاهات . فان أولئك المصابين يستقبلون الحياة بوسائل منقوصة ، ومشاعر مجروحة ، وهم يؤملون أن يلقوا من غيرهم معاملة أرق ومسالك أنبل وأزكى وقد جاء فى الحديث القدسى أن الله انما يتقبل الصلاة ممن رحم الأرملة والمسكين ورحم المصاب . وفى القرآن الكريم **« ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج . ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار »** ومن يتول يعذبه عذابا ليلما .

ومن مواطن الرحمة أن يحسن الانسان معاملة الأشخاص الذين يخدمونه ، وأن يرفق بهم حين يلكفهم عملا ، والاسلام يدعو الى إثارة السماحة معهم والى التجاوز عن هفواتهم . ويكره أن يشعر أى انسان قوى بسطوة القوة فى يده وحالته فيدعوه ذلك الى العنف والتجبر . فان الله اذا أمكن احدا فى الدنيا وبسط له المال والجاه وقلده السلطان والرياسة يوشك أن يسلبه ذلك كله اذا ما هو أساء واستبد . روى الإمام مسلم فى صحيحه عن أبى مسعود البدرى قال : كنت أضرب علما لى بالسوط ، فسمعت صوتا من خلفى : اعلم أبا

□ ٦٠ □

مسيود !! فلم أفهم الصوت من الغضب ، فلما دنا منى اذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واذا هو يقول : **« أعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام »** !! فقلت يا رسول الله هو حر لوجه الله تعالى فقال : **« أيا انك لو لم تفعل للفتحك النار »** !! وروى أبو داود فى سننه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : **« حسن الملكة - أى التملك - ثماء ، وسوء الخلق شؤم »** والمعنى أن من ملك شيئا فاحسن التصرف فيه كان ذلك طريق زيادته وبركة الله فيه ، وأن من ساء خلقه فيها يملك عرض غناه للزوال وقدرته للعجز وفى الحديث أن رجلا جاء النبى صلوات الله عليه يسأله : كم اعفوا عن الخادم فقال له : كل يوم سبعين مرة!! والغرض من ذلك تدريب السادة على الإحسان والتجاوز ، ولا يطيعوا غرائز الغضب اذا عصفت بهم ، والعدد فى الحديث وفى غيره لا مفهوم له ، والمراد ترجيح الصفح والرحمة باستمرار ، فذلك خلائق أهل الايمان .

ومن مجالات الرحمة الرفق بالحيوان ، وقد وردت فى ذلك أحاديث كثيرة تشير الى أن الانسان قد يفقد مستقبله الأبدى بسبب قسوة قلبه مع دابة عجماء ، وقد يكسب المغفرة الشاملة بسبب رحمته بحيوان تافه . روى البخارى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : **« دخلت امرأة النار فى هرة ربطتها فلم تطعمها ، ولم تدعها تاكل من خثاش الأرض »** .

روى مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **« بينما رجل يمشى بطريق أشد عليه العطش ، فوجد بئرا فنزل فيها : فشرب ثم خرج ، واذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى كان بلغ منى فنزل البئر فملا خفه ماء ، ثم أمسكه بفيه ، حتى رقى فسقى الكلب ، فشكر الله تعالى فغفر له ... !! قالوا : يا رسول الله وان لنا فى البهائم لأجرا ؟ قال : « فى كل كبد رطبة أجر »** وفى رواية ان امرأة بغيا رأت كلبا فى يوم حار يطيف ببئر ، وادلع لسانه من العطش فنزعت له خفها - فسقته به - فغفر لها به !!

لئن كانت الرحمة بكلب تغفر ذنوب البغايا فان الرحمة بالبشر تصنع العجائب ... !!

ساعات في حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم



أرضنا محمد رباب

آل النجار مع كل الانتصار لاستقباله بالدقوف
والاناشيد .. كانت هوائف المكان تعزف في سمي
أول النشيد .. نشيد العدل والحق والمساواة في
هذا العالم ..

هنا سجل الانتصار لأول مرة ان المال والدار
والنار ليست احتكارا لبعض الناس .. وانما هي
ملك لكل الناس .. ولم يكن ما سجلوه كلاما نظريا
بل كان اعلانا عمليا بمشاركة المهاجرين لهم فيما
يملكون من أرض المدينة والتجارة والأسواق
والمتاع ..

وهنا وزع الرسول - لأول مرة - الزرع
والأراضي بالكفاية والعدل .. ارساء لمبدأ الاسلام
ونظرتة الى المجتمع كوحدة عضوية متكاملة ترفض
تكثيف التخم في ناحية والحاجة في ناحية أخرى .
وكما أرسى الرسول مبدأ العدل .. أرسى هنا
كذلك مبدأ الوحدة الوطنية .. أخى بين الأوس
والخزرج وقضى على ما كان بينهم من حروب أهلية
يقتل فيها العربي أخاه العربي ويظلمه ويستغله
وينهبه .. وأخى أيضا بين المهاجرين والأوس
والخزرج .. وخرج من ذلك بجهة متحدة قوية
استطاعت ان تكون معقل الاسلام وقلعته الحصينة
ومشعله الذي يشع النور في كل الآفاق

بعد ذلك .. بعد بناء قاعدة العدل والوحدة ..
خرج الرسول لمواجهة العدوان وكسر شوكتة ..
ومن هنا من المدينة وبعد سنتين فقط .. انطلقت
القوة الاسلامية بقيادة رسول الله الى خمس معارك

□ ٦١ □

اعترف .. وأرجو أن يعترف معي الآخرون ..
بأنه لا يمكن لقلم ولا لسان ولا عقل ولا وجدان
- مهما أوتي من القدرة والصفاء - أن يوفى أيام
المدينة المنورة بعض حقها من التذكار والاعتبار ..
حسب الزائرين منها بعض خواطر أو مشاعر ..
بعض تأملات أو انطباعات .. كل بقدر ما يتحمل
وعلى قدر ما يطيق

كانت أيامنا الثلاثة بالمدينة حشدا زائرا بعدد
من عطاءات الفكر والروح .. ومهما حاول الإنسان
أن يعبر عن بعض هذا العطاء .. فإن أكثره وانضره
يستعصى على التعبير .. وكل المعاني العظيمة
دائما تشق مسارها وتحدث تأثيرها في صمت وبلا
ضجيج .

واحد من هذه المعاني كان يكمن في الهجرة النبوية
الشريفة الى المدينة .. والهجرة لم تكن هروبا من
مكة كما حلا لبعض الغربيين والمستشرقين ان يلقبوا
صاحبها العظيم « بالنبي الهارب » .. وانما كانت
موقفا مبدئيا شجاعا صادقا استطاع ان يؤثر
ويغير .. وأن يحول ويبدل .. ان يجعل من
المستضعفين في الأرض أئمة هذه الأرض .. أن
يبني ويشرع ويؤسس ويفتح .

نشيد للعدل والوحدة

عند مسجد بنات النجار بالمدينة .. نفس المكان
الذي كان على بابها سنة ٦٢٢ ميلادية عندما دخلها
الرسول صلى الله عليه وسلم وخرجت منه بنات

وحروب استمرت سنت ستوات من بذر الى خن
.. وانتهت بانتصار قوة الحق والعدل وهزيمة قوى
الشرك والعوان

هل يستطيع « الهاربون » - يامدنة الافك -
أن يصنعوا ما صنعه رسول الاسلام والذين معه..
أن يبنوا ما بنوا ويؤسوا ما أسسوا ؟!

.....

أعداء الإنسان والتاريخ

معنى آخر من المعاني المثارة فى نفس من يزور
المدينة .. حول موقف اليهود !

ان بعض القادة الصهيونية لايتورعون اليوم عن
الاعلان بأن مخططهم القوسى يشمل فى المستقبل
احتلال المدينة وكأنها أرض ميعاد أخرى !
والحقيقة التاريخية تقول : ان اليهود لم يكونوا
فى أى يوم من الأيام أصحاب وطن فى المدينة ..
وانما كانوا بضعة نفر من بنى اسرائيل حجوا مع
موسى عليه السلام .. ثم تخلفت منهم طائفة بعد
الحج وبقيت بالمدينة فى موضع سوق تينقاع ..
ويقول التاريخ فى رواية أخرى لا تختلف فى
المضمون .. ان يختصر عندما شرد اليهود خرج
بعضهم يبحث بين الشام واليمن عن بلد كانوا
يجدون وصفه فى التوراة بأنه ذو نخل وماء وأن
خاتم النبئين سيظهر فيه .. وظلوا يبحثون حتى
وجدوا هذا الوصف فى يثرب .. فنزلت فيها طائفة
من يهود بنى هارون ممن حملوا التوراه وماتوا
بالمدينة على ايانهم بنو محمد صلى الله عليه
وسلم .. وأوصوا أبناءهم باتباعه والايان به عند
ظهوره .. ولكن من أدرك منهم ظهوره كفر به ..
بل تأمر عليه وعلى دينه .

ولقد أبرم الرسول معهم عهدا اقهرهم فيه على
حرية دينهم وأموالهم ولكنهم خانوا العهد ونالوا جزاء
الخيانة .. مثلما نالوه فى كل بلد من بلاد العالم
آواهم فعاتوا فيه شرا وفسادا .. ومثلما ينالونه
بأذن الله قريبا فى أرض الرسالات والاديان .

.....

فى مسجد الرسول

هانحن مع أول فجر لنا فى المدينة .. وها نحن
فى مثل خفة القطا نحث الخطى الى مسجد الرسول
.. وها هو الحرم النبوى المقدس أمامنا هالة
عظيمة من نور يسبح الألوف فى وهجها وكانهم
ذرات من غبار على نداء واحد :

« اللهم هذا حرم نبيك ، فاجعله وقاية لنا من
النار ، وأمانا من العذاب وسوء الحساب »

ضخم وواسع وعظيم مبنى مسجد رسول الله
.. ولكن الأضخم والأوسع والاعظم هو ما يحتويه

□ ٦٢ □

المبنى من جسد الرسول وتراث الرسول وصاحبيه
أبى بكر وعمر .

كانت مساحة المسجد على عهد الرسول ٢٤٧٥
مترا مربعا .. وقد بناه الرسول مرتين ووضع
أساسه بنفسه من الحجارة وجعل جدرانه من اللبن
وأعمدته وسقفه من جذوع النخل .. ثم أخذ المسجد
على امتداد التاريخ الاسلامى يكبر ويتسع ..
زاد عمر بن الخطاب على مساحته ١١٠٠ متر مربع
.. وزاد عثمان بن عفان ٤٩٦ مترا مربعا .. وزاد
الوليد بن عبد الملك ٢٣٦٩ مترا مربعا .. والمهدى
ابن المنصور ٢٤٥٠ مترا .. والملك الأشرف قايتباى
١٢٠ مترا .. والسلطان العثمانى عبد الجيد الثانى
١٢٩٣ مترا .. ثم أضافت الحكومة السعودية فى
مشروع التوسعة أكبر زيادة عمرانية على المسجد
النبوى فى كل تاريخه .. فقد زادت على مساحته
٦٠٢٤ مترا مربعا وأصبحت مساحة المسجد حاليا
١٦٣٢٦ مترا مربعا .. وأصبح فيه ٢٣٢ عمودا
أقيمت داخل الأروقة .. ومئذنتان جديدتان ارتفاع
كل منهما ٧٠ مترا .. وأصبح البناء الحديث فى
المسجد يتكون من ثلاثة جوانب تضم ٤٤ نافذة .

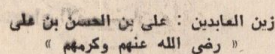
نحاول أن ندخل المسجد النبوى المنور ولا نجدى
المحاولة .. صلينا الفجر جماعة فى أحد الشوارع
المحيطة بالحرم مع الوف غيرنا لم نجدوا مكانا داخل
المسجد .. وهكذا فى كل صلاة .. الميدان والشوارع
والطرق المجاورة غاصة بالحجيج وبالركع السجود
بعد الصلاة كررنا المحاولة

كتب الفقه تقول انه يستحب لمن يدخل المسجد
النبوى الشريف - وكل مسجد - أن يقدم رجله
اليمنى ويقول :

« باسم الله والصلاة والسلام على رسول الله ،
أعوذ بالله العظيم ، وبوجهه الكريم ، وسلطانه القديم
من الشيطان الرجيم ، اللهم افتح لى أبواب رحمتك »

ثم يقصد الداخل الى الروضة النبوية الشريفة ..
فيصلى فيها ركعتين لله تحية للمسجد ويدعو الله
فيها بما يحب ولن يحب .. وبعد الصلاة يتوجه
الى قبر الرسول صلى الله عليه وسلم ويقف عند
رأسه الشريف ويسلم عليه .. ثم يتحول قدر ذراع
حتى يحاذى رأس أبى بكر الصديق رضى الله عنه
ويسلم عليه .. ويتحول قدر ذراع آخر حتى يحاذى
قبر عمر رضى الله عنه ويسلم عليه .. ثم يستقبل
القبلة بالدعاء

وهكذا يقول الفقهاء بالنسبة لزيارة الحرم النبوى
الشريف .. ولكن طوفانا بشريا على الامواج لايتيح



روى عن الأصمعي : بينما أنا أطوف بالبیت ذات ليلة
اذ رأيت شابا متعلقا بأستار الكعبة ، وهو يقول :

يا من جيب دعا المضطرب في الظلم
يا كاشف الضر والبلى مع السقم
تد نام وفدك حول اليأس وانهبوا
واتت يا حي يا قيوم لم تتم
ادعوك ربى حزينا هائبا قلنا
فارهم بكائي بحق الله والهمزم
ان كان جودك لا يبروه ذو البسفة
فمن يجود على العاصمين بالكرم ؟
ثم بكى بكاء شديدا ، وانشد يقول :
الا انبها المقصود في كل حاحة
شكوت اليك الضر فارهم شكاياتي
الا يا رحماني انت تكشف كربتي
فهب لي ذنوبي كلها واقرض حاجتي
انتد باعمال قباح رديئة
وما في الوري عين جنى كجنائتي
اتحرقني بالنار يا غياة الهمي
فاين رحماني ؟ ثم اتي مخافتى ؟

ثم سقط على الأرض مغشيا عليه فدنوت منه فإذا هو
 فرقت العاردين : على بن الحسين بن علي بن أبي طالب .
 فزعمت رأسه في حجرى وبكيت فقطرت دمعاً من دموعى
 على خده ففتح عينيه وقال : من هذا الذى يهجم علينا ؟
 قلت : ألا صهيى ، سيدي ما هذا البكاء والجزع وانت من
 أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ؟ ليس الله تعالى
 يقول : إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت
 وطهركم تطهيراً ؟ فقال : ذهبت هيهات ، يا أصمى
 إن الله خلق الجنة وأطاعه ولو كان عبداً حبسياً وخلقى
 فى أول عصاه ولو كان حراً فكريها ، ليس الله تعالى
 يقول : إنما فاضخ في الصور لاء أنساب بينهم يومئذ
 ولا ينسابون ، فمن نطقت موازينه فأولئك هم المطهون ،
 ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم فى جهنم
 خالدون .



حشرت نفسي داخل المسجد مع بزوغ أول شعاع الشمس .. أحاول أن أصل إلى الروضة الشريفة ولكن مجرد رؤيتها من بعيد جعلني أتسمر في مكاني لا أجروء على التقدم خطوة .. على أحد أعمدة المسجد استند وأروح في دوامة من الخفق والذوب والدموع! أتحدى جلاييد الصخر أن يأتوا إلى هنا ولا يذوبون .. سوف يشعرون هنا أنهم فوق المادة والعلم والعقل .. أنهم خلاصة حب وأمانيات .. معسرزة أفرح وأغنيات .. أنهم في محفل الهي مهيب تحفهم الملائكة ويسلم عليهم ويستغفر لهم النبي

ليس صاحب هذه الروضة هو القائل في حديثه
الصحيح :

« ما من أحد يسلم على إلا رد الله على روحه حتى ارد عليه السلام » ؟

جدير بنا أن نسوق في هذا المقام تلك القصة
حكى صاحب كتاب « الشامل » عن العتبي

كنت جالسا عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم
فجاء أعرابي فقال : السلام عليك يا رسول الله ..
سمعت الله يقول « ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم
جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول
لوجدوا الله توابا رحيما » .. وقد جئتكم مستغفرا
لذنبى مستشفعا بك الى ربى
ثم انشأ يقول :

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه

فطاب من طيبهن القاع والاکم
نفسی الفداء لقبر أنت ساکنه

فيه العفاف وفيه الجود والكرم
يقول العتبي : ثم انصرف الأعرابي ، ففلبتني
عيني ، فرايت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم ،
فقال :

« يا عتبي .. الحق الاعرابي فبشره أن الله قد غفر له »

• • • • •

• • • • •

.. مبسرلاً فى مشاعرى تلك الوضيئة .. واصلت
حتى وصلت الروضة .. وتوجهت الى القبر الشريف
.. وسلمت ودعوت وخرجت .. وأشهد الله اننى
ما دريت حتى الآن كيف .. وأين .. وماذا ؟!
لقد دخلت فى محيط لا أعرف له مدى ولا منتهى
.. حتى كانت لى ليلة العمر كله ..

من أصول السنة

خبر الواحد والقياس

وعلاقة ذلك بأقسام
الرواة من الصحابة

ركتبه محمد سعد جلال

— ٣ —

قد بان لك من العرض السابق لتشخيص المسألة المتنازع فيها وذكر أدلة الأطراف المتنازعة : أن ماذهب إليه الإمام « مالك » في الحكم عنه من تقديم القياس على خبر الواحد مطلقا ، وما جزم به « عيسى ابن إبان » « وأبو زيد الدبوسي » من فقهاء الحنفية ، ومن تابعهم من متأخريهم ، من الاعتداد بفتاوة الراوى شرطا لتقديم خبر الواحد على القياس — إذا خالف جميع الاقيسة — انما هو مذهب مرجوح ، لا يجوز بناء الاحكام عليه ، وانما المذهب الراجح في هذا الخلاف — انما هو القول بتقديم خبر الواحد مطلقا — اذا صحت روايته عن العدل الضابط — على القياس مطلقا ، عند مناظرته له — سواء خالف قياسا واحدا أو خالف جميع الاقيسة ، وسواء كان الراوى فقيها مقدما في الاجتهاد ، والفتيا أو لم يكن كذلك ، وهو — كما اثبتنا — مذهب « احمد بن حنبل » ، واحد الثقلين عن الشافعى ، ورأى « الكرخى » من شيوخ الحنفية ، ومذهب عامة الفقهاء والمحدثين .

ولكن يبدو لى أن المذهب المرجوح فى هذه المسألة ليس من الضعف بالمقدار الذى يصوره كثرة

□ ٦٤ □

المخالفين له ، وكثرة أدلتهم — وشدة اهتمام بعض الكاتنين بتزويه الأئمة عن القول به : فان لهذا المذهب غورا تكشف لك الغطاء عنه :

أعلم انه لا قياس الا على أصل من نص ، أو إجماع والنص : « كتاب » أو « سنة » ولا « إجماع » الا بسند من « الكتاب » ، أو « السنة » أو اعتبار المصلحة الراجعة لواحد منهما : ثم ان السنة كلها ، بكل حذاويرها — حكما ، حكما ، راجعة الى « الكتاب » : « فالسنة » لا تستقل بحكم لا يوجد اصله فى « الكتاب » — وهو الراى الذى رجحه الامام « الشاطبى » فى « الموافقات » ، وتابعناه عليه واشتناه فى موضعه من كتابنا [السنة وعملها فى اثبات الاحكام الشرعية] .

واذن فمرد القياس الحقيقى الذى يبنى عليه انما هو « الكتاب » : فلو افترضنا ، ان مسألة شرعية غير منصوصة الحكم ، ولم يثبت فى بيان حكمها إجماع أعمل فيها القياس ، واختلفت فيها اقيسة الفقهاء حتى استوعبوا جميع ما يحتل من الاقيسة الخاصه باستخراج حكمها — وكل ذلك مرده للقرآن كما قلنا : فكانهم استوعبوا جميع ما يحتل من أدلة القرآن لحكم هذه المسألة — وليس بعد هذا الاستيعاب من دليل يمكن به اثبات حكم المسألة — الا ان يكون دليلا معارضا لأدلة القرآن .

فلو افترضنا العثور على حديث يثبت لتلك المسألة حكما مخالفا لجميع الاقيسة — لكان هذا الحديث معارضا فى المعنى — لأدلة القرآن : وبما انه — كما هو القرض — من قبيل خبر الواحد فلا يمتنع القول بتركه باعتباره دليلا أضعف ، وقد انعقد الإجماع على انه لا يجوز العمل بالدليل الضعيف مع وجود الدليل الأقوى منه .

نعم ان المعارضة المصطلح عليها بين القرآن — وخبر الواحد ، انما هى المعارضة بين نص القرآن القطعى ، وخبر الواحد ، لانه ظنى :

ولسنا نقول فى كلامنا — أن ماذكرناه هو عين المعارضة المصطلح عليها بل انه تضاد بين جملة معانى نصوص القرآن وبين خبر الواحد يجرى مجرى التعارض ، ويأخذ مثل حكمة .

ويؤكد هذا المعنى القول الصحيح عند عامة أهل العلم : وهو أن النص — أو بالاحرى النص القرآنى محيط بالدلالة على احكام جميع الحوادث ، وذلك عن طريق ضبطها فى أنواع ، وهو يضع لكل نوع حكما يكون شاملا لأفراد هذا النوع مهما تكاثرت أو قبل انها غير متناهية ، مثل قوله « كل مسكر حرام » فدخل فى حكمه جميع انواع المسكرات مهما اختلفت وتكاثرت هذه الأنواع ، ولما كان النص القرآنى محيطا بالدلالة على احكام جميع الحوادث التى تقع فى الوجود — الا ان من هذه الحوادث ما يخفى فيه دلالة

ابن أبان « وأبو زيد الدبوسي » وتابعهم عليه كثير من المتأخرين منهم كالإمام « البزدوى » .

وذهب اليه كذلك « أبو بكر بن الفرج القاضي »
« وأبو بكر الأبهري » من شيوخ المالكية [١] -
وهو الراى الذى اضطرب فى قوله غير واحد من
أئمة الحنفية وغيرهم - « كآبى الحسن الكرخى »
لأنهم - فيما نقدر - لم يسبروا غوره .

١١ - القسم الثانى - حكم رواية المجهول :
تكلمنا عن حكم رواية « المعروف » من الصحابة
خبرا يعارض القياس بما أمكن من البسط : وتكلم
الآن عن حكم رواية « المجهول » منهم خبرا فى هذا
الوضع ، ونحدر أولا مسمى المجهول من رواية
الصحابة .

يبين « البزدوى » صفة المجهول من رواية الصحابة
بقوله : « وأما المجهول فأنما أعنى به المجهول فى
رواية الحديث بأن لم يعرف إلا بحديث أو بحديثين :
وهذا القول معناه أن الراوى لحديث أو حديثين عن
النبي - صلى الله عليه وسلم - ولو فى لقاء عابرة
له يعد صحابيا ، وإن لم يعرف عدالته ولا ضبطه -
وهو رأى لم يوافقه عليه غيره من شيوخ المذهب :
وتأول له شارحه « عبد العزيز البخارى » .

أما أنهم لم يوافقوه على ذلك : فلما قدمنا فى
البحث عن حقيقة مسمى الصحابى فى عرف
الاصوليين : أنه من صحب النبي مدة على جهة التتبع
له ، والاخذ منه ، الى آخر ما عرفت فى ذلك المبحث :
فهذا الشخص الذى لم تعرف ذاته إلا برواية حديث
أو حديثين ، لا يعد صحابيا وهو بذلك لا تعرف
عدالته ولا ضبطه ، ولذلك عرفة شمس الأئمة
« السرخسى » بقوله ، « وأما تعنى بهذا اللفظ من لم
يشتهر بطول الصحبة مع الرسول - صلى الله عليه وسلم -
ويستمر بها روى من حديث أو حديثين
وأما التأويل لتصحيح كلام الإمام « البزدوى »
المذكور آنفا - فذلك ما قاله شارحه - البخارى -
وأما فسر الشيخ « المجهول » ، بقوله : « تعنى به
المجهول فى رواية الحديث ، لأنه قد يراد بهذا اللفظ
مجهول النسب ، وتلك الجهالة مانعة من القبول
عند البعض وإن لم تكن مانعة عند عامة الاصوليين
وأهل الحديث ، فكانت احتسرا به عنها ، فالراوى
المجهول من قسم الصحابة أذن هو من لم يشتهر
بطول الصحبة للرسول - صلى الله عليه وسلم -
ولم تعرف عدالته ولا ضبطه ، ولم تعرف ذاته إلا
برواية حديث أو حديثين :

١٢ - حكم رواية المجهول بين آراء الحنفية
والشافعية .

رفض الشافعية رواية الصحابى المجهول بالحد
الذى ذكرناه ، قالوا : لأن عمر وعلياً - رضى الله
عنهما - ردا حديث الراوى المجهول : فرد عمر

النص على الفقيه دلالة صريحة ، فنتجبت « القياس »
دليلا لأظهار حكم النص فى الحادثة التى استغلق
بيان النص فيها : فكان « القياس » - على ما قالوا
« مظهرا » للأحكام الشرعية غير المنصوصة فى
الحوادث الطارئة ، لا مثمنا لهذه الأحكام ، ولا زائدا
على النص ببيان حكم حادثة لم يكن النص مضمنا له -
غاية ما فى الأمر أن بعض الأقيسة يكون خطأ فلا
يصيب بيان الحكم الممتد من القرآن للحادثة وبعضها
يكون صوابا فيظهر هذا الحكم حقيقة فاذا افترضنا
اجتماع جميع الأقيسة على اظهار حكم النص فى
حادثة غير معلومة الحكم كان لابد أن يظهر حكم
النص حقيقة بواحد منها ، وإذا افترضنا ثانيا -
أن خبر الواحد غير الفقيه مصادمة لجميع أحكام
هذه الأقيسة كان لابد مصادا لحكم القرآن فيكون
مرجوحا به . حتى ولو افترضنا جدلا أن خبر الواحد
الفقيه نزل هذه المنزلة . وخالف جميع « الأقيسة »
لكان - فى نظرى - مرجوحا بها كخبر غير الفقيه .

لكننا نستطيع أن نفترض مخالفة خبر الواحد غير
الفقيه لجميع « الأقيسة » مصبرا منا الى أن ثبوت
عدم فقاوته ثغرة نتصور عندهما وجه احتمال
المخالفة بين الخبر ، وبين حكم عامة الأقيسة ، فى
الحادثة التى يتوارد عليها خبر الواحد ، والقياس ،
على تأويل أن الراوى غير الفقيه . ربما روى الحديث
بالمعنى فقصم لفظه عن لفظ رسول الله فى اظهار
بعض المعانى الشرعية له التى لا تدرك إلا بملكة
فقهاء :

ولا نستطيع أن نفترض احتمال مثل هذه المخالفة
فى خبر الواحد الذى يرويه العدل ، الضابط الفقيه
لجميع الأقيسة ، لانعدام شبهة عدم الفقاوة فى حقة .
وأما قول « ابن القيم » أن خبر الواحد المروى
عن غير فقيه - إذا خالف جميع الأقيسة ، فإنه يثبت
أصلا جديدا يعمل به ولا يتعطل العمل به لأن أصول
الشريعة لا يجوز أن يضرب بعضها ببعض - فيجب
العمل بجميعها . فهو استدلال لم يلتق مع غور
المسألة . لأننا مسلمون بأن أصول الشريعة يمتنع
ضرب بعضها ببعض . لكننا نقول أن مروى غير
الفقيه - إذا خالف جميع الأقيسة المستوعبة
لاحتمالات دلالة حكم الحادثة فى القرآن - بعد أن
بيننا استيعاب نصوصه لأحكام جميع الحوادث -
يمثل حينئذ أصلا اجنبيا عن أصول الشرع ، مفتاتا
عليها فيتعين رفض العمل به .

أما بعد : فنحن نرجح القول بناء على ما تقدم بأن
خبر الواحد غير الفقيه - إذا خالف جميع الأقيسة
- كان ذلك قدحا فيه يقتضى رده ورجحان العمل
بالقياس عليه : غير متأثرين فى ذلك بالصخب الذى
يثيره « ابن القيم » والحنابلة وأهل الحديث فى رفض
هذا الراى الذى قرره شيوخ الحنفية « كعميسى

هذه اثنا يدل على أننا نقترنا لرواية حديث رسول الله - ثبوت العدالة المحققة - بقدر ما تتسع لذلك الشواهد - لا العدالة الظنونة التي نزل الظن بها عن مرتبة استنفاد كل الدلائل المرجحة لثبوتها على نفيها .

وأما حديث الاعرابي ، فقد اجاب الشافعية فيه على الحنفية بأن عدم فحص النبي عن عدالة الاعرابي معرفة النبي لثبوتها عنده بالوحي ، أو الخبرة . وقد رد الحنفية هذا الجواب : بأنه لو كان الامر كذلك . . لما سأل النبي الاعرابي عن اسلامه - ولعلم اسلامه بالوحي ، أو خبره - كما علم عدالته بذلك .

وهذا الرد - أيضا - من الحنفية ليس بالقوى فنتخار الافتراض بأن النبي - عليه السلام - لم يكن يعلم اسلام الاعرابي لانه لم يكن أوحى اليه بعلم اسلامه - وهو لا يعلم الا ما يوحى اليه عليه . فاستخبره عن اسلامه - فلما شهد على نفسه بالاسلام - تجلى النبي اثناء ذلك من قرائن حاله ، ما أقنعه بعدالته فلم يتفحص عنها ، واكتفى بما وقر في صدره من الالهام بعدالته ، ومعلوم ان الهام الاتياء حق معمول به ، ومثل هذا يحصل في العادة أن يكون ذكر احد شيئين غير معلومين علامة - بقرينة الحال - على علم الشيء الآخر ، كالطالب الذي يخبرك بأنه حصل على الدرجة النهائية في الامتحان في علم اصول الفقه - فتعلم انه ناجح في الفقه - لانهما علمان متلازمان ، ومملكة التفوق في احدهما تتضح آثارها على تحصيل المتفوق - في العلم الآخر .

نعم : قد يقع الغلط بالنسبة اليها في فهم دلالة القرائن الحالية ، لكن ذلك بالنسبة لفتنة النبي ، وشفافية حدسه ، فرض ممقن . واذن فعدم اعتبار رواية الراوي المجهول العدالة والضبط الذي لم يشتهر بطول الصحبة للنبي - عليه السلام - مما يظهر فيه رجحان مذهب الشافعية على الحنفية - كما نكرر القول بذلك .

١٤ - أقسام الرواة المجهولين :

تقسم أحوال الرواة المجهولين ، وأحكام روايتهم على خمسة أقسام ونعني بهم - كما بينا - من يعرف الواحد منهم برواية حديث ، أو حديثين - وذلك مثل «وابصة بن معبد» [١] «وسليمة بن المحبق» [٢] ، «ومعقل بن سنان» [٣] «ومعقل بن يسار» [٤] ، ٥ ، ٤]

حديث «فاطمة بنت قيس» ورد على حديث معقل بن سنان الاشجعي ، ولم ينكر عليهم غيرهم من الصحابة فعلهم - ولو كان خطأ لانكروه لانهم لا يقرون على خطأ فكان ذلك منهم بمنزلة الاجماع على رده :

وهذه الحنفية الى قبول خبر المجهول من القرون الثلاثة - لان العدالة كانت أصلا في ذلك الزمان بخبر النبي - صلى الله عليه وسلم - «خير القرون قرني الذي انا فيهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم» : ولان النبي - عليه السلام - قبل شهادة «الاعرابي» على رؤية الهلال من غير تفحص عن عدالته ، وانما تفحص عن اسلامه : قال له : «أتشهد ان لا اله الا الله : قال نعم قال : أتشهد ان محمدا رسول الله قال : نعم : فأمر بلالا ان يؤذن في الناس بالصوم .

١٣ - اجتهدنا في المسألة : والذي يظهر لنا رجحان مذهب الشافعية على مذهب الحنفية في هذه المسألة ، وان استدلال الحنفية لمذهبهم ليس بالقوى : اما الحديث الاول فليس فيه ان العدالة في اهل القرون الثلاثة أصل نفسى لهم ، وانما فيه اثبات زيادة الخير في الناس - أي العمل بموجبات الدين في القرون الثلاثة على سائر القرون بعدها وهذا لا يقتضي أن يكون الأصل في قولهم وعملهم جميعا ، انما هو «العدالة» فيبين الامرين فرق - وقد عورض الحديث بحديث «أمي هذه كالمطر» لا يدرى أولها خير أم آخرها .

وقد وفقوا بين الحديثين ، بأن مجموع الاخبار في القرون الثلاثة أكثر مما في القرون الذين من بعدهم - وهذا لا ينافي وجود أفراد من اعيان الاخبار في كل عصور حياة الأمة المحمدية : فالحديث الاول محمول على المجموع - لا على الجميع : وذلك يمنع ان تكون العدالة أصلا في القرون الثلاثة - وانما هي غالبية فيهم فقط :

ولو سلمنا ان الحديث يثبت أصالة العدالة لاهل القرون الثلاثة الا ان الحديث خبر آحاد ، فلا يفيد الا ظنا ، فلا تثبت مدعى أصالة العدالة به الا ظنا ، فلا يمتنع تخلفها عندئذ في بعض غير متعين من الاحاد ، واحتمال تخلفها في بعض غير معين من الاحاد قاض بالتشكيك في عدالة الراوي المجهول لاحتمال تخلف العدالة فيه ، ورد روايته احتياطا لحديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لشدة خطر حمل الاخبار : ولا يوجب ذلك الحكم سلب خيريته

[١] وابصة بن معبد : هو وابصة بن معبد بن عبيد بن قيس نزل الكوفة ، ونحوها عنها الى الجزيرة وبهايات - لم اقف على تاريخ وفاته .

[٢] سليمة بن المحبق : بفتح الحاء ، وكسر الباء ، والمحدثون ينطقونه بفتح الباء ، واسم المحبق صخر بن البليد بن الحارث : ويقال : سليمة بن عمرو بن المحبق ، نسب الى جده - لم اقف على تاريخ موته .

[٥] اورندا في تعريف الراوي المجهول مثل عبارة «اليزدوي» - اختصارا ومطابقة للمثل به ممن ذكرنا اسماهم : وان كان المقصود لنا ضمنية المعنى الذي قرره الامام «السرقي» اليه : وهو الذي لم يشتهر بطول صحبته لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - كما عرفه ذلك في مصنف الكتاب .

[٣] ومعقل بن سنان : من اشجع ابن ريث بن غطفان . أبو محمد . ويقال أبو عبد الرحمن شهد فتح مكة مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سكن الكوفة وقتل يوم الحرة بالديعة صبرا سنة ٦٣ .

[٤] ومعقل بن يسار بن مزنبة مضر - وهو ممن بايع تحت الشجرة سكن البصرة مات في ولاية عبد الله بن زياد في آخر سني معاوية .

القسم الأول : ان يكون حديث الراوى المجهول
 مما رواه عنه الثقات وشهدوا له بصحته : فيكون
 حكمه حينئذ مثل حكم حديث الراوى المعروف بالعدالة
 والضبط ، والفقاهة من الصحابة فيجب العمل به ،
 ويقدم على القياس مطلقا ، لانهم كانوا اهل ضبط
 وتقوى ، ولم يعرف عنهم التقصير فى الاحتياط لامر
 الدين ، وقد ظهر منهم رد الحديث — اذا خالف
 القياس — فاذا قبلوا الحديث من المجهول ، وشهدوا
 له بصحته — كان ذلك دليلا على ثلاثة احتمالات
 صحيحة .

اما على ثبوت عدالة الراوى وحسن ضبطه عندهم
 غير متهمين فى الحكم له بذلك — لما علمت :
 واما — لانه موافق لما سمعوه من رسول الله —
 صلى الله عليه وسلم — .

واما — لانه موافق لرواية المشهورين من الصحابة
 — رضى الله عنهم :
 وهو بكل هذه الاحتمالات الصحيحة يتعين قبوله
 والعمل به ، وتقديسه على القياس [١] .

القسم الثانى : ان يكون حديث الراوى المجهول :
 مما رواه السلف ، وتناقلوه فيما بينهم — وسكتوا عن
 بيان قيمته ، فلم يشهدوا له بالصحة ، ولم يطعنوا
 فيه : فهذا الضرب مما قبله الحنفية — اذا وافق
 القياس — لانهم — الثقات — اذا سكتوا عنه ، ولم
 يطعنوا فيه — كان سكوتهم عنه بيانا لقبول صحته :
 لان السكوت عن البيان من اهل البيان فى موضع
 الحاجة الى البيان — بيان للحكم ، وحيث سكتوا عن
 الطعن فى الحديث كان ذلك اثباتا لصحته — لانهم
 لا يظن بهم التقصير فى الاحتياط لامر الدين :

القسم الثالث : ان ينقله الثقات ثم يختلفوا فى
 الحكم عليه : فيقبله بعضهم ، ويرده بعضهم : وهذا
 القسم يقبله الحنفية ويعملون به — اذا وافق القياس
 عندهم : خلافا للشافعى « ولم يعمل الشافعى —
 رحمه الله — بهذا القسم ، لانه خالف القياس عنده
 وعندنا هو حجه لانه وافق القياس عندنا ، وانما
 يترك اذا خالف القياس عندنا » [٢] : ومثلوا لهذا

القسم : بالحديث الذى رواه « معقل بن سنان
 ابي محمد الاشجعي فى قصة « بروع بنت واشق »
 الاشجعية : ان « هلال بن ابي مرة » مات عنها ولم
 يكن قد فرض لها مهرا ، ولا دخل بها ففرض لها
 رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بمثل مهر
 نساها [٣] فقبله ابن مسعود .

وذلك ان ابن مسعود — رضى الله عنه — سئل
 عن تزوج امرأة ، ولم يسم لها مهرا حتى مات عنها
 فلم يجب شهرا ، والسائل يتردد عليه ، ثم قال بعد
 شهر « اجتهد فيه برأى فان يك صوابا فمن الله ،
 وان يك خطأ فمن ابن « ام عبد » — يقصد نفسه —
 وفى رواية فمضى ومن الشيطان ، والله ورسوله منه
 بريان — ارى فيها مثل مهر نساها — لا وكس
 ولا شطط « فقام « معقل بن سنان الاشجعي » :
 « وابو الجراح » صاحب راية « الاشجعيين » :
 فقالا نشهد ان رسول الله — صلى الله عليه وسلم —
 قضى فى « بروع بنت واشق الاشجعية » من بنى
 « رؤاس بن كلاب » بمثل قضائك هذا ، وقد كان
 هلال بن مرة مات عنها من غير فرض مهر ودخول :
 فسر ابن مسعود — رضى الله عنه بذلك — سرورا
 لم يسر مثله بعد اسلامه لما وافق قضاءه فى هذه
 المسألة قضاء رسول الله — صلى الله عليه وسلم —

وبينما نرى ابن مسعود قبل هذا الحديث من رواية
 « معقل بن سنان » — كما رأيت فان عليا — رضى
 الله عنه — رده وقال « ما نمنع بقول اعرابى بوال
 على عقيمة حسبها الميراث وذلك لان حكم هذا
 الحديث خالف حكم القياس عنده — وان كان قد
 وافق حكم القياس عند ابن مسعود . فقد توارد
 على حكم هذا الحديث فى نظر الفقهاء — قياسا —
 احدهما يؤدى الى اثبات حكمه — كما هو رأى
 ابن مسعود ، وثانيهما يؤدى الى بطلان حكمه ، كما
 هو رأى على — رضى الله عنه — وبالأول قال
 الحنفية : وقرروا القياس على هذا الوجه : قالوا :
 ان المهر يثبت للمتزوجة بنفس العقد عندهم [٤]
 حتى لو تزوجت بشرط عدم المهر ، أو سكتت عن

اعمالها وعبادتها وبنات اخوالها ،
 وخالاتها ومن كانت من اهل مهنتها
 أو من مهنة أسرته .
 (٤) يرى الحنفية أن المهر ثابت
 بآيات الشرع — لا بآيات الزوجين له
 — لقوله تعالى : « ان تبتغوا بأموالكم
 محصنين غير مسافحين » : الباء
 للالصاق ، وقد افادت الصاق المال الى
 « المهر بالمقد » فلا يحصل المقد
 الا مستلزما للمهر : ارادت الزوجة ام
 لم ترد : ويخالف الشافعية فى ذلك ،
 ولا يثبتون المهر الا بالفرض ، أو الوطء :
 ولا يخفى عليك ان مذهب الحنفية فى
 هذه النقطة — اكثر تكريما لمقد النكاح

القسم مما خالف فيه « الشافعى »
 جزيا : لانه تمارض فيه القبول مع
 الرد من جهة الثقات : فتساقط ، فكان
 بمنزلة ما لم يلحقه قبول ، ولا رد ، فيلحق
 فى الحكم بالقسم الخامس — الا ترى بعد ،
 وجوز ان يكون هذا القسم مقبولا
 بالاتفاق بشرط ان يكون موافقا للقياس
 — لان الخلاف الواقع فى قبوله يجعله
 ادنى حالا مما اتفق على قبوله وهو
 القسم الثانى فيشترط لقبوله ان يتأيد
 بموافقة القياس ؟

(٢) أى النساء اللاتى هن من
 طبقتها الاجتماعية كاضوانها ، وبنات

[١] كنا نود لو قدم لنا مؤلفو
 « الحنفية » — الذين نظروا فى كتبهم
 الاصولية تمثيلا لهذا القسم يزداد به
 اوضح المسألة — لكنهم لم يفعلوا —
 ولعل ذلك اعتيادا منهم على ان هذا
 الصنف بعد ان دخل فى قسم رواية
 « المعروف » ، اصبح امثله ولم
 يصبح بحاجة لزيادة تمثيل ، وان كان
 المنهج التعليمى يقتضى غير ذلك .

[٢] نص « البزدوى » ص ٢٨٩ —
 هـ ٢ — « كشف الاسرار » | وقد
 تردد شارحه « عبد العزيز البخارى » —
 فى فهم هذا النص : فجوز ان يكون هذا

تخصية المهر ثبتت لها مهر مثلها بأثبات الشارع له ، ثم ان الموت يؤكد النكاح كالوطء ، لانه بالموت ينتهى النكاح ، وهو عقد العمر ، وانتهاء الشيء يقرره كاتتهاء الصلاة بالسلام ، فيكون الموت حينئذ بمنزلة تسليم المعقود عليه كالوطء ، ولذلك وجبت به العدة واذا نزل الموت بمنزلة تسليم المعقود عليه — فقد وجب به مهر المثل للمعقود عليها الذى مات عنها زوجها ، ولم يكن فرض لها مهر ، فطابق القياس حينئذ مقتضى الحديث ، وتأيد الحديث به فيعمل به .

وبالثاني قال الشافعية : وقرروا القياس على هذا الوجه : قالوا : ان المهر لا يثبت بنفس العقد وانما يثبت بالفرض ، وبالتراضي ، او بقضاء القاضي او يثبت باستيفاء المعقود عليه ، وهو الوطء ، فاذا لم يوجد منها شيء حتى مات الزوج عنها لم يجب لها شيء ، لان المعقود رجع اليها سالما ، فكان بمنزلة مالوا طلقها قبل الدخول بها وبمنزلة هلاك المبيع قبل قبض المشتري له ، انه لا يجب فى ذلك بدل — وحيث قد خالف حكم القياس حكم الحديث هكذا فقد وجب رده به [١] .

القسم الرابع : ان يظهر حديث الراوى المجهول بين السلف فيردوه ويسمى مثل هذا الحديث مستكرا ومنكرا ، لاستنكار السلف له ، واذا رده السلف بعد ان ظهر عندهم — كان مردودا ، لا يجوز العمل به — لان السلف — رضى الله عنهم — كانوا من ائثار الحيلة لدين الله والمحافظة على حديث رسول الله : بحيث لا يجوز عليهم — فى مجرى العادة — ان يردوا حديث رسول الله ، ولا ان يرجحوا الراى بخلافه عليه ، الا اذا كان عندهم مستحقا للرد .

ولو قال الراوى فى بعض حديثه « أوهنت »

لكفى ذلك فى رد الحديث ، فاولى من ذلك فى رد الحديث — ان يشهد من هم اكبر منه من فقهاء الصحابة برده [٢] فيكون الحديث مردودا ، ويرجع العمل بالقياس عليه .

القسم الخامس : الا يظهر حديث الراوى المجهول فى عصر السلف ، فلم يقابلوه حينئذ برفض ولا قبول ، وحكم هذا الحديث انه لا يجب العمل به ولا يجوز العمل به على مخالفة القياس ، ويجوز العمل به على موافقة القياس ، وانما يجوز العمل به على موافقة القياس — لان العدالة فى ذلك الزمان كانت اصلا فى الناس — كما سبق تقريره من كلام الحنفية — فيعطى هذا الحديث نوعا من حسن الظن براوية يصح جواز العمل به على موافقة القياس — بخلاف القسم الرابع المستنكر الذى يمتنع العمل به اصلا .

فان قيل : ما الفائدة الحاصلة من تجويز العمل به : وهو لا يعمل به الا على موافقة القياس ، فهو مستغنى عنه بالقياس فى تحصيل الحكم المطلوب للحادثة : اجابوا بانه تزكية للقياس من جهة ، وبانه يصح نسبة الحكم المأخوذ من القياس — اليه فى مواجهة نفاة القياس .

قلت : اما تزكية القياس بمثل هذا الحديث فليس بفائدة عملية وعدمها فى حكم وجودها فى حق استخراج الاحكام : واما اللجوء الى نسبة الحكم القياسى للحديث فى مواجهة نافي القياس فهذا يتوقف على ما اذا كان نفاة القياس انفسهم يرتضون هذا اللون من الاحاديث الروية لرواة مجاهيل — فلم تتمتع لهذا القسم فائدة .

فلا يكون بينهما فرق فى اصل الراى — وان ظهر الخلاف فى الامثلة بينهما — كما يمكن ان يرى فى الحديث — ولكن الوجه الاول من قولنا اصح وارجح . فاقبله — والله اعلم .
(٢) وقد قارنوا بين قيمة هذا الحديث وبين الحديث الموضوع : فقالوا : ان الحديث الموضوع اسوأ حالا من الحديث المستنكر : فان الحديث الموضوع لا يحتمل ان يكون حديثا اصلا — كالحديث الذى رواه محمد بن سعيد عن حميد عن انس ان رسول الله قال : « لا نبى بعدى الا ان يشاء الله » : فهذا من عمل زنديق : واما « المستنكر » فجائز ان يكون فى ذاته صحيحا ، وان لم يصح بمقياس اهل الصنعة فهو — فى هذه الحال — عكس [المشهور] — فانه معتبر حجة لكن عند التأمل فى ذاته يحتمل الا يكون حجة :

وان خالف قياسا آخر : واليه اشار « صدر الشريعة » بقوله : « وان قيل البعض ورد البعض مع نقل التفات عنه يقبل ان وافق قياسا » — « التوضيح ص ٩ — جزء ٢ » فقد ذكر كلمة القياس نكرة : يعنى بذلك ان شرط القبول للحنفية موافقة « الخبر » لا قياس يكون ، ولو عارضه قياس آخر ، وان الشافعى يشترط لقبول « الخبر » عدم مخالفة حكمه للقياس مطلقا — أى قياس ، فاذا خالف قياسا ، ووافق قياسا . فهو مردود عنده : لكنه يكون عند الحنفية مقبولا ، ولا يرد الا بمخالفته لجميع الاقيسة .

او يقال : ان كل واحد من الطرفين يعتبر قياس المصحح للخبر هو « القياس » — وقياس الاخر باطل منعدم : فموافقة الخبر للقياس هى موافقة للقياس كله — ومخالفته هى مخالفة للقياس كله —

[١] تحرير شارح البزدوى — فيها اذا كان الخلاف بين الحنفية والشافعية فى اصل الراى . ام فى المثال — اعنى فى الحديث المذكور : فلم يجزم بتحرير محل الخلاف . وبالتالي فلا جزم بتحرير مذهب كل من الطائفتين : ومنشا حيرته — فيما نرى — قول « البزدوى » — « وعندنا هو حجة — لانه وافق القياس عندنا وانما يترك اذا خالف القياس عندنا . » فاذا كان « الخبر » يترك لمخالفته للقياس فهذا قول الشافعى — فابن الفاضل المميز بين قول الحنفية وقوله : واذا خالف « الخبر » قياسا ، ووافق قياسا آخر فقبوله ، اورده فى هذه الحال يكون مذهب من الطرفين ؟ والذى يظهر لنا فى حل هذا الاشكال ان الحنفية يكتفون فى قبول « الخبر » باشتراط موافقة حكمه لحكم قياس ما —

من الخلق

رسول الله

صلى الله عليه وسلم

فضيلة الشيخ عبد المحسن بن عبد الله

الامانة

« أئنه شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا عنده ورسوله وأشهد يا أبا العالية الامانة انه لا دين لمن لا امانة له ولا صلاة ولا زكاة له » وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « آية المنافق ثلاث — اذا حدث كذب واذا وعدا خلف واذا أؤتمن خان » وجاء فى رواية أخرى لمسلم « وان صلى وصام وزعم انه مسلم » وروى البخارى ومسلم رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها — اذا أؤتمن خان واذا حدث كذب واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر » ما هى الامانة ؟ وفى أى شئ تكون ؟

— أما الامانة فهى صفة فى الشخص توجب عليه الاحتفاظ بما استخفظه وأداه الى أهله كما استخفظه — وواضح أن مظهر هذه الصفة يتجلى فى الاختلاط بالناس وفى التعامل مع الغير ونحن نعلم أن الانسان مهما كان شأنه لا يستطيع أن يعيش حياته وحده بل لابد له ممن يؤازره ويعاضده فيها ، يخالطه ويعامله ، وتنشأ له معه علاقات ، بالتأمل نرى أن للعبد مع الله تعالى علاقة ، وللإنسان مع أخيه الانسان علاقة — أما علاقة العبد بالله تعالى فان للعبد احتياجات فى حياته وكلها بيد الله تعالى فانه مصدر كل شئ وخالق كل شئ « الاله الخلق والأمر » وقد أمد عبده بأمرين هامين جدا فى حياته .

أولهما : نعم الله العديدة التى أسبغها على عبده — فى ذاته وفى محيطه الذى يعيش فيه « وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها » أى لا تستطيعون أن تحصروا أفرادها ولا أن تضبطوا أنواعها فانها غير متناهية حقا هى غير متناهية وأنه ما من جانب من جوانب العبد — خلقه — أعضاؤه ، ظاهره ، وباطنه خلجات نفسه — حركاته وسكناته — احتياجاته — أى ناحية

وفاء بوعدها فى العدد السابق نواصل الكلام عن اخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم . . فاقول وكان من أبرز الاخلاق التى اختص الله تعالى بها رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم الامانة — وهى خلق لو تعلمون عظيم لها مزايا وفيها خصائص ترتفع بمن تحلى بها لأعلى المستوى الانسانى — وترتقى به الى أرفع درجات الكمال الخلاقى والاجتماعى وهى احدى الصفات الواجب ثبوتها لرسول الله ولا تقبل الانتفاء عنه وضدها الخيانة وهى صفة واجب انتفاؤها عن رسول الله ولا تقبل الثبوت عليه بحال فهى مستحيلة عليه لانه الامين على وحى الله يبلغه والامين على شرع الله يحفظه والامين على دين يدعو اليه وينشره وهى صفة الإصلاح ودعم الروابط وتحسين العلاقات وتجميل الظواهر والبواطن فلا غنى عنها للفرد ولا للمجتمع كيف وهى التى توجد الثقة بين الناس وتشيع فى المجتمع الطمأنينة على الأرواح والأعراض والأموال ولا شك أنه بالثقة تحسن المعاملة وتحفظ الحقوق وتتلشى الفوضى ويسود النظام فالثقة اذن أساس النجاح وركيزة التقدم والنهوض وروح العمران وينعكس الأمر اذا انعدمت الثقة بين الناس حيث تضطرب الأمور وتشيع الفوضى ويختل الأمن ويفسد النظام ويفقد الشخص أعز شئ لديه — واتقاء من هذه البليات وابتقاء على ما يترتب على الثقة من المزايا أمر القرآن الكريم بالامانة حفظا للنوع الانسانى من التدهور — وصيانة للمجتمع الإسلامى من التفكك فقال « ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها » وقال « فليؤد الذى أؤتمن أمانته ولينق الله ربه » ولقد ساندت السنة النبوية القرآن الكريم فى طلب الامانة والحث على القيام بآدائها — روى البزار بسنده عن على رضى الله عنه قال « كنا جلوسا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فطلع علينا رجل من أهل العالية — فقال — يا رسول الله أخبرنى بأشد شئ فى هذا الدين وأئنه — قال —

من نواحي حياته - ما من شيء من هذا كله الا وثعم
الله على عبده تغيره وتسانده وبها يحصل على
ما يهدف اليه في سهولة ويسر والقرآن وان ذكر
الكثير منها في غير آية منه ولكن ذلك على سبيل
التذكير لها والمنة بها لا على سبيل الاحصاء
والضبط .

وهذه النعم اللا متناهية امانات الله عند العبد
مثلا العين نعمة وهي امانة - الاذن نعمة وهي امانة
اللسان نعمة وهي امانة - كل اعضائه ومفاصل
عظامه نعم وهي امانة وكذلك الماء والهواء نعمتان
عظيبتان وهما امانة والسماء وما اظلت ، والارض
وما اقلت نعم « سخرها الله لعبده وهي امانة »
« وسخر لكم مافي السموات وما في الارض جميعا
منه أن في ذلك آيات لقوم يفكرون » وعلى العبد
حفظ هذه الامانات فان حفظها يديها واستخدامها
فيها خلقت له شكرها وشكرها يزيدا قال تعالى
« لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد »

ثانيهما : التكليف المنوه عنها في قوله تعالى « انا
عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال
فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه
كان ظلوما جهولا » قال العلماء الامانة هنا
هي التكليف الشرعية وهي كل ما كلفنا الله به
ووكله الى نفوسنا وبناء على خالص نيائنا امرا او
نهيا فعلا او تركا فالعقيدة الدينية امانة . والصلاة
امانة والزكاة امانة والصوم امانة والحج امانة ،
وغير ذلك كثير وكثير فمن ادى ما اتمنه الله عليه
فهو أمين وان اهل أو قصر كان خائنا والله يحذر
من الخيانة فيقول « يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله
والرسول وتخونوا اماناتكم وانتم تعلمون » بهذا يتبى
الله عن الخيانة ويحذر منها والآية وان نزلت لسبب
خاص الا أن ما تضمنته من النهي عن الخيانة عام
يعم كل مكلف باداء الامانة التي حملها اذ العبرة
بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما يقول العلماء
وخيانة الله تكون بترك ما أمر به وفعل ما نهى عنه
وعلى هذا فتترك الصلاة خائن ، ومفطر رمضان
ومانع الزكاة خائن ، وعاق والديه خائن ، وغير ذلك
كثير وكثير - وخيانة الرسول تكون كذلك باهمال
تعاليمه وترك سنته - وخيانة الامانات تكون
بالتعريط فيها وعدم ردها لاهلها أو ردها اليهم معيبة
أو منقوصة .

وقوله تعالى في الآية السابقة [انا عرضنا
الامانة] .. الخ . قال كثير من المفسرين في
تفسيرها كلاما يفيد أنه عرض حقيقي بمعنى أن الله
عز وجل عرض فعلا على السموات والارض والجبال
وكان منها أباء حمل هذه الامانة وذكروا نقاشا
بين الله سبحانه وبين هذه الاجرام الضخمة بين
عرض الله وابائهم مما يفيد أنه عرض حقيقي ولكن
في النفس منه شيء فان هذه الاجرام ليس فيها

□ ٧٠ □

ادراك ولم يوجه اليها تكليف لذا يروى وتيجبني
ما قرره العلامة البيضاوي في تفسير هذه الآية -
اذ يرى أن المراد بالامانة هنا الطاعة المذكورة قبل
هذه الآية في قوله « ومن يطع الله ورسوله فقد
فاز فوزا عظيما » ثم يقول بعد ذلك في تفسير الآية
« تقرير للوعد السابق بتعظيم الطاعة وسماها
امانة من حيث أنها واجبة الاداء والمعنى أنها لعظمة
شأنها بحيث لو عرضت على هذه الاجرام العظام ووكانت
ذات شعور وادراك لابين أن يحملنها واشفقن منها
وحملها الانسان مع ضعف بنيته ورخاوة قوته لاجرم
فان الراعي لها والقائم بحقوقها بخير الدارين : ١ هـ
بيضاوي وهذا يفيد أنه صورة عرض لا عرض
حقيقي .

اما علاقة الانسان بأخيه الانسان فقد تستدعي
أن يودعه شيئا أو يستحفظه سرا يكون ذلك عنده
امانة ، فالمال مثلا امانة ، والسر امانة ، والصنعة
امانة عند الصانع يتقنها امانة والوظيفة عند الموظف
امانة ، والشركة بين الشريكين أو الشركاء امانة
والمشورة امانة والحكم بين الناس امانة فمن أؤتمن
على شيء مما ذكر يجب عليه أن يحفظه ويتقنه ويقوم
عليه خير قيام والا كان خائنا - فيجب أن يكتف
السر ولا يفشيه ، وخاصة بين الزوجين ، وافشاؤه
خيانة - روى مسلم عن أبي سعيد رضى الله عنه
قال - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
« أن من شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة
الرجل يفضي الى امرأته وتفضي اليه ثم ينشر أحدهما
سر صاحبه » رواه مسلم وروى أحمد عن أسماء بنت
يزيد أنها كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
والرجال والنساء تعود عنده فقال « لعل رجلا يقول
ما فعل باهله ولعل امرأة تخبر بما فعلت مع زوجها
فأبرم القوم » يعنى سكتوا « فقلت انى والله يارسول
الله أنهم ليفعلون وانهم ليفعلن - قال « فلا تفعلوا
فانما مثل ذلك مثل الشيطان لقي شيطانة ففشها
والناس ينظرون » - والمشورة امانة فاذا استشار
المؤمن اخاه في أمر يجب أن ينصح له بالذى هو
خير روى أصحاب السنن عن أبي هريرة أن النبي
قال « المستشار مؤتمن » أى أمين على ما سئل فيه
واذا لم ينصح بها هو خير فهو خائن روى أبو داود
والحاكم عن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي
صلى الله عليه وسلم قال « من أشار على أخيه بأمر
يعلم ان الرشد في غيره فقد خانه » ومما يتنافى مع
الامانة أن يموه الشخص على من يثق به ويكذب عليه
ويضلله - روى أحمد عن سفيان بن أسيد أن النبي
قال « كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثا هو لك به
مصدق وانت له به كاذب » - ومن ولى الحكم في
أمة أو رضىه الناس حكما بين المتنازعين في أمر
فذلك عنده امانة يجب أن يراعاها بما يحفظ على
الناس حقوقهم وأعراضهم وأموالهم قال رسول الله

البقية صفحة ٧٢

الايمان بالله امر مستقر في طبيعة الانسان وعقل الانسان - متى سلم من الامراض - يهتدي - بحسن النظر في الكون - الى معرفة الله . فهو يرى في تعاقب الليل والنهار ، والصيف والشتاء ، وحركات الشمس والقمر نظاما في منتهى الدقة لابد ان يكون وراءه منظم ومدبر وهو الله سبحانه وتعالى .

والايمان في صورته الكاملة حرارة تجرى في الدم ، وتسرى في مخ العظام وتتغلغل في اعماق القلب فتحمل صاحبها على العمل المتواصل في سبيل الخير ، وتبعث فيه التفاؤل الدائم ... فالاحداث الخطيرة والازمات الكبيرة لا تستطيع ان تلقى في نفسه بذور اليأس ولا ان تشيع فيها معاني القنوط لانه لا يبايس من روح الله الا القوم الكافرون ولا يقنط من رحمته الا الضالون .



من مظاهر الايمان بالله تعالى

والايمان بالله تعالى يسوق صاحبه الى التامس بالمثل العليا والمبادئ الكريمة التي وضعت شرائعها الى خلقه اصولها واحكمت قواعدها ودعت الانسانية الى الاحتشاء بظلالها الظليل والعيش في كنفها الرحيم ، والاهتداء بهديها القويم « وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » .

والوطنية من اعظم مظاهر الايمان بالله لان الوطن هو الميدان الذي تطبق فيه مبادئ الحق والخير . ولن يتسنى هذا التطبيق الا في وطن عزيز لا يقهره غاصب ولا يستبد به ظالم . وطن طاهر لا يدنسه انحلال في الاخلاق ولا فساد في العقائد ولا انحراف في الاعمال .

وحب الوطن سجية طبعية عليها النفوس ، ونهض على دعائتها نظام الله فالطير ينزع الى وكرة الذي درج منه فلا يزال يتلمس اليه الطريق منتقلا من مكان الى مكان ومن غصن الى غصن مخلقا وراء اماكن المتعة والجمال من خبايا الزهر ووارف الورق وداني القطوف والاعرابي يهبط المدينة الحافلة بالوان الحضارة والراحة فلا يصرفه من ذلك شيء عن وطنه ، وما وطنه الا رمال متراكمة واطلال بالية وصخور تصفعها الهاجرة واطناب تعصف بها الريح .

ولقد راينا اهل مكة يجتمعون على معاندة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ويخرجونه من بلدة فيهاجر الى المدينة حيث الانصار الذين عاهدوه على النصرة والمنعة ... ومع ذلك بظل متأجج العاطفة نحو مكة فهو يتلفت نحوها اثناء مسيره مهاجرا المرة تلو المرة فلما قاربت معالمها ان تغيب عن ناظريه اتجه نحوها وخاطبها قائلا : « والله انك لاحب بلاد الله الى الله وانك لاحب بلاد الله الى ولولا ان قومك اخرجوني منك ما خرجت » .



على نصرهم لغير الذين أخرجوا من ديارهم بقصر
حق إلا أن يقولوا ربنا الله » .

وقد جعل الله الجهاد في سبيل الوطن والمقدسات
فريضة دائمة لا تتوقف فقال رسول الإسلام عليه
الصلاة والسلام « والجهاد ما مضى منذ بعثني الله تعالى
إلى أن يقاتل آخر هذه الأمة الدجال لا يبطله جور
جائر ولا عدل عادل » .

كما جعل الجنة جزاء المجاهدين المخلصين قال
رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام للمؤمنين
حين اصطفوا للقتال يوم بدر : « والذي نفس محمد
بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا
غير مدبر إلا أدخله الله الجنة ومن قتل قتيلًا فله
سلبه » فقال عبيد بن الحمام — وبه ثمرات يأكلها —
بح بخ !! ما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني
هؤلاء ؟ ثم قذف الثمرات من يده وأخذ سيفه وقاتل
حتى قتل .

**والوطنية لا تكفي فيها لوعة الحب ولا خفقة الأمل
مالم تنزع بالموطن إلى مضاء العزم ، ونبل الخلق ،
وبعد الرأي ، وصفاء النفس والتضحية والبذل ،
وغوث اللهي ، وعون المظلوم . .**

فلنأخذ أنفسنا بهذه الصفات ولنتذكر موقف جندي
باسل من أجدادنا الأولين وأسلافنا اليامين يوم بدر
وهو المقداد بن الأسود حين قال لرسول الله صلى
الله عليه وسلم . وهو يستشير أصحابه في القتال
« يا رسول الله أمض لما أمرك الله فوالله لا نقول
لك كما قال بنو إسرائيل لموسى اذهب أنت وربك
فقاتلانا ههنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتل
إنا معكما مقاتلون والله لو سرت بنا إلى برك الغماد
لجالدنا معك من دونه حتى نبغله » .

ولنتذكر إيمان القائد المظفر خالد بن الوليد وهو
يقاتل الروم فقد نظر إليهم وهم يحتمون بحصونهم
وقلاعهم فقال « والله لو كنتم في السماء لرفعنا الله
اليكم أو لانزلكم إلينا » .

لنتذكر هذه المعاني كلها ونحن نخوض معركة
المصير ضد الصهيونية والاستعمار فهي زاد النضال
والكفاح وموضع التأسي والاقتداء ولنعلم أن الأجر
العظيم من الله معد للمجاهد الغالب كما هو معد
للمجاهد الشهيد قال تعالى « ومن يقاتل في سبيل
الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما » .

بقية مقال : من أخلاق رسول الله

وسلم « من استعمل رجلا على عصابة من المؤمنين
وفيه من هو أرضى لله منه فقد خان الله ورسوله
والمؤمنين » وروى البخاري أنه صلوات الله
وسلامه عليه قال « إذا ضيعت الأمانة فانتظر
الساعة قيل يا رسول الله وما تضييع الأمانة قال
« أن يوسد الأمر لغير أهله » فالمؤمن الحق من أوّمن
على مال حفظه أو على سر كتبه أو على عرض صانه
أو على حق من حقوق الناس وفاء — والله تعالى
ولي التوفيق والهادي لأقوم طريق . .

**وطننا العربي هو مهبط المدنية الأولى ومشرق
العلم القديم وموئل الشرف العريق . فيه قامت
الحضارات التي أمدت العالم بالتور والمعرفة ، ومنه
انبعثت رسائل الله تهدي الإنسانية وترشددها
وترسم لها معالم السعادة وقد أنشأ الله على أرضه
حنات معروشات وغير معروشات والزرع مختلفا
أكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابهة ،
وجعل له مرتبة الامتياز في موقعه بين الشرق
والغرب فكان سبيل الاتصال وطريق التجارة .**

**وطن هذا شاته جدير بأن نوقف عليه خفقات
قلوبنا ، وأن نبذل في رد الأعداء عنه نفوسنا
وأموالنا ، وأن نعمل في غير هوادة لتثبيت استقلاله
وحماية عزته .**

ولقد وثب وطننا بعد ركود « ونهض بعد رقود »
واستيقظ بعد نوم ليعيد مجده ، ويتبوا مكانته، ويحقق
لبنيه عيشا رغيدا في ظل عدالة اجتماعية رحيمة .
فحمل ذلك الأعداء المترصين الطامعين على الوقوف
في وجه النهضة ومقاومة الزحف المقدس بثني
الوسائل ، فهم يسندون إسرائيل ويدعمونها بكل
أنواع الدعم لتظل شوكة في قلب البلاد العربية
وجسرا يعبر عليه الاستعمار لتحقيق أغراضه في
البلاد . كما يعملون على تفريق صف العرب بالدس
والوقيقة !!

ومن حق هذا الوطن على أبنائه أن يردوا كيد
الظالمين في نحورهم ، وأن يصدوا عنه كل شر ،
ولنا في أمجادنا وتاريخنا ما يزكي لهيب الوطنية في
نفوسنا .

فالوطنية تقضي بالثبات في وجه أعداء الوطن ،
واحباط مؤامراتهم وتدمير خططهم وقد قال رسول
الإسلام عليه الصلاة والسلام « أن الصبر في موطن
البأس مما يفرج الله به الهم وينجي من الغم »
وقال تعالى « يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين
كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار ومن يولهم يومئذ دبره
إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من
الله ومأواه جهنم وبئس المصير » .

وقد أذن الله للمظلومين أن يقاتلوا ظالمهم ووعدهم
بالنصرة والتأييد متى هبوا للقتال في إيمان وحماس
وأخلاص « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله

رقة التشبيه في البيان النبوي

التشبيه
في
الهيئات
الدكتور عز الدين علي السيد

نهرًا بباب أخذكم يقتتل فيه كل يوم خمس مرات
ما تقولون ؟ .. يبقى ذلك من درنه شيئًا ؟ .. قالوا :
لا يبقى ذلك من درنه شيئًا . قال : فذلك مثل
الصلوات الخمس ، يمحو الله بها الخطايا .

يريد عليه الصلاة والسلام أن يقرر لأمته فضيلة
الصلاة ، ويؤكد أجرها ليصبروا عليها ، فمثل حال
المؤمن الذي يعد نفسه للصلاة فيصليها ، ثم يعد
نفسه للصلاة فيصليها ، حتى يتم فرض اليوم ، بحال
المؤمن الذي يمر ببابه نهر ، فهو يقتتل فيه خمس
مرات كل يوم ، والمائلة بين الحالين مقصود منها
اثبات الغاية التي هي جهتها ، وقد جاءت للتقرير
مصرحاً بها على وجه التقابل ، فتكرار الصلوات يمحو
الخطايا ، كما أن تكرار الاغتسال لا يبقى من الدرن
شيئًا . وهنا ينتقل ذهن المؤمن كلما توضع ليصلي ،
أو كلما سمع النداء ، إلى تصور نهر لا يجده بعده ،
أذ هو قريب ببابه ، وتصور درن يؤذيه بقاؤه ، أذ هو
مشين فوق جسمه ، وتصور اغتسال يورث النشاط
ويزيل الدرن ، فيرى نفسه مندفعاً إلى الصلاة
سعيداً بها ، لينتقى مما يشينه ، ويبرأ مما يثقله .

وصورة المثل به سابقة في التعبير الكريم لتفسير
انتباه السامعين وتحرك شوقهم ، لا سيما وقد
اقتترنت بذلك الاستفهام التقريري ، الذي يطلب منهم
جوابه ، ليطيل الشوق ويزيد الانتباه ، وأن الصورة
المثل بها فرضية محبوبة ، يتشهاها كل فرد يشعر
بالحياة ويحس بالجمال : نهر ببابه ، يقتتل فيه كل
يوم خمس مرات ، وحسبك ما توحى به كلمة [نهر]
النكرة من رقة وصفاء وعذوبة وعظمة ، وما توحى به
[الباء] بين النهر والباب ، من الالتصاق ، حتى كأن
الدار تجرى من تحتها الأنهار ، وما يخيّل لنا الفعل
المضارع [يقتتل] من استحضار الصورة مع التجدد
والحدوث طرفي النهار وزلفا من الليل ، يدل عليهما
العدد المحصور في اليوم وهو [خمس مرات] ، ثم
يطرد هذا مع العمر كله صعوداً باضافة لفظ العموم
إلى المفرد النكرة [كل يوم] ، دلالة على اتصال
التعظيم ودوامه .

ثم انظر معي إلى هذه الجملة : [يبقى ذلك من
درنه شيئًا ؟] ، وسر الإشارة بهذا اللفظ الدال على
التعظيم لما فيه من لام البعد الرتبى ، وتقديم البيان
وهو الجار والمجرور على المبين تعجيلاً بالمهم ، ثم
تنكير المبين وهو [شيئًا] ، لأفادة التقليل فمعناه :
شيئاً أي شيء مهما كان قليلاً .

أما في جانب المثل له المتأخر ، الذي اغنت فيه
[الفاء القصيدة] عن الاطناب بذكر الشرط ، فقد
أعيدت الإشارة بالتعظيم إلى المثل به إجمالاً ، لتأكيد
الربط وشدة الايصال بين الهيئتين ، وهنا نرى تعريفاً
لا تنكراً في جميع الاسماء ، يرشد المؤمن إلى أن
الصلوات المعهودة له والمفروضة عليه بدليل اتباعها
بهذا العدد — هي ذاتها التي مثل لها هذا التمثيل

إذا كان للتشبيه بين المفردات ما سبق في توكيد
المعاني وتقدير الاحوال في ثوب رشيق وأسلوب
رقيق يأسر القلب — فإن التمثيل في الهيئات المركبة
أشد للمعاني توثيقاً ، وهي به أعظم استبانة وأروع
وقعا . وقد استعمل البيان الكريم مسلك التشبيه
التمثيلي كوسيلة من وسائل الايضاح ، التي يتذرع
بها المعلم الحريص لتقرير درسه ، بما لا يدع للتلميذ
مجالاً للنسيان ، ولهذا نراه ظاهرة أسلوبية واسعة
الجوانب ، بعيدة الغور في تعميق المعاني وتأثيرها
في مجالي الترغيب والترهيب من الهدى الكريم ، فمن
أمثلة الاول :

١ — عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : أرايتم لو أن

الهداية ؟ ثم ترى جأتها لم يظهر هناك ؟ هو استناد فعل المحو الى لفظ الجلالة ، وجعل الصلوات آلة المحو وسببه ، ليزيد التفات الذهن الى ان الممثل له هو الجانب الاشرف والعمل الاسمى الذى ينيل العبد رعاية الله ، فاذا روعى مع هذا ان لفظ المفعول المحو ، وهو [الخطايا] جمع لا مفرد ، وبصفة منتهى الجموع ، علم مقدار ما تفعل هذه الصلوات من مبارك العمل ، فما اثنقنا اذن ان لم تتل منها ما هى اجدر به من اثار ، وما اشد غفلة الغافلين عن نهر من النور لا يزيل درنا شاخصا فحسب عن البدن ، وانما يحو آثاما وخطايا تفر العبد التارك منتدفع به فى النار !

٢ - عن قتادة بن النعمان رضى الله عنه قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذا احب الله عبدا حماه الدنيا كما يظل احدكم يحمى سقيمته الماء » .

يريد عليه الصلاة والسلام ترضية المؤمنين برقة ملكهم فى الدنيا ، ونقص حظهم منها ، ويرغبهم فى الحياة المملقة الحافلة بالبلاء ، لان الدنيا والاخرة فى طرفين ، فمن شاء الله للاخرة خالصا حماه فى الدنيا ما زاد على الكفاف ، ليوفر له نصيبه الاكمل فى الخالد الباقي ، محبة له واكراما ، كمحبة احدنا ابنه او غيره محبة تحرمه شرب الماء اذا كان سقيما وعلم ان الماء يفسده ، فهو حرمان رحمة وحكمة ، رجاء ان يصح ويقوى .

واذا كانت الهيئة المثل بها من المقرر المألوف الذى يشاهده كل منا ويعالجه بوصايا الاطباء والحاظين مع احب احبابه ، فقد ضربها الرسول عليه الصلاة والسلام مثلا للحال الحاصلة بين العبد الفقير وربه الحكيم الخبير ، الذى يعطى من احب ما به صلاحه وقوته ونفعه ، ويحميه ما يضره ويطفئه او يهلكه ، وهو اراف به من العصفور على فرخه .

٣ - عن سهل بن سعد رضى الله عنه قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : انا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا ، وأشار بالسبابة وفرج بينهما » .

بذل الخير سعادة ، واسعاد الحزين متعة ، ومسح دمعته هناءة ، تملأ النفس رضا والقلب سكينه ، وتجعل فرحة الباذل بابتسامة المكتئب اضعاف فرحة المكتئب بابتسامة برئه ، واليتيم صغير ضعيف ، عاجز حائر ، سلبه القدر من يكفله ليكبر ، ويحميه ليقوى ، ويهدد ليقدر ، ويمدده ليهتدى ، فاذا جعل امرؤ من نفسه لليتيم ابا لا يحس مع وجوده ؟

□ ٧٤ □

فقد ما سلب ؟ فليس هذا المرء الا المؤمن الكامل الذى ينبض قلبه بنبضات القلوب الواجفة ، بمشاركة لها فى الوجدان ، وتجاوبا معها فى الماطفة ، وتعلقا الى الاغوار فى فهم قوله عليه الصلاة والسلام : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحيمهم وتعاطفهم مثل الجسد ، اذا اشتكى منه عضو ، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » . وانطلاقا بالخيال الرشيد الى المستقبل الذى تنذر به الآية الكريمة : « وليخشى الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم » ترى اين يكون كافل اليتيم بعد هذه التقديمه ؟ وماذا يكون جزاؤه ؟

جعل الرسول الكريم حاله مع كافل اليتيم مشبها ، وجعل حال السبابة والوسطى من كفه الشريفة مشبها به ، ليدل بالقرر المحس والمؤكد المشاهد على تاكد اجر الكافل وتقرره .

واللطائف التى فرقت على الطرفين جديرة بالاعجاب حقيقة بالنظر ، فالمعية او المصاحبة فى جانب المثبة ارساد الى جنس الجزاء الذى يدلي عليه كمال العبارة ، وجذب لانتباه المخاطب الى ان يسعد بهذه النعمة المثل ! .. ثم التعجيل باصل المجازاة وهو الوجود فى الجنة ، توثيق لمفهوم هذه المعية المستفادة من الواو ، وليست هى الغاية او المثل به او المسند فى العبارة ، بل هى تابعة المقدم عليه لتعجيل المسرة . اما الجانب المحمول والممثل به ، فقد صور صورتين : احدها لفظية ، والاخرى فعلية ، وكانت اللفظية اسم الاشارة [هكذا] المفتتح بحرف التنبيه ، والذى توسطته اداة التشبيه . ووقع هو بعد ذلك بالاسم الموضوع للقريب ، ليلفت الازهان بشدة الى الصورة الشاخصة القريبة من العين والمرافقة للنطق ، وهى صورة السبابة والوسطى الممتدتين مع قبض غيرهما لتمام التميز ، والمفترق ما بينهما لكمال تمكّن النظر ، ولتاكد رؤية الجوار بينهما فلا فارق محس ، وتقرر مشاهدة الاصل الذى يسقتا منه ، رمزا الى القرب الروحي الذى يجمع بين الرسول وبين هذا الانسان الرحيم ، والى طفولة النبي صلى الله عليه وسلم ، وجبه المكافئ للكافلين ، وفاء لمن شاركوه فى البذل ، ورافة بمن شاركوه فى اللقد !

هل يحمل اليتيم الى قلبك صورة اصبعيه الشريفتين تقترنان باسم الاشارة ، فتكره هواك وتؤثر الجوار الحبيب فى الجنة باكرام يتيم ؟

ضرورة حياة

الدكتور عبد الستار الحلوي

دنيوى يعيش معنا فى عالم اللحم والدم ، تحكمه تعاليم الله ، ويسوده الحق والعدل والخير والامن والحب والسلام . مجتمع متكامل متكامل « كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى » . مجتمع لا ظلم فيه ولا عدوان الا على المعتدى « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » . مجتمع لا عبودية فيه الا لله وحده « أن لا تعبدوا الا الله » . مجتمع أعلن حقوق الانسان وطبقها قبل أن تعرفها المنظمات الدولية الحديثة بأكثر من ألف وثلاثمائة عام . ومثل هذا المجتمع لا تتضح قيمته ولا تظهر مزيته الا اذا قورن بالمجتمعات الاوربية الحديثة التى تسودها نزعات العنف والتخريب والقتل والتدمير فى الوقت الذى بلغت فيه قمة الحضارة المادية .

واذا كان الايمان بالنسبة للمجتمع هو الضابط لمسيرته والرقيب على خطاه وصمام الامان لاستقراره فانه بالنسبة للفرد ضرورة من الزم ضرورات الحياة . فلانسان حاجاته الحسية كالحاجة الى الطعام والشراب والحاجة الى النوم والراحة ، وحاجاته النفسية كالحاجة الى الامن والطائنة والحاجة الى أن يكون محبا وان يكون محبوبا . وقبل هذه وتلك تأتى حاجة الحاجات واعنى بها الحاجة الى الايمان . فالفرد السوى — بتعبير علماء النفس — لا وجود له بغير عقيدة صالحة تؤاخذ بين متطلبات النفس ومتطلبات البدن ، وتنظم العلاقات بين ما يتعارض منها ، وتهىء لها جميعا جوا من التعايش السلمى اذا جاز لنا أن نستعمل مصطلحات السياسيين .

وهكذا نرى أن الايمان ضرورة وجود وضرورة حياة . ولعلنا لا نبالغ اذا قلنا انه الأساس الذى تنبنى عليه سعادة الفرد واستقراره فى ظروف الحياة المادية . فاذا حزب الامر وادلهم الخطب

لو لم يكن للايمان من غاية الا رضوان الله وثوابه لكان ذلك وحده كافيا لان يلوذ به الناس ويتعلقوا به تشوقا الى الجنة ونعيمها ، وتجنباً للنار وجحيمها . ولكننا نعلم الايمان اذا نحن تصورنا انه معاناة فى الحياة الدنيا من أجل سعادة مرجوة فى الحياة الاخرى لانه بذلك يكون عبئا على الناس لا يقوى عليه الا الذين صفت قلوبهم وسمت نفوسهم واتصلت ارواحهم بالسما . والقرآن لم يطلب من الناس مستحيلا ، ولم يكلفهم الا بما يحتلونه ويطبقونه مع مراعاة كاملة لما فى الطبيعة البشرية من نقط الضعف ونواحي القصور . وهو لم يحصر نفسه فى اطار العقيدة الدينية ولم تقف آياته عند صلة الانسان بخالقه وما ينتج عنها من الثواب والعقاب فى الاخرة ، وانما كان الشطر الاكبر منها يمس حياة الانسان ومعاملاته وعلاقاته بأخيه الانسان وبالمجتمع الانسانى الذى يعيش فيه .

ومعنى هذا أن القرآن الكريم لم يدع الى الايمان مجردا ولا منفصلا عن حياة الانسان وانما دعا اليه كطريق الى الله فى علاه ، وكوسيلة لصالح الحياة التى يحياها الانسان على وجه الأرض . فليس الايمان فى الاسلام مجرد طقوس وعبادات ، وليس مجرد شعارات ومثل ، وانما هو نمط سلوك وطريق حياة . ومن ثم لم تكن دعوة القرآن ولا دعوة الرسول الى الايمان بالله واتباع احكامه منفصلة عن حياة الناس التى يحيونها ، ولم تكن مجرد امانى يتعلق بها من يضيقون بحياتهم فيلتمسون لانفسهم حياة أفضل فى عالم آخر ، وانما كانت الدعوة الاسلامية الى الايمان دعوة متصلة بالحياة التى يحياها الناس وناغذة الى صميمها . فالمؤمنون ليسوا فقط أصحاب الجنة واهلها ، وانما هم ايضا الاسوياء الاصحاء نفوسا وأبدانا فى حياتهم الدنيا . ومجتمع الايمان ليس مجتمعا أخرويا وانما هو مجتمع

أمامه عبر التاريخ كله عاجزا لا يدرى له كنها ولا يستطيع له دفعا ولا يملك منه فكاك ولا خلاصا . الموت . . ذلك المجهول الرهيب الذى ينتزع الاحباب من احبابهم وينتزع الاطفال من آبهاتهم وينتزع الآباء من أبنائهم . الموت . . تلك المعركة المتجددة التى يخوضها الانسان كل يوم ويخسرها كل يوم منذ وجد على ظهر هذه الأرض . كيف يواجهه الانسان ؟ وكيف يمكن أن يتقبله ويرضى به ؟

هنا أيضا تمكن قيمة الايمان وعظمته . فعلى قدر عمق الايمان وصدقته فى النفس يكون هون الصدمة فى فقد الاهد والاحباب ، ايمانا بالله ورضا بقضائه وامتنالا لحكمه القائل بان « كل من عليها فان » « كل نفس ذائقة الموت » « أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة » . احكام مطلقة لا استثناء فيها ولا استئناف ، لا شذوذ عليها ولا نقض لها . فالروح وديعة غالية لله يستردها فى أى وقت يشاء وعلى أى صورة يشاء ، لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه .

وهنا يتجلى الفرق واضحا بين المؤمن والملاح . المؤمن يرضى ويصبر ويحتسب لأنه يرى فى الموت حكما من احكام الله لا يد أن ينفذ، ويرى فيه امتحانا من الله يجب أن يصبر عليه ، وله على صبره الثواب والجزاء . ويرى فيه فوق ذلك كله مظهرا من مظاهر قدرة الله وعظمته . فما من أحد يستطيع أن يدفع عنه هذا المكروه أو أن يؤجله لأنه شئ فوق طاقة البشر وفوق حدودهم . ومن ثم يجد فى الايمان عزاء وسلواه أمام الموت ، ويجد فى الموت نفسه ما يرده الى مزيد من الايمان بالله خالق الموت والحياة « الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون » أما الملاح فماذا يجد فى نفسه غير الفراغ ؟ وبمن يلوذ ؟ ولن يلجأ ؟ . لا شئ يعصمه من السقوط ، ولا شئ ينقعه عند السقوط . انه لا يجد للموت تفسيراً مقنعا أو تعليلا مرضيا ، وهو لا يستطيع أن يتقبله أو أن يمنعه ولا يملك الا أن يستسلم له مكرها على ذلك مضطرا . انه . . وقرق كبير بين احساس الانسان بالهزيمة أمام قضاء الله واحساسه بالرضا بهذا القضاء .

أفنجادل بعد ذلك كله فى أن الايمان هو مصدر سكينه القلب وطمانينة النفس ؟

أفنشك فى أن الايمان هو صمام الامان الوحيد للعالم والآخرة معا ؟

أفنتذكر انه علاج للنفس ولبسم لجراحها ، وأنه الجدار المتيع الذى يعصم الانسان من أن يتهاوى أمام صدمات الحياة ؟ !

كان الايمان هو الذى يخفف عنه عبئه وينير له ما اظلم من طريقه . ففى الحرب — مثلا — يستمد المقاتل من ايمانه قوة لا حدود لها لان القتال حينما يكون دفاعا عن العقيدة أو المال أو العرض أو الوطن يصبح جهادا فى سبيل الله « ولئن قتلتم فى سبيل الله او متم لغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون » . وهنا يكمن السر فى الانتصارات الرائعة التى حققتها جيوش المسلمين أيام الفتوح . فقد كانوا جند الله ، وكانوا يحرسون على الموت كما يحرس أعداءهم على الحياة . كانت أطيايف الجنة تتراءى لهم ، وكانت منازل الشهداء فى الفردوس الأعلى تلوح أمام ناظرهم فتجعل أقصى مناهم أن يستشهد الواحد منهم ثم يبعث من جديد فيقاتل فيقتل ، ثم يبعث فيقاتل فيقتل ، ثم يبعث فيقاتل فيقتل لى يذوق طعم الشهادة مرات ومرات . كانوا لا يقاتلون طمعا فى غنيمة أو خوفا من هزيمة ، وانما دفاعا عن عقيدة تسلك بهم أحد طريقين لا ثالث لهما : النصر أو الشهادة . وكلنا يذكر قصة الاعرابى الذى كانت فى يده بضع تمرات ياكلها فالتقى بها وهو يقول : ليس بينى وبين الجنة الا هذه التمرات . وانطلق يجاهد فى بسالة حتى استشهد .

فرق كبير جدا بين من يقاتل بعقيدة وايمان ومن يقاتل بغير عقيدة ولا ايمان . القتال بالنسبة للاول جهاد وبالنسبة للثانى عملية انتحار . وطريق الانتحار يقضى الى العذاب ، أما طريق الجهاد فيفضى الى الشهادة ، وهذه تفضى بدورها الى الخلود . « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون . فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ان لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين » .

فكيف يمكن أن يجبن من يمثل هذه المعانى وكيف يمكن أن يضعف ؟ كيف يمكن أن يتخاذل انسان وفى نفسه تلك الطاقات المعنوية الهائلة التى تتدفق من ايمانه ؟ كيف يمكن أن ينهزم جيش فيه هذه الروح ؟ ليس الايمان اذن طريقا الى الجنة وحدها ، ولكنه طريق الى النصر أيضا ، وسبيل الحياة العزيزة الكريمة فى الدنيا والآخرة .

ولكن القتال ليس هو موقف الابتلاء الوحيد الذى يتعرض له الانسان فى حياته ، فأمام أعيننا مشهد يتكرر كل يوم وتبرز فيه قيمة الايمان أكثر وأكثر . وأعنى به موقف الانسان فى مواجهة الموت ، ذلك المجهول الرهيب الذى حارت الانسانية فى فهمه طوال مسيرتها على درب الحياة ، وموقف الانسان

الذاكرون

بين الأحوال والمقامات

أستاذة هسن كامل الملطاي

سرا وجهرا ، ولذلك جعل السادة الصوفية - على اختلاف طرقهم - ذكر الله تعالى مدخلا للتربية الصوفية العالية فجنى منه المريدون أطيب الثمرات في أسرع الأوقات ، وقد شاهدنا ذلك عمليا بالتجارب التي رأيناها رأى العين ، والتصوف يقوم على التجربة والعيان ولا يقوم على الدليل والبرهان .

ويقول سيدي أبو سعيد الخراز ، إذا أراد الله أن يوالى عبدا من عبيده فتح له باب ذكره ، فإذا استلذه فتح عليه باب القرب ، ثم رفعه إلى مجلس الانس ، ثم أحلجه على كرسى التوحيد ، ثم رفع عنه الحجب ، وأدخله دار الفردانية ، وكشف له الجلال والعظمة ، فإذا وقع بصره على الجلال الحق والعظمة بقى بلا هو [أى فنيته مراداته في مرادات ربه فرضى بما يختاره له ربه] .

وهذا الذى قاله سيدي الخراز يفسر لنا سر السبق الذى أنبئه مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم للذاكرين في قوله لاصحابه « سيروا » سبق المفردون [بتخفيف الراء المكسورة وتشديدها] قيل : من المفردون ؟ قال : المستهترون بذكر الله [أى المولعون كثيرا بذكره سبحانه] وضع الذكر عنهم أوزارهم ، يردون القيامة خفافا « ويؤيد هذا الحديث الشريف قول الله تعالى [.. والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما] » وأنك إذا تأملت في الآية كلها أيقنت أن مقام الذكر توج كل المقامات التى سبقته في قوله تعالى في سورة الاحزاب [ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقات والصابرات والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصانين والصانيات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما] فمع علو المقامات التسعة جاء الذكر فوقها مع أنه عاشر مقام فيها وهو ما يفيد سبق الذاكرين ، كما يفيد أنهم لا يصلون الى مقام السبق الا بعد التحلى بكل تلك المقامات السكرية التى عددها الآية العظيمة .

ويبدأ المريد تربيته الصوفية بالتوبة ، وهى عند السادة الصوفية ليست باللسان كتوبة العوام الذين يتوبون ثم يعودون لما تابوا منه ، بل استغفارهم هو الاستجابة ثم الاتابة ثم التوبة ، فالاستجابة أعمال الجوارح ، والاتابة أعمال القلوب ، والتوبة اقباله على مولاه وترك الخلق ، ثم يستغفر من نقصيره الذى هو فيه ، ومن الجهل بالنعمة وترك الشكر ، فعند ذلك يغفر له ربه ويكون عنده ماواه .

ثم ينقل الى الافراد ، ثم الثبات ، ثم البيان ، ثم القرب ، ثم المعرفة ، ثم المناجاة ، ثم المصافاة ، ثم الموالاة ، ثم محادثة السر وهو الخلوة ، ولا يستقر هذا فى قلب عبد حتى

« اذا ترقى الذاكر اشهد الهامه ، ويترقى بعد الاحوال الى مقامات القرب حتى يتحول فى النظر فى الدنيا الى الآخرة ، فلا يكون بينه وبين الله حجاب ، بل تكون روحه مع الله تعالى فلا يرى غيره .

ذلك من بعض ماكتب به سيدي وشيخي الشيخ عبد السلام الحلواني طيب الله ثراه الى تلميذه الصديق الصالح المبارك السيد / سالم جيمه مد الله فى عمره ، وهى كلمات طيبة تدل على فضل ذكر الله تعالى وأثره فى أرواح الذاكرين ، كما تكشف لنا عن بداياتهم ونهاياتهم فهم يستمعون قوله تعالى فاذكرنى فيبينونه فيرون حلاوة الاتباع فى قوله تعالى [اذكركم] وما أحسن البداية وما أسعد النهاية ، وأين ذكرنا من ذكره ؟ وأين عملنا من أجره ؟ فتعالى الله الفعل لما يشاء .

وما أروع ما يقول سادتنا الصوفية ناصحين للمريد - يا هذا حفر النهر البك ، وأجرا الماء ليس عليك ، احفر ساقية [فاذكرنى] الى جنب بحر [اذكركم] فإذا بلغ إليها معول الفكر ، فاضت عليه مياه البحر ، فبى يسمع ، وبى يبصر ، الق بذر الذكر فى أرض الخلوة ، وشق الى ساقية من ماء الفكر لعلها تنبت شجرة : « أنا جليس من ذكرنى » ويقول الحب الذاكر :

يرنحني اليك الشوق حتى

أهبل من اليمين الى الشمال

كما مال المسافر عاودته

حميا الكاس حالا بعد حال

وياخذنى لذكركمو ارتياح

كما نشط الأسير من العقار

ويذكرنى ذلك قول سيدي وشيخي الشيخ على عقل نور الله ضريحه فى الهامه الفورى الذى نقلناه عنه :

وقفت على نجوى الاله جوانحى

لذلك قلبى منزل كله ذكر

وأخليت قلبى من مناجاة غيره

فاصبح طودا لايزله الغير

اسارع مشاقا وأسكت هائبا

وانطلق اجلا وما عاقتى سير

ففى صحتى شوق وفى غفوتى هوى

وفى مشيى علم وفى وقفنى سر

وقد جاء فى الخبر : أن لله فى كل يوم صدقة بين بها على خلقه ، وما تصدق على عبد بصدقة أفضل من أن بلهه ذكره ..

وفضائل ذكر الله تعالى أكثر من أن نعد ، وعد حض القرآن الكريم ، كما حضت السنة الشريفة على الإكثار من ذكر الله

يكون العلم غذاءه ؟ والذكر قوامه ؟ والرضا زاده ، والتفويض مراده ، والتوكل صاحبه ، ثم ينظر الله تعالى اليه غير نفسه الى العرش ، فيكون مقام حيلة العرش .

هكذا قال الامام سهل بن عبد الله التستري رضى الله عنه ، وكان يقول :

المسيد لابد له من مولاة على كل حال ، واحسن حالة ان يرجع اليه في كل شيء : اذا عصى يقول يارب استر علي ، فاذا فرغ من المعصية قال : يارب تب علي ، فاذا تاب قال يارب ارزقني العصمة ، فاذا عمل قال : يارب تقبل مني . ويعني السادة الصوفية في تربية المريدين بتوحيين الدنيا في قلوبهم ، وان كسبت ايديهم الاموال ، عندهم ان الدنيا قنطرة ، ولا يمكن استيطان القنطرة ، ويقول قائلهم في ذلك :

ومن يامن الدنيا يكن مثل قابض

على الماء خائنه فروج الاصابع

وهم يقتبسون ذلك المشرب من القرآن الكريم والسنة النبوية المظهرة ، فان الله تعالى يقول مثلا في سورة الكهف [واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فاصبح خشيا تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقدرا] فما كاد الزرع يخضر حتى يبس وصار خشيا تذروه الرياح هنا وهناك ، لادوام له ولا استقرار . واما السنة فقد ورد فيها قوله صلى الله عليه وسلم : « من أصبح والدنيا اكبر همه فليس من الله في شيء والزم الله تعالى قلبه أربع خصال : هما لا ينقطع عنه أبدا ، وشغلا لا يتفرغ منه أبدا ، وفرا لا يبلغ غناه أبدا ، وأملا لا يبلغ منهأه أبدا » .

وبعد التوبة وتوحيين شأن الدنيا يعني المريد بامر الآخرة ويبدأ بصحبة شيخه القيد بالشرعية والمؤيد بالحقيقة فيرشده الى ذكر الله تعالى باسمائه الحسنى التي يلقنها له ويبين له طريقة ذكرها و ادب الذكر وعدده ، فيذكرها باللسان ويراعي معناها بقلبه فيستثير قلبه شيئا فشيئا بانوارها وخواصها وتقوى رابطته بربه ويشتد حبه وينشئ في سلوكه من مقام الى مقام حتى يشهد ربه بعين يقينه ويذوق توحيده ويقول بلسان حاله : الهى أنت مقصودى ورضاك مطلوبى .

ويتكلم سيدى وشيخى الشيخ عبد السلام الحلوانى في كتابه القيم « السيرة الخليلية » على أسرار الذكر فيقول مخلصه : من أسرار الذكر أن الذاكرين يتدرجون في مقامات السلوك والادب فيجاهدون أنفسهم الامارة وقد قال صلى الله عليه وسلم « رجعا من الجهاد الاصفر الى الجهاد الاكبر » قالوا وما الجهاد الاكبر يا رسول الله ، قال جهاد النفس « فيجاهدون أنفسهم في شهواتها ورغباتها حتى تستيقظ وتتجه الى الهداية فتصير لوامة تلوم نفسها على ماضى وتنبؤ الى رشفها وتنبؤ الى الله تعالى بنعمة الاسلام والايمان ، ثم تصير بصديق المزم على الطاعة روحا طيبة يلهمها الله فتفرق بين طريق الخير وطريق الشر [فالهمها فجورها وتقواها] وعندئذ يستثير القلب بتعريف من الله سبحانه [ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور] فاذا خشي الذاكر ربه وخاف مقامه ونهى النفس عن الهوى واطمان الى الله وخافه ورجاه ورجع في كل احواله اليه واعتمد عليه وسلم له الامور ، فلا يعرف سواه ولا يخشى الا اياه ، فاذا ذكر خشعت نفسه ، واذا تجلى عليها الحق انتعشت ، فهي في القهر والبسط لاترجسوا غير ضيها برضاها عنها فتعود مرضية برحمته ويحضر فضله فتدخل في عبادة القائلين على ذكره وترجع في الاخرى مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا . وقد تعرض سيدى الشيخ عبد السلام بعد ذلك للمقامات الشريفة التي يتقلب فيها الذاكر المداوم على الذكر ، فتكلم عن مقامات المحبة والاخلاص والمراقبة والخشوع والحباء والخوف والرجاء والتقوى والصبر والزهد والتوكل والشكر وبسط الكلام على كل مقام منها ثم ختم كلامه قائلا رضى الله عنه :

□ ٧٨ □

ومن صرفت نية مع الله تعالى وتفكر في مصنوعاته وسلك تسبيل الصواب اورنه الله هذه المقامات فتكون فطرة فيه لا بتكلفه ويصير من أولى الالباب ويكون قلبه مصقولا مستعدا للتجليات الالهية والتفجحات الرحمانية متعرضا لها كما ورد في الحديث « ان لله في دهركم نفحات فتعرضوا لها » .

ثم اضاف سيدى الشيخ قوله :

قال بعض الصوفية : القلب في اطوار المقامات لمعوم المحبين الذين اتابوا الى الله وجاهدوا فيه فهداهم السبيل ، وطوى بساط الاطوار لخواص المحبين وهم المحبوبون الذين اجتباهم ربهم فلا تقيدهم المقامات ولا تحبسهم لان بواطنهم صافية لاتحتاج الى ما يصفوها قال تعالى [الله يجتبى اليه من يشاء ويهدي اليه من ييب] .

ويتكلم سيدى الشيخ بعد ذلك عن الاحوال فيقول مخلصه : واذا سلك العبد مسلك الصالحين وتدرج في مقامات السالكين وعامل الله معاملة اليقين اصبح قلبه مسلحا للتجليات الالهية والمطايا للدنية ، فقد قيل ان المقامات مكاسب والاحوال مواهب والمواهب مخوفة بالمكاسب والمكاسب مخوفة بالمواهب . والاحوال مواهب علوية وسماوية والمقامات طرقها - على ان المقامات والاحوال كلها مواهب ، وانما قال بعض الصوفية : كل ما كان عن طريق الاخذ بالاسباب بعمل العبد فانه كسب ، وما لاح من طريق المواجهات والاحوال فانه وهب . وقد ذهب بعضهم الى ان الاحوال لا تكون الا اذا دامت فاما اذا لم تدم فهي طوابع ولوائح وبوادة وهي مقامات الاحوال وليست باحوال وتعرض سيدى الشيخ بعد ذلك للاحوال من الحب والعشق والشوق والانس والبسط والقبض والتواجد والوجد والجدب . ويقول سيدى الامام ابو القاسم الجنيد رضى الله عنه في الرسالة : الاحوال مواهب ، والمقامات مكاسب ، والاحوال تاتي من عين الجود والمقامات تحصل ببذل المجهود ويعرف سيادته الحال فيقول انه معنى يرد على القلب من غير تمسك ولا اجتناب ولا اكتساب من طرب او حزن او بسط او قبض او شوق او هيبه او انزعاج او احتياج . ويضيف ان الاحوال كاسمها كما تحل في القلب تزول في الوقت وانشدوا :

لو لم تحل ماسميت حالا

وكل محال تقعد زالا

انظر الى الفى اذا ما انتهى

ياخذ في النص اذا طالا

ثم يقول رضى الله عنه : وائسار قوم الى بقاء الاحوال ودوامها وقالوا انها اذا لم تدم ولم تتوال فهي لوائح وبوادة [من بددها اذا فجاه ويفنه] .

ويقول العارفون : اذا بلغ المريد بالرياضة والارادة حدا ماغت له خلسات من اطلاق نور الحق عليه لذبة كانتا بروق تومض اليه ثم تخمد عنه وهي التي تسمى عندهم اوقات ، وكل وقت يكسبه وحدا اليه ، ووجدا عليه ، ثم انه تكرر منه هذه الفواشى اذا امعن في الاتيان ، فكلما لمح شيئا عاج منه الى حتى يفتشاه في غير الاتيان ، فكلما لمح شيئا عاج منه الى جناب القدس ، يذكر من امره امرا ، ففتشه غاشي ، فيكاد يرى الحق في كل شيء [اى لان الاشياء من آثار قدرته تعالى] ويقول السادة الصوفية : ان قيسا كان يدور في الإرقسة ويقول : ابا ليلى ، فلما افرط كان يقول : ليلي ليلي ، دائما لا يخلط مع اسمها شيئا ، واذا كان هذا ثمرة حب ليلي ، فكيف مجنون الحب يرب ليلي ، ويذكرني ذلك ما قاله استاذي العارف بالله سيدى الشيخ على عقل في الهيامه الارتجالي على سبيل الرمز :

لما علقت بليلى في مشاهدتى

قالوا باتك يامسكن مجنون

اجبنهم لا تلومونى على حرقى

فكلنا ان تمسقتنا مجانين

وما قاله مرة اخرى :

قالوا بأن القسرام يامن

يحب من شأنه الجنون

قلت اكنفوا ليس ذاك حقا

ونحن بالله نستعين

ان كان حبي له جنونا

يا حبذا ذلك الجنون

ويقول أحد الصوفية الاقدمين :

يا من ينكرني بمهمد أجنبي

طاب الحديث بذكرهم ويطيب

أعد الحديث على من جنباته

ان الحديث عن الحبيب حبيب

ملا الصلوع وفاض عن اجنابها

قلب اذا ذكر الحبيب يذوب

ما زال يخفق ضاربا بجناسه

باليث شمري هل تطير قلوب

وقال آخر :

خطرات ذكرى تستثير مودتي

واحيى منها في الفؤاد ديبيا

لا عضو لي الا وفيه صبا

فكان اعضائي خلقن قلوبا

واذا داوم المريد ذكر الله تعالى ورث محبته فورثته المحبة بدورها سرور القلب بشهود جلاله وهو ما يعرف في اصطلاح السادة الصوفية بالانس ، فاذا انس المحب بربه استوحش مما يتعلمه عن رجايه او يشغل عن موالاته وفي ذلك يقول استاذي وسيدي الشيخ علي عقل ارتجالا من الهامه القوري :

قتلت هوى نفسى فعمشت بلا نفسى

وجافيت انسى فانحدرت الى الانس

وأدركت بالوجدان سر اجبتى

وعاينت آيات اليقين بلا لبس

وعشت زمانى لست احفل بالورى

وكيف وقلبي هام فى مشهد القدس

وما اتخذت روجي سوى الله غاية

فتم الهدى للروح والقلب والحس

واذا تكلم السادة الصوفية عن الرياضة فانما يقصدون بها عدم الوقوع فى رق المادة الى درجة تصرف المريد عن طلب الآخرة ، ويقتدر ما يطرح المريد الانشغال بالمادة من قلبه ، ثقة بربه الذى كفل الإززان ، بقدر ما تصغر روحه فى جنب الله ، ولذلك قالوا ان الكافر يتنقع والمؤمن يتزود ، فيمنع ما يصرف الكافر همه للهاديات والتقلب فيها ، يسخر المؤمن الماده فى مرضاة ربه فينتفعها فى القربات لا فى الشهوات ، لانه يملكها للحقوق لا للحظوظ ، لان المؤمنين يضمنون فى اعتبارهم على الدوام قوله تعالى [ما عندكم ينفذ وما عند الله باق] .

واذا عزف المؤمن عن كروب المادة الدنية واتجه بقلبيته الى فيضات الآخرة الرضية عوضه الله تعالى فرق بفضل الله وجدانه واشتد الهامه وتولاه الله فى جميع اموره وذلك مصداق قوله تعالى [يا ايها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا . وسبحوه بكرة وأصيلا . هو الذى يصلى عليكم ويلائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور وكان بالمؤمنين رحيما .] وقوله تعالى [ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه] ولا شك أن السادة الصحابة الاطهار قد بلغوا فى حب الله ورسوله والتزام الطاعة الغاية التى لم يبلغها أهل الاجيال التى تلهم ، وقد رأينا أن الله تعالى قد عليهم بعد جهل ، وجميعهم بعد فرقة وأطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ، وكانت كلمات الخلفاء الراشدين فى خطبهم او

رسائلهم بأهزة كانت من مشكاة النبوة وما زالت للخلفاء نبراسا يهتدون به الى الحق فى كدورات الحياة .

ويقول سيدي الامام الكبير الحارث المحاسبى رضى الله عنه وأرضاه فى وصف سادتنا الصحابة رضى الله عنهم :

« وقد بانوا بفضل المعرفة على غيرهم والزيادة فى العمل بها لله جل ثناؤه من طهارة القلوب ، وادامة الذكر ، وكثرة التقرب إلى الله سبحانه بالنوافل ، وبذل الطاقة والجهد نصيحة لانفسهم ، وطلبيا للحظوة عند سيدهم .. فكانوا بذلك عن حركات الطبع متجافين متشاعلين ، وبكل داع يدعوهم الى غيره مستثنين ، وعن كل فترة تهيل بهم الى الراحة ناقرين والى كل حاد يحذوهم الى الزيادة ساكنين ، وعلى العمل المقرب لهم الى الله عاكفين .

« آيات العلم بالله لهم أهواءهم ، وغلب لهم أعداءهم » وجمع لهم شملهم ، واحكم لهم أمرهم ، وكان التوفيق لهم صاحباً ، وخفى اللطف من الله دائماً ، والتأييد لهم من سيدهم مرشداً .. فلم يكونوا للاقوات مضيعين ، ولا باستجلاب مأكفوا متشاعلين ، ولا لحسا أحب الخاق من الاستكثار محبين » .

وأنت ترى من ذلك الوصف شرح ما قاله سيدي الشيخ عبد السلام فى عبارته التى وردت فى صفح المقال ، فان السادة الصحابة ترقوا الى مقامات القرب وصارت ارواحهم مع الله فلم يروا غيره سبحانه ، فشغلهم به عما سواه وكفاهم ما اشتغل الناس به من أمر الدنيا الفانية [بل يفتخرون الحياة الدنيا] والآخره خير وأبقى [] .

واذا كانت نمار الطاعة الدائمة قد نُصجت فى جيل السادة الصحابة ، فان الاجيال الذين جاؤوا من بعدهم قد انتفعوا من بذور تلك الثمار الياضعة فنالوا من خيراتها وبركاتها وتشبهوا فى ذلك بالسابقين بالخيرات باذن الله وصدق سبحانه اذ يقول [ثلثة من الاولين . وثلثة من الآخرين] لا بل ان ثلثة من المتأخرين لحقت بالسابقين المقربين منهم مصداق لقوله تعالى [والسابقون السابقون . اولئك المقربون . فى جنات النعيم . ثلثة من الاولين . وقليل من الآخرين] .

وقد من الله تعالى على من فضله فسلك طريق السادة الصوفية على مشرب الطريقة الخليلية لصاحبها العلم الاشهر والمجدد الاكبر سلطان وقته سيدي الفوت الحاج محمد أبى خليل [وضريحه المبارك ملحق بمسجده المعروف بالقزاقى] وسلكتها على يد خليفته الكامل المارفى الريانى سيدي الشيخ عبدالسلام الحلوانى [وضريحه المبارك ملحق بمسجده المعروف بقرية كفر نهرمس] جيزه قرأيت فى أهل الطريقة الخليلية تحقيق ما يقوله سيدي الشيخ عبد السلام فى وصف أهل الله ، وكان هو وتلميذه العارف بالله سيدي الشيخ على عقل من أبرز الامثلة المؤيدة لذلك الوصف وقد كشفت سلسلة « الصوفية فى الهامهم » عن شيء من نوار النثر والشعر الماثور عنهما وان كانت شاملا رجال الطريقة العالية وصفاتهم الشامخة مستكنة فى جوانحنا بصورتها النورانية التى يحسها الوجدان ويمجز عن وصفها البيان . وتتميز الطريقة الخليلية بغزارة الالهام فى سالكيها ، والالهام اثر ظاهر بينهم من آثار ذكر الله ذكرا كثيرا ، حيث لا يبعد الذكر فيها بعد أعلى وانما يذكر الذاكر ماوسمه الجهد ولو ذكر فى ليلة واحدة عشرات الآلاف ، وليس الالهام عند السالكين وفقا على طائفة المتقنين بل يتعداهم الى غيرهم من غير المتعلمين كما شاهدنا ذلك « رارا » فكانا نسمع شعرا رقيقا على البديهة من المرحوم السيد / احمد السخاوى وكان نجارا ، ومما سمعناه منه منشدا على مجلس الذكر الهاميا وارتجالا قوله رحمه الله :

يا تميم الصبح هل قلت وثقا

شبه نجان بـكـادوم يثق

قال انى قلت فوق السما

يستقى الاسرار من رب القلق

وكذلك كان مما قال []

فقابلنى المختار فى عالم السما

فقلت عجيبا جئت من ارض طيبة

فقال بلا عجب انا اصل ذا الورى

ترانى بعين الحب فى كل بقعة

ومن الهام المرحوم الشهيد رضوان عثمان رحمه الله قوله :

ايها العزال مهلا

اذ رايتهم ما يريب

او لقيم ما لقينا

ما مؤلم ما يذيب

او علمتم ما علمنا

لا تجمتم من قريب

حالتنا بالله حال

برنا سر عجيب

كل من ينكر هذا

فهو اعمى لا يصاب

ثم بجنح الليل واصل

واشهد الحق الحبيب

لم كن لك اخفى

قد انى وقت المشيب

واستمد الله عفو

واسخ بالدمع الصبيب

واذكر المولى دوما

ثم قل انى منيب

كيف يغوى من دعاه

من دعاه لن يخيب

ومن الهام المرحوم المهندس الزراعى السيد / محمد لطفى

خشية رحمه الله قوله :

وعن شيخى اخذت السر غضا

وجللى الى السكوز التادرات

ولم اك غير زممار وشيخى

هو الموى بتلك المبدعات

وعنه كم شدا غيرى فاشجى

وجاء بكل آى معجزات

وان خاض العلوم تجده بحرا

تدفق فى المعانى الفائقات

مواهب للخليل زهت وفاضت

على الاتباع غرا فاخترات

ومن الهامه نثرا رحمه الله :

الهي : واجمل علمى بك علم المتادين الموفقين لطاعتك .

لا علم المتكبرين المتسلخين بعد رؤية جليل آيتك .

الهي : واحينى بك حياة من اردته لك وخصصته بمحبتك .

وكملته مع نقصه فاستوى بك دالا على حفى مودتك ، وقرينى

ـ رغم عصياني ـ اليك لاكون آية ناطقة على كريم منحك ،

ومظهرا من مظاهر جودك المتدفق ، وبرهانا لاهل الصفو من

خاصتك ، وحتى اعلم ويعلموا ان المرد فى وصلك انما هو

بمواسلتك ، وان التوفيق منك والقبول لا يكون الا بمشيئتك ،

وان عنايتك اذا تبنت فالشقى سعيد ، ولحات قربك ان تجلت

وصلت انعاني الطريد .

ومن الهام المرحوم السيد / على السيد قوله رحمه الله وكان

من حملة الشهادة الابتدائية :

لله در ابى خليل انه

شيخ قد ازدانت به الاجزاء

شهد الزمان بفضلته وبائه

هو للنفوس آخرة المعصاة

احيا المكارم والفضائل عصره

وانهل وابله وفاض الماء

مادون معرفة الاله سماعة

كلا ولا دون الوصول ههنا

صلى الاله على الذى من اجله

خلق الوجود ونبت النعماء

ومن الهام المرحوم الشيخ مساعد بكر وكان رحمه الله من

عمد الريف قوله :

هدانى الهوى حتى وصلت الى الرب

وهذب قلبى فى مشاهد ربي

ولما ارتقت روى لى جنابه

افاض لهما سرا يحققه قلبى

فقلت لاهل الحب هيموا صباية

يفوز بفضل الله من طاف بالفيب

ترانا نواضى الناس لكن قلوبنا

مع الله لا تلهى باهل ولا صاحب

سكارى وما كنا سكارى وانما

نفيب من الاجلال فى ساحة الجذب

سعت بالرضا روى الى العرش ساعة

لقيت بها عند المهين مايسى

فعلمنى مما رايت سائرا

نفى لروى حيث قد رفعت حجبى

فما انا الا نفحة احمدية

تجلت باسم الله فى الشرق والغرب

ومن الهام المرحوم الشيخ محمد البسطويسى قوله رحمه الله

وكان ماذونا بالريف :

نناجيه والارواح تسجد هية

لعزته المليا بمرش الحقيقة

ولى نهضة العشاق فى كل مجمع

ولى نشوة الاشواق فى كل حالة

قلولا هواها ماتولالى الهوى

ولولا رضاها مارضيت مذلتى

اتيه ولا تحت ظل لوائكم

وفى مشهد النجوى جمدت هدايتى

واذا علم القارى العزيز ان مسنوى ثقافتهم لم يكن يهينهم

لان يقولوا مثل هذا الكلام العذب ادرك ان الهامهم آية من

الايات التى ايد الله بها شيخ الطريقة وهو سيدى الفوتاح الحاج

محمد ابو خليل رضى الله عنه . ومع كثرتهم وكثرة من سمعت

بنفسى منهم فانى لم اجد ظاهرة الالهام المتدفق اغزر مما كان

يلهم به فى كل وقت من ليل او نهار سيدى العارف بالله الشيخ

على عقل فكان رضى الله عنه أشهر وأذكر من عرفه الناس فى

هذا المقام فكان كالشمس اذا طلعت اختفت فى نورها الكواكب

وكان سيدى الشيخ ابو خليل يمزج معه ويقول له « قول

ياعلى يابنى انت هاتجيب حاجة من بيت ابوك ؟ ويرد سيدى

الشيخ على الفضل الى ربه ببركات شيخه فيقول :

كل شىء ينتهى فى موته

غير سر الله عندى ماتفد

لى خليل كلما أملت

جاء نى فى الفيض اذا سح المدد

كلما قد زاغ قلبى قال لى

يامنى قل هو الله احد

الا رضى الله عن سيدى الشيخ ابى خليل الذى سلك بناجيه

سبيل الهدى على منهج الشرع الشريف ، فنى بهم عن مواطن

الضلال والردى ، فكان له فضل الدلالة والارشاد ، وكانت لهم

ثمرات السلوك الصحيح جعلنا الله من المحسوبين عليه والمنسوبين

اليه والمحشورين فى زمرة تحت لواء سيد المرسلين يوم يقوم

الناس لرب العالمين وينتدق قوله تعالى : [يوم ندعو كل

اناس بامامهم فمن اوتى كتابه ببينه فاولئك يقرأون كتابهم ولا

يظلمون قليلا] .

أحكام الشرعية بالرضاعة وآدابها

فضيلة الشيخ
محمد خاظم
مفتي الجمهورية

نعود الى ما وعدنا به في مقالنا السابق من بيان
اجر الارضاع ، ومتى تستحق أم الطفل أن تأخذ
أجرا ؟ ومتى لا تستحق الأجر ؟ - وهل إذا قامت
بالارضاع احتاجت الى عقد اجارة مع والد الطفل أم
لا ؟ - ومتى يكون اسناد الأجر ؟ - الى غير ذلك
من الأحكام المتعلقة بالرضاع والتحريم به واليك
البيان .

فانها لا تستحق أجره على هذا الارضاع لان لها على
والد الصغير نفقة الزوجية او نفقة العدة فلا تستحق
مع نفقتها أجره الرضاع اذ لا تجتمع النفقة مع
الأجر .

وهناك قول آخر في مذهب الحنفية يفرق بين
معتدة الطلاق الرجعي ومعتدة الطلاق البائن - اذ
يرى أن معتدة الطلاق البائن تستحق أجره ارضاع
ولدها لانها بالبائن انقطعت زوجيتها الا أن المفتي به
هو الرأي الاول الذي يرى عدم استحقاق المعتدة
مطلقا لأجره الرضاع كما أن عمل المحاكم يسير على
ذلك دون تفريق بين معتدة الطلاق الرجعي أو البائن
ما دامت كل واحدة منها تستوفي نفقة عدتها من
المطلق [والد الصغير] ولا يجمع بين النفقة والأجر .

هذا ، والدليل على ما ذكرناه من احكام وأن الام
تستحق أجر الرضاع بعد انقضاء عدتها ما بينه الله
تعالى في محكم كتابه اذ يقول في المطلقات « وان
كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يرضعن حملهن فان
أرضعن لكم فأتوهن أجورهن » . [الآية ٦ من
سورة الطلاق] - فقد أوجبت الآية على المطلق
[والد الصغير] . أن يعطى المطلقة [والدة الصغير]
اجر الارضاع اذا ما قامت به بعد انقضاء عدتها
بوضع الحمل لان منقضية العدة لا نفقة لها على
مطلقها فهي في هذه الحالة لا تجمع بين نفقة واجر
ارضاع .

- وقد تكون معتدة ولا تأخذ نفقة عدة بأن تكون قد
أبرأت الزوج منها أو أنه مضى عليها سنة بعد الطلاق
وأمرت بالكف عن المطالبة بالنفقة لمضى سنة على

من المقرر فقها أن نفقة الصغير الفقير على أبيه لا
يشاركه فيها أحد ومن نفقته أجره ارضاعه لمن تقوم
به - فهي حينئذ على الاب وفي ذلك يقول الله جل
شأنه « فان أرضعن لكم فأتوهن أجورهن » فلو لم
تكن نفقة الصغير على أبيه ما كان الوالد مطالبا بأجر
من ترضعه - كما يشير الى ذلك ايضا قوله
تعالى « وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن
بالمعروف » وقد أوضحنا وجه اشارة هذه الآية في
مقالنا السابق حين بينا اشتغال الزوجة في مصالح
الزوج [المولود له] بارضاع الصغير .

ولكن هل الام تستحق أن تأخذ من الوالد أجره
ارضاع ابنها مطلقا سواء أكانت زوجة أم مطلقة ؟ أم
أنها لا تأخذ أجر الارضاع الا في حالات معينة
وتفصيل ذلك يتجلى فيما يلي

قلنا في بيان الحالات التي تجبر فيها الام على
ارضاع ابنها الصغير اذا تعينت لذلك بأن كان
الصغير لا يقبل ثدي غيرها أو لا توجد من ترضعه
سواها الى غير ذلك من حالات الاجبار - ولم
تتعرض لاستحقاقها الأجر على ذلك من عدمه -
لأننا كنا بصدد بيان حالات الاجبار من أجل حياة
الصغير .

أما استحقاق الأجر على الرضاع وهو ما نتعرض
لبحثه الآن - فان الفقهاء قد قرروا أن الام اذا
أرضعت ابنها الصغير سواء كان ارضاعه واجبا
عليها فيما اذا تعينت له أو غير واجب عليها اذا لم
تتعين له . وكانت زوجيتها بوالد بوالد الصغير قائمة
حقيقية أو كانت في عدة طلاقه الرجعي أو البائن .

الطلاق اعمالا لاحكام القانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩
وان كانت عدتها لم تنقض شرعا برؤيتها الحيض ثلاث
مرات كوامل .

فهل مثل هذه المعتدة التي لا تأخذ نفقة اذا قامت
بارضاع ابنها الصغير لا تستحق أجر ارضاع على
والده . أم أنها تستحق الاجر حينئذ ؟؟

بناء على ما بيناه من تعليل من عدم الجمع بين
النفقة والاجرة تستحق هذه الام اجر الرضاع حينئذ
ما دامت لا تأخذ نفقة اذ المنوع ان تجمع بين النفقة
والاجور .

هذا والام تستحق اجرة الرضاع من حين قيامها
بالارضاع من غير توقف على قضاء القاضى او اتفاق
عليها فى مدة الرضاع المقررة .

وتكون هذه الاجرة ديناً صحيحاً على والد الرضيع
ولا يستقط هذا الدين الا بالاداء او البراء، فلا يعامل
معاملة نفقة الصغير التي لم يقضى بها اذ تسقط —
وذلك لان الاجرة هنا نظير عمل قامت به الام وهو
الارضاع .

وعلى هذا الاساس لو ماتت الام التي قامت
بالارضاع قبل ان تأخذ أجرها الذي استحقته من والد
الصغير كان لورثتها الحق فى مطالبة الاب بهذه
الاجرة .

كذلك لو مات الاب قبل ان يدفع لها الاجرة فهى
دين عليه تأخذها الام أو ورثتها من تركه الاب المدين
اسوة بسائر الغرماء .

والدليل على ان الام المستحقة للاجرة على النحو
الذى اوضحناه تستحق هذه الاجرة دون اتفاق عليها
مع الاب هو قول الله جل شأنه « فان ارضعن لكم
فاتوهن اجورهن » — فجعل استحقاق الاجر مترتباً
على الارضاع لا على الاتفاق عليه . وذلك لان
ارضاع الام لابنها الصغير دون اتفاق على الاجرة
ليس فيه ما يدل على تبرعها بهذا الارضاع لان حنانها
وشفتها يدفعانها الى ارضاع الصغير وعدم تركه
جانحاً حفاظاً على صحته وفى ذلك ما يدفع انها
متبرعة — اما غير الام وهى ليست مثل الام فى
الشفقة فان قيامها بالارضاع دون الاتفاق على الاجر
هو الذى يمكن ان يجعل منه دليلاً على تبرعها
بالارضاع .

ومما ذكرناه من نصوص يبين بجلاء ان الطفل
الرضيع اذا كان يقتل ثدى أمه وغيرها وارادت أمه
ارضاعه فهى احق بارضاعه من غيرها من الاجنبيات
وليس لابيها ان يعطيه لغيرها ترضعه الا بمبرر شرعى
كان توجد من تتبرع بارضاعه وتابى أمه ان ترضعه
الا باجر — ومعلوم ان ذلك فى غير الحالات التى
تتعين فيها الام لارضاع الصغير وقد ذكرناها آنفاً .

وقد قال الفقهاء فى تعليل ما ذهبوا اليه من أن
المتبرعة أو الراضية بالاجر الاقل أولى من الام فى
هذه الحالة بأن الغرض من الرضاع وهو تغذية

الطفل بارضاعه حفاظاً على حياته وفى اعطائه
للمتبرعة وصاحبة الاجر الاقل بتحقيق هذا الغرض من
غير اضرار الاب بالزامه اجرا لا تقتضيه ضرورة —
قال الله تعالى « لا تضار والدة بولدها ولا مولود له
بولده » — فالام فى هذه الحالة خير بين ان ترضعه
تبرعا او بالاجر الاقل وبين ان تسلمه للمتبرعة — الا
ان المتبرعة أو المستأجرة عليها ان ترضع الصغير
عند امه صاحبة الحق فى حضانه حتى لا يضيع على
الام حقها فى الحضانه الا اذا اتفقت معها ان ترضعه
فى بيتها ثم تعيده اليها .

كان ذلك هو بحث اجر الارضاع . وعلى من يكون
ومتى تستحقه الام —بقى من أبحاث الرضاع ان
نبين مدته وخلاف الفقهاء فيها وان نوضح الرضاع
المحرم وغير المحرم اى الذى يكون سببا فى حصول
التحريم ، والذى لا يخلص به التحريم ، وحكمة
التحريم بالرضاع ، وكيف يثبت الرضاع .

وسنوضح فيما يلى مدة الرضاع الذى يثبت به
التحريم .

لقد اختلف فقهاء الحنفية فى مقدار مدة الرضاع
الذى يثبت به التحريم — فقدها الصحابان [ابو
يوسف ومحمد] بالحولين الاولين من حياة الرضيع
فان حصل الارضاع فى تلك المدة ولو بعد الفطام
تعلق به التحريم ، وان حصل بعد هذه المدة ولو قبل
فطام الصغير فانه لا يثبت به فى هذه الحالة
التحريم — وهذا هو مذهب الائمة مالك والشافعى
واحمد وداود الظاهرى — ودليلهم على ذلك قول
الله جل شأنه « والوالدات يرضعن اولادهن حولين
كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة » وقوله
تعالى « ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهنا
على وهن وفصاله فى عامين » .

وذهب الامام ابو حنيفة الى ان مدة الرضاع
سنتان ونصف سنة اى انه حددها بالثلاثين شهرا
الاولى من حياة الرضيع . فاذا حصل الارضاع بعد
هذه المدة لم يتعلق بالرضاع تحريم فطم الرضيع او لم
يفطم — واستدل الامام ابو حنيفة لرايه بقول الله
تعالى « ووصينا الانسان بوالديه احسانا حملته امه
كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون
شهرا » . كما استدلل ايضا بالاية الكريمة التى
استدل بها من قرر مدة الرضاع بالحولين وهى قوله
جل شأنه « والوالدات يرضعن اولادهن حولين
كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة وعلى المولود له
رضعتهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس الا وسعها لا
تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده وعلى الوارث
مثل ذلك فان ارادا فصلا عن تراض منهما وتشاور فلا
جناح عليهما » . وقد رتب دليله على ما جاء بنهاية
الاية « فان ارادا فصلا عن تراض منهما وتشاور
فلا جناح عليهما » .

ويرى الامام زفر من فقهاء الحنفية ان مدة
الرضاع ثلاث سنوات .

وفى حديثنا القبل سنوضح وجه استدلال كل مع
بيان باقى الابحاث التى اشيرنا اليها

العبادات المخلصة

فضيلة الشيخ محمد باقر سلمان

وبأن الامر لله من قبل ومن بعد كما يقول نبي الله
ابراهيم عليه السلام .
(الذي خلقني فهو يهدين والذي هو يطعمني
ويسقي واذا مرضت فهو يشفين والذي يمينني ثم
يحيين والذي اطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين)
والذي يدرك طبيعة هذا الدين يدرك أنه يصل
النفوس ويسمو بالفكر البشري الى أعلى مراتبه ولذلك
كان ثورة على التخلف والجهود وعلى التقليد
والجمود وكان رحمة لأولى الابواب ذوى العقول
السليمة والقلوب الكبيرة .

ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون والذين هم
بآيات ربهم يؤمنون . والذين هم بربهم لا يشركون
والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجة انهم الى ربهم
راجعون أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها
سابقون (٥٦ - الى ٦١ المؤمنون) أولئك هم أساتذة
الاخلاق وأئمة الفضائل تراهم ركعا سجدا . يبتغون
فضلا من الله ورضوانا قد جاهدوا أنفسهم فانتهزوا
على عدوهم وأذل الله بهم الجبابرة وحملوا عروش
القيصرة والاكاسرة وليس كالايمان يعصم من
الانحراف ويبقى من سوء المنقلب ويحمي صاحبه من
الهلع والجزع . والذين لا يذكرون الله الا حين
البأس . يحدون آلاء الله ونعماءه (واذا أنعمنا على
الانسان أعرض ونأى بجانبه واذا مسه الشر هذ ودعاء
عريض) ويول لمن أصابهم البطر فينسون ربهم
ويعيشون في حيرة وتردد ملازم لهم في الدنيا
والآخرة (ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر
جزوعا واذا مسه الخير منوعا الا المصلين الذين هم على
صلاتهم دائمون والذين في أموالهم حق معلوم للسائل
والمحروم والذين يصدقون بيوم الدين . والذين هم من
عذاب ربهم مشفقون . ان عذاب ربهم غير مأمون
والذين هم لفروجهم حافظون . الا على أزواجهم أو ما
ملكتم ايمانهم فانهم غير ملومين . فمن ابتغى وراء ذلك
فأولئك هم العادون والذين هم لاماناتهم وعهدهم
راعون . والذين هم بشهاداتهم قانمون والذين هم
على صلاتهم يحافظون أولئك في جنات مكرمون) تلك
هي صفات الانسان وقد استثنى القرآن من اتصفوا
بالايمان بتلك السجبا التي وضحتها الايات السابقة
في سورة المعارج . ومن أعرض عن ربه صلحا وكبرا
فقد باء بالخزي والخسران المبين .

ولقد تحدثنا في مقالنا السابق عن فريضة الصلاة
والزكاة وعن أثرهما في تطهير النفس والمال واليوم
نتحدث عن فريضة تجاهد النفس وتهذب السلوك
وتكبح جماح النزوات والشهوات وتعد الانسان
اعدادا كاملا فاضلا لا تستذله الاهواء ولا تعبت به
نزعات النفس الامارة بالسوء .

تلك هي فريضة الصوم التي تتجه بالانسان الى
سيادة الروح على الجوارح .

(يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب

الاسلام دين الله القيم . جاء ليقم الحياة على
الصراط السوي وينشئ الناس على الخلق الكريم .
وبيعث فيهم روح الفضيلة . ويغرس معاني العدل بين
الناس ليسود الحق والخير ولذلك ارتضاه الله وجعله
دواء شافيا لجميع الادواء التي تصيب جسم المجتمع
الانساني وقد كرم الله به الامة وأتم به النعمة .

« اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي
ورضيت لكم الاسلام ديناً » المائدة ٣ ، وكان فضل
الله كبيرا بذلك على عباده : وبهذا الدين عرف
الانسان ربه وخالقه ، وأدرك أنه يجب أن يعبد وحده
وأن يقدس وحده وبالعبادة المخلصة يعقل القلب
يقينا وثقة بالله وشعورا بأن الانسان يجب أن يكون
كامل العقل والتفكير . ثابت العقيدة صادق الحديث .
قوى الادراك . عفيف النفس . عالى الهمم . ثاقب
الرأى . مستثير البصيرة مترفعا عن الدنيا لينا في
غير ضعف . قويا في غير عنف . عزيزا لا تذلل رقبته
الا لله . ولا يطمأئء رأسه لاحد سواه . لعلمه بأن
الله هو القاهر فوق عباده وبيده ملكوت كل شيء
والكون كله في قبضته والسموات مطويات بيمينه « له
ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت
الثرى » ويجب أن يستقر في الاذهان أن النظر في
ملكوت السموات والارض عبادة مخلصة تقرر في
الاذهان أن « لا اله الا الله » بمعناها الحقيقي الذي
ينمى المعارف ويقوى المدارك ويحقق الاخلاص وهو
روح العبادة . ومن الاخلاص لله ينبثق الرضا
وتتحرر النفوس .

« قل اني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين .
وأمرت لأن أكون أول المسلمين » قل اني أخاف ان
عصيت ربي عذاب يوم عظيم قل الله أعبد مخلصا له
دينى » والمؤمن الكريم يكون راضيا بما قسم الله فلا
يشرد عن طاعته ولا يتقاعس عن عبادته والاسلام الذي جاء
به محمد رسول الله صلوات الله وسلامه عليه - هو
الاسلام الذي جاء به النبيون من قبل - يوصى بالحق

وثورة الحمية وثورة الحقد وثورة الجهل وليعد لكل شيء من ذلك عدة يجاهده بها من الحلم ومن التفكير والروية وذكر العاقبة وطلب الفضيلة .
وفي الحكم المنثورة الماثورة القديمة :
اعلم أنك لا تصيب الغلبة الا بالاجتهاد والفضل .
وأن قلة الاعداد لمدافعة الطبايع المتطلعة هو الاستسلام لها .

وليس أحد من الناس الا وفيه من كل طبيعة سوء غريزة وانما التفاضل بين الناس في مغالبة طبائع السوء .

فاما أن يسلم أحد من أن تكون فيه تلك الغرائز فليس في ذلك مطمع الا أن الرجل القوي اذا كابرها بالقمع لها كلما تطلعت لم يلبث أن يميتهها كأنها ليست فيه وهي في ذلك كامنة كحون النار في العود فاذا وجدت قادحا من علة أو غفلة استورت كما تستوري النار عند القدر ثم لا يبدأ ضررها الا بصاحبها كما لا تبدأ النار الا بعودها الذي كانت فيه ، والله سبحانه شرع لنا ديننا قيما لا حرج فيه ولا عنت وهو يعتبر مجاوزة الغاية في العبادة ربما تسبب التقصير ولذا أمر بالاعتدال في كل شيء بما يوائم طبائع البشر وفي الصوم يقول القرآن الكريم :

« وكلا واشربوا حتى يتبين لكم الخطيب الأبيض من الخطيب الأسود من الفجر ثم امتوا الصيام الى الليل » (١٨٧ - البقرة) .

والله يريد أن يجعل من الانسان رجلا كاملا لا يستهويه الهوى ولا تسترقه النزوات فأمر بالبذل والسخاء والعطف على المساكين والفقراء يقول عليه السلام (من فطر صائما كان له مثل أجره غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيئا) وشهر الصوم فرصة لمن أراد أن يتصدق أو أراد احسانا وهو شهر الصبر والرحمة

(اذا دخل رمضان فتحت ابواب الجنة وغلقت ابواب النار وسلسلت الشياطين ونادى مناد يا باغي الخير اقبل ويا باغي الشر اقص)

وفي هذا الحديث اشارة الى حفظ الجوارح من كل شر وذلك يكون بغض البصر وكف الاذى وصون السمع عن الاصغاء الى المحرمات والاوزار وحفظ اللسان عن الخوض فيما لا يعنى وكف اليد عن المكاسب التي تردى وحبس الرجل عن السعى فيما يضر ومن آداب الصوم الابتعاد عن الشبهات فلا ينبغي الاقطار الا على لقمة من حلال والاكتثار من ذكر الله من اعظم القربات عند الله أما الشتم والخصام والجدال واللغو من القول فكل اولئك مما ينافي آداب العبادة . وفي الذين يخوضون مع الخائضين يقول عليه السلام « كم من صائم ليس له من صيامه الا الجوع والعطش ولكن الصابرين على طاعة الله لهم أجرهم عند ربهم وفيهم يقول رب العالمين » انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) .

وفي شهر الصوم ليلة القدر « وما أدراك ما ليلة ، القدر ليلة القدر خير من ألف شهر » « انا أنزلناه في

هلي الذين من قبلكم لعلكم تتقون أياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وأن تصوموا خير لكم أن كنتم تعلمون شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون) والصوم جنة كما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (الصوم جنة مالم يخرقها بكذب أو بغيبة) ومجانبة الاثم من كمال الصيام . يقول عليه السلام (من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه) .

أن شهر رمضان كله خير . ففيه يقبل الله دعاء الداعين وتوبة التائبين وفيه يعفو عن المسيئين اذا أخلصوا التوبة فانا بوا الى ربهم وأقلموا عن ذنبيهم :
« من قام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » والصوم كالصلاة والزكاة يحتاج للصبر والصبر ضرورة يستعين بها المؤمن على تبعات الحياة وعلى طاعة الله .

يقول ابن المقفع اعلم أن الصبر صبران صبر المرء على ما يكره وصبره عما يحب والصبر على المكروه اكبرهما وأشبههما أن يكون صاحبه مضطرا . واعلم أن اللثام أصبر أجسادا وأن الكرام أصبر نفوسا . وليس الصبر المدوح بأن يكون جلد الرجل وقاحا على الضرب أو رجله قوية على المشي أو يده قوية على العمل فانما هذا من صفات الحمير .

ولكن الصبر المدوح أن يكون للنفس غلوبا وللأمر محتلا وفي الضراء متجلا ولنفسه عند الرأى والحفاظ مرتبطا وللحزم مؤثرا وللهمى تاركا وللمشقة التي يرجو حسن عاقبتها مستخفيا ولنفسه على مجاهدة الاهواء والشبهات موطنا ولبصيرته بعزمه منفذا ، وليس المراد من الصيام الجوع والعطش ولكن المقصود مجاهدة النفس (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) وذلك لان الصوم رمز الايمان ودليل الخشية وعنوان المراقبة وآية الحياء من الله عز وجل .

« كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة عشر أمثالها الى سبعمائة ضعف قال الله تعالى الا الصوم فانه لي وأنا اجزي به يدع شهوته وطعامه من أجلي للصائم فرحتان . فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه ولخلاف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك » وفي رواية الصيام جنة فاذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فان شاتمته أحد أو قاتله فليقل انى صائم » .

وعلى الصائم أن يحترس من ثورة الغضب

ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر سلام هي حتى مطلع الفجر (القدر) وفي هذه السورة إشارة الى فضل القرآن الكريم من ثلاثة أوجه .

أولا أتى بالضمير الدال على الذات المقدسة بصيغة الجمع فقال أنا ولم يقل أنى وقال أنزلناه ولم يقل أنزلته للتعظيم لا للتعداد وقد عير عن المنزل بالضمير فى مكان الاظهار إشارة الى أنه غنى عن البيان لشهرته وشرفه وفضله وثالثا أنه أنزل فى ليلة القدر التى هى خير من ألف شهر لم يختار تلك الليلة لأنزاله الا لعظم قدره وسموه وجلاله « وعلى أى حال فبشهر رمضان شهر القرآن (شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان) أن الانسان وهو خليفة الله فى الأرض اذا انتصر على نفسه فغلبها بهداهما ولم تغلب بهوها فقد أفلح من زكاها وطهرها بطاعة الله والذى يكره المعاصى هو من علت همته وطابت سريرته فاتصف بالرحمة والعطف والاحسان والحنان والعلم والعرفان (بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) »

وأما فريضة الحج فهى ركن من أركان الاسلام فرضت على من استطاع اليه سبيلا « ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا » والحج مؤتمر اسلامى عالمى وهو عبادة اجتماعية وشرعية قدسية وهو تلبية للدعوة الموجهة من الله لعباده المتقين ليعلموا أن الحج انطلاق للروح وصفاء للنفس وتوبة الى الله تحقق السيئات وتضاعف الحسنات وقد ثبتت فرضيته بالكتاب والسنة فيقول عز وجل فى كتابه الكريم

« وأتموا الحج والعمرة لله فان أحصرتم فما استيسر من الهدى ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدى محله . فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك . فإذا أمنتم فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدى فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام واتقوا الله واعلموا أن الله شديد العقاب ● الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون ياأولى الألباب ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم فإذا أفضت من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وإن كنتم من قبله لمن الضالين . ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله أن الله غفور رحيم فإذا قضيت مناسككم فاذكروا الله كذكركم آبائكم أو أشد ذكرا

فمن الناس من يقول ربنا آتينا فى الدنيا وما له فى الآخرة من خلاق . ومنهم من يقول ربنا آتينا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ١٩٦ - ٢٠٠ « البقرة »

وهذه الايات ترشد الى عبادة الحج ومناسكه وآدابه فلا رفث ولا فسوق ولا جدال ولكن أدب وخشوع واعتدال . والقيم الرفيعة لا تحفظ عند الله بالاحساب ولا بالانساب ولكنها تدخر عند الذى يعلم السر وأخفى بالعمل الخالص لوجه الله ومن عمل صالحا فقد امتلا قلبه اطمئنانا .

والحج يذكر الناس بالمعارك الاولى بين الحق والباطل بين التوحيد والوثنية يذكرهم بانتصار الحق وبثباته وثبوته وانتهيار الباطل وتدموره وزهوقه . يذكرهم الحج بأيام النضال التى جعلت من أرض الصخور مشرقا للنور وصنعت من رعاة الغنم سادة الامم .

يذكرهم الحج بانتهزام العتاة وانتهيار الطغاة الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله .

ويذكرهم بأن الايمان وحده جعل من المؤمنين اخوة اعتصموا بحبل الله فاتحدوا فى ظل المساواة الفاضلة التى جعلت من سلمان الفارسي وصهيب الرومي وبلال الحبشي أهلا واخوة لكل مؤمن قرشي . وتوارت عصبية الجنس واللون وانمحت مميزات القبيلة يوم أعلن الرسول قولته المشهورة « وليس منا من دعا الى عصبية وليس منا من قاتل على عصبية وليس منا من مات على عصبية ! » فلا عنصرية فى الاسلام ولكن الاسلام جعل المسلمين اخوة . يحتمون فى العقيدة ويتطلعون الى نصر الله ليسود العدل والحق « اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره أنه كان توابا » هكذا كان هدفهم أن يدخل الناس فى دين الله أفواجا لينتصر الاسلام فيستتب الأمن ويستقر الامر فلا يدعى مدع أنه من عنصر فوق كل عنصر ولا تدعى طائفة - دون غيرها - أنها شعب الله المختار (وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا . قل بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وان تولوا فانما هم فى شقاق فسيكفيكمهم الله وهو السميع العليم صبغة الله ومن احسن من الله صبغة ونحن له عابدون) (البقرة ١٣٦ - ١٣٧)

وأما أمة محمد صلى الله عليه وسلم فقد قال لهم ربهم فى كتابه الخالد

(كنتم خير أمة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) .

وقد كان القرآن مدرسة الاسلام، رسم لهذه المدرسة المنهج ووضع الخطة وحدد المعالم، وكان أستاذ المدرسة محمد صلى الله عليه وسلم، يبلغ الوحي، ويقرا القرآن، ويعلم المؤمنين، ويشرح لهم أحكام الدين، بالقول والفعل والقدوة والاسوة، وصدق الله العظيم: (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا) - الاحزاب: ٢١.

وتخرج في مدرسة القرآن، وعلى يدي الرسول الامين، جيل من الصحابة الاجلاء، قرأوا القرآن فاحلوا حلاله، وحرّموا حرامه، ونفذوا أوامره، واجتنبوا نواهيه، وإذا غمض عليهم فهم لفظ من الفاظه، أو أشكل عليهم فهم معنى من معانيه، لجأوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستوضحون معناه، ويتفهمون مقصوده، والنبي الكريم يوضح لهم ما غمض، ويبين لهم ما خفى عليهم. كما قال سبحانه: (وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم) - النحل: ٤٤.

ثم لحق الرسول الامين بالرفيق الاعلى، وبدأ عهد الخلفاء الراشدين، وسارت دفة الحياة الاسلامية في نفس المنهج. فأساس التشريع عندهم هو القرآن، ثم السنة، ثم الاجتهاد، في نطاق الاصول العامة التي وضعها القرآن وبينتها السنة.

روى معاذ بن جبل رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعثه الى اليمن قال له: «كيف تصنع ان عرض لك قضاء؟ قال: أقضي بما في كتاب الله. قال: فان لم يكن في كتاب الله؟ قال: فبسنة رسول الله. قال: فان لم يكن في سنة رسول الله؟ قال: أجتهد رأيي لا آلو، قال معاذ: فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على صدرى ثم قال: الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله.»

وكتب عمر بن الخطاب الى قاضيه بالبصرة أبي موسى الاشعري: «الفهم الفهم فيما أدلى اليك مما ورد عليك مما ليس في قرآن ولا سنة ثم قاييس الامور عند ذلك واعرف الامثال، ثم اعمد فيما ترى الى احبها الى الله، وأشبهها بالحق...»

الفتوحات الاسلامية: لم تمض عشر سنوات على وفاة النبي الامين حتى كان أصحابه وخلفاؤه يحملون الاسلام والقرآن الى ما حولهم من البلاد، ففتحت بلاد الفرس والشام ومصر وغيرها من البلاد، وحمل الفاتحون معهم نظام الاسلام، ودعوته وتعاليمه، وانتشر فقهاء الصحابة في الامصار، يعلمون الناس الدين وينشرون الهداية، فكان ابن مسعود فقيه أهل الكوفة، وأبو موسى الاشعري فقيه أهل البصرة، ومعاذ بن جبل فقيه أهل الشام، وكان من قبل في حياة النبي صلى الله عليه

تاريخ الفقه الإسلامي والأدوار التي مرّ بها

الكتبة عبد الله محمود طاعة

١ - دور النشأة والنمو: (من البعثة النبوية الى سنة ١٠٠ هجرية):

أرسل الله محمدا صلى الله عليه وسلم هاديا ومبشرا ونذيرا، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا، وأنزل الله عليه قرآنا عربيا مبينا، يرسم أصول العقيدة، ويدعو الى الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ويلفت نظر الانسان الى الكون وما فيه والطبيعة وما وراءها، ويرشد الى أن الله تعالى كتابين:

كتاب مفتوح يقرؤه الاعمى والبصير، والعالم والامى، والكبير والصغير، والرجل والمرأة، والشاب والفتى، وهو كتاب الكون بكل ما فيه: من سماء مرفوعة، وأرض مبسوطة، وجبال راسية، وأنهار جارية، وليل مظلم، ونهار مضى، وقمر باهر وكوكب زاهر، (أو لم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء) - الاعراف: ١٨٥.

وكتاب مسطور هو القرآن الكريم: جعله الله معجزة خالدة، وتحدى الناس أن يأتوا بمثله، أو بعشر سور منه أو بسورة واحدة، ثم قال سبحانه: (قل لمن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) - الاسراء: ٨٨.

وسماهم في شروط قبوله وتقديهم آياه على الرأى .
مدرسة الكوفة بالعراق :

كانت تعاصر مدرسة المدينة بالحجاز مدرسة أخرى بالكوفة غلب عليها استخدام الرأى والعقل ، ورأس هذه المدرسة عبد الله بن مسعود وكان مشهورا باستخدام الرأى والتوسع فيه وورث علمه تلاميذ عدة . من أشهرهم علقمة بن قيس أستاذ إبراهيم النخعى . وقد تبلور اتجاه هذه المدرسة فى فقه أبى حنيفة .

وكان رأى تلك المدرسة أن أحكام الشريعة معقولة المعنى ، وأنها معللة بعلم ، فكانوا يبحثون عن تلك العلل التى شرعت الأحكام من أجلها ويجعلون الحكم يدور مع علته وجودا وعدما .

ويرجع شيوع الرأى فى العراق الى أمور ثلاثة :

١ - تأثرهم بطريقة ابن مسعود وهو من حزب عمر ابن الخطاب فى الأخذ بالرأى والتوسع فيه .

٢ - أن الحديث بالعراق كان قليلا ، وكان رواية الحديث بالحجاز لانه موطن الرسول وكبار الصحابة .

٣ - أن العراق كان بعيدا نسبيا عن موطن الوحي والنبوة ، وبه أحداث جديدة وأعراف جديدة ومسائل لم تكن موجودة فى عهد النبوة ، فاضطر فقهاء العراق لأعمال الرأى لأن الحوادث غير متناهية ، والإحاديث التى بأيديهم قليلة ، فكانوا يستلهمون روح الشريعة وأشبه الأشياء بحكم القرآن والسنة ، أو يتوسعون فى فهم المعنى ويحملون التفسير على الظن .

٢ - الفقه فى دور النضج والكمال (١٠٠ هـ - ٣٥٠ هـ)

كان الفقه فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم فقه الوحي يتكفل القرآن فيه بالتشريع والفتوى ثم خطا الفقه الاجتهادى خطواته الاولى فى عصر الصحابة والتابعين .

ومع بداية القرن الثانى الهجرى تفتحت عين الفقه وأخذ ينمو ويزدهر ، فلما قامت الدولة العباسية (سنة ١٣٢ هـ) - وقد قامت على الدين والسياسة معا - شجع الخلفاء العلم والفقه وجعلوا الدين هو المحور الذى تدور عليه أعمال الدولة وقربوا الفقهاء ورفعوا شأنهم فالمنصور يؤثرهم بعطاياه ، ويطلب من الامام مالك أن يجعل كتابه الموطأ دستورا للدولة تسيير عليه ، ولكن مالكا يرفض ذلك ، والمهدى يناوئ الزنادقة ويطاردتهم ويشدد فى تعذيبهم ،

□ ٨٧ □

وسلم معلم أهل اليمن ، وكان عبد الله بن عمرو بن العاص فقيه أهل مصر ، وكان لكل من هؤلاء الصحابة منهجه الخاص فى التفكير ، كما كانوا متفاوتين تفاوتا كبيرا فى مقدار ما عندهم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أخبار وأحاديث ، وكان تأثير كل منهم فى تلاميذه واضحا ، فنشأ جيل من التابعين لكل منهم منهجه فى فهم الأحكام ، واستنباطها من كتاب الله وسنة رسول الله ومن الإجماع والقياس .

وفى عهد التابعين - وهم الطبقة التى تلى الصحابة - تميزت مناهج الاجتهاد من غير انحراف ولا خروج عن الريقة ، بل الجميع متعلقون بالكتاب والسنة وعلم الصحابة يعتبرونها المنجاة من هاوية الباطل .

ووجدت مدارس للفقه فى الحجاز والعراق والشام ومصر وغيرها ، وكان على كل مدرسة امام من أئمة التابعين ، مثل سعيد بن المسيب بالمدينة وعطاء بن أبى رباح بمكة ، وإبراهيم النخعى بالكوفة ، والحسن البصرى بالبصرة ، وأبو ادريس الخولانى بالشام ، ويزيد بن حبيب بمصر ، وطاووس باليمن ، وكانت أهم هذه المدارس مدرسة المدينة ثم مدرسة الكوفة ، أو بعبارة أخرى مدرسة الحجاز ومدرسة العراق .
مدرسة الحجاز الفقهية :

تميزت مدرسة الحجاز بالوقوف على الآثار ، واتباع السنن وما أثر عن النبى صلى الله عليه وسلم وصحابته ، فهى مدرسة سلفية مهتمة بالمأثور والاعتماد عليه ، دون اللجوء الى الرأى وقد اجتهد امام هذه المدرسة سعيد بن المسيب هو وأصحابه فى جمع أحاديث الرسول وما أثر عن الصحابة ، فجمع فتاوى أبى بكر وعمر وعثمان وأحكامهم وفتاوى على قبل الخلافة ، وعائشة ، وابن عباس وابن عمر وزيد ابن ثابت وأبى هريرة والزبير بن العوام وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وحفظ من ذلك شيئا كثيرا ورأى بعد هذا انه فى غنية عن استعمال الرأى .

ويرجع وقوف هذه المدرسة عند النصوص الى سببين رئيسيين :

١ - تأثرهم بطريقة شيوخهم - كعبد الله بن عمر وزيد بن ثابت وغيرهم - فى تعلقهم بالآثار وتخوفهم من إبداء الرأى .

٢ - كثرة ما يبدىهم من الآثار وقلة ما يعرض لهم من الحوادث التى لم يسبق لها نظير فى عهد الصحابة .

وكان من مميزات هذه المدرسة :

(أ) كراهيتهم الشديدة للسؤال عن المسائل الفرضية التى لم تقع .

(ب) الاعتقاد بالحديث حتى الضعيف منه

٣- دور التقليد والجمود (٣٥٠ هـ - ١٢٨٦ هـ) :

انقسمت الدولة الاسلامية الى دويلات عدة قام على كل منها وال تسمى بأمرير المؤمنين ، وتناحرت هذه الدول وكثرت بينها الفتن والحروب وتقطعت الاوصال ، وحل العداء والفرقة محل الاخاء والالفة فساد الاضطراب والانحطاط والضعف ، وانعكس ذلك على الحركة العلمية فجعلها تقف جامدة لا تتحرك ، بل ترجع القهقري بعد أن كانت دائبة الحركة متصلة النشاط ، وماتت في العلماء روح الاستقلال الفكري ، ومملكة الابتكار والتجديد ، فلم نجد منهم في ذلك الوقت من تسمو به نفسه الى مرتبة الاجتهاد ، بل ظنوا أن أقدارهم دون ذلك ، فرضوا لانفسهم بالتقليد ، وأصبحوا عالة على فقه من سبقهم من الأئمة المجتهدين أصحاب المذاهب المعروفة ، ولم يحدث هذا الجمود في الفقه طفرة واحدة ، بل كان ذلك تدريجيا ، فقد ابتدأت عوامل الركود والتصلب تصيب الفقه من منتصف القرن الرابع الهجري ، ثم سارت الحال في الازمنة المتعاقبة من سوء الى أسوأ ، وقد تدرج الامر من اجتهاد مطلق الى اجتهاد في الفتيا الى لا شيء .

فبعد ابن جرير الطبري المتوفى عام ٣١٠ هـ ، لم نجد من العلماء من يتطلع الى مرتبة الاجتهاد المطلق ، وعلى رأس المائة الرابعة من الهجرة أفتى علماء المذاهب فغلقوا باب الاجتهاد ، وادعوا الاجماع على ذلك فأغلقوا على الناس باب الرحمة وسدوا على التشريع مسالك النهوض .

وأصبح عمل العلماء في القرون الثلاثة التالية لهذا الافتاء قاصرا على التعليل والترجيح ، والفتيا في المسائل التي لم تعرض للأئمة السابقين .

ثم أعقب ذلك سقوط بغداد عام ٦٥٦ هـ في يد المغول ، وضعف أمر المسلمين ، وأصيب الفقه بالركود والجمود ، وساد التقليد المطلق وانصرف التهم عن تلمس العلل والاجتهاد والترجيح الى الاكتفاء بالموجود .

من هذا العرض يتبين لك أن الاجتهاد لم ينته دفعة واحدة وأن التقليد تم على مرحلتين :

المرحلة الاولى : بداية التقليد من سنة ٣٥٠ هـ الى سقوط بغداد على يد هولاكو سنة ٦٥٦ هـ .

المرحلة الثانية : مرحلة التقليد المطلق والجمود والضعف ، من منتصف القرن السابع الهجري الى أواخر القرن الثالث عشر تقريبا ، وهي للأسف أطول مرحلة في تاريخ الفقه الاسلامي ويمكن تحديدها : من سقوط بغداد سنة ٦٥٦ هـ الى ظهور المجلة العدلية للحكام الشرعية بتركيا سنة ١٢٨٦ هـ .

والرشيد يخص أبا يوسف بالصحة والملازمة ، والمأمون يسهم مع العلماء في الجدل العلمي ويثير القول بخلق القرآن ويستنهض العلماء الى النقاش الجاد .

وكان لاتجاه العباسيين هذا اثر ظاهر في التشريع ، فاتسع مجال الفقه ، ونهض نهضته الرائعة ، حتى أصبح شاملا لكل نواحي الحياة الانسانية ، وكثر الاجتهاد والبحث الجدي العميق المنتج والمنافسة الحادة البريئة ، والحرية في النظر والاستنباط .

وفي هذا العصر برز الأئمة الاعلام المجتهدون ، وفيه نشأت المذاهب الفقهية المتعددة ، فقد نشأ فيه من مذاهب أهل السنة ثلاثة عشر مذهباً هي : مذهب الحسن البصري ، ومذهب الازعاعي ، ومذهب أبي حنيفة ، ومذهب سفيان الثوري ، ومذهب مالك ، ومذهب الليث بن سعد ، ومذهب الشافعي ، ومذهب سفيان بن عيينة ، ثم مذهب اسحاق بن راهويه ، ومذهب أحمد بن حنبل ، ومذهب أبي ثور ، ومذهب داود الظاهري ، ومذهب ابن جرير الطبري . هذا عدا مذاهب الزيدية والامامية من الشيعة .

وقد اشتهر في هذا العصر الخلاف بين مدرستي الرأي والحديث ، ثم استقر الامر على اعتبار الرأي طريقة فقهية صحيحة ، يحددها وأصولها الشرعية ، تلك الحدود والاصول التي تبعد الرأي عن معنى القول بالتشهي والهوى المجرد عن الدليل .

وقد شهد هذا العصر بداية تدوين الفقه تدوينا علميا ، ومن أقدم ما وصل إلينا من ذلك كتاب الموطن لمالك بن أنس ، وكتب محمد بن الحسن الشيباني تلميذ أبي حنيفة ، وكتاب الام للشافعي .

ويعتبر هذا العصر العصر الذهبي للفقه الاسلامي ، فقد تكونت فيه من الاجتهاد والاخلاص والنية المحتسبة مجموعة من الفقه هي أعظم ذخيرة اسلامية ، وهي أعظم ما دون من قواعد التعامل الاسلامي بين الآحاد والجماعات والدول . وقد ورثت الاجيال ثمرات اجتهاد الأئمة ، ونقلها تلاميذهم جيلا بعد جيل ، وتدارسوها وخرجوا عليها ، وأقاموا على ما ورث منها غروسا من العلم صارت كدوحات تظل من يستظل بها .

وقد سارت تلك المجموعات الفقهية مسار النور في الارض ، فلقد وجدنا أوروبا في عصر نهضتها - تنقل آراءهم . فمذهب مالك يجتاز الاندلس حتى يصل الى وسط فرنسا أو أعلى من ذلك : وفي وسط أوروبا يترجم كتب من المذاهب الإسلامية ، وفي انجلترا يترجم مثلها .

متاع الحياة الدنيا

بين الحلال والحرام

الأستاذ أحمد وافي

في مقالنا السابق (عدد صفر) تحدثنا شيئا عن متاع الحياة الدنيا ، بين الحلال والحرام ، وعرضنا في ذلك أمثلة من حياة ثلاثة من كبار أئمة الاسلام ، هم : مالك بن انس فقيه المدينة ، والليث بن سعد فقيه مصر ، وأبو حنيفة النعمان فقيه العراق ، وقد عاش ثلاثتهم أواخر العصر الأموي ، وأوائل العصر العباسي ، وكانت الحياة في كلا العصرين تزخر بروافد الغنى والثراء ، وتموج بمظاهر الرفاهية والترف الى حد السرف المثلث ٠٠ فأخذوا لانفسهم من طيبات هذه الحياة ومحامدها ، وتورعوا عن مخايبتها ومذماتها ، وأعطوا للناس ، في سماحة وتقى ، خير ما أقامهم الله من علم وإيمان ، وأفضل ما يسرهم الله له من صالحات اعمال ٠٠

وقد استدلل الامام الليث في جواز تمتعه بالطيبات ، يقول الله تبارك وتعالى (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة) وهذه الآية الشريفة مكملة للآية السابقة عليها في السورة نفسها ، وهي : (يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد ، واكلوا واشربوا ولا تسرفوا) ويروى ان سبب هذا التنزيل الكريم ان جماعة من العرب ، كانوا في حجه لا يأكلون الطعام الا قوتا ، ولا يستحلون فيه دسما ، لاعتقادهم ان في ذلك تعظيما للحج ، فبين الله لهم ان هذا ليس من الدين في شيء ، وإعطاهم رخصة التحلل منه ، ليس فقط عند المسجد الحرام ، وانما (عند كل مسجد) فجاءت الرخصة عامة وقد استعمل بها رسول الله وقال للناس (كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير اسراف ولا مخرقة) ٠٠

وقد أكد الله سبحانه وتعالى تحلة المتاع الدنيوي بنصوص قرآنية اخرى متعددة ، ولكنه عز وجل لم يجعل هذا حقا مطلقا بغير قيود ، وبلا حدود ، فمن ذلك قوله سبحانه (وهو الذي انشأ جنات معروشات وغير معروشات ، والنخل والزرع مختلفا آكله ، والزيتون والرمان متشابها وغير متشابهه ، كلوا من

ثمره اذا اثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا - الآية ١٤١ من سورة الانعام) وقوله من سورة يس : الايات ٢٢ - ٣٥ : (وآية لهم الارض المنة احييناها واخرجنا منها حبا فمنه ياكلون : وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب ، وفجرنا فيها من العيون لياكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون) وقوله من سورة المؤمنون - الآية ٥١ : (كلوا من الطيبات واعملوا صالحا) ومن سورة طه - الآية - ٨١ : (كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا) ومن سورة البقرة - الآية ٦٨ : (يا أيها الذين آمنوا كلوا مما في الارض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان) ومن سورة المائدة - الايتان ٨٧ و ٨٨ : (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تمتدوا) ، (واكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله) ٠٠ الى كثير من الايات الكريمة الجارية في نفس المعنى والبيان .

فها هنا تنبيهات علوية الى أنعم الله السوابغ ، في كونه الكبير ، شاهدة على قدرته وبدائع صنعه وجليل كرمه ، ومع هذه التنبيهات تقرير حق العباد في التمتع بها ، فانما هي جميعا لهم ومن أجلهم : موارد أرزاق ، ومصادر حياة ، ومجالات عمل ، وعمران دنيا ، وشروط استحقاقها كما بينها الله تعالى : العمل الصالح ، والتماس الرزق حلالا طيبا ، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : (طلب الحلال فريضة على كل مسلم - والعبادة عشرة أجزاء تسعة منها في طلب الحلال) ثم الوفاء بحق الله في الثمر ، بالزكاة والصدقة واجتناب الاسراف ، والكف عن الطغيان والعدوان ، وتحاشي الوقوع في حيايل الشيطان ، الى ما هو بسبيل من هذه الفضائل الموافقة للفتنة السليمة التي قطر الله الناس عليها ، ولله على الناس ، كفاء هذه الانعم الجلى ، أن يقدرها قدرها ، ويؤدوا له حقها ، بالشكر والطاعة ، وصدق العبادة ، والتقزام الحدود ٠٠

وما من شك في أن الانسان حين يأخذ بهذه

الفضائل، جادا مخلصا، فانه اذن ليكون انسانا سويا عامر القلب بالايامن، خالية حياته من نوازع الشهوات وشوائب الخطيئة، فلا ضير منه، ولا ضير عليه، في خلاطه بالدنيا، فانه معها في تناسق ووثام، وهو من شرورها ومفاتها في نجوة وعصام ! ولكن الامن يقع مختلفا اذا ما وهنت النفوس، وانطلقت الغرائز من القيود، وتجاوزت الحواجز والسدود، فيستحل الانسان غير الحلال، ويزيد لنفسه مما ليس من حقه، فهنا الضرر والمضارة والسقوط في مهاوى الحرام !

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى أن اقبال الناس على الدنيا بغير أن يعلموا ويصلحوا ويستقيموا على سواء الجادة بالقوى والورع، من شأنه الاغراء والفتنة، والوقوع في المحارم، ولهذا كان حريصا دائما على تذكيرهم بأن لهذا المتاع الدنيوي حقوقا ينبغي أن تؤدى، وحدودا لا مناص من التزامها، ولقد رأينا - فيما أسلفنا ذكره بمقالنا السابق - كيف أنه صلى الله عليه وسلم لم ينكر أن يرى جماعة من المسلمين يتبادرون اليه مبكرين يبتغونه حظوظا من أموال علموا أن أبا عبدة قدم بها ليلا من البحرين فقد استقبلهم - عليه السلام - هاشا، وأعدا مبشرا بالخير - غير أنه قال لهم محذرا، أنه لا يخشى عليهم الفقر (ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم، فتناهسوها كما تنافسوها وتلهيكم كما تهتهم) . . . وفي حديث شريف آخر (أني قد أعطيت مفاتيح الأرض وأني والله ما أخاف بعدى أن تشركوا ولكن أخاف أن تنافسوا فيها) . . . !

فرسول الله لا يمنع الناس حقهم من متاع الدنيا، فالاسلام ليس رهبانية، واعتزالا وحرمانا، وإنما هو دين ودنيا مجتمعين، وبينهما وشائج وتفاعلات لا تنفصم ولا تنقضى، والدنيا مزروعة الآخرة ولازراعة بغير عمل، فهذه من تلك - ولكنه صلى الله عليه وسلم قد أوتى علم من سبقوا (كذلك نقص عليك من أئمة ما قد سبق) فعلم أن الناس، قد أهلكهم التهاافت على الدنيا والانغماس في ملذاتها، فهو لذلك يحميهم من أنفسهم، ويؤهلهم الى خير ما في دنياهم، ويروضهم على السفة والورع، ويحذرهم عواقب الفتنة والطمع وحياته صلى الله عليه وسلم من بدايتها الى نهايتها، تجرى في هذا المجرى، تربية وتعلية وإمامة وقُدوة، وكل الاحاديث والاثار ذات السند الصحيح مجمعة على أنه عاش حياته كلها عيش فقراء المسلمين، راضيا بالقليل مع القدرة على الكثير، مؤثرا على نفسه، وعلى أهله وبه وبهم خصاصة ! . . .

والحديث عن حياة الرسول الكريم وعن سنته ومواقفه في هذا الطور التأسيسي للدولة الجديدة البكر ينبغي أن يلحظ فيه ظروف الدعوة وما كان يلابسها ويحيط بها من اعداء اقوياء . وقد كانت مكة مركز التجارات وملقى الحجاج ومجتمع الاثرياء فأتاحت

لهم حياة أكثر ليئا وتحضرا، ولكنها كانت في قبضة المشركين اعداء الدعوة ومحاربيها، وقد ضيقوا الخناق على المسلمين الاوائل واضطروهم الى الهجرة مجردين من أموالهم ومتاعهم، فتواردوا أفواجا على المدينة، وكانت هي الاخرى ذات زرع وبجاعة، ولكن أكثر هذا كان بأيدى اليهود والمنافقين وهم أشد عداوة للرسول والمسلمين، وقد احتمل الانصار اخوانهم المهاجرين وقاسموهم أرزاقهم ودورهم، ولكن الطاقة محدودة، فثقل العيش، وازداد ثقل بالوافدين ارسالا على المدينة مركز الاشعاع النبوي، وكلهم من المستضعفين الذين أسلموا ولقوا من قبائلهم عذابا، فهيروا هاربين الى رسول الله، ولا منازل لهم ولا عشاثر، فأوأم رسول الله وجعل لهم المسجد، سكنا ومتعبدا، وأظلم برعايته، وكان يؤثرهم على كل من سواهم، في المأكل والشرب، وفي الهدايا والتمناقصات الاجتماعية، ومن الشهوات والمآثم التي كانت فاشية، تختلط بدماء الناس وتسيطر على أفكارهم وأعمالهم . . .

في أعماق هذه الظروف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، يحمل عبء المسؤولية الكبرى في تكوين مجتمع جديد متحرر من الموارث الجاهلية، والمتناقضات الاجتماعية، ومن الشهوات والمآثم التي كانت فاشية، تختلط بدماء الناس وتسيطر على أفكارهم وأعمالهم .

والاسلام ليس مجرد دعوة وتبليغ، إنما هو عمل وأسوة وجهاد، وقد كان لا مفر من الضرب القوى المتدارك في هذه الصخور العاتية وصولا الى التغيير الجذري في العقيدة وفي نظام الحياة، وإخلاق الناس، فكان الرسول وأصحابه دائما في شغل شاغل بمقاتلة الاعداء المنتشرين، وفي حالة دفاع وهجوم (طوارئ) مستمرة، وهذا أمر يقتضى متابعة الاستعداد، وتدبير العدة والنفقة، والموارد ضيقة، والموازنة عسيرة !

ورسول الله مع مجاهدته الاعداء، يمارس جهادا آخر، مع المسلمين أنفسهم، تمكينا لعقائدهم، وعروجا بهم الى مراقي الطهارة والتقوى، وتسديدهم على سواء الطريق، مقدما لهم من نفسه وأعماله امثالا يحتذون بها، وسنة يبعون بها .

ولا بد من القول هنا، أنه صلى الله عليه وسلم، لم يكن يعجزه أن يتفصح في حياته ومعيشته فسحة الرؤساء والقادة في زمانه وغير زمانه، فهو كان يملك لهذا المؤنة والسعة، ذلك أنه أولا - كان - منذ مقدمه المدينة - بالموضوع الجليل الاعز بين أهلها، كل منهم يرى الشرف والسعادة في أن ينزل له عن كل ماله لو أنه أبدى بذلك مجرد إشارة، وقد كانوا يتسابقون، بل يتنافسون على استضافته وتقديم الهدايا اليه، والى أهله، فلا ينال منها الا بقدر ما يعينه في الانفاق على الفقراء وأهل الصقة ! . . .

وثانياً :- كان قد انتقل اليه - كل ما ترك ..
مخبريق اليهودى الثرى ، وكان قد دخل هو واليهود
فى العهد مع رسول الله أول عام الهجرة ، وكان العهد
يقضى بأن يشاركوا المسلمين فى رد أى عدوان على
المدينة ، فلما جاءت نذر المشركين لموقعة أحد ، خرج
مخبريق هذا مع المسلمين وفاء بالعهد ، ولم يخرج
أحد سواه من اليهود ، فلعنهم وأوصى بكل أمواله
وأملكه لرسول الله إذا أدركه الموت فى المعركة ،
فمات فيها ، ودخلت ثروته بالوصية فى ملك رسول
الله ، وكانت أموالاً جمة وحداثق حافلة ، وأنعاماً
كثيرة ! ..

وثالثاً :- جاء يهود فذك بعد سقوط خيبر ،
فصالحوه طواعية على نصف قريتهم بكل ما فيها
فكانت له خالصة (لأنه لم يوجف عليها بخيل ولا
ركاب) .

رابعاً :- كان له خاصة لقاح ترعى بالغابة ، وهى
التي أغار عليها عبيدة بن حصن الفزارى فى خيل من
غطفان ، فهب المسلمون وراءهم واستخلصوا
بعضها .

ذلك الى ما كان يرد عليه من خمس الفىء
والصدقات ليضعها فى مصارفها .

هذه الموارد المتعددة الى ما كان يؤتاه غيرها من
الارزاق والهدايا - وكلها حلال طيب - لم يكن يرى
لنفسه ولا لاهله حقاً خاصاً فيها ، فهو ينفقها جميعاً
على الفقراء وأصحاب الحاجات ، وفى مطالب الدعوة
ومصلحة الامة .

وقد كان أبو هريرة أقرب أهل الصفة الى رسول
الله وأكثرهم اجتماعاً به وحديثاً عنه ، فكان مما يرويه
بعد وفاته انه صلى الله عليه وسلم كان يجوع فيصبر
ولا يشكو ، فسئل لماذا كان يجوع رسول الله ؟
فقال : لكثرة من يغشاه ، وأضيافه ، وقوم يلزمونه ،
فلا يأكل طعاماً ابداً الا ومعه أصحابه وأهل الحاجة
يتتبعون من المسجد) الى آخر الحديث عن الطبقات
الكبرى لابن سعد ! ..

اجتمع زوجاته - وهن جميعاً من بيوت الشرف ،
نشأن فى بلهنية العيش واحضان الترف والتجمل
فطلبن منه أن يسمح لهن بالزينة وبمزيد من النفقة بعد
أن ساق الله الخير الى المسلمين ، فلم يرضه منهن
هذا ، ورأى فيه نزوعاً الى مطاوعة الغرائز ، والرغبة
فى التميز ومشغلة الفكر بالدنيا - وهن نساء النبى
ولسن كأحد من النساء ، فكانت المغاضبة والمقاطعة
شهوراً ، ثم قضى الله فى أمرهن بالتخيير فنزل قوله
تعالى : (يا أيها النبى قل لأزواجك أن كنتن تردن
الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعن وأسرحن
سراحاً جميلاً وأن كنتن تردن الله ورسوله والدار
الآخرة .. فإن الله أعد للمحسنات منكن أجراً
عظيماً) فأخترن كلهن الله ورسوله والدار الآخرة ،
وامسكن عن المطالبة بشئ بعدها ، وأخذن انفسهن
بعيشة التقشف والتزمتها حتى بعد وفاة رسول الله

وبعد أن تدفقت بين أيديهن أعطيات الخلفاء وفروض
الدولة وهدايا الولاة والاثرياء فكن يوزعنها فوراً على
الفقراء والمساكين ، لا يحتجزن منها شيئاً لفظورهن
وهن صائمات ! ..

وجاءه على بن أبى طالب - وهو ابن عمه وربيه
وفى الاسلام الاول - وجاءت مع على زوجته السيدة
فاطمة - وهى بنت الرسول الوحيدة الباقية بعد وفاة
بناته وإبنائه - ولهما ولابنيهما الحسن والحسين من
نفسه أعزاز كبير ومنزلة لا تطاول ، فقال على ، والله
يا رسول الله لقد سنوت حتى اشتكت
صدرى - وقالت فاطمة ، لقد طحنت حتى مجلت
يدى ، وقد أتى الله بسبى وسعة فأخذنا - يريدان
عوناً من المال الذى أقامه على المسلمين
يخفف عنهما ما يلقيان من جهد ورهق فقال صلى الله
عليه وسلم (لا أعطيكما وادع أهل الصفة تطوى
بطونهم لا أجد ما انفق عليهم)

وعن عائشة رضى الله عنها ، قالت : (ما شبع آل
محمد صلى الله عليه وسلم منذ قدم المدينة من خبز
الشعير يومين متتاليين حتى قبض .. وكنا ننظر الى
الهلال ثم الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلة فى شهرين ، وما
أوقد فى أبيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نار)
فسألها عروة بن الزبير يا خالة فما كان يعيشكم ؟
قالت : (الإسودان .. التمر والماء .. إلا انه قد كان
لرسول الله صلى الله عليه وسلم جيران من الإنصار
وكانت لهم منائح ، وكانوا يرسلون الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم من البانها فيسقينها) .

وعن انس رضى الله عنه : قال : (لم يأكل النبى
صلى الله عليه وسلم على خوان حتى مات ، وما أكل
خبزاً مرققاً حتى مات) ..

وعن النعمان بن بشير رضى الله عنه «
قال : « لقد رأيت نبيكم صلى الله عليه وسلم وما يجد
من الدقل - التمر الرديء - ما يملأ به بطنه »
وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال :

(كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يبيت
الليالى المتتابعة طاولاً وأهله لا يجدون عشاء ، وكان
أكثر خبزهم الشعير) .

وعن عائشة رضى الله عنها ، قالت : (كان فراش
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من آدم - من
جلد - حشوه ليف) .

وعن عمرو بن الحارث اخى ام المؤمنين جويرية
بنت الحارث رضى الله عنهما قال : (ما ترك رسول
الله صلى الله عليه وسلم عند موته ديناراً ولا درهماً
ولا عبداً ولا أمة ، ولا شيئاً الا بغلته البيضاء
التي كان يركبها ، وأرضا جعلها لابن السبيل
صدقة) .

وتقول السيدة عائشة رضى الله عنها : (توفى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند
يهودى فى ثلاثين صاعاً من شعير) .. !
الى هنا ، ولنا لقاء آخر فى المقال القادم تكميلاً
لهذا الموضوع ان شاء الله .

مفتريات مستشرق غاشم

لم تخفى الذاكرة ، انه منذ نيف وعشر سنوات ، وأنا في دوامة عملى بالقضاء الشرعى ببيروت طلب الى صاحب او ممثل « منشورات عويدات » ان اكتب له كلمة يضمنها الكتاب المذكور .

وأظن اننى فى زحمة عملى تصفحت هذا الكتاب تصفحا جانبته الاناة ، واملت فور هذا التصفح المجلان ، على احد معاونى ، الكلمة المنسوبة الى ، والتي ما كنت اخال ان تتضمن ما تضمنته من هفوات او ثغرات ، مما نبه اليه بعد هذا الزمن المديد ، الاخ المسلم الغيور الاستاذ على الجبلاطى الامر الذى يجعلنى اظن - وليس كل الظن اثما - انه قد وقع فيها من التحريف مالا يرضاه ولا ارضاه ولا يرضاه اى مسلم .

والان ، وقد حصص الحق ، ولابد للحق ان يخصص ، أود أن أعترف أولا ، بأنى حقيق بان الأم ، مهما القيت من معاذير ، وأن انبه ثانيا الى أن هذا المستشرق مؤلف الكتاب الموصوم هو واضرا به مهما شرعوا من سهام ، ومهما برعوا فى ترنيق السموم لينالوا من نبي الاسلام ، فلن ينالوا من تراب وطاته قدماء ، لانه معصوم تكفل رب الناس ملك الناس اليه الناس بعصمته من الناس ، بقوله جلت قدرته : « والله يعصمك من الناس » كما انهم لن ينالوا من دين الاسلام ولا من كتابه الكريم المحفوظ الذى تكفل الله تعالى بحفظه من كل شيطان رجيم ، بقوله جل وعلا « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » .

واعتقد بيقين انه لا يخفى على احد ، اى احد من المسلمين ولا من غيرهم ان امثال هذا المستشرق « ماسيه » يسدد أول ما يسدد من سهام طائشة الى شخصية النبي الكريم من زاوية انه كان رجلا يصرف

بسم الله الرحمن الرحيم ، احمده واثنى عليه ، واستغفره واتوب اليه ، واصلى واسلم على صفوة خلقه واكرم رسله وخاتم انبيائه سيدنا محمد ابن عبد الله المبعوث رحمة للعالمين .

واتجه بالشكر الى الاخ فى الله ، المسلم الغيور الاستاذ على الجبلاطى ، على ما نبه اليه من خطايا مغرضة واخطاء متعمدة ساقها المستشرق « هنرى ماسيه » فى كتابه المعنون بـ « الاسلام » ترجمة الاستاذ بهيج شعبان ومن مطبوعات « منشورات عويدات » ببيروت ، سنة ١٩٦٠ ميلادية ، اى منذ نيف وعشرة اعوام ، وعليه تعليق منسوب لشخصى الضعيف وآخر لسماحة العلامة الشيخ محمد جواد مغنية ، تضمنتا من الهفوات « ولكل عالم هفوة » !! . ومن السكوت على ماسدده المستشرق « ماسيه » فى كتابه المذكور من سهام طائشة تحمل مالا ينبغى السكوت عليه من مثالب مفتراة واكاذيب ملفقة يبنى بها اول ما يبنى ، النيل من نبي الاسلام بصفة خاصة ومن الاسلام ، دين الله الذى شرعه وارتضاه لخلقه اجمعين بصفة عامة ، شأنه فى هذا الاتجاه المغرض البغيض والاتجار بالمقوت ، شأن لفيق من المستشرقين الذين يعادون الاسلام ونبيه حسدا من عند انفسهم او يستعملهم اعداء الاسلام المتعصبين ضده اوعية تنضح بالكذب والافك والبهتان .

وانى فى هذا الصدد ، ادع ما نسب لسماحة الشيخ محمد جواد مغنية ليدحضه بنفسه وكذلك مناسب لمترجم الكتاب الاستاذ بهيج شعبان .

اما فيما ينسب الى من هفوات غير متعمدة او مقصودة فانى اقر بصدق « هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم » . اننى اظن وليس كل الظن اثما ، واذا

حول كتاب الإسلام للمستشرق هنري ماسيه

الدكتور مصطفى الرافعي

من زوجاته بما فيهن السيدة عائشة ، البكر الوحيدة التي تزوجها فيمن تزوج من نساء ثيبات ، لم يدفعه الى الزواج بآية واحدة منهن أى دافع بيت الى نزوة او شهوة .

وليس اوضح فى هذا الصدد من زواجه من زينب بنت جحش ، ابنة عمته ذات الجبال الفائق والحسن الرائق ، والتي كانت امامه فى كل وقت وكان من السهل الميسور أن يتزوجها أن أراد ، فكيف به يزوجه لمتهناه زيد بن حارثة ، عذراء تشد الرغبة ، ثم . . . يتزوجها ثيبا مطلقة من بعد ما قضى زيد منها وطرا ؟ !!

اللهم لاشئ من نزوة او شهوة او هوى ظاهر او خفى ، وانما نزولا على أمر الله وحكمه الذى جعله تشريعا بطلاً به عادة من أسوأ عادات الجاهلية والله يحكم ما يريد .

وبتقصي اخبار زيجاته جميعها ، صلوات الله وسلامه عليه ، يجد الباحث أن جميع زوجاته باستثناء السيدة عائشة « البكر الوحيدة » كن ثيبات ، أرامل ، مسنات ، تزوجهن تأسية أو تعويضاً أو تأليفاً ، فى وقت كان السائد فيه تعدد الزوجات بغير حدود ولا قيود ، حتى جاء التشريع الإلهي بالتحديد الذى لا يجوز لآى مسلم أن يتزوج بأكثر من أربعة يجمع بينهما فى وقت واحد ، للحكمة المقصودة من هذا العدد المحدود المشروط على النحو المبسوط فى كتب الفقه ومراجع الأحوال الشخصية فى الشريعة الإسلامية الفراء .

هذه نقطة من أهم النقاط التى نبه اليها الاخ المسلم القيور الأستاذ على الجبلطى والتي تناولها المستشرق المذكور بطريقة نابية ممتعنة .

اما ما زعمه « ماسيه » من « أن وحدانية الاسلام

كل همه الى النساء وينسجون من أهوائهم السفلى ومن اخليلتهم المريضة ما ينسجون من أفك وبهتان وافتراء . . وينسون او يتناسون فى هذا الصدد ، انه صلى الله عليه وسلم فى يفاعه وفى شبابه وفى رجولته ، وقبل الرسالة الكبرى التى اختير لها « الله اعلم حيث يجعل رسالته » واثناء اضطلاع باعبائها لم يؤخذ عليه ابدا انه كان على صلة ، أى صلة ، من قريب او من بعيد ، بآية امرأة فى وقت كانت فيه مخاونة النساء بلا قيد ولا شرط موفورة ميسورة .

وانه ، صلوات الله وسلامه عليه ، قد تزوج أول ماتزوج بالسيدة خديجة ذات الحسب المجيد والنسب التليد والجاه العريض والسبعة الطيبة التى لم تشبهها آية ثائية ، والتي كانت مطمح ومطمح الكثيرين بل والكثيرين جدا ، من أقبال العرب وسراتهم ومن أهل النباهة والذكر فيهم .

وانها رضى الله عنها ، اذ رفضت طلاب يدها من هؤلاء جميعا فيها تسجل كتب السيرة ومراجع التاريخ كلها بلا أى اختلاف ، انها هى التى خطبت محمدا لنفسها ، وتزوجته مزهوة مفاخرة برجولته واستقامته وحسن خلقه وامانته .

وقد تزوجها محمد راضيا ، على فارق السن بينها وبينه ، وهو فارق ليس بالقليل ، اذ كانت تكبره بخمسة عشر عاما .

وقد شامت قدرة الله ان يتجب منها من أنجب من ابنائه وبناته فيما عدا ابراهيم الذى رزقه من السيدة مارية القبطية .

وقد ظل طوال حياته ، يذكر خديجة أطيب الذكرى المقرونة دائما بالحد والثناء أمام كل واحدة

الإسلام

من بديع صنع الله في الإنسان ما أودع فيه من القوى النفسية والجسدية التي كانت ماثراً تفكير الباحثين من بدء الخليقة حتى يومنا هذا : كيف يفكر هذا الإنسان ؟ وكيف يتحرك ؟ وكيف ينمو ؟ وكيف يمرض ؟ وكيف يصنع ؟

ومهما وصل العلم من الكشف عن الأسرار الإلهية في هذا المخلوق العجيب ، فإنه سيظل إلى أن تقوم الساعة محكوماً بهذه الآية الشريفة « وما أوتيتم من العلم الا قليلا » ومن هذا القليل الذي آتاه الله لخلقه ما تحدث فيه علماء النفس من الآثار الجسدية للأمراض النفسية ، فقد كان من الطبيعي في الإنسان وقد امتزجت فيه القوى النفسية بالجسدية أتم الامتزاج أن يتأثر جسمه بنفسه والعكس ، فطالما كان هادئ النفس مسروراً بدت على جسمه آثار النشاط والقوة ، وإذا ما حزن أو غضب أرتسمت على بدنه مظاهر الضعف والاضطراب .

ويسمى علماء النفس المحدثون هذا الفن الذي يبحث في الأمراض الجسدية الناشئة عن الحالات النفسية بالطب « السيكوسوماتي » أي الطب النفسي الجسدي ولا نستطيع أن ندعى استئثار الطب الحديث بمعرفة ذلك . وقد تنبأت إليه الخليقة من قديم الأزمان . فافلاطون ينكر على أطباء عصره معالجة أمراض الجسد دون العقل وهما ممتزجان فيقول : « أن اكبر أخطاء الأطباء أنهم يحاولون علاج الجسد دون العقل ، في حين أن العقل والجسد وجهان لشيء واحد فلا ينبغي أن يعالج أحد الوجهين على حدة ! »

والطبيب ابن العباس المتوفى سنة ٣٨٤ هـ في كتابه « كامل الصناعة الطبية : يوصي الإنسان بالابتعاد عن الهم والغم والغضب والجسد والفكر الحزين لما يؤدي إليه ذلك من الأمراض الجسمية الفتاكة ومن عبارته « فاما الأمراض النفسانية فإنه قد ينبغي الا يدمن الإنسان على الغم ، ولا يستعمل الغضب : ولا يكثر من الهم والفكر ولا يستعمل الجسد فان ذلك كله مما يغير مزاج البدن ويعين على انهكاك وضعف الحرارة الغريزية . . . ومن كان مزاجه حاداً فان هذه الاعراض تولد الحميات الرديئة بمنزلة حمى الدق ، وقرحة السمل ، وما يجري هذا المجرى فلذلك قد

لأتعنى وحدانية الله وأنها تعني الوحدانية في عبادة صنم واحد » !! . . فنقول احب ما فون ، لا يحترم عقله ولا يحترم عقول الآخرين لان كل العقلاء من اعداء الاسلام وسواهم من غير المسلمين لا ينكرون ان دعوة الاسلام هي دعوة وحدانية الله وافراده بالوحدانية المنزهة عن الشريك وال ضد والند والصاحبة والولد : « قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد * ولم يولد * ولم يكن له كفوا أحد » * * * والمهم الله واحد » المحيى الميت الرزاق المقيت ، « لا شريك له » القاهر فوق عباده ، الولي الحبيب ، « أم اتخذوا من دونه أولياء » إلى آخر ما ورد في هذا المعنى من آيات بينات محكمات لا لبس فيها ولا غموض .

والعقلاء ، كل العقلاء من غير « هنري ماسيه » واضرابه لا يستطيع احد منهم ان ينكر ان الاسلام قد هدم الاوثان والاصنام وحطم الالهة المزعومة ، وحرم عبادة الحجر والبشر ، وحرر العقول من هذه الخرافات وامثالها ، وخلص الانفس من أسر هذه العبودية واخلصها الى عبادة الله الواحد الاحد الفرد الصمد .

« ليعبدوا الله مخلصين له الدين » .

وأما فيما عدا ذلك بما اثاره المستشرق « هنري ماسيه » ونبه اليه الاخ المسلم الغيور الاستاذ على الجبلاطى ، من مفتريات فأوجه السخافة والمهاترة فيها واضحة بطريقة تدحضها وترفضها وتردها في نحر مفتريها ، وتصيبه بالتعصب الجاهل ، وتجعل الرد عليها وعدم الرد سواء ، وان كان ليس ثمة ما يمنع من الرد عليها تبصرة لن قد يخفون بمثل « هنري ماسيه » ممن ليست لهم أدنى معرفة بالاسلام .

من اجل هذا ، اكتفى بهذا القدر الان سائلا الله تعالى ان يوفقني قريباً لدحض كل ما تضمنه هذا الكتاب المسموم الموسوم من مفتريات وترهات يرفضها العقل السليم ويأبأها الخلق الكريم ، ولا يمكن بحال ان تنال من الاسلام دين الله القويم ولان موطنى نطلى رسوله الذى توجه ربه بقوله : « وانتك لعلى خلق عظيم » .

وانتهز هذه المناسبة الطيبة لارفع صوتى عاليا مع الاخ المسلم الغيور الاستاذ على الجبلاطى منبها الى ما تضمنه هذا الكتاب من جهل وجهالة ومحذرا كل مسلم منه ومن امثاله .

واختتم كلمتى هذه « باستغفار الله الغفور الرحيم والاثابة اليه متوسلا بما علمنا ان نتوسل اليه به جلست تحزته :

« ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا . ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا . ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا . انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين ! » والصلاة والسلام على حامل لواء الاسلام سيدنا محمد خير الانام .



والصحة النفسية

والهم يخترم الجسيم نحافة

ويشيب ناصية الصبي ويهرم
وشاعر آخر يوضح لنا أن الأيام التي تطول على
صاحبها أفيمل منها ويضجر لما تحمله من آلام متصلة
وأهوال متعاقبة ٠٠ وأن الهموم التي تتدفق على القلب
بما لا طاقة له به والتي اتسعت عن أن تجدها بين
حنايا الضلوع مكانا ومستقرا ، كل تلك الآلام والهموم
لا تمر على صاحبها من الكرام بل تترك أثرها الواضح
في صورة الشيب الذي يجر وراءه ما يجر من
الضعف والهزال فيقول :

أشباب الرأس أيام طوال

وهم ما تضمنه الضلوع

والحق يقال : ان الطب النفسى الجسمى فى أواخر
القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين قد غفا
غفوة يعرفها كل من يقرأ مراجعه فى تلك الحقبة فلا
يجد فيها مثل عناية الاقدمين بهذا اللون ٠٠ اللهم الا
اشارات عابرة لا تعدو وصف بعض الظواهر النفسية
وتعليقها أما العناية بعلاجها فلم يبلغ مبلغا يعتبر



ينبغي أن يتجنب الانسان الاعراض النفسائية كلها :
وأن يلهم نفسه الفرح والسور فائه يقوى الحرارة
الغريزية ويحركها الى ظاهر البدن . ويزيد فى
النشاط ويقوى النفس .

ويأتى من بعد ذلك حجة الاسلام أبو حامد الغزالي
ليفيض الحديث بكل دقة ووضوح عن كثير من
الانفعالات النفسية وما تؤدى اليه من أضرار جسمية
فيقول عن انفعال الغضب : « فإذا اشتد اضطراب نار
الغضب أعمى صاحبه ، وتصاعد من شدة غليان الدم
دخان مظلم الى الدماغ وانتشر الدم الحقيقى فى
العروق ، وارتفع الى أعالي البدن كما يرتفع الماء
الذى يغلى فى القدر كذلك ينصب الى الوجه فيحمر
الوجه والعين ٠٠ وفى حالة الغضب الشديد تفنى نار
الغضب الرطوية الجلدية التي بها حياة القلب فيموت
صاحبه غيظا » .

ومرة أخرى يذكر أن من الآثار الجسدية للانفعال
الغضبى « تغير اللون ، وشدة الرعدة فى الاطراف
واضطراب الحركة والكلام حتى يظهر الزيد على
الاشداق ، وتحمر الحلق ، وتنقلب المناخر ، وتستحيل
الخلقة » .

ويقول عن انفعال الخوف : « وقد تصل الآثار
الجسدية الداخلية لانفعال الخوف الى الحد الذى
تنشق منه المرائر فيفيض الى الموت » .

وشاع بين الناس من قديم ما يفعله القلق والحزن
وسائر الانفعالات العنيفة بالجسم من ضعف أو
مرض ٠٠ ويتحدث العامة عن فلان الذى أصيب
بالشلل من جراء كارثة مفاجئة وفلان الذى فقد بصره
نتيجة الايمان على الحزن وذاك الذى ابيض شعره
عقب الخوف الشديد وهكذا .

وقبل أن يطلق المحدثون اسم الطب السييكوسوماتى
كان الشعراء ينظمون الكثير من مسلمات هذا الفن فى
قصائدهم فيلقاها الناس عنهم بالتسليم لأنها أصبحت
من البداة بمكان .

فهذا شاعر يصرح بأن الهموم حينما تصيب قوى
الجسم القاربه البدن تبدله من جسامته نحافة
وهزالا ٠٠ وحينما تنزل بالصبي وهو غض الالهاب
ناضر الوجه يتقلب فى ميعة الصبا والجمال تشيب
منه الشعر وتحيله هرما ضعيفا فيقول : -

وبعد • فما هو موقف الإسلام من هذا القرع الطبي الهام ؟

أنه كدأ به أراء الأبحاث العلمية بحث عليها ويدفع المسلم الى الخوض فيها لانه يعتبره مسئولا عن تطوير الحياة في كل الميادين بما لا يخالف نصا في الكتاب والسنة •• وقد حثنا سبحانه على البحث في النفس بدوله « وفي أنفسكم أفلا تبصرون » وليس ذلك محدودا بعصر دون عصر •• ولا محصورا على مجال دون مجال بل يشمل البحث عن النفس في أمراضها والوقاية منها وعلاجها وهدايتها ورشادها والسمو بها الى أوج الرفعة والكمال •

ولم يكتف الاسلام بهذا الحث على البحث في النفس بل وردت عبارات صريحة في الكتاب والسنة تبين العلاقة بين المرض النفسي والجسمي حيناً وتضع العلاج حيناً آخر ولا أكون مبالغاً اذا قلت : ان ما ورد في علاج النفس من ذلك : هو أغزر وأعمق وأصح عن كل ما ورد في أبحاث علماء النفس من بدء الخليقة حتى يومنا هذا ونجترأ من هذا البحر الطامى بقطرة حسب ما يتسع له هذا المقام •

فما جاء في القرآن يوضح العلاقة بين الحالة النفسية والمرض الجسمي ما حدثنا به سبحانه عن يعقوب : أنه لما فقد ابنه يوسف عليهما السلام حزن حزناً شديداً حتى فقد بصره قال تعالى : « وتولى عنهم وقال يا أسفى على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم » ولما جاءته البشرى بولده وفرح الفرح الشديد أبصر في الحال : « فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيرا » •

وفي آية أخرى يصور يوم القيامة في شدة أهواله ، وما تفعله بالنفس البشرية من رعب وفزع يتأثر بهما جسم الوليد الصغير فيشيب قبل أوان الشيب قال تعالى « فكيف تتقون ان كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا »

وفي الثالثة : يصور هذا الخوف الشديد الناشئ من الأهوال والشدائد والآثار التي تترتب عليه في الجسم فيقول عن يوم القيامة أيضا : « يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد » فهذا الخوف الذي يذهل الأم عن رضيعها وهو أعز ما يكون لديها حتى لتفديه بروحها وتقف دونه تحميه من كل شر وضر كيف أن هذه الولادة تفقد رشدها وتصاب بحالة من الذهول الذي ينسيها كل شيء حتى وليدها الصغير • وكيف أن الخوف الشديد يؤثر على الحامل فتلقى بحملها في غير أوان الوضع •• وكيف أنه يصيب الناس كلهم بحالة تشبه

امتداداً لهذا التراث الضخم الذي خلفه لنا السابقون وحينما كان يتصدى الطبيب لعلاج الجسم الذي تهاوى بسبب المرض النفسي لم يكن يعطى صاحبه أكثر من العقاقير المسكنة •• وهذا أن دل على شيء فإنما يدل على الجمود والعقم الذي أصيب به هذا اللون من البحث في هذه الفترة من الزمان •

وكما يكون البحث من بعد الموت من أقوى مظاهر الحياة رأينا ذلك اللون من الطب يعود بشباب جديد حاملاً اسم الطب السيكوسوماتي الذي خصصت له جامعات الغرب أقساماً ، وجندت له من الامكانيات ما جندت له عيادات الطب النفساني •• ثم انتشر ذلك في كثير من دول العالم المتطورة وظهرت فيه المؤلفات والنشرات الدورية وتخصصت فيه المجلات العلمية وأصبحت أبحاثه نامية متطورة تسابق الزمان وتجاري تطور العصر في الأبحاث النووية والالكترونيات وأبحاث الفضاء •

وقد كشف لنا الطب السيكوسوماتي عن كثير من الأمراض الجسمية التي تحدثها الانفعالات النفسية كالقلق والخوف والبغضاء والحقد والهم والكبت والشك والغيرة • فثبت أن الحزن الشديد وخاصة المفاجيء يتسبب في تصلب الشرايين والجلطة الدموية والشلل وأمراض الدم من الضغط والسكر وغيرها بل وأثبت أن الأزمات النفسية الشديدة تحول العصارات الهاضمة الى سموم فلا تستفيد المعدة من أغنى الأطعمة بالمواد الغذائية فضلاً عن أن هذه العصارات تحول كلها في المعدة الى مزيج من المواد السامة التي يضر بقاؤها بالجسم ضرراً بليغاً •• بل ان هذه العصارات السامة تفتت جير الأسنان وتزلزلها من مكانها فإذا بفلان قد سقطت أسنانه فجأة أثر كارثة دامية أوهم وغم شديدين ويحدثنا الدكتور يوسف مراد بأن الأمراض النفسية تؤدي الى أحداث قرحية المعدة وقرحية الأمعاء وارتفاع ضغط الدم الجوهري والربو وفقد شهوة الطعام وبعض حالات الامساك والاسهال وحالات الاستهداف للطفحات الابخرية ، ومرض الميون المعروف بالجلو كوما (اى الماء الازرق) ومجموعات الأمراض الخاصة بالقلب والجهاز الهضمي والتناسلي •

وهذه النتائج التي توصل اليها الدكتور مراد وسائر طماء النفس العرب تلتقى مع ما قرره الاطباء والمختصون الاجانب فالدكتور «جوبر» يذكر من الأمراض الجسمية التي تنشأ عن الأمراض النفسية عسر الهضم المصبي ، وقرحة المعدة ، واضطرابات القلب والارق والصناع وبعض أنواع الشلل كما قرر أن القلق يجعل العصارات الهاضمة تتحول الى عصارات سامة تؤدي في كثير من الاحيان الى قرحة المعدة •• وقررمثل ذلك الدكتور هارولد سين هاببن ، و • س • الفاريز ، وهيل كارنهيى والكسيس كاريل •

السكر وما هي بسكر حقيقي ولكنه الفزع والهلع وشدة العذاب أفقدهم صوابهم وشمل فكرهم وعقلهم .

وجاء وصف الرسول صلى الله عليه وسلم لل غضبان بما يوضح الاثر الجسمي لذلك الانفعال ادق تصوير من حمرة العينين والوجه وانتفاخ الاوداج وتغير الهيئة . . . وإذا كان هذا هو الاثر الجسمي المرعى فهناك آثار أخرى للغضب . تظهر في تصرفات الغضببان كعدم الفهم والتعقل حتى ليبلغ الغاضب في تصرفه أحيانا مبلغ المجنون الذي لا يدري ما يأتي وما يذر وبناء على هذا نهاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الحكم بين الناس في هذه الحالة فقال : « لا يقضى القاضي وهو غضبان »

ومن العلاج الذي جاءت به السنة لحالة الغضب تغيير الغاضب لوضعه فان كان قائما قعد وان كان جالسا اتكا والاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم قال صلى الله عليه وسلم : ان الغضب حمرة توفد في القلب ألم تروا الى انتفاخ أوداجه وحمرة عينيه فإذا وجد أحدكم من ذلك شيئا فان كان قائما فليجلس وان كان جالسا فليقم أو كما يقول صلى الله عليه وسلم : فان لم يزل ذلك من نفسه فليتوضأ بالماء البارد أو يغتسل فان النار لا يطفئها الا الماء .

ومن العلاج العملي الذي مارسه رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أصحابه قصة أبي أمامة فقد روى أبو سعيد الخدري أن الرسول صلى الله عليه وسلم دخل المسجد ذات يوم فإذا هو برجل من الانصار يقال له : أبو أمامة فقال : يا أبا أمامة مالي أراك جالسا في المسجد في غير وقت الصلاة فقال : هموم لزمته وديون يا رسول الله قال : أفلا أعلمك كلاما اذا قلته اذهب الله همك وقضى عنك دينك قلت : بلى يا رسول الله قال : « قل اذا أصبحت واذا أمسيت : اللهم اني أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك من الجبن والبخل وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال قال : ففعلت فأذهب الله همى وقضى دينى » .

فأبى أمامة حينما ركب الدين حزن واغتم وأقعده الهم في المسجد لا يبرحه منطويا على نفسه معتزلا للناس تاركا الخوض في غمار الحياة . . . ولا شك أن العزلة وما صاحبها من هم وحزن من الحالات النفسية التي تترك أثرها السيئ في الجسم من الكآبة والانقباض وهزال الجسم وضعفه فكان العلاج لذلك أن سقاه الرسول صلى الله عليه وسلم بجرعة من الأمل والعزم والنشاط وذلك بأن وصله بالقوة العليا التي لا يخيب من توجه اليها ولا يئس من نجاحها . . . ولا يحزن من لجأ اليها ذلك لأن اللجوء الى الله وهو القادر على كل شيء يعطى المؤمن المزيد من الثقة والرجاء في الله حتى يتيقن أن الله سينجده وينتشله

مما تردى فيه وذلك الإحساس والشعور الذي وضعه الرسول في نفس أبي أمامة كان كفيلا بأن يجعله ينطلق الى الحياة من جديد وكله أمل وثقة وعزم على العمل والكفاح .

ويشبه هذا ما حدث لأنس بن مالك رضي الله عنه فقد طرأت عليه حالة من الحزن والتفكير الذي لازمه فترة طويلة حتى شف جسمه وانحل بدنه وعافت نفسه الطعام والشراب وضاعت عليه الأرض بما رحبت واكتشف ذلك الطبيب النفساني الكبير صلى الله عليه وسلم فسأله ما باله فقال يا رسول الله : نظرت في حالي وقلت : أنا الآن لا أطيق فراق رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يكون حالي والرسول يوما ما سيترك الدنيا فأحرم من ملازمته والتمتع برؤيته وفي الآخرة سيكون في منزلة لا أصل اليها ان دخلت النار ولا أسمو اليها ان دخلت الجنة فعملت أذننى مقضى على بالحرمان النهائي من حبيبى وقره عيني رسول الله فبشره الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه سيكون معه في الجنة وأيضا في درجته لأنه يحبه وقال له « بحشر المرء مع من يحب » فهدأت نفسه وخرج من الحزن الى الفرح والسرور والطمأنينة والاستقرار وعاد اليه نشاطه وقره نفسه كأحسن ما كان في حياته .

وعلماء النفس يعالجون « العقدة » بطريق التحليل النفسى الذى يجلس فيه المريض الى الطبيب ، ويقضى اليه بذات نفسه ويعترف بإخطائه وكل ما لقيه في حياته . . . وقد يكذب المريض في حكاية أحواله وقد يعجز الطبيب عن بث الطمأنينة والراحة النفسية فى قلبه ولكن الاسلام شرع لنا التوبة وهى اعتراف صادق من المرء لربه بالاخطاء والذنوب . . . ووثوق القائب بعفو الله ومغفرته يريح نفسه ويسكب عليها السكينة والاطمئنان فتهدأ نفسه وتزول عقده .

وإذا كانت الامراض النفسية كثيرا ما تنشأ عن القلق والخوف والبغضاء والحقد والكبت والشك والغيرة فان الاسلام هو الدين الذى يعالج ما أصاب المرء من ذلك بل ويقيه من التردى فى هذه الافات ان هو اتبع هداة .

فمن هدى الاسلام : الرضا بالقدر خيره وشره حلوه ومره والاطمئنان والثقة بوعده الله والاعتقاد بأن ما أصاب المسلم لم يكن ليخطئه وما أخطاه لم يكن ليصيبه فأنى يجد القلق والخوف والهم السبيل الى نفسه ؟ وكيف يتمكن الحقد من قلبه وهو لا يؤمن حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ويكره له ما يكره لها ؟ . . . ويمارسه لالوان العبادات واتصاله الدائم بالله لا تتعقد نفسه ، ولا تضطرب أعصابه وهذه حقيقة قد اعترف بها علماء النفس الأجانب أنفسهم فقد قال الدكتور « بريل » : « ان المرء المتدين حقا لا يعانى قط مرضا نفسيا » وقال « ديل كارنيجى » : « ان أطباء

النفس يتزكون أن الإيمان القوى والاستمسك بالدين
كفيلان بأن يقهر القلق والتوتر العصبي وأن يشفيا هذه
الامراض * .

ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم : إذا حزبه
أمر فزع الى الصلاة ، لان فيها مناجاة الرب
والخشوع بين يديه وفيها ينخلع المرء من الدنيا ،
ويسبح في فيض سماوى من الصفاء والجلال
والجمال يعود من بعده مطمئن القلب ، ساكن النفس
ولذلك كان يقول صلى الله عليه وسلم : « وجعلت قرّة
عينى فى الصلاة » وكان اذا حان وقتها استقبلها
بشغف ولهفة ، لان فيها الراحة الكبرى والسعادة
العظمى ولذلك كان يقول لمؤذنه « أرحنا بها يا بلال »
فهى اذن خير علاج من كافة الامراض العصبية ولذلك
اعترف بفضلها فى ذلك كبار المتخصصين فى
الدراسات النفسية قال « الكسيس كاريل » :

« لعل الصلاة هى أعظم طاقة مولدة للنشاط عرفت
الى يومنا هذا ، وقد رأيت بوصفى طبيباً كثيراً من
المرضى فشلت العقاقير فى علاجهم فلما رفع الطب يديه
عجزاً وتسليماً تدخلت الصلاة فابراتهم من عظمهم * .

ان الصلاة كمعدن الراديوم مصدر للاشعاع ، ومولد
ذاتى للنشاط * وبالصلاة يسعى الناس الى استزادة
نشاطهم المحدود حين يخاطبون القوة التى لا يفنى
نشاطها اننا نربط انفسنا حين نصلى بالقوة العظمى
التي تهيم على الكون ونسألها ضارعين أن تمنحنا
قبساً منها نستعين به على معاناة الحياة * . بل ان
الضراعة وحدها كفيلة بان تزيد قوتنا ونشاطنا ولن
نجد احداً ضرع الى الله الا عادت عليه هذه الضراعة
بأحسن النتائج »

ومن أجمل ما فى الاسلام : انه يربط المسلم بالقوة
العظمى المسيطرة على هذا الكون فلا يعتريه قلق ولا
هم ولا حزن ولا تعقيد لانه سما عن كل ذلك حينما
توجه الى هذه القوة بروحه وجسمه ، واحساسه
ومشاعره ، فهو دائماً يذكر الله ، ويصبح ويمسى على
صلاة ، ويحب فى الله ويبغض فى الله ، ويعمل امتثالاً
لامر الله ، ويأكل متمتعاً بنعم الله ، ويتزوج وينجب
استدامة للخلافة عن الله وشعاره ذلك الدستور
العظيم فى قوله تعالى :

« قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب
العالمين » *

الجدير بالصدقة

قال البارودى [رحمه الله] :

ليس الصديق الذى تملو مناسبه
بل الصديق الذى تزكو شمائله

ان رابك الدهر لم تفشل عزائمه
اونا بك الهم لم تقتر وسمائله

برعائك فى حالتى بمد ومقربة
ولا تفبك من خير قواصله

لا كالذى يدعى ودا وباطننه
بجهر احتقاده تغلى مراجله

يذم فعل اخيه مظهرا اسفا
ليوهم الناس ان الحزن شامله

وذاك منه عداء فى مجاملة
فاحذره واعلم بان الله خاذه



مادة : « شهيد » وردت متعددة التصاريف ، متباينة المعاني ، ومن أبرز معانيها : « الشهيد » بفتح الشين ، وكسرهما : الشاهد ، والأمين في شهادته ، والذي لا يغيب عن علمه شيء ، والقتيل في سبيل الله تعالى : وسمى القتل في سبيل الله شهيدا ، لقباه به بشهادة الحق في أمر الله ، أو لأن ملائكة الرحمة تشهده ، أو لأن الله تعالى وملائكته يشهدون له بالجنة ، أو لأنه ممن يستشهد يوم القيامة على الامم الخالية ، أو لسقوطه على الشاهدة (أى الارض) ، أو لأنه حي عند ربه حاضر ، أو لأنه يشهد ملكوت الله وملكه .

ومؤنث شهيد : شهيدة ، ويجمع على : شهداء والمشهد بفتح الميم والهاء وسكون الشين : مكان استشهد الشهيد ، وجمعه : مشاهد ، والمشهد بضم الميم وسكون السين وفتح الهاء : المقتول في سبيل الله تعالى .

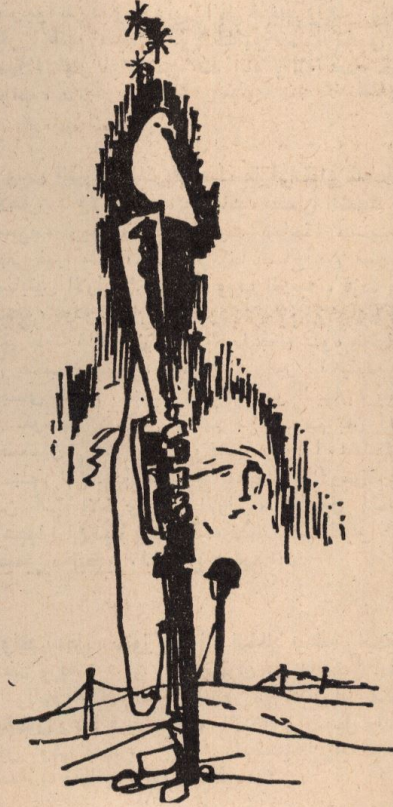
والشهيد بمعنى القتل في سبيل الله هو موضوع بحثنا : ارتباطا بظروفنا ، وانعكاسا لقدورنا ، وانصهارا مع معركتنا ، واستنهاضا لهمتنا ، واستشعارا بمسئوليتنا ، فلقد شاءت ارادة الله - الذى لا راد لقضائه ، ولا معقب لحكمه - أن يصل الصراع بيننا وبين أعداء الانسانية أوجه ومنتها ، وأصاب الغرور عدونا ، فزاده صلفا وكبرياء ، وملا قلبه ثقة وعنتا ، وجعله يوهم نفسه بأنه قوة لا تقهر ، وشوكة لا تكسر ، فأخذ لا يأبه بمشروع أمن ، ولا يستجيب لمبادرة سلام ، وأصبحنا في موقف يحتّم علينا جميعا أن نقف وقفة لله مؤمنة صابرة ، وأن نحمل كل منا روحه على كفه ، ويعد نفسه ليكون فداء لوطنه ، جاعلا الموت في سبيل الحق اسمى أمانيه ، سائرا على المبدأ الذى سار عليه السابقون ، فعزوا وسادوا : « احرص على الموت توهب لك الحياة » .

وأذا كانت دنيا الناس مكتظة بالتسابق عليها وهي زائلة ، فخير للمرء أن يقسابق الى سعادة أبدية باقية : والسعادة الابدية ، والنعيم المقيم : إنما يكونان في الحياة الآخرة التى لا نهاية لها : وأن افضل ما يوصل العبد الى هذه الحياة السعيدة الهنيئة : الاستشهاد في سبيل الله ، فالشهيد لا يمر بمرحلة

□ ٩٩ □

مع الشهداء

الأستاذ ممدوح عبد الحميد طه



فَتَاءَ بَعْدَ انْتِقَالِهِ إِلَى أَخْرَاءَ ، وَأَمَّا تَسْتَمِرُّ لَهُ الْحَيَاةُ
بِمَجْرَدِ اسْتِشْهَادِهِ ، يَقُولُ رَبُّنَا سُبْحَانَهُ :

« وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أحيَاءٌ
وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ » .

كما أَنَّ الشَّهِيدَ لَا يَشْعُرُ بِأَلَمِ الْقَتْلِ ، وَلَا يَحْسُ بِهَوْلِ
الْمَوْتِ ، وَأَمَّا تَكُونُ حَالُهُ كَمَا أَوْضَحْنَا لَنَا سَيِّدُ
الْمُجَاهِدِينَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِقَوْلِهِ :

« مَا يَجِدُ الشَّهِيدُ مِنْ مَسِّ الْقَتْلِ إِلَّا كَمَا يَجِدُ أَحَدُكُمْ
مِنْ مَسِّ الْقِرْصَةِ » .

ثُمَّ هُوَ بَعْدَ ذَلِكَ فِي حَيَاةٍ يَرَى فِيهَا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ ،
وَيَسْمَعُ مَا لَا أَذُنٌ سَمِعَتْ ، وَيَتَنَمَّعُ فِي نَعِيمٍ لَا يَخْطُرُ
عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ، وَيَحْطِي بِمَغْفَرَةِ ذُنُوبِهِ ، وَتَكْفِيرِ
سَيِّئَاتِهِ ، وَيَتَعَرَّضُ لِرِضَا رَبِّهِ وَرَحْمَتِهِ ، وَفَاءَ بِوَعْدِهِ ،
وَتَحْقِيقًا لِعَهْدِهِ « وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ » ؟

« وَلَئِنْ قَتَلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مِتُّمْ لِمَغْفَرَةٍ مِنَ اللَّهِ
وَرَحْمَةٍ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ » وَلَئِنْ مِتُّمْ أَوْ قَتَلْتُمْ لِأَلَى اللَّهِ
تَحْشُرُونَ » .

« وَالَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ » .
سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ . وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا
لَهُمْ » .

« وَالشَّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ
كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ » .

« وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ
أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ » فَرَحِينَ يَمَّا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ
فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ إِلَّا
خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ
اللَّهِ وَفَضْلِهِ وَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ »

وهذه الآيات الأخيرة رَوَى فِيهَا أَنَّ مَسْرُوقًا سَأَلَ
عَبْدَ اللَّهِ عَنْهَا ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : أَنَا سَأَلْنَا عَنْ ذَلِكَ
رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ :

« إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ جَمَلَ أَرْوَاحَ الشَّهَدَاءِ فِي جَوْفِ
طَيْرٍ خَضِرٍ ، لَهَا قَنَادِيلُ مَعْلُوقَةٌ بِالْعَرْشِ ، تَسْرَحُ مِنْ
الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ ، فَاطْلُعُ
عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ وَقَالَ : هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئًا ؟ قَالُوا : أَيْ شَيْءٍ
نَشْتَهُى وَنَحْنُ نَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْنَا ، فَقَعَلَ اللَّهُ
تَعَالَى ذَلِكَ بِهِمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَنْ يَتْرَكُوا
مَنْ أَنْ يَسْأَلُوا ، قَالُوا : يَا رَبِّ ، نَرِيدُ أَنْ تَرُدَّ أَرْوَاحَنَا
فِي أَجْسَامِنَا حَتَّى نَقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى » .

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ - أَخْبَرَ أَصْحَابَهُ عَنِ الْمَصِيرِ الْعَظِيمِ الَّذِي صَارَ
إِلَيْهِ شُهَدَاءُ غَزْوَةِ أَحَدٍ بِقَوْلِهِ :

« لَأُضَيَّبَ أَخَوَانُكُمْ بَاحَةً ، جَمَلَ اللَّهُ أَرْوَاحَهُمْ فِي
أَجْوَافِ طَيْرٍ خَضِرٍ ، تَرُدُّ أَنْهَارَ الْجَنَّةِ : وَتَأْكُلُ مِنْ
ثَمَارِهَا : وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلٍ مِنْ ذَهَبٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ ،
فَلَمَّا وَجَدُوا طَيْبَ مَا كُلُّهُمْ ، وَمَشْرَبِهِمْ ، وَحَسَنَ مَقِيلِهِمْ :
قَالُوا ، يَا لَيْتَ أَخَوَانُنَا يَعْلَمُونَ مَا صَنَعَ اللَّهُ بِنَا ، لَأَنَّا
يَزْهَدُوا فِي الْجِهَادِ وَلَا يَنْكَلُوا - أَيْ لَا يَفِرُوا - عِنْدَ
الْحَرْبِ - وَلَا يَجْبُنُوا ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : أَنَا أَبْلِغُهُمْ
عَنْكُمْ ، فَتَنَزَّلَ قَوْلُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ : « وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ
قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا » الخ .

وهذه آية أخرى مِنْ كِتَابِ الْحَقِّ ، تَفْصِيحٌ لَنَا عَمَّا
أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَى الشَّهَدَاءِ مِنْ عَظِيمِ الْأَجْرِ ، وَكَرِيمِ
الثَّوَابِ ، مُعْلَنَةً لِلْمَسَاوَاةِ بَيْنَ الذَّكَرِ وَالْإُنْثَى فِي جَزَاءِ
الْعَمَلِ الصَّالِحِ ، أَقْرَأَ مَعِيَ قَوْلَ الْحَقِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى :

« فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضَيِّعُ عَمَلًا عَامِلٍ مِنْكُمْ
مَنْ ذَكَرَ أَوْ أَنْثَى يَعْصِيكُمْ مِنْ بَعْضِ الْفَالِذِينَ هَاجَرُوا
وَأَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَوْذَوْا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقَتَلُوا
لَا كُفْرَنَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا دُخِلَتْهُمْ جَنَاتُ تَجْرَى مِنْ
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنٌ
الْثَّوَابِ » .

وَلَعَلَّ الْقَارِئَ الْكَرِيمَ يَدْرِكُ مَا فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ :
« لَا كُفْرَنَ - وَلَا دُخِلَتْهُمْ » مِنْ تَأْكِيدِ يَطْمَئِنُّ الشَّهِيدُ عَلَى
مَصِيرِهِ ، وَيَجْعَلُهُ يَفَاقِلُ الْمَوْتَ ضَاحِكًا مُسْتَبْشِرًا ،
مَقْبِلًا غَيْرَ مُدْبِرٍ ، صَاحِبًا كَمَا صَاحَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ
السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ : « فَزَتْ وَرَبُّ الْمَكْعَبَةِ ، فَزَتْ وَرَبُّ
الْمَكْعَبَةِ » قَوْلُهُ قَالَهَا أَحَدُ جُنُودِ الْإِسْلَامِ الْأَمْجَادِ ، وَهُوَ
يَتَلَقَّى طَعْنَةَ قَاتِلَةٍ مِنْ عَدُوِّهِ ، مِمَّا جَعَلَ عَدُوَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ
فِي عَجَبٍ وَدَهْشَةٍ ، وَيَسْأَلُ عَنْ سِرِّ مَا يَقُولُهُ هَذَا
الْجُنْدِيُّ الْمُسْلِمُ ، فَيُجَابُ بِأَنَّ هَذَا هُوَ الْإِيمَانُ ، يَغْرُسُ
فِي نَفْسِهِمْ أَنَّهُمْ فِي لِقَائِهِمْ مَعَ عَدُوِّهِمْ بَيْنَ أَحَدِي
الْحَسَنَيْنِ : أَمَّا نَصْرٌ وَغَنِيْمَةٌ ، وَأَمَّا اسْتِشْهَادٌ
يُوصِلُهُمْ إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ ، وَهُمْ
أَحْنُ إِلَى الْأُخْرَى مِنَ الْأَوَّلَى ، فَيَقْبُولُ الْمُشْرَكَ :
وَأَعْجَبًا ! إِنَّ دِينَنَا يَجْعَلُ أَهْلَهُ كَذَلِكَ حَتَّى يَقَابِلُوا الْمَوْتَ
بِاسْمَيْنِ مُغْتَبِلَيْنِ ، لِحَقِيقٍ بِأَنَّ يَتَّبِعَ !!!

وَلَقَدْ سَجَلَ دَسْتُورُ الْإِسْلَامِ الْخَالِدُ صَفْقَةً رَابِعَةً بَيْنَ
الْعَبْدِ وَرَبِّهِ : « إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ
وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ
وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِمْ حَقًّا فِي النَّوْرِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ
وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي
بِأَيْعَتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ » .

فَالْمُشْتَرَى فِي هَذِهِ الصَّفْقَةِ كَرِيمٌ لَا يَخِلُّ ، وَفِي لَا
يَغْدُرُ ، غَنَى لَا يَفْتَقِرُ ، وَهُوَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ،
وَالْبَائِعُ : الْمُؤْمِنُونَ الْمُجَاهِدُونَ الْمُضْحِكُونَ بِأَنْفُسِهِمْ

عمر ، عن عمر بن الخطاب - رضى الله تعالى عنهما -
قال : - قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :

« الشهداء أربعة :

رجل مؤمن جيد الايمان ، لقي العدو ، فصديق الله تعالى حتى قتل ، فذلك الذى يرفع الناس اليه اعيانهم يوم القيامة هكذا - ورفع رأسه حتى سقطت قلنسوته - قال ابن عمر : (فلا أدري اقلنسوة عمر أم قلنسوة رسول الله صلى الله عليه وسلم) .

ورجل مؤمن جيد الايمان ، لقي العدو ، فكانما ضرب جلده بنسوك طلع من الجبن ، اتاه سهم غرب ، فقتله فهو فى الدرجة الثانية .

ورجل مؤمن خلط عملا صالحا وآخر سيئا ، لقي العدو ، فصديق الله تعالى حتى قتل ، فذلك فى الدرجة الثالثة .

ورجل مؤمن أسرف على نفسه ، لقي العدو ، فصديق الله حتى قتل ، فذلك فى الدرجة الرابعة .

لهذا فقد أدرك السابقون مكانة الاستشهاد فى سبيل الله ، فتنطلعوا الى منازل الشهداء ، وباعوا أنفسهم رضا لله ، وتبديدا للحق ، وإزهاقا للباطل ، فعملت كلمة الحق على أشلائهم ، وكتبت صفحات المجد والفخار بدمائهم ، وحفظت الكرامة ، وصيمنت الاعراض بسيوفهم ، وضمنوا لانفسهم الايمان والسلام فى أوطانهم بأسنة رماحهم ، وتبوءوا فى دنيا الناس منزل العز والفخار بإيثارهم أخراهم على أولاهم ، فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله ، وما ضعفوا ، وما استكانوا ، فاستحقوا أن يكرمهم رب العالمين ، ويذكرهم فى معرض المدح والثناء ، قائلًا فى حقهم :

« ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رءوف بالعباد »

ذلك لانهم قد هانت عليهم دنياهم ، وعظمت فى نفوسهم أخراهم ، وأدركوا أن ما عند الله خير وأبقى ، وأنه لن تموت نفس حتى تستوفى أجلها المعلوم ، ورزقها المقسوم ، وأن الفرار من القتل فى سبيل الله ، فتنطلعوا الى منازل الشهداء ، وباعوا الموت أينما كانوا ، ويلحقهم أينما حلوا ، حتى ولو كانوا فى بروج مشيدة ، فزالت مخاوفهم ، وانقضت وساوسهم ، وأقدموا على قتال أعدائهم ، والموت أحب اليهم من الحياة ، فسجلوا بأحرف من نور فى أنصع صفحات التاريخ أروع سطور البطولة ، وأعظم مواقف التضحية :

فهذا عمير بن الحمام يسمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم بدر يقول : « والذى نفس محمد بيده ، لا يقاتلهم اليوم رجل ، فيقتل صابرا محتسبا ، مقبلا غير مدبر : إلا أدخله الله الجنة » ، فقال عمير

وأموالهم فى سبيل الله ، والسلعة : أنفس الله خالقها ، وأموال الله رازقها ، والثلث : جنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسوله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ، والمنزلة فى الجنة : أعلى مراتبها ، وأسمى منازلها ، مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والصالحين ، هناك فى الفردوس الأعلى تحت عرش الرحمن ، كما بين لنا ذلك أحكم الحاكمين بقوله - عز من قائل - :

« ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا » ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما !

وأوضح ذلك - أيضا - سيد المرسلين - صلى الله عليه وسلم - بقوله لام الربيع بنت البراء والددة حارثة ابن سراقه حينما جاءت تسأل عن مصير ابنها ، وكان قد قتل يوم بدر : يا نبي الله ، ألا تحدثني عن حارثة ؟ فان كان فى الجنة صبرت ، وان كان غير ذلك اجتهدت عليه فى البكاء ، فقال لها الرسول : « يا أم حارثة ، انتها جنان فى الجنة (أى منازل ومراتب) ، وان ابنك قد أصاب الفردوس الأعلى » .

والفردوس الأعلى أسمى مراتب الجنة ، وأرقى منازلها ، مصداقا لقول خير خلق الله - صلى الله عليه وسلم - فى حديث آخر :

« ان فى الجنة مائة درجة ، أعدها الله للمجاهدين فى سبيله ، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض : فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس الأعلى ، فإنه أعلى درجة فى الجنة ، وفوقه عرش الرحمن ! » .

ولقد أوضح من لا ينطق عن الهوى - صلى الله عليه وسلم - منزلة الشهداء ، وما خصهم به رب العالمين من مميزات تلى قدرهم ، وترفع شأنهم ، اذ يقول :

« ان للشهيد عند الله سبع خصال : أن يغفر له فى أول دفعة من دمه ، ويرى مقعده من الجنة ، ويحلى حلة الايمان ، ويحار من عذاب القبر ، ويامن من الفرع الاكبر ، ويوضع على رأسه تاج الوقار : ويزوج من الحور العين ! وزاد فى حديث آخر : « ويشفع فى سبعين من أهل بيته » .

وسئل اشرف الخلق - عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام - : ما بال الناس يفتنون فى قبورهم الا الشهيد ؟ فقال : « كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة » .

واذا كان الشهداء مآلهم الجنة ، ومراتبهم فيها هى أسمى المراتب ، فانهم يتفاوتون فى درجاتهم تبعًا لما كانوا عليه فى دنياهم من قوة فى الايمان أو ضعف ، ومن شجاعة فى القلب أو جبن .

فقد روى الترمذى ، والبيهقى عن عبد الله بن

ابن الحمام - وكان في يده تمرات يأكل منها - يخ :
أفما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء ،
والله لئن بقيت حتى أكل هذه التمرات أنها لحياة
ثقيلة ، ورمى بالتمرّات من يده ، وتناول سيفه ،
وأسرع إلى ميدان البطولة والشرف ، يصول ،
ويجول ، غير هباب ولا وجل ، وقد أخذ يقول :

سعيًا إلى الله بغير زاد

إلا التقى وعمل المعاد

والصبر في الله على الجهاد

وكل زاد عرضة النفاق

غير التقى والبر والرشاد

وظل يقاتل ، ويطيح برؤوس الأعداء ، حتى مات
شهيدًا ، ولما علم الرسول بموته ، قال : « لقد رأيته في
الجنة يخب فيها بثوبه » .

وهذا صحابي آخر يأتي إلى رسول الله ، ويقول
له : يا نبي الله ، لقد أمنت بك على أن أقاتل في سبيل
الله ، فلما دعا داعي الجهاد ، خرج الرجل بين
صفوف المجاهدين ، وقاتل قتالا مريرا ، وأبلى بلاء
حسنا ، وتمت الغزوة بنصر المسلمين ، فأرسل إليه
رسول الله بنصيبه في الغنيمة ، ولكنه رد نصيبه ،
وقال لرسول الله : ما علي هذا اتبعك : وإنما اتبعك
على أن أرميها هنا - وأشار إلى عنقه - فلما كانت
الغزوة التالية ، انضم لصفوف المحاربين ، وقاتل قتال
الابطال ، فأسقط الهام وأطاح بالاعناق ، وفي معمرة
القتال ، أصابه سهم في نفس المكان الذي أشار إليه
في عنقه ، ونال شرف الاستشهاد في سبيل الله كما
كان يبتغي ويتمنى ، وحمل إلى رسول الله وجرحه
يشخب دما ، فقال أمام المناضلين - صلوات الله
وسلامه عليه - : « لقد صدق مع الله ، فصدق الله
معه » ثم كفنه في قميصه ، ودعا له قائلا : « اللهم ان
عبدك هذا خرج مجاهدا ، وقتل شهيدا ، وانى على
ذلك من الشاهدين » .

وهذا النضر بن الحارث يتخلف عن غزوة بدر ،
ويقوته شرف الاشتراك فيها : فيأتي إلى رسول الله
معتذرا ، ويقول : « أول مشهد شهده رسول الله
- صلى الله عليه وسلم - غبت عنه ، والله لئن أراني
الله مشهدا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
ليرين الله ما أصنع » .

ولما جاء يوم أحد ، خرج مسرعا لقتال الأعداء ،
عازما على الثبات والاستبسال ، وفاء لعهد الذي
أخذه على نفسه ، فقابلته سعد بن معاذ ، فقال له
النضر : يا سعد ، والله اني لأجد ريح الجنة دون
أحد ، والتحم الجيشان ، والنضر يمشى متبخترا بين
الصفوف في بسالة وفخر وأعجاب ، يعمل سيفه في

رقاب الأعداء فيطيح بها ذات اليمين وذات الشمال ،
فينظر إليه رسول الله في دهشة وإكبار ، ويقول :
« هذه مشية يبغضها الله إلا في هذا الوطن ! ولما
تحول النصر المبكر للمسلمين في غزوة أحد إلى
هزيمة ، تكاثر الأعداء على النضر فقتلوه ، ومثلوا
به ، وقطعوه أربا أربا ، ولم تعرفه إلا أخته بعلامة
كانت في بنيه ، وقال عنه قائد المكافحين - صلى الله
عليه وسلم - : « لقد رأيته يمشى في الجنة متبخترا
كما كان يمشى بين الصفوف » .

ونزل قول الحق تبارك وتعالى في النضر وأمثاله :

« من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه
فممنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا
تبديلا » !!!

ومشهد آخر أكثر روعة ، وأعظم بطولة ، وأسمى
تضحية ، يسجله التاريخ الإسلامي لعبد الله بن
جحش حينما التقى بسعد بن أبي وقاص - رضى الله
عنهما - قبيل غزوة أحد ، فأشار عبد الله على سعد
بأن يدعو كل منهما بدعاء يذكر فيه ما يرجوه
ويتمناه ، ويؤمن كل منهما على دعاء أخيه ، أما
سعد ، فقد دعا قائلا :

يا رب ، إذا لقيت العدو غدا ، فلقني رجلا شديدا
بأسه : شديدا حردا ، أقاتله فيك ، ويقاثلني : ثم
أرزقني عليه الظفر حتى أقتله ، وأخذ سلبه .

وأما عبد الله ، فقد دعا قائلا :

يا رب ، إذا لقيت العدو غدا ، فارزقني رجلا شديدا
بأسه : شديدا حردا ، أقاتله فيك ، ويقاثلني ،
فيقتلني ، ثم ياخذني فيجده انفي وأذناي ، فإذا
لقيتك ، قلت لي : يا عبد الله ، فيم جدد انك وأذنك ؟
فأقول : فيك يا رب وفي رسولك ، فتقول لي : صدقت يا
عبد الله .

واستجاب الله الدعاء ، فنازل عبد الله الابطال
المغاوير من قريش ، وقاتل من قاتل ، حتى نال شرف
الاستشهاد ، ومثل الأعداء بجسده ، فقطعوا أنفه
وأذنيه ، ولما رآه سعد على هذه الحالة بعد المعركة ،
قال : « كانت دعوة عبد الله خيرا من دعوتي ، لقد
رأيت آخر النهار ، وإن أذنه وأنفه معلقان في
خيط » !!!

وإذا كنا قد استعرضنا بعض صور التضحية
والفداء لبعض رجال الإسلام الأمجاد ، فإن التاريخ
الإسلامي قد سجل للمرأة - أيضا - دورها في
التضحية ، وقوة عزمها ، وصدق إيمانها ، وتغلبها
على عاطفتها في سبيل الحق والواجب :

فهذه أسماء بنت أبي بكر - رضى الله عنهما -
يأتينا ابنها عبد الله بن الزبير، ليستشيرها في
أمره، ويعرض عليها حاله، من انصراف الناس عن
نصرته، ويأسه من التغلب على جيش الحجاج بن
يوسف الثقفي، فيقول لها :

« يا أماه، ما ترين ؟ لقد خذلني الناس حتى ولدي
وأهلي، ولم يبق معي الا اليسير، ومن ليس عنده من
الدفع أكثر من صبر ساعة، والقوم يعطونني ما أردت
من الدنيا، فما رأيك » .

فقال له في إيمان، ورباطة جأش، بعد أن
أخبرت صوت العاطفة أمام صوت الحق والكرامة :

« يا بني، عش كريما، وميت كريما، ان كنت تعلم
أنك على حق، واليه تدعو، فامض له، فقد قتل عليه
أصحابك، وان كنت انما أردت الدنيا، فيئس العبد
أنت، أهلك نفسك ومن قتل معك، وان قلت : كنت
على حق، فلما وهن أصحابي ضعفت، فهذا ليس فعل
الأحرار، ولا أهل الدين .. كم خلوك في الدنيا ؟
القتل أحسن » فأظهر لها خوفه من تهويل أعدائه
بجسده بعد قتله، فقالت قولتها الخالدة :

« يا بني، ان الشاة لا يضرها سلخها بعد
ذبحها، !!!

الله أكبر .. يا لروعة الإيمان ! ويا لعظمة اليقين !

وصورة أخرى نسجلها للخنساء، تلك المرأة
العربية التي قتل أخوها صخر، فكادت تقتل نفسها
من أجله، ورددت على قيثاره الحزن أروع أشعار
الرثاء، وكانت تصل ليلها بنهارها باكية .. كان هذا
وهي في الجاهلية وبعد أن هداهما الله للإسلام، وأثار
قلبا بالإيمان، نجدها تسمع المنادى ينادى : حي على
الجهاد، فإذا بها تزج بأبنائها الأربعة في ميدان
البطولة والشرف، لينضموا الى صفوف المحاربين في
موقعة القادسية، ليس هذا فحسب، وانما لقتتهم
درس البطولة والتضحية، وحثتهم على أن يكونوا في

مقدمة الصفوف، ورغبتهم في الشهادة، وذكرتهم
بمنزلة الشهداء عند الله، فتحول الأربعة الى أسود
صاروا فوارس الميدان، وحماة الزمان، وحرصوا
على الشهادة حتى جاءتهم كراما مقبلين غير مدبرين،
وظن الناس ان الخنساء سوف تموت حتف انفها اذا
بلغها خبر استشهاد بنيتها الأربعة، لأنها كانت ستقتل
نفسها من أجل أخيها، وهؤلاء أولادها، وشتان ما
بين أخ وأبناء، ولكنه الإيمان الذي صهرها في بوتقة
الصبر والصمود، فنطقت في فم الزمان بكلمات المجد
والبطولة والخلود :

« الحمد لله الذي شرفني بقتلهم في الإسلام،
وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر
رحمته » !!!

وبعد فهذا قليل من كثير، وهذا فضل
الاستشهاد، ومراتب الشهداء، فلا عجب أن يقول
سيد المرسلين - عليه أفضل صلاة وأزكى تسليم - :
« والذي نفس محمد بيده، لوددت أن أغزو في سبيل
الله فأقتل، ثم أغزو فأقتل، ثم أغزو فأقتل » .

وما عز المسلمون السابقون وسادوا الا بحرصهم
على الموت في سبيل الله، ورغبتهم في أن ينالوا شرف
الاستشهاد، فكانوا كما قال أحد أتباع طلحة بن
خويلد - مدعى النبوة في بني أسد - يقصص على
طلحة سبب هزيمة جنوده أمام جنود المسلمين بقيادة
خالد بن الوليد : « انه ليس رجل منا الا وهو يحب أن
يموت صاحبه قبله، وأنا لنلقى قوما كلهم يحب أن
يموت قبل صاحبه » .

وانا لن نحق الحق : وتبطل الباطل، وتعيد للإسلام
مجده : وللعروبة عزتها، الا اذا سرنا على هذا
الدرب، معتمدين على الله أولا وقبل كل شيء، راغبين
أكفأ اليه سبحانه داعين :

اللهم أنت عضدنا ونصيرنا : بك نجول، وبك
نصول، وبك نقاتل، فاكتب لنا النصر يا ناصر
المؤمنين .



الإسلام دين الفطرة السليمة

• الأستاذ محمود السعيد الطنطاوى •

لهم شرائع الإسلام وأحكامه : قال تعالى « وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون » آية ٤٤ سورة النحل وقام صلى الله عليه وسلم ببيان ما نزل إليه من السماء ودعا الناس بالحكمة والموعظة الحسنة . وبين لهم الحلال والحرام :

عن عياض الجاشمى . قال : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال ذات يوم فى خطبته . ألا إن ربى أمرنى أن أعلمكم ما جهلتم مما علمنى يومى هذا . كل مال نحلته عبدا حلال . وإنى خلقت عبادى حنفاء كلهم . وأنهم أتتهم الشياطين فاجتالهم عن دينهم وحرمت عليهم ما حللت لهم وأقرتهم أن يشركوا بى مالم أنزل به سلطانا . وأن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عرهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب : وقال : إنما بعثتك لأبليكم وأبلى بك وأنزلت عليك كتابا لا يغسله الماء تقرأه نائما ويقتطان . وإن الله أمرنى أن أحرق قريشا . فقلت : رب إذا يئسوا راسى فبدعه خبزة . قال : استخرجهم كما أخرجوك وأغزمهم نفرك . وأنفق فسنفق عليك وأبعت جيشا تبع خمسة مثله . وقاتل بين أطاعك من عصاك ، قال : وأهل الجنة ثلاثة . ذو سلطان مقسط متصدق موفق . ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذى قربى ومسلم . وعفيف متعفف ذو عيال ، قال : وأهل النار خمسة . الضعيف الذى لا زبر له . الذى هم فيكم تبعا لا يبتغون أهلا ولا مالا . والخائن الذى لا يخفى له طمع وإن دق إلا خانته . ورجل لا يصيح ولا يمسى إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك ، وذكر البخل والكذب والتسننظر الفحاشى — رواه مسلم . فى صفة الجنة . وحين جاءه رجل يسأله . أى الإسلام خير . قال له : تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف — رواه البخارى ومسلم وأبو داود .

وطلب الإسلام من البشر أن يفكروا فى آيات الله العاللة على قدرته وعظمته . ليدركوا بعقولهم عظمة الخالق سبحانه وتعالى . لأن دوام التفكير يدفع إلى البحث . فيحصل العلم بقوانين الله وشرائعه وأحكامه ونعمه التى لا تحصى .

قال تعالى « قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة ان الله على كل شيء قدير » آية ٢٠ سورة العنكبوت وقال تعالى « ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون . ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان فى ذلك لآيات لقوم يفكرون » ثم دعاهم إلى إيمان النظر والبحث فى سعة قدرته وكمال عظمته جل شأنه وعلا سلطانه . فقال تعالى « ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف السنتكم واللوانكم ان فى ذلك لآيات للعالمين » .

هذا بيان للناس وخطاب للمقلد وأصحاب القلوب السليمة . وهدى وموعظة للمتقين ، ليعلم كل صاحب فطرة سليمة وعقل ناضج . أن تعاليم الإسلام كلها جاءت لتقيم أمة تكون بالحق قائمة وبالخير داعية وبالبر والاحسان عاملة . وعلى طريق الكفاح من أجل النهوض بالمجتمع الإنسانى سائرة ، لأنها تدعو إلى طهارة القلب والنفس ونقاء السريرة وعبادة رب الناس خالق الناس الذى بيده الأمن كله ، وإلى صدق الإيمان والاخلاص فى السر والعلانية . وحسن السلوك دينيا ودنيا والعلم والعمل والرحمة والانصاف وإظهار الحق وحفظه . والجهاد فى سبيل الله وفى سبيل المحافظة على الدين والوطن من طمع الظالمين الذين لا يخافون الله ولا يرحمون المساكين .

ولم يترك الإسلام صغيرة ولا كبيرة ولا أمرا من الأمور يتعلق بمصالح الناس فى دنياهم وأخراهم إلا وبينه لهم : قال صلى الله عليه وسلم : عجبا لأمر المؤمن . أن أمره كله خير . وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن . أن أصابته سراء شكر فكان خيرا له . وأن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له .

لقد دعا الإسلام الناس إلى أحسن الآداب وأفضل المعاملات وأرقى المبادئ وأنبى الفايات التى تبني مجتمعا انسانيا مترابطا تتفجر فيه ينابيع الخير فى قلوب البشر جميعا وتضمن فيه كرامة الانسان وبطئنه فيه كل فرد إلى حاضره ومستقبله .

دعا الإسلام إلى التكافل والتضامن . ليشترك الناس جميعا فى الخير والشر والعسر واليسر . ويتحدون ويصعدون لحفظ الحق حتى لا يطمع طامع فى ظلمهم . أو يتجبر ظالم فى بلادهم . جاءت تعاليم الإسلام . لنهذيب الطبايع البشرية . تجعل فى طبيعتها وتعاليمها وقوانينها ولوائحها كل ما يميل إليه العقلاء وينمونه الحكماء ، لأنها أنت باصدق الأدلة على صحة القوانين والشرائع الإسلامية . واسهل الأحكام وأيسر التعاليم وأعظم الدوافع وأنبى الأهداف وأشرف الفايات التى تدفع بنى الانسان إلى الرقى والتقدم المطلق والنهوض بمستوى الحياة والاحياء ليعيش الناس فى مجتمع كريم تسوده المحبة وترتفع عليه السعادة وتحكيه مكارم الاخلاق ، وتنضبطه شرائع الإسلام التى أعلاها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والعمل لمصالح المجتمع البشرى .

ولم تات تعاليم الإسلام أمة الناس بالانقياد إلى اتباع تعاليمه والدخول فى الإسلام دون فكر ونظر وتأمل وتدبر ، بل طلب الإسلام من معتنقيه أن يستعملوا عقولهم ويفكروا فى تعاليمه، وأمر الله النبى صلى الله عليه وسلم . أن يبين للناس ويوضح

زيادة في المال لأجل تأخير الإجل . لأن فيه أخذ مال الغير بغير عوض . وفي ذلك ضرر وظلم بمصالح الفقراء والمحتاجين ، لأنه إثراء على حساب الغير دون رحمة ولا شفقة ، ولذلك قطع الود والرحمة والسلام بين بني الإنسان — والتبى صلى الله عليه وسلم يقول : « ما أحد أكثر من الربا إلا كان عقابته أمره إلى قلة — رواه ابن ماجه والحاكم — وحين حرم الاسلام . الميتة والدم ولحم الخنزير وما ذبح تقربا إلى الأصنام . أباح أكل ماهو الذ وأشهى وأطيب — يقول التبي صلى الله عليه وسلم . أن الله طيب لا يقبل إلا الطيب وأن الله أمر المسلمين بما أمر به المرسلين فقال : « يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا » وقال : « يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم » . والله عز وجل يقول « إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه » آية ١٧٣ سورة البقرة .

وحرم الميتة لأن الطيبات السليمة تستقرها . ولما يتوقع من ضرر يأتي نتيجة أكلها فربما ماتت بمرض خبيث أو علة وفي معنى الميتة . المخنقة والموقودة والمتريدة والتطيحة . وما أكل السبع — قال تعالى « حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمخنقة والموقودة والمتريدة والتطيحة » وآية ٣ سورة المائدة — وسبب تحريم الميتة أن الدم لطيف جدا فإذا مات الحيوان حثف أنه احتبس ذلك الدم وبقي في العروق فيفسد ويحصل منه ضرر كبير لمن يأكل من لحم الميتة ، والمخنقة في حكم الميتة . والموقودة أي المقتولة بالمعصية ، والمتريدة . يعني التي تتردى من جبل أو مكان عال . والتطيحة . يعني إذا نطحت شاة شاة حتى ماتت . كل ذلك في حكم الميتة . لأنه يضر بصحة الانسان .

وحيث حرم الخنزير . أهل ماهو أطيب منه . كالضأن والبقر وغير ذلك قال تعالى « أحلت لكم بهيمة الأنعام » آية ١ سورة المائدة — وحرم لحم الخنزير لأنه ينفذ بالقاذورات والجاسات ولأن في طبعه خسة . وقد أثبت الطب الحديث أن لحم الخنزير يسبب الدودة الشريطية لأكله .

وحرمت الشريعة الإسلامية . أكل ماأهل به لغير الله . والتحريم هنا تحريم ديني محض لنزاهة التوحيد وحماية العقيدة . لأن ذلك من أعمال الوثنية . والله تبارك وتعالى يقول « فكلوا مما ذكر اسم الله عليه أن كنتم بآياته مؤمنين . وما لكم إلا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه » آية ١١٨ ، ١١٩ سورة الأنعام — وقال تعالى « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه » آية ٢١ سورة الأنعام .

وأباح الله للمبضر كمن كان في صحراء ولم يجد إلا ميتة أو دما أو خنزيرا . أو شيئا لم يذكر اسم الله عليه . وخاف على نفسه من الهلاك جوعا . فعليه أن يأكل . لأن الإلقاء بنفسه إلى الهلاك جوعا أعظم جرما وأشد ضرا . وحرم الزنا لأن فيه جرما عظيما وأنها كبيرة وبزرع البغضاء في المجتمع ويضع الكراهية في قلوب الناس ، وأباح الزواج لأنه منافع وطهارة للقلب ونزاهة للنفس وصلاح للمجتمع ودفع لفوائد الشهوة وحفظ للدين . والتبى صلى الله عليه وسلم يقول « الدنيا منافع وخير منافعها المرأة الصالحة — رواه مسلم . وهكذا جاءت تعاليم الاسلام كلها داعية إلى الفضائل والسبوت بالإخلاص والعلو بمحاسن الآداب . لتعندل حياة الناس وتستقيم أمورهم . وينهض مجتمعاتهم . وتسعد الإنسانية في ظل الدين الإسلامي . والله در الشاعر

إنما الامم الاخلاق ما بقيت

فان هم ذهبت اخلاقهم ذهبوا
فاللهم اجعلنا بينك متمسكين وبكتاك وسنة نبيك قانتين
وباحكام الاسلام عاملين . فانت نعم المولى ونعم النصير .

ثم دعاهم إلى أن يستمعوا من الرسول سماع تفهم وتدبر وتصديق ويمعنوا النظر في الدلالات التي يسوقها لهم الرسول بلسان الوحي المبين . فقال تعالى « ومن آياته منامكم بالليل والتهار وابنقاؤكم من فضله أن في ذلك لآيات لقوم يسمعون »

ثم طلب منهم أن يفتقروا مدى سلطان الله وقدرته التي هي فوق كل شيء وعلى كل شيء لأنه بيده الأمر كله . فقال تعالى « ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها أن في ذلك لآيات لقوم يعقلون . ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون » الآيات ٢٢ إلى ٢٥ من سورة الروم ..

لقد جاء الاسلام لأصلاح العقائد البالية التي لعبت بها الأهواء وتهذيب الطباع البشرية التي اغرتها مباحات الدنيا . قال تعالى على لسان النبي الكريم الذي يوحى إليه « قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا أربابا من دون الله » آية ٦٤ سورة آل عمران .

ولم يقدح الاسلام في دين من الأديان . بل كانت تعاليم الرسول بلسان الوحي السماوي أن من شروط الاسلام وأركانه الإيمان بجميع الرسل واحترام الأديان السابقة عملا بتعاليم الاسلام . قال تعالى « قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والإسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » آية ١٣٦ سورة البقرة — يعني تؤمن أجمالا بجميع الرسل وما أنزل عليهم وتأخذ التفصيل من خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم . الذي شرح للمسلمين أصل الأديان السابقة التي كان عليها الناس والتي نزلت من السماء . وزاد الناس من القوانين والأحكام ماينبئ به مجتمعنا

إنسانيا فيه خير الدنيا ونواب الأخرة — « صفة الله ومن أحسن من الله صفة ونحن له عابدون » آية ١٣٨ سورة البقرة . قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه . صفة الله ، دين الله . وإنما سماه الله صفة لأن أثر الدين يظهر على المتدين كما يظهر أثر الصبغ على الثوب ، والدين الإسلامي يظهر للمسلم من أوساخ الكفر والشرك والتفاسق .

وقال تعالى وأعدا المؤمنين الذين آمنوا بجميع الرسل ولم يتطاولوا على أحد من أنبيائه بقول أو فعل « والذين آمنوا بالله ورسوله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفورا رحيما » آية ١٥٢ سورة النساء .

وتعاليم الاسلام جاءت سهلة ميسورة محببة إلى نفوس العقلاء لأن الاسلام دعا إلى العلم والعمل . وإلى التمتع بالطيبات من الرزق . ولم يحرم شيئا إلا وأحل ماهو أطيب منه . وكانت حرمة لهصلحة بني الإنسان . لأن فيه ضرا . والاسلام غايته غرس مكارم الأخلاق والحفاظة على نوع الانسان وصحته ليعيش صحيحا سليما معافى دنيا وآخره .

فحين حرم الخمر . أهل شرب اللبن والعسل . وحرمت الخمر لأنها مذهب للعقل مسلبة للبال ، وسببت خيرا لأنها تخامر العقل أي تخلفه وتستره وتجعل شاربها يغيب عن وعيه فيتصرف تصرفات شائنة تضيع هيئته في نظر الناس ولأنها تضر بالصحة . والتبى صلى الله عليه وسلم يقول : أربع حق على الله ألا يدخلهم الجنة ولا يذيقهم نعيمها . مدمن خمر وأكل الربا وأكل مال اليتيم بغير حق . والماعق لوالديه — رواه الحاكم —

ولما حرم الربا . أهل البيع والشراء . لما فيها من ربح حلال يأتي بالعرق والكفاح والعمل ، وحرم الربا . الذي هو



واللى ببجى دلوقتى صراع وليس مناقشة ، وأنا لا أقبل الصراع وأنا مستمر فى هذه الجلسة لغاية ما كل عضو يقول رايه ويحدد موقفه بصراحة *

تضليل أعضاء اللجنة المركزية

قال له يعنى مش حيتراج .. لا مش حيتراج .. قام القانى بيسأل عضو اللجنة المركزية بقى بيقول له اوعوا تكونوا مملتوش حساب الاذاعة قام قال له لا .. معمول حسابها ، اذاعة ، اذاعة ايه استلقت نظرى انا ان نزول اللجنة العليا واستخدام عربيات الاتحاد الاشتراكي وموارد الاتحاد الاشتراكي عشان تضليل أعضاء اللجنة المركزية واستخدام الاساليب والمفاوضات السياسية وكشف كل مناقشات اللجنة العليا وبطريقة ملتوية .. ياريت اللى جى كان بهدف اسقاط الاتفاق كله عشان احراج الرئيس *

الاذاعة كانت محاصرة

والصراع اللى مع الرئيس دى استلقت نظرى لكن الاذاعة مكنتش عاملين حساب الاذاعة .. قال له لا كنا عاملين حساب الاذاعة .. واقف قدامى وأنا باسمع الشريط السكرتير بقاعى اللى جايب لى الاشرطة من تحت من الراجل اللى جه قام لقانى عند حكاية الاذاعة التفت يعنى شىء مذهب .. ايه ده قال لى أنا متأسف يا فندم مقلتش لك من سبع تيام جاني هنا فلان الفلانى وأبلغنى ان يوم اجتماع اللجنة المركزية الاول .. الاذاعة كانت محاصرة بطريقة مش بناس لابسين رسمى ولا حاجة لا .. انما بشكل ناس مخبرين عاديين .. ولكن محاصرة .. واللى جه بلغنى واسمه فلان قال انه عرف هذا من المكتب الفلانى فى الاتحاد الاشتراكي وانهم مجهزين عشان اذا الرئيس نزل من اللجنة المركزية وراح على الاذاعة خاطب الشعب يمنعه المخبرين اللى محاصرين الاذاعة

اسقاط اتفاق الاتحاد

أنا متصور انه يمكن طريقة الكلام ده هى اللى خلت أعضاء اللجنة كانوا متلخبطين وعملوا الهيصه اللى حصلت .. لا .. الشريط بيحكى بقى بالتفصيل ازاي أعضاء اللجنة العليا ينزلوا ويبيعوا ناسهم ويحكموا كل ما جرى فى اللجنة العليا وبتحريف .. بتحريف الهدف منه لا بد من اسقاط اتفاق الاتحاد استمرارا لعملية الصراع .. وأنا قاعد عادى خالص .. اجتماع اللجنة العليا كان الاحد ، السبت قات على شعراوى جمعة باقول له الاجتماع بكرة قال لى آه قلت له طيب انا عايز الناس تقول رأيهم فى اللجنة المركزية .. وعازي كل واحد ياخذ فرصته .. ليه .. لان أنا باعتبر ده أمر حيوى جدا واحنا لجاننا لاسلوب كان أنا لا أقبله .. أسلوب الصراع ده فانا عايز نحسم المسائل دى كلها ونكون واضحين واللجنة المركزية تشترك معنا فيها *

فقال لى اللجنة المركزية جاهزة تماما وكل شىء تمام .. اشريط الاول زى ما قلت لكم بيحى فصه الاجتماع الاول وبيقرر نقطتين خطيرتين *

النقطة الثانية

النقطة الثانية : عضو اللجنة المركزية اللى بيحكى فى التليفون لزميله لصاحبه مهواش عضو لجنة .. انما اللى بيحكى عضو لجنة مركزية لانه قاعد جوه وحكى والشريط واضح فيه بالكامل ، قام القانى بيقول له ايه قال له والله والرئيس دخل يعنى واتكلم كلمة شدت للجنة كلها لكن احنا كنا مجهزين وخرجنا ورا بعض قلنا لا .. لا .. لا .. احنا لازم عايزين نسمع السيد على صبرى هيه هيه هيه .. وموضبين كل ده .. باين فى الشريط الكلام ده حصل كله والله *

الاخطر انه قال له طيب وايه كان موقف الرئيس قال له الرئيس قال ان أنا مش مستعد أقبل وصاية على من أحد وأنا بحط قدامكم الموضوع للمناقشة الموضوعية *

ويمتنع من أنه يخاطب الشعب .. قلت له طيب ما قلتش ليه أيامها قال لي والله أنا لقيت بعدها بيومين جلسة اللجنة المركزية الثانية انعقدت والاجتماع حصل .. اتفاق بالاجماع فاعتبرت الموضوع منتهى اعتبرته تبليغ عادي .. أنا هنا توقفت بقي ..

افشاء اسرار اللجنة العليا وبطريقة ملتوية واستخدام أساليب حزبية زى اللي حكيت لكم عنها دي كلها ودول اللي فى أيدهم مصير مصر يقرروه ومصير البلد ومصير المعركة ومصير ولادى اللي قاعدين على القناة والاذاعة محاصرة طيب ده انقلاب أنا تصورتها كده لما ييجى رئيس الجمهورية داخل الاذاعة ويقولوا له لا منتش داخل متقدرش تخش اذا كان عايز يكلم الشعب فى أى موضوع وأنا زى ما قلت لكم كلامى لشعراوى جمعة .. ولكل ان انا كل مشاكل عايز اطلعها بالشعب مش بالاجراءات الاستثنائية كل حاجة تختلف فيها تعاملوا نخطها ادم الشعب ونقول احكم يا شعب نعود شعبنا بقى انه ياخذ دوره الكامل والسيطرة على مصيره وقلت الكلام ده فى اول مايو جم عملوا حسابهم وحاصروها طيب الى حاصرها ده جهاز الامن بتاعى أنا ولا أنا دريان ماكتفتش قلت طيب مات الشريط التانى ..

الشريط التانى نفس عضو اللجنة المركزية اللي فى الشريط الاول بيحكى عن قصة اجتماع الهيئة البرلمانية ويستكى انه مقدرش ينفذ الخطة اللي كان متفق عليها ويقول ايه بالذات مكناش نقدر نهيش الرئيس لان لو هيشناه بطريقة الكلام اللي كان بيتكلمه كان المجلس قام علينا وموتونا كلنا فكان قاعد ورايا فلان الفلانى عضو من المنضمين لهم عضو من أعضاء

مجلس الامة ومن المجموعة الجديدة اللي عملوا الحلقة دى شورلى وقال لي .. لا .. متكلمش خلاص لانه واضح ان كلام الرئيس مفيش حد يقدر يرد عليه واذا حد رد حيقى وضعهم سىء جدا لدرجة أن يمكن اللي فى المجلس يقوموا يقضوا عليهم .. فعوضو اللجنة المركزية عنقه وشتمه ويهدله ويستكى عضو مجلس الامة هذا فى المكالمات التلفزيونية دى انه اتهاز وأنه عيب كده التهازيء وأنه ماكتش فى أيده انه يعمل حاجة الله بالاصوات الكلام ده كله بالاصوات وأصوات معروفة ومسجلة اسرار اللجنة العليا اللي فى أيدها مقررات مصر بتلتوى ومناقشتها بتقلب الى صراع للسلطة وتستغل تنزل وتطلع بره تذاع للناس تستغل للصراع .. اللجنة المركزية منظرها وتهيج وعمل كتلة جوه وبتاع على طريقة أخط المجتمعات يعنى فى أسلوب العمل تهيج وصرخ ويزعيق وديبده فى الأرض وبتاع .. اللجنة المركزية اللي هي آل ايه تبقى أعلى مستوى موجود ، أنا فى هذا مش عايز اظلم اللجنة المركزية كلها .. أنا فى هذا بقول ان اللي عمل هذا كلهم النهاردة فى السجن وهم أفراد يعدوا على الاصابع مهماش اللجنة المركزية كلها انما ادوا هذا اللون وهذا الشكل للجنة المركزية تخيط بالرجلين على الأرض وزعيق وتهريج زى سيمى أو انطة والكلام ده وده أكبر مستوى فى الاتحاد الاشتراكي وفي قانون الاتحاد الاشتراكي مفروض تقرر استراتيجية الدولة ..

الإذاعة محاصرة

الإذاعة محاصرة وأنا مش دارى وأجهزة الامن



كلهم خرجوا ليعلموا رأيهم .. النساء والرجال من كل الفئات والقطاعات

□ ١٠٧ □

لجنة الامن الوطني

بيان ٣٠ مارس اللي انا ملتزم به امام الشعب فيه
بند بيقول انه لجنة تعين من اللجنة المركزية اسمها
لجنة الامن الوطني تراجع الاجراءات الاستثنائية ،
شكلت هذه اللجنة وخطرت وزير الداخلية وقلت له بعد
وكلاء النيابة ما يحققوا انا عاين لجنة الامن الوطني
تيجي تستلم من وكلاء النيابة تقريرهم عن الموضوع
لاني عاين هذه اللجنة اللي من اللجنة المركزية ، تيجي
تعرض على اللجنة المركزية ايه اللي جرى وكيف تم
وما هي اللجنة العليا والمركزية وكيف تمت الاجراءات
فيما بينهم وازى التصرفات ماشية والشعب بخش
طرف ثم امشي في خطتي واكملها انتخابات من
القاعدة الى القمة .

لا الغاء للاتحاد الاشتراكي

برغم اللي جرى كله ده لا يعنى اني الغي الاتحاد
اطلاقا لانني انا قلت ان الصيغة الوحيدة لعملة
السياسي واللي يجب ان نتمسك بها هي الاتحاد
الاشتراكي ، بس نصلح عيوبنا بقي وما دام جلنسا
الدليل في ايدينا اهو نخطه ادامنا كلنا ونطلع منه
بالدرس والعبر .

فعلا وزير العدل بعث الاثنين وكلاء النيابة من
امبارح استلموا الغرفة والتحقيقات ماشية والشرايط
موجودة تحت امرهم ، وصدر امر من المسؤولين عن
غرفة التسجيلات بمسح الشرايط ٠٠ قبل ما يروحوا
يمسحوها كان الحرس الجمهوري قد سبقهم ووصل
وكلاء النيابة واستلموها من الحرس الجمهوري وما
اتمسحتش الشرايط ، اما الاثنين اللي اصدروا هذا
الامر انا اصدرت امر بحطهم في السجن هما ضباط
بوليس كبار للتحقيق معاهم ايضا والتحقيق ماشي
الان .

استقالات بالجملة

الكلام ده كله امبارح سامي شرف خرج من عندي
راح للسيد شعراوي جمعه وخطره وراح ضرب لي
تليفون قال لي ان السيد شعراوي بيقول انا تحت امرك
وانا سألزم بيتي مفيش حاجة ابدأ وسامي نفسه قال
اما عنى انا فانا اعصابي تعبانة خالص وبكي في
التليفون قلت له انا عارف اعصابك تعبانة لان القرار
صعب لكن لما بافقد الثقة ما اقدرش اراوغ وما اقدرش
اعمل كمين واربط لا ٠٠ انا قلت لكم باشغل دوغري
وفي النور وانا فقدت الثقة يبقى منتعاونش مع
شعراوي ٠٠ لكن معاك انت خليك وخليك في مكانك

بتاعتي ظيب متقليش وهي اتاريها اللي محاصرة
الاذاعة لمنع الرئيس اذا حاول انه يروح يكلم الشعب
لما سمعت الشريطين بره زى ما عودتكم وحاعودكم
دائما لازم استوثق لما اخذ الكلام .

السكرتير بتاعى سألته مين اللي جه ببلغك التبليغ
بتاع محاصرة الاذاعة قال لي فلان الفلاني بعث جيبته
تعالى انت جيت ببلغت كذا كذا تاني يوم في الصباح قال
لي ابوه سمعته ؟ قال لا شفته بنفسى .

واللي سمعه سمعه من داخل « الاوضة » الفلانية
في امانة الاتحاد الاشتراكي اللي على النيل لكن بنفسى
لما قال لي هذا رحيت ونزلت فوجدت الوضع الاذاعة
محاصرة . انا في تقديري بعد ما استوثقت بقي كلنا
وصلنا للخميس امبارح قلت لا ده انقلاب يعنى لو ان
اللي محاصرين الاذاعة دول لهم عند الشعب حاجة او
يطلعوا .

لن أفرط في الامانة

واحد من الشعب يتكلم اى كلام ويقول احنا مسكنا
الحكم او يخطب او يعمل ٠٠ طيب ما خلاص ده
انقلاب ٠٠ وانا سبق وقلت وحاقولها تاني لن أفرط
أبدا لا في الامانة ولا في المسئولية اللي انتخبوني من
أجلها ، ان الشعب انتخبني لها ، وسأحملها الى آخر
لحظة في حياتي وسأدافع حتى الموت عن هذه الامانة
وعن هذه المسئولية ٠٠ ندهت سامي شرف ٠٠ تعالى
يا سامي الصورة كيت كيت كيت كيت كيت
يؤسفني ان ده حصل انا معودتكم وقايل لكم وقايل
للناس كلها ان ما لم استوثق مش حاتخذ قرار
اليوم ٠٠ انا واثق وعندي الادلة كافية ٠٠ تروح تبلغ
شعراوي ان انا قبلت استقالته فلا يذهب الى وزارة
الداخلية ، وعينت وزير داخلية جديد ، وجه معه
الدكتور فوزي وحلف اليمين زى الاصول الدستورية
تماما وراح على الوزارة حوالى الساعة ستة مساء
امبارح ، وقلت له اودة التسجيلات اللي في الوزارة
حط ايدك عليها فوراً لانني كلمت وزير العدل يرسل
اثنين من وكلاء النيابة يروحوا يستلموا من وزير
الداخلية هذه الغرفة تكون تحت تصرف النيابة ،
وماتوا الاشخاص اللي أصواتهم موجودة وحققوا لي
الموضوع ليه ؟ لهدفين ٠٠ وقلت الفرصة جت عشان
أكشف بقي للشعب وللجنة المركزية اللي اتظلمت واللي
شوية أولاد طلعوها لجنة خبط وترقيع وضيعوا شكل
وقيمة تنظيمنا السياسي وداروا بخلاف هذا يقولوا اننا
حالفين ، فقلت دى فرصة نحطها عشان نطلع منها
بالدرس المستفاد النيابة تجيب لنا تقريرها .



توجه الرئيس انور السادات عقب الانتهاء من اللقاء بيانه الذى وجهه الى الشعب من مكتبه بقصر القبة الى الصالون المجاور لمكتبه حيث انضم اليه الرئيس جعفر نمبرى واللواء خالد حسن عباس والوفد المرافق للرئيس السودانى ثم قدم السيد محمد أحمد وزير شئون رئاسة الجمهورية للرئيس السادات التشكيل الجديد للوزارة حيث وقع.

الخبر اذيع وفاهمين ان ده حا يحدث انهيار لان فيه
يعنى خمس استقالات تضامنا مع شعراوى .
الله طيب باسامى انت كلمتني وسامعنى ياسامى
دلوقتي انت كلمتني وقلت لي انه تحت امرك وانت قلت
لي انك تحت امرى ومفيش حاجة اذا كنتم عايزين
تستقيلوا طيب ما تبعتموا من بدرى وتقولوا لي وانا
كنت حاصر فعلا باذاعتها لان انا مش ممتنع عن انى
اقبل استقالة اى واحد مش عايز يتعاون معايا ابدأ
اللى مش عايز يتعاون هو حر دى مسألة ما أجبرش
اى واحد انه يتعاون انما بالاسلوب وبالطريقة دى
اريد انه بيان شكل انهيار مصر متناهش عمرها ابدأ
ابدا مصر فيها الكفاءات والكفايات واليوم شكلنا
الحكومة الجديدة من شيان اكفاء وكفايات واساؤنة
من الجامعات ومن كل اتجاه . مصر مليانة كفاءات
ومليانة رجال والعماق الكبير عبد الناصر اللى كلنا
كنا لا نتصور ان احنا نفقده ابدأ فقدناه واستطاع
الشعب بعدها ان يقف ويكمل ويمشى مصر الى الابد
حاتبقى والشعب الى الابد متجدد فيه الكفاءات وفيه
كل شىء انما ليه الاسلوب ده كمان ليه بقى اسلوب
الشرايط اللى هي طريقة الشرايط .

قال لي انا تعبان وانا قلت له ارتاح خذ زى ما انت
عايز راحة قال انا تحت امرك وراح قافل السماعه .
وقعدت الساعة سبعة الكلام ده . ثمانية فانت تسعة
فانت عشرة فانت حذاش الا دقيقتين جالى جواب
برسول شايل استقالات سامى شرف ومحمد فوزى
وووزير الكهرباء حلمى السعيد وسعد زايد وزير
الاسكان ومحمد فايق وزير الاعلام وان لسه استقالات
جيه فى الطريق وانه الكلام ده سيداع الساعة حذاش
والكلام ده الساعة حذاش الا دقيقتين وان الكلام ده
سيداع الساعة حذاش محمد فايق اللى مستقيل
معاهم وواحد منهم وزير الاعلام اللى قاعد فى
الاذاعة . . قمت بصيت فى ساعتى لقيتها حذاش الا
دقيقتين . ما انا حنا قبل استقالتهم مش حاتردد ابدأ
بس نفس الاجراء انهم يملكوا انهم يذيعوا اى شىء
وووزير الاعلام يذيع .

٥ استقالات تضامنا مع شعراوى

وفعلا اذاغ الخبر مباشرة فى نشرة حذاش وراح
واخذ بعضه ونازل مروح بيته لما اطمأن اطمأن ان

تسجيل في بيت الرئيس

أسوأ من هذا بقي ويؤلمني ان اقوله : في العشرة الايام التي فاتت كان عندي ناس كثير ييفوتوا ويكلموني خصوصا بعد عملية اللجنة المركزية ومنهم وزراء وقالوا لي بيتك فيه تسجيل عليك .. بيت رئيس الجمهورية الخاص .. كنت اقول لهم بلاش كلام فارغ .. وزى ما عودتكم وزى ما قلت لكم وزى ما انا طول عمري انا لازم استوثق قبل ما احكم .. لا .. ولا يجرو احد انه يعمل حاجة زى دى مين حايعلها على .. سامى - شعراوى الله - طب ما سامى وشعراوى كل شغلى وكل خطتى .. آخر خطة ليه ما فئش اربع خمس ايام لسه قابلها له بالتفصيل ايه اللي انا عايز اعمله والانتخابات والخطوات حاتكون ايه .. وانا ثقى كاملة لكن لما باسحبها باسحبها ايضا كاملة لكن ما بعرفش آجى وسط او آجى اعمل كمين فى السكة ويتاع .. انا مش طريقتي كده .. فكان اللي بيكلمني قلت له انا ثقى كاملة فى سامى وشعراوى .. حايحاجوا ليه يسجلو لى يعني .. واضحك .. يؤسفنى اقرر انه اتضح ان اودة مكتبى فى بيتى فى بيت رئيس الجمهورية وجدنا فيها جهاز امبارح بالليل لانه يعد ده كله بقى ويعد اللي جرى ده كله بعث جيت الجهاز الالكترونى اللي بيبعث .. ووجدت فى غرفة مكتبى انا شخصا فتصورت اذا كان ده وعشرات الالاف من الاشرطة بتاعة الرقابة اللي فى التليفونات .. واتارى فيه مش بس فى الداخلية جهاز رقابة لا .. فيه عند سامى شرف ايضا جهاز رقابة تليفونات ..

جهاز الداخلية

الله - امبارح قبل سامى ما يمشى انا قلت قله يا سامى الجهاز اللي عندك - انا دريت ان عندك جهاز رقابة وعايظه يقف فورا من النهاردة .. جهاز الداخلية الوزير الجديد انا اديته تعليماتى عليه ولن يراقب احد الا بأمر من القاضى او النشاط الاجنبى انضرب بالبلد اما فى الداخل فلا بد امر من القاضى وسأشرف بنفسى شخصا عليه .. الاشرطة القديمة بنفسى سأشرف على اعدامها رسميا ولازم الكلام ده كله يقف ولازم الناس تطمئن قاللى حاضر .. وبعدين حصل اللي حصل العملية اللي قلت لكم عليها والاستقالات والشكل اللي بان كانه انقلاب .. انا مش حزين فى كل هذا .. اللي حتى ادى شكل خلى الاخ جعفر نميزى رئيس السودان وهو معنا الان فى قصر القبة طلبته الساعة اثنى ومن اثنى قام ركب الطائرة ولما رحت استقبله فى المطار كان نايم فى الطائرة واستنيت على ما صحوه ما نامش طول الليل

□ ١١٠ □

انزعج .. فى نفس الوقت اتصل بى الرئيس حافظ الاسد من سوريا .. فى نفس الوقت اتصل بى الرئيس معمر القذافى من ليبيا وكلهم يقولوا شعب مصر عاوز ايه نقدمو له علشان وحدته الوطنية وقوات مصر المسلحة اللي هى عمادنا كلنا كمرب .. ايه اللي نستطيع نقدمه لها فى الظروف ده علشان تفضل فونتنا لمركتنا .. فطمئنتهم وقلت لهم ابدى زوية فى فنجان - كلام فارغ - مافيش حاجة اطلاقا ..

من سوريا - ومن ليبيا

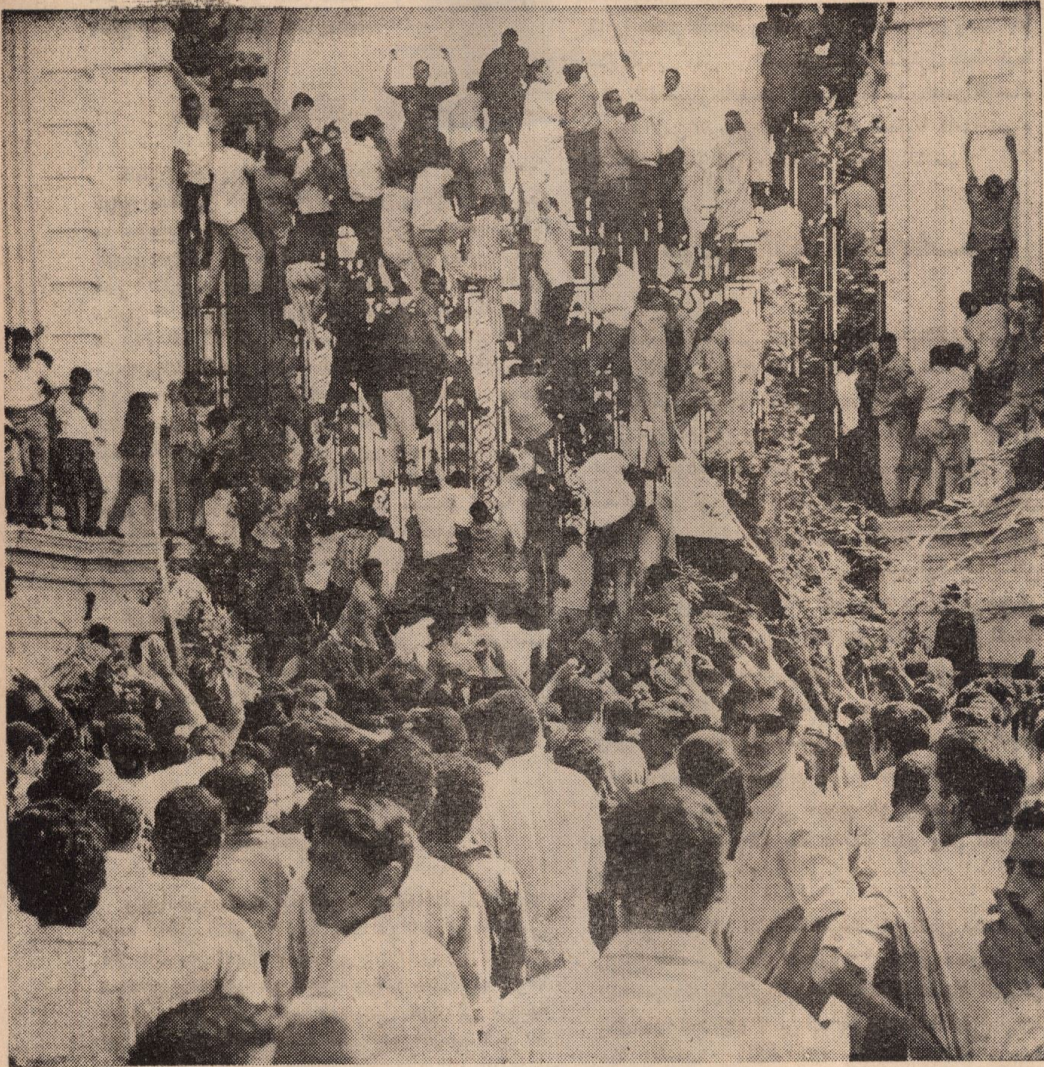
لم يكتفوا .. الرئيس حافظ بعث نائب رئيس الجمهورية بتاعه ونائب رئيس الوزراء اليوم الصباح والرئيس معمر القذافى بعث اثنين من نواب رئيس الوزراء ووزير الارشاد النهاردة الصبح .. الرئيس جعفر جه هو واللواء خالد عباس القائد العام للقوات المسلحة وهم موجودين ومشرفين معنا هنا دلوقت حاليا .. الناس كلها جاية عاوزة تقول لمصر هى قلعة العروبة .. هى الحصن اللي الكل بيص له كامل خصوصا فى مثل هذا الوقت من المعركة .. دى الحكاية ببساطة - انا مش عاوز اعلق عليها .. انا حاسيبيها لكم كشعب بتفاصيلها كاملة .. باسيب لكم كشعب تستنتجوا منها ماتستنتجوه .. ولكن حا اقرر قدامكم احقا للحق ومسئوليتى التاريخية جملة امور :

● لن أفرط فى المسئولية اطلاقا

● لن اسمح بقيام اى مركز من مراكز القوى مهما كان مكانه .. ومهما كانت قوته ابدى والكلام ده باعيده ثانى اهو .. باقول انا قلته فى انشاص امام رجال القوات المسلحة المصرية والتهبت ايديهم بالتصفيق باعيده علنا ..

لا انهيار للجبهة الداخلية

وهم سامعيني اولادى اللي على القتال وسامعيني الشعب كله وسامعيني اللي انا محددا فامتهم اللي تصورو انهم يقدروا يعملوا انهيار للجبهة الداخلية ويحققوا اهداف اعدائنا النهاردة ويضربوا ظهرواتهم .. لا .. ماضربوش وشعبنا الحمد لله اهو .. لن أفرط فى الامانة - لن اسمح بقيام مراكز قوى ابدى على الإطلاق سأقدم للشعب لاجراء انتخابات حرة من القاعدة الى القمة للاتحاد الاشتراكي وسأشرف بنفسى ولجنة قضائية فى مكتبى ومستشارين من وزارة العدل للاشراف على كل صغيرة وكبيرة من أول توزيع التذاكر من الوحدة الاساسية الى قمة الاتحاد لى



الجمهير التي توجهت الى قصر
القبّة معلنة وقوفها وراء الرئيس
السادات ويرى في الصورة
السيد محمد أحمد وزير شئون
رئاسة الجمهورية وهو يعلن ان
الرئيس سوف يزور المحافظات
قريباً

تأتي باتحاد هو الذي يمثل شعب ٩ و ١٠ يونيو اللي
صنع هذا التاريخ اللي أحنا بنعيشه .

الامل والمستقبل مشرقان

كلمتين أخيرتين عاوز أقولهم لشعبنا اطمئنوا ..
كونوا مطمئنين .. زوبعة في فنجان وانتهت .. وبعد
ما أسبيكم دلوقت رايح علشان الوزارة الجديدة تحلف
الييمين قواتكم المسلحة على أروع روح وعلى أروع
فهم .. زى ما قلت لكم قبل كده في أول مايو الامل
مشرق .. المستقبل مشرق مع ضراوة المعركة ومع
شراسة المعركة اللي جاية لكن أنا بأقول لكم الامل
مشرق والنصر يعون الله بقاعنا انشاء الله .. بأبذل كل
جهدى علشان ان كان هناك أمل في حل سلمى - ولكن
أمل ضئيل جدا - لكن بنجهز نفسنا في نفس الوقت
للمعركة وأنا قلت لاولادى على الجبهة الكلام ده
واضح وقلت لهم بالتفصيل كل ما دار من محادثات
بينى وبين روجرز وسيسكو وعودة سيسكو أيضا من
اسرائيل .. كل هذه التفاصيل حطيتها قدام ولادى من
القوات المسلحة وأمام الهيئة البرلمانية أيضا .

لن أفرط في الامانة ولن اتسامح وأنا اضطريت في
الاربعة وعشرين ساعة الاخيرة اني آخذ اجراءات
استثنائية سواء بالنسبة لى أرادوا يهدوا نول أو
بالنسبة لبعض النواب وأرسلت لمجلس النواب علشان
أطلب رفع الحصانة عنهم انما ما كانش ممكن أسبيهم
على ما يأخذ المجلس قراره يخربوا في البلد .

الشعب سليم

ولن أسمح لاحد أنه يخرب جبهتنا الداخلية أبدا
مهما كلفني الامر .. وأنا قلت لاولادى في انشاص
قبل ما أسمع الشرائط قلت لهم يا اولادى ثقوا ان الذى
سيحاول يعمل شيء في الجبهة وراكم « حافره » وأنا
بأقولها ثانى اللي حايحاول يعمل شيء في الجبهة
الداخلية ووحدتنا الوطنية اللي صنعها شعب ٩ و ١٠
يونيو واللى صنعها شعبنا مشحافرط فيها وحا؟ افرم!
كل انسان اذا اقتضى الامر يتعرض لها .

الحمد لله شعبنا سليم والمخبرين من الطبقة اللي
كانوا حكام للاسف وطمعوا .. والشعب لن يمس أبدا
لكن الزيول مش حا تتمعب والقضاء حايقول كلمته فيها
وكل التفاصيل سأضعها أمامكم بعد ما يخلص القضاء
ولجنة الامن الوطنى حاتجيب لكم الحقيقة كاملة سواء
للاتحاد الاشتراكى ومستوياته كلها أو للشعب .

الرئيس السادات يشكر

كلمة أخيرة :من كل قلبى باتوجه بالشكر للرئيس
معمر القذافي .. للرئيس حافظ الاسد لمشاعرهم نحو
شعبنا هنا وقواتنا المسلحة ومعركتنا .. ومش قادر
أعبر عن العرفان ولا أجد الكلمات اللي أصف بها ما
يجب أن تؤديه نحو اخونا الرئيس جعفر نمبرى اللي
معانا الان في هذا القصر .. اللي أصر - مع أنى
الحيت عليه أنه ما يجيش - قلت له كل شيء عال
وسليم وما تخافش يا جعفر وما فيش شيء أبدا - الح
أنه لايد يجى وهو معانا الان وجه علشان يرجع في
نفس اليوم .. وراجع الليلة مش حاقدر ألاقي كلمات
العرفان له ولشعب السودان الحبيب الشقيق .. تحية
لرئيس حافظ الاسد ولشعب سوريا الشقيق الحبيب
وقواته المسلحة .. وتحية لاخونا وحبيبنا وضيفنا
« بنى فاعد معانا دلوقتى واللى أصر أنه لازم يجى
ويتشارك الرئيس جعفر نمبرى هو وشعب السودان
الشقيق اللي تربطنا بيه صلات الدم وكل الصلات
ولقواته المسلحة ..

تحية لكم لان الزوبعة انتهت ولن تكون هناك أبدا
زوايع تقف في طريق المسيرة .. ستبقى مصر بارادة
الله سبحانه وتعالى القلعة الثابتة الحصينة اللي لن
ينال منها أحد أبدا لا من الداخل ولا من الخارج ارادة
هذا الشعب .. وفقكم الله والسلام عليكم ورحمة
الله



وان هذه
أمتكم
أمة
واحدة

صدق الله العظيم

الاتحاد في الجهاد

وجاهدوا
في
الله حق
جهاده

صدق الله العظيم

سبيل المؤمنين إلى النصر

المسلمون في كل بلد بحاجة إلى خوض المعركة متعاونين متكاتفين أكثر من إيماننا هذه ، فهذا عدو الله يجند معه أعتى قوى الظلم والظلم والظلم ويتحدانا وهو جاثم فوق أرضنا الغالية الطاهرة بأقصى ما عرفت البشرية من ألوان التحدي والاستعلاء .

وواجبنا « ونحن على أبواب المعركة » أن نعد أنفسنا وأن نستعيد طبيعة المسلم المجاهد الفدائي ، وأن نذكر قول الرسول عليه السلام « **والذي نفسي بيده لو ددت أن أقتل في سبيل الله فأحيا ، ثم أقتل فأحيا ، ثم أقتل** »

توجيه وإرشاد من الرسول عليه السلام يبين به أنه لا يليق بالمسلم أن يتقاعد عن الجهاد حرصا على الحياة ، وأن الواجب علينا كعبيد أن نلبى ونمثل ما أمر الله ، وأن يكون لنا في رسول الله أسوة حسنة . وأن نجعل الموت في سبيل الله أعز أمنية لدينا ، وأن تكون التضحية بالمال والولد أرخص شيء في سبيل الله .

أيها العرب أيها المسلمون قولوا لعدو الله يمينا لا حنث فيه أن شاء الله أننا سنخوض المعركة أن أصررت على عنادك وتحديك ورفضك للسلام ، سنخوضها واثقين من النصر لأن النصر من عند الله .

ولكن يجب علينا أن نعلم أن هذا النصر لا يمنحه الله إلا لمن نصر الله . « **ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم** » « **ولينصرن الله من ينصره** » « **وكان حقا علينا نصر المؤمنين** » .

والسبيل إلى نصر الله أيها المؤمنون . يكون بانتصارنا في تلك المعركة التي تدور رحاها في كل يوم وليلة بل في كل لحظة حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

تلك المعركة المستمرة بين الخير والشر ، فقد

سبيل المؤمنين إلى النصر هو الجهاد — وأنعم به من سبيل — فالذي يتخاذل ويتولى « **ويتبع غير سبيل المؤمنين قوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا** »

نعم أنه سبيل المؤمنين لأنهم به ينتصرون ، وبه يحررون الأرض . وبه تكون العزة « **ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين** »

وكان الجهاد أول الإسلام هو السبيل بعد أن فشلت جهود السلام طيلة ثلاثة عشر عاما بمكة والرسول عليه السلام يدعو فيها إلى ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ، ويجادل المشركين بالتى هي أحسن .

كان السبيل لازاحة الغشاوة عن الأعين كي ترى النور ، وعن القلوب حتى تفقه الحق وعن الأذان لتسمع ما أراد الله إبلاغه للناس جميعا .

وقد نجح الرسول عليه السلام وأصحابه من بعده في تبليغ الدعوة ، وصار الجهاد غريضة وطبيعة في المسلم . بها ينطلق في مشارق الأرض ومغاربها . حاملا كتاب الله في يمينه والسيوف في يساره يضيء بالاول الظلمات ويمحق بالثاني الظلم والظلم .

وبهذا عاش المسلمون الاولون في اوطانهم آمنين مطمئنين أحرارا أعزاء .

ومرت السنوات وتعاقبت الاجيال والمسلمون ينتقلون من حال إلى حال يصعدون تارة وينزلون أخرى ، ونسوا أن الله لا يغير ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .

والله ان كنا مؤمنين حقا فواجبنا أن نفتح الأعين والأذان ، ونسمع ونرى ما وصل إليه العرب والمسلمون في كل بقاع الأرض ، سنرى ان اوطان العرب والمسلمين لم تكن بحاجة إلى الجهاد وتحرير الأرض في يوم من الايام أكثر من أيامنا هذه ، ولم يكن

فضيلة الشيخ محمد فايد



وسلم الجهاد النفسى بالجهاد الاكبر فقد قال بعد رجوعه من احدى غزواته « **رجعنا من الجهاد الاصفر الى الجهاد الاكبر** » .

ولعله بقوله هذا اراد أن يلفت نظر المسلمين الى التآهب للجهاد النفسى وأن يعدوا له كل الاسلحة لتربية جيل اسلامى قوى ينتصر فى كل المعارك نفسية وحسية .

وعلى هدى رسول الله كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينبهون الجيش الى أهمية المعركة النفسية ويوصونه بتقوى الله لانها السلاح القوى الفتاك الذى لا يملك مثله الاعداء . ونحن على هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم نوصى رجال جيشنا البواسل وكل أبناء الوطن بنصر الله وأن يعلموا ان النصر من عند الله ، ونقول لهؤلاء الأبطال ان الله وضعكم فى أشرف موضع وتكفل لكم بأحدى الحسنيين ، النصر أو الشهادة ، والشهيد له من وطنه كل التقدير ومن الله حسن الجزاء . أخرج النسائى انه « يؤتى بالرجل من أهل الجنة فيقول الله يا ابن آدم كيف وجدت منزلك ؟ فيقول يارب خير منزل فيقول . سل وتمعن ، فيقول أسألك أن تردنى الى الدنيا فأقتل فى سبيلك عشر مرات لما يرى من فضل الشهادة » .

وأخيرا اسمعوا وتدبروا قول الله تبارك وتعالى « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم » صدق الله العظيم

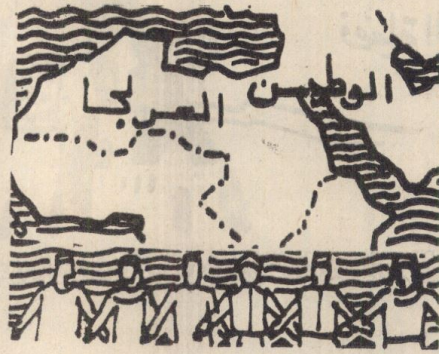
ابتلى الله عباده بقوى الشر . والفتنة وزودهم بأسلحة الدفاع والنصر . وابتلاهم بالشهوات ومنازع الحياة الدنيا وفتنتها . وزودهم للعمل ضدها بما فطرهم عليه من الخير ، وبما أمرهم به الله ورسوله من الثبات والصبر ، فإذا ثبتنا وصبرنا ونصرنا قوى الخير فقد نصرنا الله . وإذا استسلمنا للشهوات وفقدنا الصبر عند التوازل فقد خذلنا الله ونصرنا الشيطان ، ومن ثم لا نستحق النصر من الله على الاعداء ومن يتأخر الاعداء .

والنصر فى المعركة بين الخير والشر لا يكون الا لمن تبرا من حظوظ نفسه وراضها على الحرمان ، والصبر ، فالفقير الذى لا يجد المال ومع ذلك يغالب فى نفسه حب المال ويحارب اغراء الشيطان له بالطمع فى مال الناس ، انما هو الرجل الذى يجب أن تعتمد عليه فى عزة الوطن ونصرة الاسلام ، والشباب الذى تمسك بما أمر الله وصرع فى نفسه قوى الشر وهى تصرخ فى اعماقه . وتكاد تنور بركانا يزلزل نفسه هو الذى سيصرع فى الميدان اعظم جبابرة الدنيا وسيجعل الله منه بركانا يقذف على الاعداء ناره فلا يبقى ولا يذر .

والجندى المكافح الواقف فى مواجهة العدو المرابط فى موقعه ويده على سلاحه مستعدة لخوض المعركة . وقد حرم نفسه من لذىذ الطعام وهنىء الشراب وسائر المتع واعتبر الغربة من أهله وأولاده قربا من الله انما هو الفدائى الذى نصر الله ، وان شاء الله سيكون عند لقاء العدو أشد تضحية وأعظم تغانيا فى سبيل عزة دينه وكرامة وطنه .

ومن أجل ذلك سعى رسول الله صلى الله عليه

التيار العربي الوحدوي



الأستاذ محمد إبراهيم الخطيب

مطمئناً، وما أجمل قوله صلى الله عليه وسلم: «الجماعة رحمة والفرقة عذاب!»، «لا تختلفوا فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا!»، «من فرق فليس منا» يد الله مع الجماعة وإنما يأكل الذنوب من الغنم القاصية» وهو القائل أيضاً: «اثنان خير من واحد وثلاثة خير من اثنين وأربعة خير من ثلاثة فعليكم بالجماعة فإن الله لن يجمع أممنا إلا على هدى» وآيانه صلوات الله وسلامه عليه يؤاخي بين الأوس والخزرج وبين المهاجرين والانصار ويدعو الناس الى أن يفهموا أن الوحدة من الله وأن الفرقة من الشيطان، وكان يقظاً في الحفاظ على وحدة الصف ووحدة الهدف ووحدة العمل وتحطمت كل مؤامرات الاعداء التي استهدفت هذه الوحدة مرة بعد مرة، وحذر كل التحذير حين قال: «ستكون هنات وهنات فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائن من كان!»، «وحين قال أيضاً: «من خرج عن الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية»، «وحين قال كذلك: «من خرج على امتي يضرب برها وفاجرهما لا يتحاشى من مؤمنها ولا يفى بعهد ذي عهدا فليس مني ولست منه».

وانطلق المسلمون يحافظون على وحدتهم بما حباهم الله تعالى من تراحم وتواد وتعاطف وإيثار ورغبة أكيدة في ثواب الآخرة حتى كان أمرهم متفقاً كل الاتفاق مع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم

لا شك أن أممنا العربية تجتاز في هذه الفترة الحاسمة من تاريخها العريق مرحلة انتقال واسعة في سبيل تحريرها واستعادة مجدها ووحدة أهدافها واجتماع كلمتها». وفي ضوء من الوعي والغيرة رأينا العرب ينتفضون ويملنون قيام اتحاد الجمهوريات العربية نواة لوحدة عربية كبرى. وأن قيام مثل هذا الاتحاد أمر يباركه الاسلام ويحذو خطاه ويأخذ بيده حتى يكون قادراً على الاعطاء الخير المثمر وما أكثر هذا الاعطاء!

ونحن هذا هو السر في أن الله تبارك وتعالى قد دعا الى الاتحاد ونبذ الفرقة في قوله الكريم «واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا وانكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخواناً». وفي قوله جل شأنه: «ولا تنازعوا ففضلوا وتذهب ريحكم» وما هو ذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي فيقضي على النزعات القبلية المسعورة وعلى الحمية الجاهلية العمياء التي لا تفرق بين الحق والباطل وجعل بتعاليمه السمحة ومبادئه المضيئة من العرب امة واحدة أشبه ما تكون بالجسد الواحد اذا اشتكى عضو منه تألم له سائر الاعضاء.

ونظر صلى الله عليه وسلم الى وحدة المسلمين على أنها رحمة ولم لا وفيها منجاة من الفرقة تلك التي تذهب بالحوال والقوة ومنجاة من الحقد والبغضاء وما أقدرهما على تلوين الحياة بظلال من التعاسة والشقاء، ثم ان فيها قدرة على مواجهة الشدائد والتغلب على مصاعب الحياة والسير فيها سيرا آمناً

وتماطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى» .

وان التاريخ لخير محدث عن الوحدة العربية وهو لا يجامل ولا يبحار ومن هنا رأينا يقول : ان وحدة العرب اذا قويت كانت قادرة على ان تخيف خصومهم وأن تجعلهم ينكمشون ويولون الادبار واذا وهنت وضعفت عدا عليهم هؤلاء الخصوم وتطاولوا وتجرعوا . واذا أردت تأكيدا لهذه الحقيقة فأمامك «يوم السقيفة» ذلك اليوم الذي أطلت الفتنة فيه برأسها وكادت الفرقة تعمل عملها وتنفث سمومها وتفتح المجال للشامتين المنافقين الذين يرغبون في القضاء على الاسلام العظيم لولا يقظة المسلمين في مثل ذلك الوقت الذي كان قد توفي فيه الرسول صلى الله عليه وسلم ولولا ايمانهم بأن الوحدة هي الملاذ والملاجئ والصرح الذي تتحطم عليه كل مكائد الكاذبين . وقد غلبت العقلية الانانية وساد الايمان وظهرت ثمار تعاليم محمد عليه الصلاة والسلام في أخرج الاوقات .

يقول التاريخ : لقد هن نبأ وفاة الرسول الناس هذا عنيقا وكان على رأسهم عمر بن الخطاب الذي وقف مذمولا ليقول : « ان رجالا من المنافقين يزعمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توفي وأنه والله ما مات » ثم جاء أبو بكر واتجه نحو الرسول المسجى وكشف عن وجهه الكريم ثم قبله وقال : بابي أنت وأمي طيب حيا وميتا وخرج وأمر عمر بالسكوت وحيد الله واثني عليه وقال : « ايها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت » ثم تلا قول الله تعالى : « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين » وفي هذا الجو المضطرب اجتمع الانصار في سقيفة بنى ساعدة ليبايعوا «سعد بن عباد» الذي قال : « يا معشر الانصار ان لكم سابقة في الدين وفضيلة في الاسلام ليست لقبيلة من العرب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لبث في قومه بضعة عشرة سنة يدعوهم الى عبادة الرحمن وخلع الاوثان فما آمن به من قومه الا قليل والله ماكانوا يقدرون أن يمتنعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يعرفوا دينه ولا يدفعوا عن أنفسهم حتى أراد الله تعالى لكم الفضيلة وساق اليكم الكرامة وخصكم بالنعمة ورزقكم الايمان به وبرسوله صلى الله عليه وسلم والمنع له ولاصحابه والاعزاز لدينه والجهاد لاعدائه » توفاه الله تعالى وهو راض عنكم قرير العين فشدوا أيديكم بهذا الامر فانكم أحق الناس وأولاهم به ، فأجابوه

جميعا أن قد أصبحت القول والرأي وكفى بعد ذلك ما رأيت بتوليتك هذا الامر فأنتم متنع ولصالح المؤمنين رضى ، وعلم عمر بهذا فأرسل رسولا الى أبي بكر رضى الله عنهما يدعو الى لقاء الانصار في السقيفة مع أنه كان مشتغلا بجهاز رسول الله فرد أبو بكر الرسول قائلا : اني مشتغل، ولكن عمر رأى أن الموقف أخطر من أن يترك لحظة فبعث مرة أخرى يقول لأبي بكر : « انه قد حدث امر لابد لك من حضوره وخرج أبو بكر يسأل : أى امر يمكن أن يصرفه عن جهاز رسول الله ؟ فقال عمر أما علمت ان الانصار اجتمعت في سقيفة بنى ساعدة يريدون أن يولوا هذا الامر «سعد بن عباد» وأحسنهم مقالة من يقول : منا أمين ومن قريش أمير ! فرأى أبو بكر خطر الموقف فأسرع ومعه عمر وأبو عبيدة يريدون السقيفة ووقف أبو بكر يقول : ان الله جل ثناؤه بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق فدعا الى الاسلام فأخذ الله تعالى بنواصينا وقلوبنا الى ما دعا اليه فكنا معشر المهاجرين أول الناس اسلاما والناس لنا فيه تبع ونحن عشيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن مع ذلك أوسط العرب أنسابا ليست قبيلة من قبائل العرب الا ولقريش فيها ولادة وأنتم أيضا والله الذين آووا ونصروا وأنتم وزرأنا في الدين ووزراء رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنتم اخواننا في كتاب الله تعالى وشركاؤنا في دين الله عز وجل وفيما كنا فيه من سراء وضراء والله ما كنا في خير قط الا كنتم معنا فيه فأنتم أحب الناس الينا واكرمهم علينا وأحق الناس بالرضا بقضاء الله تعالى والتسليم لأمر الله عز وجل لما ساق لكم ولاخوانكم المهاجرين فلا تحسدوهم وأنتم المؤثرون على أنفسكم حين الخصاصة والله مازلتم مؤثرين اخوانكم من المهاجرين وأنتم أحق الناس الا يكون هذا الامر واختلافه على أيديكم وأبعد الا تحسدوا اخوانكم على خير ساقه الله تعالى اليهم وانما ادعوكم الى أبى عبيدة أو عمر وكلاهما قد رضيت لكم ولهذا الامر وكلاهما له أهل . ورأى عمر «الحباب بن المنذر» يدفع الانصار الى الثورة ان لم يكن منهم أمير ومن المهاجرين أمير فقام وقال : هيهات لا يجتمع اثنان في قرن أى حبل . وطلب الحباب الى الانصار اجلاء المهاجرين عن المدينة والتفت الى المهاجرين الثلاثة يقول : أما والله ان شئتم لتعيدنوها جذعة - يريد نعود الى ماكننا عليه في الجاهلية من فرقة وشتات - فصاح به عمر : اذا يقتلك الله ورد الحباب بل اياك يقتل . وقال أبو عبيدة : يا معشر الانصار كنتم أول من نصر وأزرق فلا تكونوا أول من بدل وغير . وقام أبو بكر يدعو الانصار الى الوحدة ويحذرهم من الفرقة وأخذ بيدي عمر وأبى

ازعجت وفكتك بالناس وبمضالهم حتى جاءت وحدة بقيادة البطل الخالد صلاح الدين وجاء معها النصر المؤزر على الصليبيين في فلسطين وسائر بلاد الشام وعندما تعرضت الأمة العربية فيما بعد الى الغزو القتارى المخيف المدمر لم ينفع شيء سوى الوحدة التى تكسرت على صخرتها تلك الامواج السارية الزاحفة •

ومرت الايام وعاش العرب حياة الكفاح والجهاد والنضال من أجل التحرر من ربة الاستعمار العثمانى والاوربى اللذين فرقا ليسودا • وما أكثر ما اتحدث المشاعر العربية أمام الخطوب المتكررة ، وفى غمرة الفرقة التى زرع الاستعمار شجرتها الملعونة كانت نكية فلسطين التى جرت وراءها ما جرت من آلام وعذاب •

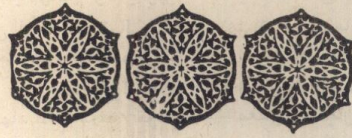
ولكن هيهات أن ينال الزمان من امقنا العربية تلك التى أمنت بالوحدة رحمة وقوة وبالمثل العسالية والنفاليد السليمة والمبادئ والافكار حتى صارت كالذهب الوهاج ان علاه غبار يوما ما فان هواء التطلع الى حياة اشرف وافضل كفيل بتنحية هذا الغبار ليعود الذهب وهاجا وضاء !!

ولقد عرف شعبنا وسيظل يعرف بما منحه الله من خبرة وتجربة وفطنة وفهم عميق للتاريخ واتعاط به أن أية محنة ما هى الا ظلمة عارضة لابد أن تنجلي وما هى الا صخرة سوف تتحطم أمام التيار الجارف من التصميم والتطور ولن تكون مهما كانت الا ظل غيم لن يتأتى له أن يحجب ضياء الحق والخير والسلام !

نعم سوف يحسم شعبنا الابى بالوحدة القوية جولته الفاصلة مع الصهيونية وليدة الاستعمار وذريعته بمثل ما حسم بها أجداده وآياؤه المتحدون جولايتهم مع الروم والغزو الصليبي والقنارى وصديق القاتل اذ يقول :

ومن درى أخبار من قد مضى
أضاف أعمارا الى عمره
هذا وبالله التوفيق •

عبدة ونادى « هذا عمر وهذا أبو عبدة فأيهما سنتم فبايعوا » وبحكمة بالغة وإيثار لا مثيل له ووعى متفتح ومحاولة صادقة للقضاء على الفتنة بسط عمر أخيرا يده لأبى بكر يبايعه بعد رفض أبى عبدة الذى قال : تبايعنى ونيكم الصديق وثانى اثنين ؟ ثم بايع أبى بكر أهل السقيفة جميعا وحاول أبو سفيان استغلال الموقف لعله ينجح فى إثارة النفوس وبليلة الافكار فعندما رأى الناس قد اجتمعوا على بيعة أبى بكر قال : انى لأرى عجاجة لا يطفئها الا دم يأكل عبد مناف فيم أبو بكر من أمورك ؟ أين المستضعفان ؟ أين الأذلان ؟ على والعباس ؟ ما بال هذا الامر فى أقل حى من قريش ؟ ثم قال لعلى : أبسط يدك إبايعك فوالله لئن شئت لاملأنا عليه خيلا ورجلا فأبى على كرم الله وجهه فلما أصر زجره وقال : والله انك ما أردت بهذا الا الفتنة وانك والله طالما بغيت للاسلام شرا لا حاجة لنا فى نصيحتك • وسارت الوحدة سيرا قويا حقق الاسلام من ورائها الخير كل الخير ثم نشب الخلاف بين على ومعاوية فانتزعت الروم الفرصة وكروا على سواحل الشام وشمال افريقية بحرا وعلى حدود بلاد الشام من ناحية الاناضول برا ليستردوا البلاد التى كان لهم عليها سلطان ثم عادت الوحدة واستطاع معاوية أن يهجم وان يدق أبواب قسطنطينية ، ثم أطلت الفتنة بعد مقتل الحسين وانقسمت الدولة العربية وعاد الروم الى العدوان فلما صفا الجور لعبد الملك ولابنيه الوليد وسليمان حقق العرب تحت راية الدولة المتحدة جولات هائلة فى الفتح وال عمران ونشروا الراية عالية فى أقطار الترك والخزر والسند والافغان حتى وصلوا الى الهند والصين شرقا وبحر قزوين شمالا وأقاموا سلاطنتهم فى شمال افريقية الى شواطئ المحيط الاطلسى غربا ثم وثبوا الى اوربا فضموا اليهم الدرّة الاندلسية ثم حدثت منازعات بين الهاشميين والامويين وسارع الروم الى العدوان واستطاعت الدولة العباسية القوية المتحدة أن تحتفظ بالبنينان الشامخ الذى أقامه الامويون نحو مائة سنة فى ظل من العلم وال عمران وانقسمت الدولة واستمر التفرق وكان الضعف وابتدأت الحروب الصليبية تلك التى



القرآن

صوت المعركة

بعد الدروس التي وعيناها من معركة يونيو سنة ١٩٦٧ توجهت كل القوى لاستعادة كرامتنا وتطهير أرضنا ، ودوى في الأفق كله صوت واحد ينادى بأنه لا صوت يعلو صوت المعركة ، على معنى أن نوجه كل نشاطنا السياسي والعسكري والاقتصادي والثقافي وسائر وجوه النشاط للاستعداد لمعركة المصير التي لا بد أن نخوضها بكل قوة وعزم مؤملين النصر بعون الله .



فضيلة الشيخ عطية صقر



وقد بذل علماء الاسلام جهدا كبيرا في توضيح هذه البلاغة في القول والتشريع ، بعد دراسة أسلوب القرآن الكريم في السور المكية والمدنية ، والتشريعات التي جاءت قبل الهجرة وبعد الهجرة ، وبيان القواعد الأساسية لنظام المجتمع في كل عصوره ، والكتابات العامة التي تنفرع منها الاحكام المناسبة للقضايا المتلاحقة ، وبهذا خرجوا بالنتيجة التي لا توجد في أي دين من الديان ، وهي صلاحية الاسلام لكل زمان ومكان .

وعلى ضوء ماتقدم نرى أن الحديث عن التجارة ورد في القرآن الكريم في تسعة مواضع ، تحدثت كل آياتها عن التبادل المالي المعروف ، كحقيقة واقعة من حقائق النشاط الاقتصادي في الاجتماع البشري ، ماعدا ثلاثة منها تحدثت فيها الآيات عن التجارة الادبية التي بضاعتها العقائد والاخلاق والعبادات والمبادئ الانسانية بوجه عام ، ففي أحد هذه المواضع جاء الحديث عن التجارة الادبية مجلا دون تفصيل ، معبرا عن استبدال الكفر بالايان ، والضلالة بالهدى ، كما جاءت بذلك آية البقرة في سياق الحديث عن المنافقين . قال تعالى « أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين » .

أما الموضعان الآخران ففيهما بيان للسلعة موضوع التجارة ، وفيهما بيان لهدفها وما يترتب

وبهذا تكون الاولوية للمعركة في كل شيء ، وبمعنى آخر يكون من العبث أن نبخل على الجهاد بأي جهد يبذل من أجل هذه الغاية النبيلة ، التي هي حق طبيعي لكل انسان اعتدى على وطنه ، والتي هي في الوقت نفسه فرض واجب على كل عربي عاش حياته كلها يقدر الحرية ويأبى الذل والعار ، وعلى كل مسلم يناديه دينه بالتضحية بالنفس والمال في سبيل المبدأ الكريم والتمكين للحق والعدل والخير أن يأخذ مكانه في الوجود الانساني .

ذلك أن الجو الذي تعيش فيه الامة هو الذي يفرض عليها نوع السلوك الذي يوائمه ويتناسب معه ، مثل ذلك تماما مثل الملابس التي يرتديها الانسان الطبيعي تكون متناسبة مع فصول السنة في حرها وبردها ، والتي يكون الشذوذ عنها مدعاة للسخرية ، أو دليلا على حال غير طبيعية على الأقل

واذا كان علماء اللغة يقولون : ان البلاغة هي مراعاة مقتضى الحال ، في تناسب أسلوب الكلام مع درجة السامع في فهمه وذوقه وثقافته وفي ظروفه التي تحيط به وتساعد على تقبل الكلام والتأثر به والافادة منه — فان البلاغة تكون ايضا في التشريع والتخطيط والسلوك ، لا بد من دراسة كل الظروف التي يعرف بها مدى قبول الناس لهذا التشريع ، ومدى استفادتهم منه وحاجتهم اليه ، حتى يكون عملا له قيمته الذاتية وله اثره العملي .

عليها من مكاتبه وكان الحديث عنها في كل من الموضوعين متناسبا مع الظروف التي نزلت فيها الآيات ، والجو الذي يحيط بالدعوة عند مجيء هذا التشريع .

ففي مكة نزلت سورة فاطر التي جاء فيها « ان الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرادون تجارة لن تبور . ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله ، انه غفور شكور » . ذلك ان التجارة مع الله في مكة - ولم يكن الجهاد المسلح قد نرض بعد - تقوم اساسا على دراسة القانون الاسلامي الجديد ، وتفهم احكامه ، وذلك عن طريق تلاوته ومدارسه ، كما تقوم على تقوية العلاقة بين العبد وربّه وتوثيق ارتباطه به ، بقصد تثبيت قلبه على الايمان في هذا الوسط الملوأ بالكفر والاضطهاد والمعارضة ، وذلك يكون بالصلاة التي هي صلة بين العبد وربّه ، كما تقوم التجارة ايضا على تقوية الرابطة الاجتماعية وتكتل المسلمين الجدد لمقاومة العنف الذي يوجهه اليهم المشركون ، هؤلاء المشركون الذين يفوقونهم عددا وعدة ، ويسيطرون على النشاط الاقتصادي الذي عن طريقه يهددون ويوعدون ، او يستميلون البسطاء ويفرونهم على عدم متابعة الدين الجديد . ولتقوية الرابطة الاجتماعية كانت الدعوة الى الانفاق في كل حال من اجل مساعدة الضعفاء ومعونة المحتاجين ، الذين اثر اسلامهم على وضعهم الاقتصادي ، وذلك لتقوية روحهم المعنوية ، فثبتوا على ايمانهم ويقنعوا بالقليل في سبيل الحفاظ على عقيدتهم . ثم بينت الآية الثانية ما يترتب على هذه التجارة من ربح عظيم اساسه الثواب المضاعف والاجر الجزيل من الله الغفور الشكور .

وفي المدينة - حيث قد اذن للمسلمين بالقتال - نزلت سورة الصف ، وجاء فيها الحديث عن التجارة الادبية مع الله ، في قوله تعالى « يا ايها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم ، تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم ، ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون . يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ، ذلك الفوز العظيم . وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب ، وبشر المؤمنين » .

هذه هي التجارة ، او هذا هو صوت المعركة ، او هذا هو السلوك الذي يجب ان يكون عليه المسلمون في هذا الطرف العصيب ، الذي تأمرت فيه قوى الشر والطغيان ضد الحق والعدل والسلام ، فكريش في مكة تتعقب المسلمين في مهاجرهم الجديد ، وتؤلب عليهم القبائل الضاربة في الصحراء ، واليهود في المدينة يترصدون بهم

□ ١٢٠ □

الدوائر ، وهنا يكون الجهاد ابرز نشاط يقوم به المسلمون لرد العدوان وبأمين طريق الدعوة ولحمية الحريات ان تمسها أيدي المفسدين . ولم تعد التجارة كما كانت في مكة ، ولم يعد النشاط كما كان قبل الهجرة ، فالجهود كلها لابد ان تتكفل لمواجهة هذا الموقف الحرج ، وانقل الاعمال في الموازين وأولاه بالتقدير ماكان من اجل هذه الغاية الكريمة .

انظر معي الى التعبير عن الدعوة الى هذه التجارة بقوله تعالى « تنجيكم من عذاب اليم » وما عهد التعبير في مقام الكلام عن التجارة المادية بهذا الاسلوب ، فالتجارة هنا يقصد منها عدم الخسارة ويراد بها النجاة من عذاب اليم ، والانسان في تجارته العادية يطلب ربحا يغيره بمداومة نشاطه فاذا كان قصارها تجنب الخسارة فحسب والحفاظة على رأس المال وكفى ، فأهون بها من تجارة ليس فيها الحافز على متابعة العمل ، والنفوس عن مثل هذه التجارة راغبة ، لكن التجارة الادبية بالجهاد مفروضة لازمة لدفع الخسران والضرر بصرف النظر عما تحققة من ربح وراء ذلك فان كل انسان يحب من صميم قلبه الا يمسسه سوء او يصيبه اذى ، ومن هنا كان العمل من اجل تحقيق هذه الغاية لازمة من لوازم الوجود الانساني والحياة الكريمة .

ان رأس مال هذه التجارة ايمان بالله واعتماد عليه وثقة به ، وحسب عميق لرسوله الذي يفود مسيرة الثورة الاصلاحية الشاملة ، وسلعة هذه التجارة التي يجب ان يوجه اليها الاهتمام الاكبر هي الجهاد في سبيل الله لرد الاعتداء ولإعلاء كلمة الله . وهذا الجهاد يكون بكل قوة بشرية ومالية ، جهاد بالنفس عملا وفكرا ، وجهاد بالمال تسليحا وتهوينا ، جهاد يحس فيه كل انسان ان عليه واجبا لايد ان يؤديه من اجل نصرة الحق ودفع الظلم ، سواء اكان ذلك في مواجهة العدو بالسلاح ام في موقع عمله في اي مجال من مجالات النشاط .

يقول الله تعالى « انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله » ويقول « مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثمل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة ، والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم » ويقول النبي صلى الله عليه وسلم « من جهز غازيا فقد غزا ، ومن خلف غازيا في أهله بخير فقد غزا » ويقول « افضل الصدقات فسطاط في سبيل الله ، ومنحة خادم في سبيل الله ، وطروقة فحل في سبيل الله » والفسطاط هو الخيمة التي تؤوى الجند عند المبيت وتقيمهم تقلبات الجو ، والخادم هو الذي يهيئ للجاهدين وسائل الراحة حتى ينشطوا للجهاد ، وطروقة الفحل ناقلة صالحة تدر اللين وتساعد على التنقل وامداد المجاهدين بما يريدون .

وسهولة مما يبقى عليها خفرتها وبهجتها ، انهما جنات ليست للزهوة العابرة ولكنها للاقامة الدائمة « ومساكن طيبة في جنات عدن » اي جنات اقامة ، وحتيا ان هذا فوز عظيم لا يقدر قدره الا المجاهدون المخلصون .

والنوع الثاني من الربح على تجارة الجهاد ربح تهفو اليه النفوس البشرية المطبوعة على حب العاجل ، وهو « نصر من الله وفتح قريب » .

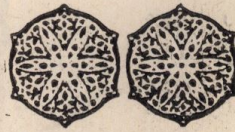
نعم ان الجهاد القائم على الايمان القوى بالله والمبدول فيه كل ما يستطاع من قوة مادية ومعنوية نهايته المحقومة هي النصر المؤزر والفتح المبين لكل مغاليق الطرق والابواب ، لتابعة السير الى آخر الشوط ، والصعود الى قمة المجد ، تحقيقا لقول الله تعالى .. « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » وقوله « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبيلا وان الله لمع الحسنيين » وقوله « ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم » .

هذا اذان من الله ان اولى الطاعات بالحرص عليها هي ما تقتضيه الظروف وفرضته الاحداث ، ولعل مما يؤكد حتمية الجهاد في مرحلة الانطلاق الثوري في المدينة ان عثمان بن مظعون الذي نزلت فيه هذه الآية كان قد فكر في اعتزال الحياة والترهب بالمعابد فآخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بان رهبانية امته الجهاد ، وكذلك فكر صحابي في العزلة بجوار عين من الماء بعيدا عن النشاط في معترك الحياة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم « ان مقام احكم في سبيل الله افضل من صلاته في بيته سبعين عاما » .

فليكن نشاط الامة العربية والاسلامية في هذه الايام نشاطا يتصل بمعركة المصير ، والله ناصرنا بهوئله ان صدقنا العزم واخلصنا النية ، وما ذلك على الله بعزيز .

ان الصمود في هذا الجهاد يحول دون وقوع العذاب الاليم ، وهذا العذاب الاليم نوعان ، عذاب في الدنيا يقع على القاعدين المتخاذلين الراضين بحياة الذل والهون ، وهو عذاب يتجرعون فيه الكؤوس المريرة من الاستعباد والتحكم ان لم تكن الابادة والفناء ، يقول الله تعالى في جزاء القاعدين المتخاذلين « يا ايها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اناقلتم الى الارض ارضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ؟ فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل . الا تنفروا يعذبكم عذابا اليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضره شيئا والله على كل شيء قدير » ففي هذه الآية وعيد شديد بفناء المتخاذلين واهلاكهم لانهم لا يستحقون الحياة . وكذلك يقول الله تعالى في جزاء الخلاء على المعركة بالمال « ها اقم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل ، ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه ، والله الغني وانتم الفقراء ، وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم » فهذا وعيد صريح للخلاء ان يفنيهم الله ويأتي بغيرهم ممن يحافظون على كرامتهم ويدافعون عن شرفهم . والنوع الثاني من عذاب المتقاعدين عذاب في الآخرة وهو عذاب عظيم

ان تجارة الجهاد لو لم يكن من ورائها الا النجاة من عذاب الدنيا والآخرة لكفى داعيا اليها ومرغبا فيها ، ولكن الله سبحانه استحث الهمم اليها فوعد عليها ثوابا عظيما وربحا كبيرا ، والربح نوعان النوع الهم وهو الباقي الخالد الذي ينتهي اليه مصير الحياة هونعيم الآخرة ، وقوامه مغفرة الذنوب عند الحساب ، ودخول جنة النعيم ، ومغفرة الذنوب تنجي من عذاب النار ، وكفى بالنجاة منها ثوابا ، ولكن فضل الله اعظم ، فهو يتفضل ويزيد في الفضل ويدخل المجاهدين الجنة ، التي هي في الحقيقة جنات يزيد تنوعها متعة في النفس ولذة في النعيم ، كما تعطى للقلب طمانينة بوفرة ثمارها ونضرة ازهارها لضمان ريبها بالانهار التي تجزي من تحتها ، فهي متبكتة منها ، تستهد ماتشاء بيسر



أمة الجهاد

وتحقيق الخير في أمة الإسلام كما أوضحت الآية الكريمة يتم بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر والايمان بالله والامر والنهي يفيد القوة والسلطان ، لان الامر لا يصدر من ضعيف أو جبان والله سبحانه صاحب الامر كله « لله الامر من قبل ومن بعد » والكون مسير بتدبيره وحكمته - « وهو القاهر فوق عباده » .

ويامر الله عباده بالجهاد في أول آية للجهاد فيقول سبحانه « اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله ، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز » .

وبهذا فرض علينا الجهاد دفعا للظلم والعدوان وردا للفساد والطغيان .

قال الرسول الكريم « لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية » وقال تعالى « فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين » .

ومقتضى الايمان بالله الذي جعل من أمة المسلمين خير أمة أخرجت للناس منع كل ما يحول دون عبادة الله .

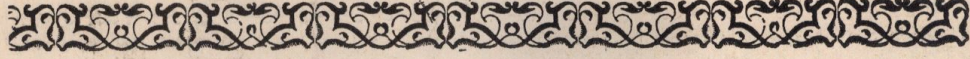
والسعى في طريق الخير والتعمير والاصلاح . وعدو الله غادر يستبيح الحرمات والمقدسات ويعتدي على المال والنفس والوطن .

فليس من الايمان العجز أو الاستكانة للعدو بل أوجب الاسلام التحفز ضده بكل قوة وبِعزم واصرار حتى آخر لحظة من حياتنا ، وما هي قيمة الحياة ان لم تكن حياة شرف وعزة واياء ولا يكون ذلك ولا يتحقق الا بالايمان بالله وعبادته وشكر نعمته وتصديق أوامره واتباع شرعه في مقاومة الشر

الصيد لله القوى المتين يحب المؤمنين والاقوياء ويبغض المستضعفين الجبناء ، سبحانه جعل العزة في طاعته والخذلان في معصيته « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » والصلاة والسلام على رسول الله أول المجاهدين وعلى آله وصحبه أجمعين ومن سعى للجهاد الى يوم الدين .

لقد حفظ الاسلام على الجهاد وخاطب أمة الاسلام في آيات عديدة وأحاديث نبوية جمة لكي تتبوا هذه الأمة مكانتها العالية مكانة العزة والاياء ، تلك المكانة التي نص عليها القرآن الكريم بقوله : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » .

الاستاذ
عائز عزت القاضى



والاحاديث النبوية اعظم العبر وأجمل السير وخير اسوة (لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة) وفى أعمال الصحابة وجهادهم فى الغزوات أسطع ضياء .

وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم : « أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » .

وقضية الحق لابد منتصرة ومسيرة الجهاد ولا شك غالبية لانها مسيرة الله « والله غالب على أمره » ، وذلك وعد الله بنصرة رسله وعباده المؤمنين : قال تعالى : « انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد » .

ويقول وقوله الحق « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » .

ونتيجة الحرب فوز باحدى الحسينين اما النصر واما الشهادة ولقد حرص الصحابة على الاشتراك فى الحروب والغزوات الضعيف قبل القوى والصغير قبل الصبى والمرأة قبل الرجل وكل عضو من أعضاء المجتمع الاسلامى كان يعمل فى صمته وبكل قوة وحزم . وادى كل منهم دوره وبذل روحه ودمه فداء لمبادئه . وكان النصر حليفهم والهزيمة لاعداؤهم .

ولم ترهبهم قوة الاعداء وعدتهم أو عتادهم ولم يخشوا كثرتهم ولا سلطاتهم ، بل لم يتطرق اليأس الى نفوسهم والتفوا حول الرسول فى بداية الدعوة رغم قتلهم وصاروا يدا واحدة وقلبا واحدا وصفا واحدا واثقين من نصر الله ومن انفسهم وبعدالة قضيتهم متمسكين بشرعهم وان هذا خير طريق موصل للفوز والنجاة والنصر المؤزر على اعدائهم .

ونحن اليوم لسنا أقل من عدونا عددا ولا عدة قلابا

□ ١٢٣ □

ومقابلة البغى وردة ودفع العدوان بكل صنوفه طالما بقى فينا عرق ينبض بالحياة فليست حياة الذل والاستعباد بحياة يقبلها الاسلام بل يمقتها شر مقت فأيات الله البينات وأحاديث الرسول وسيرته العطرة وبطولات صحابته وتابعيه خير شاهد على اقدامهم على الجهاد والاستشهاد والتضحيات ، بل كان شعار الواحد منهم : احرص على الموت توهب لك الحياة . ومما روى عن صحابته صلى الله عليه وسلم أنهم كانوا يكثرون عند الفزع ، والخوف وأيام الحروب والغزوات - ويقولون عند الطمع أى ساعة اقتسام الغنائم والإسلاب .

وهذه من صفات امة الجهاد كما طلب منهم الاسلام وأرادهم لهم دينهم ونص عليه قرآنهم ودعا اليه رسولهم وسار على دربه اجدادهم فعزوا وسادوا وخشيهم عدوهم بل ولى منهم هربا وارتفعت راية الاسلام عالية خفاقة ترفرف فى كل مكان وامتدت بقاع الاسلام شرقا وغربا حتى وصلت من جبال طوروس شرقا على حدود الصين حتى جبال البرانس غربا على حدود فرنسا . كل هذا بفضل الجهاد الذى كتب على امة الجهاد .

ولم يكن شرع الجهاد على امة الجهاد حبا فى الحرب ولا طمعا فى الغنيمة والكسب انما كان ذلك دفعا للعدوان ، وردا لظلم بنى الانسان للانسان ، وقد حرمه الله على نفسه بقول الله تعالى فى الحديث القدسى « يا عبادى ائني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا » .

ففى الجهاد يا امة الجهاد حفاظ على المبادئ وانتشار للدعوة وايفاف لسموم الاعداء من أن تعمل مقولها وتنتج مؤثراتها الفعالة بالدعوة وبأصحابها ، بل الجهاد يقضى على الشر كله .

ولنا فى الاسلام وفى دعوته وفى القرآن الكريم

من التهمة العامة لتطهير الارض واسترداد الحق
وازالة آثار العدوان .

وأن الجهاد في هذا الوقت لواجب عيني على نفس
كل مؤمن ومسلم لا يكفي قيام البعض به ، حيث اعتدى
العدو على المقدسات وانتهك المواثيق والمعاهد وعاث
في الارض فسادا وامتدت جذور الشر ، فان لم نقض
على الافعى استشرى السم وعمت البلوى وفي قطع
داين العدوان احياء لسنة الله في أرضه وهي عمار
الكون والخلافة فيه .

ويستلزم ذلك السعي الدائب والاستعداد الكامل
قال تعالى « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط
الخيال ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم
لا تعلمونهم الله يعلمهم » فالاستعداد والقوة تخلق
الرجب والرهبة في نفوس الاعداء وكل من تسول له
نفسه الخبيثة الرغبة في التجنى والاعتداء .

والتعبير في القرآن الكريم حين يحفز للجهاد
يتحدث عن الجماعة دون الفرد ويخاطبهم

(واعصوا) « قاتلوا الذين يلونكم من الكفار
وليجدوا فيكم غلظة » .

« والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع
المحسنين » وجاهدوا في الله حق جهاده « يا أيها النبي
حرّض المؤمنين على القتال » .

« وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا
إن الله لا يحب المعتدين وأقتلواهم حيث تقفتمهم
وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من
القتل » .

« وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين
من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا
أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من
لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا » .

« الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا
يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان
إن كيد الشيطان كان ضعيفا »

« إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن
لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا
عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى
بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك
هو الفوز العظيم » .

« فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا
بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب
فسوف نؤتيه أجرا عظيما » .

« قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم
عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ، ويذهب غيظ قلوبهم
ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم » .

« أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين
جاهدوا منكم ويعلم الصابرين » .

« أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين
خلوا من قبلكم مستهين البأساء والضراء وزلزلوا حتى
يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله إلا أن
نصر الله قريب » .

هذا خطاب القرآن الكريم للامة الاسلامية أمة
الجهاد والكفاح عبر العصور . وما ذل المسلمون إلا
بعد تقاعسهم عن الجهاد ولكن حرصهم على الجهاد
خير طريق للوصول للغاية النبيلة والهدف الكريم في
النصر والتحرر ، والتخلف أو التقاعس ممقوت
ومحرم في الاسلام ويستوجب العقاب في الآخرة
والخذلان في الدنيا فيه ينتصر العدو وهذا أمر له
خطورته لذلك يقول القرآن الكريم (يا أيها الذين آمنوا
مالكم إذا قيل لكم أنفروا في سبيل الله أثأفتم إلى
الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع
الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل الا تنفروا يعذبكم
عذابا ليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضره شيئا
والله على كل شيء قدير) .

ويحكي القرآن بعض ما كان يحدث في عهد رسول
الله من المنافقين مما استوجب خذلانهم ولزوم عقابهم
من الله عز وجل فيقول « فرح المخلفون بمقعدهم خلاف
رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في
سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد
حرا لو كانوا يفقهون » .

وإذا كان القتال مكروها للنفس الانسانية ففيه دفع
الشر والبلاء .

« كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا
شيئا وهو خير لكم » .

ويبين الله تعالى في كتابه اسلوب المواجهة في
الحرب واحكام الخطة وعدم التراجع الا لداع من
الدواعي او سبب من الاسباب فيقول « يا أيها الذين
آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار
ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى
فئة فقد باء بغضب من الله وماواه جهنم وبئس
المصير » .

وعلى العكس من الادبار والتراجع يكون الاقدام
والتحفز للقتال وبذل النفس رخيصة في سبيل الله
فجزاء ذلك القبول والاجر الطيب وجنات النعيم .

« والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم سيدهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم » .

ومن دواعي النصر التمسك بشرع الله تعالى والعمل بما أمر به في أمور العبادات والمعاملات وصدق ربي « ولنصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز » ومن أقوال وخطب الرسول صلى الله عليه وسلم في بعض الغزوات ما روى عن الحسن بن علي رضي الله عنهما في غزوة تبوك حيث يقول : صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر يوم غزوة تبوك فحمد الله واثنى عليه ثم قال : أيها الناس اني ما آمركم الا بما أمركم الله به ، ولا انهاكم الا عما نهاكم الله عنه ، فأجملوا في الطلب فو الذي نفس أبي القاسم بيده ان احدكم ليطلبه رزقه كما يطلبه أجله فان تعسر عليكم منه شيء فاطلبوه بطاعة الله عز وجل .

ومن اقوال الرسول ايضا في الحرب والجهاد ما روى عن ابراهيم وعبد بن أبي أوفى رضي الله عنهما :

« أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو ، وإسألوا الله العافية ، فإذا لقيتموهم فاصبروا ، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف ، ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم : اللهم منزل الكتاب ومجرى السحاب وهازم الأحزاب ، اهزمهم وانصرنا عليهم » .

والاحاديث النبوية عن الجهاد والمجاهدين لا حصر لها فعن أبي ذر رضي الله عنه قلت يا رسول الله أي الاعمال أفضل قال « الإيمان بالله والجهاد في سبيله » .

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« جاهدوا في سبيل الله فان الجهاد في سبيل الله باب من أبواب الجنة ينجي الله تبارك وتعالى به الهم والغم » .

ويروى أبو داود أن رجلا قال يا رسول الله ائذن لي في السياحة فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « ان سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله عز وجل » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « الجهاد هاضن إلى يوم القيامة » .

وقوله : « مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القانت بآيات الله لا يفتر من صيام ولا صلاة حتى يرجع المجاهدون » .

وقال صلى الله عليه وسلم « عتبان لا تمسهما النار : عين يكت من خشية الله وعين بانت تحرس في سبيل الله » .

وقوله « من جهز غازيا في سبيل الله فقد غزا ، ومن خلف غازيا في سبيل الله في أهله بخير فقد غزا » .

وهكذا يعلمنا القرآن الكريم والرسول العظيم كيف تحقق قول الله تعالى في أمة الاسلام « كنتم خير أمة أخرجت للناس » .

وهذا قليل من كثير وقطرة من بحر عن أمة الجهاد التي فرض عليها الجهاد لتحقيق العزة والكرامة والفوز ونيل البطولة والشرف وحتى لا يطعم فيهم عدو ولا يسلب حقهم أثيم .

وعلينا أن نعي جهاد الصحابة الاولين أمثال الصديق وعمر وعثمان وعلي وخالد وسعد واسامة وغيرهم .

فما أجدر أمة الجهاد أن تعي الجهاد وتتمسك به وتكافح لأجل إعلاء كلمته ولإحقاق الحق فان النصر حليف المؤمنين المجاهدين « وما النصر الا من عند الله » « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » .

فهي على الجهاد فما انتصرت أمة الاسلام الا بفضلها وما عز شعب الا بتضحياته خلف قيادته .

وقصص البطولة والشرف اليوم لدليل كاف على أن أمة الجهاد كانت وما تزال على الطريق السوي .

وعلينا أن نتذكر عدة القتال في قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا وذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين » .

وقوله سبحانه « يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا وربطوا وثاقوا الله لعلكم تفلحون » .
مكذا يعلمنا القرآن الكريم أسباب النصر « ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله » .



الجهاد المقدس

تحتل الأمة العربية جميعها والجمهورية العربية المتحدة بصفة خاصة في تلك الحقبة الحاسمة من تاريخها مرحلة حاسمة من أدق مراحل حياتها في الكفاح والنضال والصمود من أجل التحرر من الامبريالية والصهيونية العالمية ورواسب الاستعمار بغيض .. ومن أجل تطهير أرض فلسطين وبيت المقدس من دنس إسرائيل وإعادة أصحابها الشرعيين الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلى موطنهم العزيز بعد أن ظل هذا الكابوس الثقيل جاثما ومتربعا على الصدور عدة سنوات ينفت فيها سمومه وينشر بين أبناء الأمة الواحدة بذور الفرقة والوقعة والفتنة .. !

وجهادنا اليوم أيها المواطن العربي .. مع إسرائيل جهاد مقدس يأمر به الاسلام ويدعو اليه الايمان ويتخصيه الوضع القائم .. لانه جهاد من أجل الحق مع امة باعية ظالمة .. سجل القرآن الكريم اللعنة عليها على السنة بعض رسل الله بسبب ما اقترفوه من عصيان وعدوان وما شاع بينهم من مناكيد واتام ! (لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون .. كانوا لا يمتثلون لأمر الله فلا طاعة لهم فلا يصيبهم من الله ضرر لذنوبهم وكان الله مستمعا لصلواتهم) (البقرة: ١٧٥) كانوا لا يمتثلون لأمر الله فلا طاعة لهم فلا يصيبهم من الله ضرر لذنوبهم وكان الله مستمعا لصلواتهم) (البقرة: ١٧٥)

فعلى العرب جميعا في كل موقع من مواقع العمل أن يبذلوا أرواحهم في سبيل الله لاسترداد الحق المغتصب وإعادة الوطن السليب إلى أهله في غير ضعف أو خور وبدون خشية من الموت أو حرص على الحياة فإنه لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا .. وما أصابنا لم يكن ليخطئنا وما أخطأنا لم يكن ليصيبنا .. ومن حرص على الموت وهبت له الحياة ..

فليست حياة المرء في أن يعيش ليأكل ويشرب ويلهو ويلعب وهو في نفس الوقت مستذل مستعبد وإنما حياته الحق أن يعيش كريما ويحيا عزيزا مرفوع الرأس موفور الكرامة أشم الأنف شامخ الطود

ليس من مات فاستراح بميت

إنما الميت ميت الأحياء

إنما الميت من يعيش كنيابا

كاسفا باله قليل الرجاء

ثم ليكن شعار كل عربي منا في جهادنا المقدس في

وما قد أذن الله للحق أن ينتصر وللباطل أن يتدحر بفضل ايماننا بالله وبعدالة قضيتنا وبفضل يقطنتنا ووعينا .. وما قد حانت الفرصة للأمة العربية أن تضم صفوفها وتزيل عن نفسها ما لحقها من آثار النكسة (وعار الهزيمة) إذ ليس من شأن العربي الحر الابي أن يرضخ للذل أو يستكين للضميم ..

ولا يقيم على ضمير يرا به

الأاذلان غير الحي والودد

ان موقف الأمة العربية في هذه الحقبة من تاريخنا مع العصابة الصهيونية الباغية ومع من يعاونها يتطلب منا جميعا أن نقف في وجهها وقفة قوية شجاعة وان نجاهد باخلاص وايمان في سبيل عزتنا وكرامتنا والا نستكين أو نستعين بأنفسنا فان من يهن يسهل الهوان عليه .. !

اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير .. الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز ..

وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين .. واقتلوهم حيث ثقفتهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل ..

(انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وانفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون) ..

فضيلة الشيخ
محمد الحسيبي خليل

في معركة الحق

معركة الحق والمصير قول ذلك الشاعر العربي *

تأخرت استبقي الحياة فلم أجد
لنفسى حياة مثل أن أتقدما
وما قد دنت الساعة المنتظرة وآن وقت الكفاح
والعمل وأذن مؤذن الجهاد أن حى على الجهاد ..
فهبوا أيها المؤمنون بحقكم *

(وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم)
(وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة)
(واعلموا أن الله مع المتقين)

(ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم
مؤمنين) *

وهيا الى عقد تلك الصفقة الراجعة مع الله بالجهاد
فى سبيله

(ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم وأموالهم بأن
لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا
عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى
بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك
هو الفوز العظيم) *

هذا وان لنا من ايماننا القوى بالله وبحقنا المقدس
فى الحياة خير دافع واعظم حافز على خوض معركة
الحق والشرف واثقين بنصر الله وتأبيده * (وكان
حقا علينا نصر المؤمنين) * واعلموا يا جنود الحق
وحماته على خطوط النار أن الاستشهاد فى سبيل الله
والوطن أمنية كل مؤمن صادق الايمان لان به حياته
الحقة ونعيمه المقيم فى جوار ربه الكريم (ولاتحسبن

الذين قتلوا فى سبيل الله أموالا بل أحياء عند ربهم
يرزقون * فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون
بالمآل لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم
يحزنون) *

وجاء فى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله
عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (تضمن
الله لمن خرج فى سبيله لايخرجه الا جهاد فى سبيلي
وايمان بى وتصديق برسلى فهو على حقا ان ادخله
الجنة أو أرجعه الى منزله الذى خرج منه نائلا مانال
من اجر وغنيمة والذى نفسى بيده ماكلم يكلم فى سبيل
الله الا جاء يوم القيامة كهينته يوم كلم لونه لون دم
وريشه ريش مسك .. والذى نفسى بيده لولا أن أشق على
المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو فى سبيل الله
ابدا ولكن لا أجد سعة فأحملهم ولا يجدون سعة
ويشق عليهم أن يتخلفوا عنى .. والذى نفسى بيده
لوددت أن أغزو فى سبيل الله فأقتل ثم أغزو فأقتل ثم
أغزو فأقتل .. !!

فهيا يا شبان الامة العربية فى كل مكان الى الجهاد
المقدس فى معركة الحق والشرف والواجب وكونوا يدا
على من سواكم وقوموا قومكم واحملوا أرواحكم على
أكفكم واضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان
حتى تحفظوا لامتنكم المجد والله معكم (ان تنصروا
الله ينصركم ويثبت أقدامكم) وثقوا فى وعد الله
الكريم (وكان حقاً علينا نصر المؤمنين) *

والله ولينا وهو مولانا ونعم النصير *

الجهاد في الإسلام

الدكتور أحمد السيد الكوي



بعث الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم يدعو الناس الى الإيمان بالله عز وجل والى عبادة الله وحده . ونبذ عبادة الأوثان وأمره أن يدعو الناس بالحكمة والموعظة الحسنة فقال تعالى « أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن » وأعلمه من أول يوم أن مهمته كهممة الرسل جميعا - منحصرة في التبشير والإنذار فقال تعالى « يا أيها النبي أنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا » وقد سار الرسول صلى الله عليه وسلم في دعوته على المنهج الذي رسمه القرآن الكريم حيث جعل اطار الدعوة في دائرة التبليغ المجرد عن أى ضغط أو اكراه يقول تعالى « ما على الرسول الا البلاغ » . « فأنما عليك البلاغ وعلينا الحساب » . « فذكر أنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر » . فلم يحمل أحدا على اعتناق الدين الذي جاء به الا من طريق الاقتناع بالحجة .

والمجتمعات على اختلافها تتفق على مدافعة الاعوجاج ليستقيم لها الامر وتصلح الحياة ، وقد تمسك المؤمنون منذ البداية بحق الدفاع . يشير الله تعالى الى هذا في القرآن المكي بقوله تعالى « والذين اذا أصابهم البغي هم ينتصرون » .

وعلى ضوء تحديد هذين المبدأين مبدأ بيان مهمة الرسول صلى الله عليه وسلم في الدعوة الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ومبدأ حق الدفاع عن النفس والعقيدة سارت الدعوة سالكة في جهادها طريق الصواب في جميع المراحل التي مرت بها . ولقد مر تشريع الجهاد بمراحل متعددة تبعا لضعف المسلمين وقوتهم . ولا تخرج أى مرحلة من المراحل الاربعة في هذا الجهاد عن « مبدأ الدفاع » الذي قررناه . وسنوضح هذه المراحل على النحو التالي .

المرحلة الاولى :

نستطيع ان نسمى هذه المرحلة « بمرحلة الدفاع السلبي القائم على المواجهة والمسالمة والمحافظة على الدين وعدم التسليم للطغاة والسلبية في هذه المرحلة ضرورة اقتضتها ظروف المسلمين وضعفهم . فهم في مكة قليلو العدد مستضعفون يخافون أن يتخطفهم الناس » .

وقد شقت الدعوة طريقها في سبيل آمن وسط ظلمات الشرك وضلالات المبطلين حتى اذا قام أصحاب الباطل وعباد الأوثان في وجه الدعوة ووضعوا العراقيل في طريقها . وحاولوا ان يطفئوا نور الله بأفواههم . وأن يقضوا على الدعوة بكل ما أوتوا من قوة وركبوا في ذلك كل صعب وذلول - فنالوا من الرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه كل منال شرع الله الجهاد دفاعا عن النفس وحماية للعقيدة وتأمينا لطريق الدعوة .

وتشريع الجهاد يبين لنا في وضوح حقيقة الدعوة في تمسكها بالحرية . ويرد في افحام على من اتهموا الاسلام بالضغط العسكري حيث شرع الجهاد على أنه الحق الفطري الذي اعترفت به جميع الشرائع والقوانين الوضعية . وهو لا ينافي العفو عن المصء اذا كان العفو يثمر فيه بل ان الله عز وجل رغب في العفو مع الاحتفاظ بحق الدفاع عن النفس فقال تعالى : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » . « وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله » . « وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولنن صبرتم لهُوَ خَيْر للصابرين » .

والعقوبة بكافة صورها في الاسلام نوع من مدافعة الجريمة على قدرها . وهو مبدأ حق وعدل . لان الظلم لو ترك لم الفساد . وأصبحت الشئون للطغاة

□ ١٢٨ □

وتطبيقاً لفكرة الدفاع السلبي كانت الآيات تأمر في هذه المرحلة بالمصابرة والتحمل .
« واصبر على ما يقولون واهجرهم هجراً جميلاً » . (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلین) « فاعفوا واصفحوا حتى ياتى الله بأمره » .

وحتى يكون التحمل أمراً مسلماً به وسهلاً على نفوسهم وعدهم الله بهزيمة عدوهم فقال تعالى « سيهزم الجمع ويولون الدبر » وقد أكثر القرآن المكي من قصص السابقين لما تنطوى عليه من صبر على الأذى وتحمل لسفاهة الظالمين وبيان للموطن الحقيقي للنصر في النهاية ومن الواضح أن السلبية كانت في ترك المقاتلة . وما عدا ذلك فالإيجابية ثابتة موجودة في مجال ابلاغ الدعوة وتبليغها وشرح أهدافها لم يحدث توقف . وفي مقابلة شبه القوم كانت الحجج المقنعة الواضحة .

ومن الواضح كذلك أن السلبية في المقاتلة التي عبر عنها القرآن بقوله « كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة » لم تكن مبدأ وإنما كانت ضرورة عاشها المسلمون . وعليهم أن يتذكروا حقوقهم خلالها . ويتقربوا لأنفسهم عساهم يأخذون بها حقهم الذي سوف ينتصر حتماً . وكان النبي صلى الله عليه وسلم في خلال هذه المرحلة يعد أصحابه بأن الله سيجعل لهم فرجاً ومخرجاً فلقد قال للمسلمين قبيل الهجرة إلى الحبشة « لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد » وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه » .

ولعل ما نراه في قوله تعالى « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير » . وهي الآية التي نزلت بعد الهجرة إلى المدينة بقليل يؤيد أن سلبية هذه المرحلة كانت ضرورة لا مبدأ حيث جاءت صريحة في الأذن بالقتال الذي أمرهم بالكف عنه قبل ذلك مبيناً سبب الأذن وهو أنهم ظلموا خلال المرحلة المكية التي انتهت باخراجهم والاستيلاء على أموالهم

المرحلة الثانية :

لما كانت الهجرة واستطاع المؤمنون أن يثبتوا أقدامهم وأن يقيموا شعائر دينهم . وتكونت منهم نواة الدولة الإسلامية أذن للمهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم بعد أن كانت قريش تؤذيهم أذى شديداً فيأتون الرسول ما بين مشجوج ومضروب يتظلمون إليه فيقول لهم « اصبروا فإني لم أؤمر بقتال » .

ونستطيع أن نسمى هذه المرحلة بمرحلة الأذن للمهاجرين في استرداد حقوقهم وبها بدأت المرحلة الأولى من مراحل الدفاع الإيجابي . وفيها نرى المهاجرين يتصرفون على أساس أنهم أصحاب حق مسلوب يجب أن يسترد فيقومون بالسرايا العديدة التي تعترض تجارة قريش محاولين أن يحصلوا منها على بعض حقهم المصوب .

وكانت هذه السرايا جميعها من المهاجرين - يعدد

ابن إسحاق هذه السرايا فيذكر سرية عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب في ستين أو ثمانين راكباً من المهاجرين وسرية حمزة بن عبد المطلب بن هاشم إلى سيف البحر في ثلاثين راكباً من المهاجرين . وسرية سعد بن أبي وقاص في ثمانية رهط من المهاجرين وسرية عبد الله بن جحش في ثمانية رهط من المهاجرين . ويؤكد ابن إسحاق أنهم جميعاً من المهاجرين فيذكر عقب حديثه عن عدد كل سرية قوله . وليس فيهم من الانصار أحد - ولقد اقتصر شرع الجهاد في هذه المرحلة على الأذن بالقتال الذي يفيد إباحة القتال لهؤلاء المظلومين دون أن يكلفهم به في أمر صريح حتى يكونوا في حل من الدفاع القتالي - وحتى لا يظنوا أن الأمر بالمصابرة والمسألة يتنافى مع مباشرتهم حقهم المشروع . فالأذن بالقتال لم ينسخ العفو والمصابرة لأن الصبر طريق إعانة والقتال يحتاج إليه والأذن بالقتال مقدمة للأمر به . فلقد مهد للنفس التي استطاعت أن تنجو من براثن الظلم سبيل القيام بواجبها حين فرض عليهم رد العدوان والظلم والوقوف في وجه قريش . وحين جاء قوله تعالى « كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون » .

ولقد استمرت هذه المرحلة حتى يوم بدر وفيه ركبت قريش رأسها لما رأت عزة الاسلام - وصممت على أن تقضى على المسلمين في هذا اليوم - معتزة بما لديها . ومن وسائل القوة . ولم يكن للمهاجرين بهم طاقة . ومع أن القتال كان غير مفروض يومها فقد عرض الرسول صلى الله عليه وسلم الأمر على الانصار ثم استشارهم في ميدان المعركة قبيل الاشتباك فقبلوا نصرة اخوانهم المهاجرين . وكان اشتراكهم تبرعاً محضاً لأنهم عنصر لم يكلف بالقتال حيث لم يفرض بعد . ولم يقع عليهم ظلم مثل الذي وقع على اخوانهم المهاجرين وكان القرشيون في بدر يعلمون أن المهاجرين وحدهم هم غرماؤهم امتداداً للحوادث القديمة . ولذلك ردوا من خرج يبارزهم من الانصار في أول المعركة . وطلبوا أن يكون المبارزون من بنى عمومتهم المهاجرين وانتهت بدر بالنصر الحاسم على قريش وفرح المؤمنون بنصر الله . وصممت قريش على مواصلة المدوان . والقضاء على المسلمين في مدينتهم . فلم يكن بد من أن يقف المسلمون صفاً واحداً لتبدأ المرحلة التالية .

المرحلة الثالثة :

في هذه الفترة أصبح القتال مفروضاً على المسلمين ضد هؤلاء العتاة . بعد أن كان مأذوناً فيه للمهاجرين منهم . وكان هذا القتال مقصوراً على حرب قريش ومن حالقها من بنى بكر وبعض يهود المدينة الذين ناصروهم وغدروا بمعهدهم مع الرسول صلى الله عليه وسلم ودبروا المكائد له وللمسلمين

على أعدائهم الرياح العاتية والزوال الساقية وأيد المسلمون بجنده فكانت القوة بعد الضعف والعزة بعد الهوان . وفى ذلك يقول الله تعالى « يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تريوها وكان الله بمنكم يعملون بصيرا إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإن زأغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا » .

ونستطيع أن نطلق على هذه المرحلة الأخيرة مرحلة الامر العام بالقتال فى مواجهة مشركى الجزيرة العربية الذين غزوا المسلمين فى عقر دارهم . ولقد جاءت الآيات بعد هذا الهجوم العام تأمر المسلمين بأن يقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونهم كافة . وبذلك أعلنت الحرب الدفاعية العامة فى وجه المعتدين . يقول الله تعالى « وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة » .

وأنا لنرى الدعوة الى القتال منذ بدأت فى أول العهد المدنى حتى نهاية التنزيل ليس فيها دعوة الى قتال المسالمين مهما كانت عقيدتهم وإنما هى مواجهة ضد المعتدين فى جميع الادوار التى مرت بها وان تدرج التطبيق العملى فى سير القتال .

ولقد التزم المسلمون فى جميع مراحل الجهاد ان لا يعتدوا على أحد بسبب عقيدته أو جنسه ولم يفرقوا فى معاملتهم الحسنة بين معاهد مسالم ومشرك مداهن أو مهاجر . بل قدموا احسانهم كاملا واخلصهم فى النصح للجميع على قدم المساواة . وتركوا الباب مفتوحا لكل من تاب الى رشده ولجأ اليهم . بل ساعدوا كل مشرك استجار بهم « وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه » .

ولم يتخذوا الجهاد وسيلة ليدخل الناس فى دينهم . ولينشروا دعوام على الملاء بأى لون من ألوان الضغط أو القهر . وفى ذلك يقول الله تعالى « لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغي » . ويقول « وكل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » .

وأما كانت الوسيلة الوحيدة لنشر الدين هى النصح والارشاد والدعوة الى الله بالحكمة والمنوعة الحسنة والاحسان الى المسئى واسداء الخير لجميع المشركين المسالمين « ادفع بالتي هى أحسن السنية » . « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون » . أما تفصيل هذه المراحل وذكر الآيات التى تناولتها بالشرح والايضاح والتى بينت سير القتال فموضوعها فى مقالات قادمة . والله ولى التوفيق .

حقيقة أصبح القتال قرضا على المسلمين ضد هذا العدو المعتدى ونستطيع أن نسمى هذه المرحلة مرحلة الامر بالقتال الخاص ضد قريش ومن والاهم يقول الله تعالى فى صدر هذه المرحلة « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين » . واقتلوه حيث ثقتهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفئة أشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين فان انتهوا فان الله غفور رحيم »

ومن هذه الايات يتضح أن القتال لرد العدوان وأن قتال غير المعتدى هو فى ذاته عدوان وان هذا القتال كان موجها ضد قريش الظالمة التى أخرجت المسلمين من ديارهم وأموالهم . واعتدت عليهم عند المسجد الحرام . وأنه مع هذا العدوان ليس للمسلمين أن يقاتلوا قريشا عند المسجد الحرام الا اذا بدأتهم قريش مرة أخرى بالعدوان فى المسجد الحرام . وأن الغاية من القتال هى كف الظلم . وأن العدو ان انتهى عن القتال لاجوز للمسلمين قتاله « فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين » . وقد ظلت هذه المرحلة قاصرة على حرب قريش وبعض اليهود الذين استغلوا موقف المسلمين الذى لم يكن قد توطد بعد ليطعنوهم من الخلف - وفيها حدثت غزوة احد وغزوة السويق وغزوة بدر الثانية وكلها عدوان من جانب قريش . وثبات من المسلمين فى وجه عدوهم . وفيها اجلى من اليهود الغادرين بنو النضير - حتى اذا كان يوم الاحزاب وفيه استطاعت قريش ان تؤلب قبائل الجزيرة العربية على بكرة ابيها وتستنفروهم لقتال المسلمين فى عقر دارهم بالمدينة جاء دور المرحلة الرابعة .

المرحلة الرابعة :



رحفت الجيوش من أقطار الجزيرة العربية قاصدة المدينة . ولم يكن للمؤمنين بهم طاقة فخذقوا على أنفسهم حول بلدهم . وكان نصر الله لهم فى هذا اليوم نصرا مؤزرا بعد أن زأغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وزلزل المؤمنون فى هذا اليوم زلزالا شديدا . وما كان الله ليذرهم على هذه الحال فأرسل

فريضة الجهاد

نظام القتال

المستشار محمد كمال الجرف

- ٣ -

١ - ماذا نعني بنظام القتال ؟

قدما ماكان من فرض « فريضة الجهاد » وأركانها ، وفقا لما جاء به القرآن الكريم [الدستور الأعلى] ، وما بينته السنة [القوانين] في هذا الشأن وكان الاصل ان تتبع ما قدمناه ، بما كان من تاول اولى الامر من الخلفاء الراشدين [اللوحة التنفيذية] وغيرهم ، وما كان من استنباط العلماء [المقتضيات التفسيرية] في شأن فريضة الجهاد . وفقا لخطة البحث التي قدمناها في عدد سابق [عدد صفر] ولكن لما كانت فريضة الجهاد ، قد خصت بما لم يخص به كثير غيرها من الفرائض ، ذلك ان القرآن الكريم - على خلاف ماكان الشأن في فريضة الصلاة والزكاة مثلا : قد خص فريضة الجهاد بان لم يكف بفرضها بل اقام نظامها . واذا كان « مكان النظام من الخرز يجمعه ويضمه فاذا انتقطع النظام تبرز الخرز ، ثم لم يجتمع بهذا غيره » كان النظام لغة الخيط الذي ينظم به اللؤلؤ ونحوه ، ونظام الامر قوامه ، وسلسلته الفكرية ، و « نظام القتال » هو مجموعة القواعد العامة التي جاء بها القرآن الكريم لتنظيم هذه الفريضة بحيث تسير امورها فيها على نسق واحد ، في كل ما تشابه من وقائع وقعت بالامس أم أنها ، ستقع اليوم أو غدا ، ان شاء الله .

هذا في الوقت الذي سكت عن تفصيل ذلك بالنسبة للصلاة،

وكذلك الزكاة اكتفى بفرضها ؟ وتحذير مصارفها ، ولم يعرض لتفصيلاتها لتتولى السنة بيان هذه القواعد .

لما كان هذا ، وكان تاول اولى الامر واستنباط العلماء قد جمعا بين العرض لاحكام الفريضة ، ونظامها معا ، فقد اشرت ان اعرض اليوم لنظام فريضة الجهاد وفقا لما جاء به القرآن الكريم ، لاعرض في عدد قادم ان شاء الله لما كان من السنة في شأن بيان قواعد هذا النظام ، ومن بعدها نعرض لما تاوله اولى الامر وما استنبطه العلماء من احكام الفريضة بصفة عامة .

اولا : القتال ومواطنه

١ - الاصل السلم

كذب الذين قالوا ان القتال كان وسيلة لنشر الدعوة الاسلامية فالثابت الذي لاخلاف فيه ان القتال كان محظورا قبل الهجرة ، لقوله تعالى : « افنع بالتي هي احسن » ، وقوله : « واهجرهم هجرا جميلا » وقوله : « لست عليهم بمسيطر » وما كان مثله مما نزل ببكة .

فلما اعتدى الكفار على من آمنوا بالدعوة ، واخرجوهم من ديارهم ، وقتلوهم ، كان الامر بالقتال على النحو الذي سنعرضه فالاصل اذا السلم ، ودليله قوله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة » [البقرة : ٢٠٨] . وان ذهب المفسرون الى ان « السلم » هنا هو الاسلام وان المؤمنين لم يؤمروا قط بالدخول في المسألة التي هي المصلح وانما قيل للنبي صلى الله عليه وسلم ان يجتنب للمسلم اذا جنحوا له ..

فاني اختار ماذهب اليه الكسائي من ان السلم والسلام واحد وهما جيبا يقعان للاسلام والمسألة [القرطبي : ٨٢١] واري ان السلم اصل ، فان اعتدوا ، او توفر فيهم مايجوز قتالهم ، ومع ذلك جنحوا الى السلم ثانية ، كان لابد من العودة الى الاصل . لقوله تعالى : « فان اعتزلوك فليقاتلوكم والقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا » [النساء : ٩] والقتال كره .

وما دام الاصل هو السلم ، كان القتال كرها [يؤكده ذلك قوله :

« كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وانتم لاتعلمون » [البقرة : ٢١٦] .

فرض القتال . وهو كره ومشقة ولكن لتكون كلمة الله هي العليا .. وعسى باذنه ان سيكتب لنا النصر ، فنقلب ونظفر ، ونؤجر ومن مات مات شهيدا أما الدعة وترك القتال ، وقانا الله شرها : فاستسلام ، وذلة . ففي بلاد الاندلس تركوا الجهاد ، وجبنوا عن القتال ، واكثروا من الفرار ، فاستولى المدو على البلاد [القرطبي : ٨٤٧] .

٣ - ولهذا كانت مواطنه محدودة :

ولما كان الاصل ، هو السلم ، وكان القتال مكروها : لم يقر الاسلام القتال الا في حالات محدودة :

أ - اقره دفعا لاعتداء وقع بالفعل :

ولحماية حق ثابت للدولة انتهكته دولة أخرى دون مبرر . وذلك من قبيل الجزاء ودليل ذلك قوله تعالى : « وقتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين » واقتلوهم حيث تقبضوهم واخرجوهم من حيث اخرجوكم . [البقرة : ١٩٠ ، ١٩١] .

وتاكيذا لان القتال ، انما هو لدفع الاعتداء وحسب ، دون محاولة الغزو والتوسع كان الاصل المسامحة بالقتل ، لقوله تعالى : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » [البقرة : ١٩٤] .

فكان ماوردته الآية الكريمة أصلا في المماثلة في القصاص [القرطبي : ٧٢٢] .

□ ١٣١ □

فلا تجاوزوا ، لاتجاوزوا لما اعتدوا به ؟ ولا تجاوزوا بارتكاب ما نهى عنه كالمثلة [التنبيل بالقتل] والفلول ، وقتل من لاقتال فيهم ولا رأى لهم [ابن كثير : ج ٢٢٨/١] .
واكد ذلك قوله تعالى : « وأخرجوهم من حيث أخرجوكم »
ب - دفع الشر الحقوق :

كخيانة عهد ، أو نكته ، ودليله قوله تعالى : « الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون . فماذا تتقنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لمعلم يذكرون » .

« وأما تخافن من قوم خيانة فأنذرهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين .. » [الأنفال : ٥٦ - ٥٨] . وقوله : « وإن تكونوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر انهم لا أيمان لهم لمعلم ينتهون » . [التوبة : ١٢]
نزلت الآيات الأولى في يهود بني قريظة والتفسير [في قول مجاهد وغيره] .. حين نقضوا العهد فأعانوا مشركي مكة بالسلاح يوم بدر ، ثم اعتذروا فقالوا : نسينا ، فعاهدتهم عليه الصلاة والسلام ثانية فنقضوا يوم الخندق وهنا اشترط للقتال ، أن يفسخ ما بيننا وبينهم من عهد .

أي أن يكون نبذ العهد بطريق ظاهر ، يخبرون به ، وأن يعلنوا أن قد قطعنا ما بيننا وبينهم . أي لابد من الاعلان والاذار . [القرطبي : ٨٦٩ - الرازي ج ٥ - ١٩٨٢/١٥] .

ج - قتال المصالح :

وهناك نوع من القتال اسماء الماوردى ، حروب المصالح ، [الأحكام السلطانية ٥٥] كحروب الردة ، ومنها أيضا قتال أهل البنى ، ودليله قوله تعالى :
« وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فإن بغت إحداها على الأخرى ، فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن غابت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين » [الحجرات : ٩] وواضح أن تلك أنواعا داخلية من القتال ، ربما تقابل ما نسميه اليوم « حروبا داخلية »
٤ - شرعية قتالنا اليوم :

وأسباب وجوب القتال والجهاد التي حددها القرآن الكريم تتوافر كلها في العدوان الإسرائيلي اليوم ، فقد اعتدوا على أرضنا ، ويات حتما الاستجابة لقوله : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » [البقرة : ١٩٤] .

وانتهكوا حرمت الدين ، واعتدوا على أملاكه المقدسة ، فوجب قتالهم إذ لا أيمان لهم لقوله تعالى : « وإن تكونوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم » فقاتلوا أئمة الكفر انهم لا أيمان لهم » [التوبة : ١٢] .

وأخرجوا المسلمين والعرب من ديارهم ويات حتما إخراجهم من حيث أخرجوكم لقوله تعالى : « وأقلوهم حيث تقنمهم ، وأخرجوهم من حيث أخرجوكم » [البقرة : ١٩١] .
وكان منهم ما كان في قتل المستضعفين من الرجال والنساء والولدان وحق فينا التساؤل في قوله تعالى : « وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان » [النساء : ٧٥] .

ومن ثم فقد وجب القتال ، قتال في سبيل الله ، قد توفرت أسبابه ويات علينا انتظار ما وعدنا به لقوله تعالى : « قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين » [التوبة : ١٤] .

يؤكد لنا النصر بأذنه تعالى انهم قوم « وشررت عليهم الذلة والمسكنة وبأوا بفضب من الله » [البقرة : ٦١] .
وطبعي اننا كما نأمل النصر ، وجب علينا ، الطاعة وتنفيذ كافة ما أمرنا به وإن نهى عما نهانا عنه . فالقرآن الكريم سندنا ككل ، لقوله تعالى : « أفتمؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض » [البقرة : ٨٥] .

ذلك واجبا اليوم ، متى التزمنا كتب لنا النصر بأذنه ، وقد وعدنا به ، على النحو الذي قدمناه ، وإن تركنا الجهاد ، أو

تقاعدنا فيه ؟ ولم نلتزم كافة أوامره وتواهيه ، ظهورا علينا « وإن يظهرنا عليكم لا يرتقبوا فيكم إلا ولا ذمة » [التوبة : ٨] .
أي أن غلبوا لا قدر الله ، لم يحافظوا لكم على عهد ، ولا جوار [القرطبي ٢٩١٨] .
فها بنا ، وليكن شعارنا هي على الجهاد ، « انه لا يباس من روح الله إلا القوم الكافرون » [يوسف : ٨٧] .

ثانيا : الاستعداد للقتال

انتهينا في العدد السابق الى أن الجهاد « فريضة مستمرة » واستمرارها يجب دائما أن تكون في حالة الاستعداد لها حين تقوم أسبابها - وقد قامت - فما هي مقومات هذا الاستعداد ؟

١ - التوعية : فقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم - حين تتوفر أسباب القتال - بالتحريض على القتال بقوله تعالى « قاتل في سبيل الله لا تكلف الا نفسك وهرس المؤمنين ! » [النساء : ٨٤] .
وقوله : « يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال » [الأنفال : ٦٥] وحفل القرآن الكريم بكلمات التحريض على الجهاد وسنرى ان السنة قد سلكت نفس الطريق وسنظل هذه الكلمات وتلك أكبر حافز على القتال في سبيل الله لما عددناه لقوله تعالى :

« ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما » [النساء : ٧٤] . ودل ذلك على أن التحريض قد فرض على كل أمام ومستول .
لهذا كان توقيتنا مناسباً حين وصلنا الى ساعة يتحتم فيها على كل مواطن أن يؤدي واجبه أن قام الرئيس بنساذ في بيان [٧ مارس ١٩٧١] .

« اننا نواجه اليوم أقوى اللحظات حسبا وأبلغها خطرا ومن هنا كان حديثي الى كل فرد منكم في جميع مواقع المسؤولية بل في كل بيت صغير وفاء لما تعاهدنا عليه أن نشارك أعياننا معا وأن نعانى يومنا معا من أجل غدنا معا .. لاوقت للضياع ولا وقت للكلمات كل الوقت للعرق وكل العرق للعمل وكل العمل من أجل هدف واحد ولا هدف سواه وهو النصر بعون الله [بيان الرئيس في عدد صفر من هذه المجلة] . ونبه الى أن « ستكون المعركة شرسة ولكنها أشرف معارك الحياة وستكون المعركة طويلة ومريرة ولكنها قدر الاحرار ونجدد الله لأن يدنا هي العليا فنحن يدفعنا الى الكفاح الثقة والامل وقدااسة كل حبة تراب في أرضنا وعدونا يدفعه الى جنون العدوان والخوف من الهزيمة والخوف من اليأس » .

ومن اعتدى علينا فليس من سبيل الا أن نعتدى عليه بمثل ما اعتدى به علينا وما هي الصحف والمجلات وسائر وسائل الاعلام تسير على نفس الطريق .

٢ - وحدة الهدف : والهدف واحد ولا هدف سواه وهو النصر بعون الله وما أمام المجاهد الا أن يقتل في الجهاد أو أن يموت منتصرا لا ثالث لها باذن الله وهو في الحالين قد فاز ودليل ذلك قوله تعالى :

« فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما » [النساء : ٧٤] .

٣ - التهيئة : وإذا كان القتال حتما وكان التحريض عليه فرسا وجب الاستعداد له بأقصى ما في الطاقة وذلك ما أمرنا به بقوله تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » الآية [الأنفال : ٦٠] .
والنص يتسع لكل أسباب القوة من مال ونفس وغيرها من تخطيط وتنظيم وإن خص المراقبة فلحماية الحدود أولا وقبل كل شيء للحيلولة دون أن يوغل العدو في الأرض .

٤ - الاستعداد بالمال : فالاستعداد بالمال يوجب أن لا نتقدم مصلحة أخرى على المعركة فنوجه أقصى ما نستطيع أن نوجه لها بالحد من كل استهلاك يجاوز ما هو ضروري ونربط الإهزمة على

٩ - وكما حدد القرآن حالات القتال ونظم الاستعداد له ٢
نظم سير القتال في الميدان ٣. وسير القتال يختلف من معركة
إلى معركة تبعاً للوقوع وهو مختلف تبعاً للأسلحة وهي منظورة
لهذا اكتفى بوضع قواعد أساسية لابد منها وهي قواعد عامة
تتقدم على سواها إما لها من أهمية كان منها :
١ - كتمان الأسرار الحربية : وكان المنافقون إذا سمعوا
شيئاً من الأمور فيه أمن نحو ظفر المسلمين وقتل عدوهم أو ضد
هذا أذاعوا به وأفشوه وتحذروا به قبل أن يبقوا على حقيقته،
وقيل إن هذا كان من ضعف المسلمين [القرطبي : ١٨٦١]
فهو الإسلام عن أذاعة الأسرار الحربية ونهى عن خوض العامة
في أمور السلم والحرب [الأمن والخوف] مما من شأنه
الاضرار بهم ودليل ذلك قوله تعالى :
« وإذا جاهدكم أسر من الأمن أو الضوف أذاعوا به »
[النساء : ٨٣] .
٢ - الطاعة وتوحيد الكلمة : ووجه إلى وجوب الطاعة
اتقاء للنزاع والاختلاف في حال القتال ووجوب توحيد الكلمة
وتنسيق الخط وتكاملها كي تكون الكلمة واحدة والمسئول وأن
تفادى كل خلاف قد يسبب الفشل وسند ذلك قوله تعالى :
« وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم »
[الأنفال : ٢٤] فكان ذلك أمراً بإيجاب الطاعة والإخذ على
أيدي المنافقين في اختلافهم في أمر بدر وتنازعهم خشية ضياع
القوة والنصر . [القرطبي : ٢٨٦٧] .
٣ - ووجه النظر إلى أهمية التنظيم : وإن المبرة ليست
بالعدة والعدد وحسب وإنما للنظام والدقة أهميتها الكبرى
ودليل ذلك قوله تعالى : « إن الله يحب الذين يقاتلون في
سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص » [الصف : ٤] .
٤ - الثبات في ميدان القتال : وأمر بالثبات عند القتال كما
نهى عن الفرار فالتقى الأمر والنهي على سواء وهذا تأكيد على
الوقوف للمدو والتجمل له وسند الأمر بالثبات قوله تعالى :
« يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الكثير
لكم تفلحون » [الأنفال : ٤٥] .
وسند النهي عن الفرار قوله تعالى :
« يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم
الادبار ومن يولهم يومئذ دبره إلا متخرفاً لقتال أو متحيزاً إلى
فئة فقد باء بغضب من الله وماواه جهنم وبئس المصير ! »
[الأنفال : ١٦٥] .
فالفرار من الزحف من الكيان فقد روي عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم « خمس من الكبائر لا كفارة فيها » كان منها
الفرار من الزحف [شرح السير الكبير ١١٤ ص ١٢٢] .
وأجاز التراجع متحرفاً لقتال أو منضياً إلى فئة أخرى فالتحرف
من جانب إلى جانب لمساكيد الحرب غير متراجع وكذلك التحيز
ليعين فئة أخرى كذلك [القرطبي : ٢٨١٩] ومع ذلك قد
يحدث ما يوجب التراجع ولكن التراجع لا يكون بفرار الاحاد
من الجند بل وفق خطة ينظمها الأمير كما كان من خالد في غزوة
مؤتة على نحو سنعرضه فيما كان من سنة المصطفى صلى الله
عليه وسلم وأقراره لخطة خالد في عدد تال . [شرح السير
الكبير ص ١٢٢]
٥ - وأوجب الشجاعة والإقدام : ومتى كان لابد من الحرب
فالحرب لا هوادة فيه لقوله تعالى :
« يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدا
فيكم غلظة » [التوبة ١٢٣] .
وقوله : « يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم »
[التحريم : ٩] .
وقوله : « فلا تطع الكافرين وجاهدكم به جهاداً كبيراً »
[الفرقان : ٥٢] .
وقد أشرنا إلى هذا الواجب في تنفيذ الفرض وأوضاعه [ص
١٠٢ عدد صفر في هذه المجلة]
٦ - ونهى عن الجبن سواء أكان خشية الموت أو وسوسة
من الشيطان .

البتكون ليتسع الفائض لكل ما تحتاج إليه الحركة ٢ ما تحتاجه
من أسلحة ومعدات من ناحية وما تحتاجه القوات من إمدادات
وتأمين . وهذا وذلك منظور والإصل في الاستعداد به أن
يكون على نحو يهرب العدو وما يرهيه اليوم غير ما كان يرهيه
بالأمس فالاستعداد اليوم لا يكون بكثرة المدو وحسب ولا بالسيف
والخيول وإنما بالطاقات والمدافع والقنايل والأسلحة الإلكترونية
وغيرها . والاستعداد للمعركة في الداخل ليس أقل شأنًا ،
فهذا يجب أن يعمل له القوات المقاتلة بالوقود والتأمين ، وذلك
بالملاج والتبريد ، ورعاية أهل المقاتل إبان غيابه .
ب - الاستعداد بالنفس : فرض الجهاد على المؤمنين كافة
بصفة الأمر والأمر يفيد الوجوب والفرضية ، وما اختلف فيه
الطبائء إنما كان حول ما إذا كانت هذه الفريضة فرض عين
أم فرض كفاية وفي الاعتداء الإسرائيلي الحالي أخرج مسلمون
من ديارهم وديست أرضهم ففدا الجهاد فرض عين على كل من
قرب من ميدانه وأحاط بهذه الأرض وفرض كفاية على كل مسلم
من بعد عنها ، وكل قتال يقوم به مسلم ويراد به استرداد
حق مفصوب وتخريب وطن مسلوب فهو جهاد في سبيل الله
وفرض واجب وحق فيه تعاون الكل فالمسلمون أمة واحدة
والخطاب موجه للكافة وسند ذلك قوله تعالى « إن هذه أمتكم
أمة واحدة » [الأنبياء : ٩٢] وقوله تعالى « انفروا خفاً
ونقلاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله » [التوبة : ٤١]
ومن القوة رفع الكفاية القتالية بالتدريب والتنظيم وحسن
التخطيط والإدارة وكل ما من شأنه أن يهيئ هذه النفوس لتهرب
العدو ولا نواد ولا مولاة للعدو ، لقوله تعالى : « لا يتخذ
المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس
من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه
والى الله المصير » [آل عمران ٢٨] .
ولا تردد ولا تقاعص : لقوله تعالى « ولو أرادوا الخروج
لأعدوا له عدة ولكن كره الله انهمائهم فنبطهم وقيل أقمدا
مع القاعدين لو خرجوا فيكم مازادكم إلا خبالاً ولأوحسوا
خلالكم يفتونكم الفتنة ويحكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين »
[التوبة : ٢٧/٢٦] .
ولا تخلف : متى توفرت في المقاتل شروط الوجوب لسوء
مسير الخلف ودليل ذلك قوله تعالى : « فرح المخلفون بمقعدهم
خلاف رسول الله وكروها أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في
سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حراً لو
كانوا يفقهون فليضحكوا قليلاً وليذكروا كثيراً جزاء بما كانوا
يكتسبون » [التوبة : ٨١ - ٨٢] .
وقوله : « لا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً » [التوبة : ٢٩] .
ومن هنا كان حسناً أن يكون من شروط العمل بالوظائف
العامة أن يكون الطالب قد أدى الخدمة العسكرية ومن يدع
للجهاد فيتخلف يجب أن يحرم من هذه الجزة أو تلك .
ج - المراقبة : وخص سبحانه وتعالى « المراقبة » في
قوله تعالى « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل »
[الأنفال : ٦٥] ففرن القوة بحماية الحدود أولاً فيخصص
جزء من القوات للوقوف على الحدود والنفور لرد الهجوم ومنع
الاعتداء ومناجزة الأعداء قبل أن يوغلوا داخل الأرض : وعادل
بين القوة وواجب أخذ الحذر حتى لا تؤخذ البلاد على غرة وكان
سند هذا الواجب بدوره قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا
خفوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعاً » [النساء : ٧١]
وكانت وسائل أخذ الحذر عديدة منها :
١ - أن نعد لهم ما استطعنا من قوة ، أن نعد لهم ما استطعنا
من رباط الخيل [نقط الحراسة على الحدود وفي النفور]
وأن ننفر ثباتاً أو جميعاً أي سرايا ووحدات صغيرة أو جميعاً ،
كل هذا إلى جانب ما يوجب الحذر بصفة عامة من أن لا يفتحموا
على عدوهم على جهالة حتى يتجسسوا إلى ما عندهم ويعملوا
كيف يريدون عليهم [القرطبي : ١٨٤٢] .
وهكذا نظم القرآن الكريم الاستعداد للقتال أياً كانت وسيلة ،
نظم الاستعداد في الداخل وعلى الحدود وفي ميدان المعركة .

رابعاً : الحرب

١ - تيسر الحرب نفسه : فإذا ما كانت الحرب وجبت ألفظة والشدّة لقوله تعالى : « فإذا لقيتم الذين كفروا فاضرب الرقاب حتى إذا اخذتكم بهم فتصدوا الوفاق فإما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها » . [محمد : ٤] وخض الرقاب بالذکر لأن القتل أكثر ما يكون بها ، ولم يقل فاقتلوهم لأن في العبارة يضرب الرقاب من ألفظة والشدّة ما ليس في لفظ القتل . حتى إذا ما كثرت الرقاب والقتل وتم لكم النصر وأسرتهم ووضعتم الحرب أوزارها [أي انقالت] . كان لكم إطلاقهم من غير فدية وإما فداء [القرطبي : ٦٠٥] .

٢ - الهدنة - المودة : ويقصد بها المعاهدة بين المسلمين ومخالفهم على نبد الحرب والكف عن القتال مدة معينة تقدر في العقد كما حدث في صلح الحديبية مع مشركي قريش مما سنعرض له عند دراسة ما كان من السنة في شأن هذا النظام . ولما كان الجهاد فرضاً ومضى قامت أسبابه فلا وجه لتركه بدليل قوله تعالى « ولا تنهوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون أن كنتم مؤمنين » [آل عمران : ١٢٩] .

الا أن تكون لهم شوكة شديدة لايقوى عليها المسلمون فحينئذ لا بأس من أن يوادعهم الإمام إلى أن يظهر للمسلمين قوة ثم ينبذ إليهم [قول أبي حنيفة - شرح السير الكبير ١٩٠/٢١٢] ولأن حقيقة الجهاد في حفظ قوة أنفسهم ثم في قهر المشركين وكسر شوكتهم فإن كانوا عاجزين - لا قدر الله - عن كسر شوكتهم كان عليهم أن يحفظوا قوة أنفسهم بالمودة [نفس المصدر] ودليل ذلك قوله تعالى : « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » [الأنفال : ٦١] .

٣ - نهاية الحرب : أما المجاهد في سبيل الله فهو يعمل وليس أمله إلا أحد طريقين إما أن يقتل وإما أن ينتصر كما قدمنا لقوله تعالى « ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيماً » [النساء : ٧٤] فإن قتل فهو شهيد « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين » [آل عمران : ١٦٩ - ١٧١] .

وحسب الشهادة ماتستبعم من جنة ورضوان من اللومعيم

مقيم بدليل قوله تعالى : « والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم سيديهم ويصلح بهم . ويدخلهم الجنة عرفاهم لهم » [محمد : ٦٤] ٤ - الوعد بالنصر : وعدو اليوم وعد بالهزيمة والعذاب والخزي ووعدوا بالنصر باذن الله ودليل ما وعدوا به قوله تعالى : « والقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله » [المائدة : ٦٤] .

وأمرنا أن نقاتلهم وتوفرت الأسباب - على نحو عرضناه - لمعذبهم ويخزيهم ووعدنا بالنصر بقوله تعالى :

« قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين » [التوبة : ١٤] .

وقوله : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير » [الحج : ٣٩] .

وقوله : « وكان حقاً علينا نصر المؤمنين » [الروم : ٤٧] « أن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده » [آل عمران : ١٦٠] .

« وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم » [آل عمران : ١٢٦] .

ولكن النصر مشروط لقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا

أن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » [محمد : ٧]

وأكد ذلك بقوله : « ولننصرن الله من ينصره إن الله قوي عزيز . الذين أن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الأمور » [الحج : ٤٠ - ٤١] .

الا أن الأمر لا يصلح إلا بما صلح به أوله على أن ينصرتنا والله على نصرتنا قدير .

فالجبن لا يظلم إلا الجبل المكتوب والشجاعة لا تنقصه ومادام قد تساوى من يقتل أو يغلب وكلاهما سوف يؤتى أجراً عظيماً على نحو ما تقدمناه في التوعية فلا وجه إذا للجبن خشية الموت وذلك لقوله تعالى : « وما كان لنفتي أن تبوء إلا باذن الله ! » [آل عمران : ١٤٥] . والأجل موقوف سواء أكان في الميدان أم في غيره من الأماكن لقوله تعالى :

« أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة » [النساء : ٧٨] .

ومن خافوا القتل في المعركة وقالوا « لو كان لنا من الأمر شيء ماقتلنا هاهنا » كان جوابهم قوله تعالى « قل لو كنتم في

بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتال إلى مصاجعهم » [آل عمران : ١٥٤] .

ومن جنّبوا وقصدوا عن الجهاد فلما سمعوا يقتل إخوانهم قالوا : « لو أطاعونا ماقتلوا » أمر الرسول بأن يرد عليهم

قائلاً : « فادعوا عن أنفسكم الموت أن كنتم صادقين » [آل عمران : ١٦٨] .

هذا أن كان سبب الجبن خشية الموت ، فإن كان سببه

وسوسة الشيطان وخشية إملاق الأهل والأولاد أن هو خرج إلى الجهاد فقد نبه تعالى إلى أن أمر الرزق في السلم والحرب

سواء « وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها » [هود : ٦] وقال : « ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما

يمسك فلا يرسل له من بعده » [فاطر : ٢] وقد قدمنا

[في عدد ربيع الأول] أن سارت السنة على أن « أيكم خلف الخارج في أهله وماله بخير كان له نصف أجر الخارج » [سنن أبي داود ج ١٢/٢] .

ومن ثم فلا وجه للجبن إذا أبا كان سببه ولهذا نهى عن

الوهن لقوله تعالى : « ولا تنهوا في ابتغاء القوم أن تكونوا

تألون فأنهم يألون كما تألون وترجون من الله ألا يرحبون » [النساء : ١٠٤] فنحن نرجو النصر والأجر العظيم ولهم الفلّة

والمسكة والهزيمة أن شاء الله .

٧ - وأوجب الصبر : وهو ضرورة حتمية وقد قدمنا ماكان

من الرئيس السادات « أن ستكون المعركة طويلة ومبرقوتولكنها

قدر الإحراز أوجبته لأن الجهاد ابتلاء واختبار وعدنا فيه بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والانس ولكن مقابل النصر

والأجر العظيم متى كنا من الصابرين ودليل ذلك قوله تعالى :

« ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والانس والتبهرات وبشر الصابرين الذين إذا أصابهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم

ورحمة وأولئك هم المتهدون » . [البقرة : ١٥٥ - ١٥٧]

والصبر من أشد الأمور وأصلبها لقوله تعالى : « وأن تصبروا

وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور » [آل عمران : ١٨٦] لهذا

أمر به بقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا

ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » [آل عمران : ٢٠٠] .

أوصى بالصبر وعدم اليأس وانتظار الفرج ورجاء الفلاح وأوجه

لقوله : « إنه لا يأس من روح الله إلا القوم الكافرون » [يوسف : ٨٧] .

فإن صبرنا كان الله معنا لقوله تعالى :

« واصبروا إن الله مع الصابرين » [الأنفال : ٤٦] . فمن

المسلم به أن المجاهد قد ذهب ليلاقى الشدائد والأهوال وكان

لابد من قوة الاحتمال .

فإن صبرنا وكان الله معنا غلبنا الضعف لقوله تعالى :

« فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف

يغلبوا الفين باذن الله والله مع الصابرين » [الأنفال : ٦٦]

تلك أهم القواعد العامة التي أوردتها القرآن الكريم وأقام

عليها النظام وقد عرضنا لعدد آخر منها عندما عرضنا لتنفيذ

الفريضة وأوضاعه [في عدد صفر ص ١٠٢ و ١٠٤] وغير هذه

وتلك الكثير مما أوردته القرآن الكريم وبينته السنة ولا يتسع

له المقام .



سماحة الأستاذ ميشال الطريزي الصني

تنقذ المرأة والجهاد في الإسلام

- ٢٢ -

٤- ومنهن أم سليط رضى الله عنها :

كانت من نساء الانصار ، قامت في غزوة أحد حول ميدان الجهاد بإيصال المياه الى صفوف المجاهدين ، ولما كان عمر بن الخطاب في عهد خلافته يقسم البسة من الصوف بين نساء المدينة ، وقد وصلت الى بيت مال المسلمين من الغنائم ، وبقي عنده لباس جيد ، قال له بعض أصحابه اعط هذا لام كلثوم بنت ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال عمر : « ان أم سليم أحق به فانها كانت تزفر لنا القرب يوم أحد » (ص ٧٥ ج ٨ شرح القسطلاني على صحيح البخاري) .

أقول : قوله « ابنة رسول الله » يريد الراوى بها حفيدة الرسول صلى الله عليه وسلم من كريمته فاطمة رضى الله عنها ، زوجة على بن أبى طالب كرم الله وجهه . هذا ما قاله بعض شراح الحديث . وربما أراد الراوى أم كلثوم بنت رسول الله زوجة عثمان بن عفان رضى الله عنهما .

ولا يخفى ما فى هذا الاختيار من عدالة عمر رضى الله عنه وتقديره لخدمة أم سليط وحسن سياسته ، مما يحق أن يكون أسوة حسنة لقواد المسلمين وساستهم .

٥- ومنهن أم عمارة نسيبة بنت كعب الانصارى رضى الله عنها :

فانها جاءت الى الخليفة الاول ابى بكر الصديق حينما جهز جيشا بقيادة خالد بن الوليد رضى الله عنه ، وذلك لقتال مسيلمة الكذاب بادعاء النبوة .

انها جاءت وطلبت أن يجيز لها الدخول فى صف الجيش الاسلامى ضد مسيلمة ، فأجاز لها ، فدخلت فى صف المقاتلين ، ولما اشتدت الحرب ترقبت حتى حملت على مسيلمة لقتله ، ولكن حال دونه بعض رجال مسيلمة وقطع يدها ، فلم تعبأ أم عمارة به وحملت حملة ثانية على مسيلمة ، وحينئذ لك رأت ابنها عبد الله بن زيد قد كفاهما بقتل عدوها .

وروى محمد بن يحيى بن حبان وقال : ان أم عمارة كانت فى حرب يمامة (يعنى حرب مسيلمة) وقد جرحت إحدى عشرة مرة ، وذلك بالسيف والنبال والرمح ، وقطعت يدها ، ومع هذا كانت ثابتة فى المعركة الى ختام الحرب ، وكانت ذات احترام فريدا لدى خالد بن الوليد قائد تلك الحرب ، يقدرها ويحترمها المسلمون جميعا حتى أنها لما عادت الى المدينة وأصبحت تحت المداواة ، كان خليفة المسلمين أبو بكر رضى الله عنه يحضر عندها ويعودها شخصيا . (ص ١٨ - ١٩ ج ١ من الفتوحات الاسلامية) .

ومما يذكر هنا : ان مسيلمة الكذاب (قبل قتال خالد بن الوليد ضده) وجد فرصة على حبيب بن زيد وهو ابن أم عمارة (المجاهدة المذكورة) فقال له : هل تشهد أنى رسول الله ؟ فقال حبيب لا أسمع ! فقال مسيلمة : هل تشهد أن محمدا رسول الله ؟ فقال حبيب : نعم ! فأمر مسيلمة بقتل حبيب ، فكان رجاله يقطعون جسمه عضوا عضوا ، فى كل مرة يعرضون عليه هذين السؤالين قبل القطع ، ولكن حبيبا يجيب للسؤال الاول بالصمم ، وللسؤال الثانى بنعم ! (هذا) ما استفاد من الصفحة ١٨ ج ١ من الفتوحات الاسلامية)

أقول : فكان حبيبا رضى الله عنه كان يتسلل بقوله الشاعر :

اصم عن الشيء الذى لا اريده

وأسمع خلق الله حين أريد

٦- ومنهن هند ومن حولها من النساء رضى الله عنهن :

ويستفاد من الفتوحات الاسلامية أيضا : أنه لما تأخر رجال فرسان الجيش الاسلامى فى وقعة يرموك (وفيهم أبو سفيان) الى الوراء وجاءوا الى نساء المسلمين وهن وراء الصفوف (وفيهن هند زوجة ابى سفيان) فعلمن أن هؤلاء الرجال انما هربوا من صف القتال ، ولهذا فأنهن قلن بصوت جهورى :

« أيها الرجال أين تذهبون وأنتم تهربون ؟ وإلى أي جهة من جهة الله تعالى تنزلون ؟ أن الله مطلع على أحوالكم فاتقوه ! ثم إن هنذا زوجة أبي سفيان أخذت عمود خيمة وضربت به على رأس فرس زوجها ، وقالت : يا ابن صخر ! ارجع إلى محاربة العدو هوريا ، واجعل نفسك فداء في سبيل الحصول على رضاء الله تعالى حتى يغفر الله لك ذنوبك التي سبقت منك ، واذكر تلك الأيام التي كنت تحرض الناس فيها على خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم وتساعد الكفار والمشركين في محاربته !

٧- ومنهن زرة بنت حارث رضي الله عنها :

لما رجع خالد بن الوليد في غزوة يرموك عن الحملة على العدو . نزلت زرة بنت حارث من تل كانت عليه إلى خالد وقالت له : يا خالد انك من شجعان العرب ومن عظمائهم وطبيعي أن الناس يتبعون في ميدان الحرب أميرهم على الجيش ، بحيث إذا ثبت هو يثبتون . فأجابها خالد وهو يقول : إن كلامك صحيح ، ولكنني لم أكن من الهاربين ، ولم تتغير حالتي في أي وقت من الأوقات ، وحاربت جيش الروم إلى آخر الحال .

٨ - ومنهن خولة بنت أزور [اخت ضرار بن أزور] رضي الله عنها :

فإنها لما رأت في هذه الغزوة عددا من نساء المسلمين انصرفن عن الحملة في معية الجيش على العدو قصدت هي (ومن حولها من النساء كأم حكيم بنت حارث ، وسلمى بنت لؤي) إلى أعمدة الخيام وضربن بها تلك النساء ، وقلن لهن أخرجن من بيننا فإنكن تسبئن سمعتنا !

وفي نتيجة ذلك فإن تلك النساء قد قدمن على ما فعلن واعتدرن ، ورجعن إلى الصف وقاتلن قتالا شديدا .

٩ - ومنهن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها :

فإنها في هذه الغزوة مالت بفرسها إلى جانب فرس زوجها زبير بن العوام رضي الله عنه ، ووقفت في صف الفرسان تقاتل جيش العدو ، بحيث لم تكن أقل شجاعة من زوجها في استعمال السيف والضرب به على أعناق الكفار ، فكانت شجاعة أسماء ومن معها من النساء المجاهدات تشجع الرجال للثبات في القتال ، وفي نتيجة ذلك فإن الجيش الإسلامي (وعددهم لم يكن فوق ستة وأربعين ألفا) غلبوا جيش روم العظم (وعددهم كان يبلغ إلى مائتين وأربعين ألفا) وانتهى قتالهم بفتح يرموك . (ص ٨١ ج ٢ - ابن الأثير) .

١٠ - ومنهن أم حرام بنت ملحان رضي الله عنها :

فإنها كانت (وهي زوجة الصحابي العظيم عبادة ابن الصامت) في غزوة قبرص وفتحها بالأسطول الإسلامي تلك الغزوة التي قادها معاوية ابن أبي

سفيان وإلى الشام سنة ١٨هـ في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه . وكان في هذه الغزوة بمعية معاوية أمثال أبي ذر الغفاري وعبادة ابن الصامت من كبار الصحابة أيضا . وتوفيت أم حرام في جزيرة قبرص بعد فتحها (صفحة ١٧٤ ج ١ من الفتوحات الإسلامية) .

ومما يذكر هنا : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد دعا لأم حرام (اجابة لطلبها) أن يجعلها الله من غزاة البحر ، كما يستفاد من رواية الامام مسلم في صحيحه .

١١ - ومنهن بكارة الهلالية رضي الله عنها :

إنها كانت بمعية على بن أبي طالب رضي الله عنه في وقعة صفين ، وعلاوة على شجاعتها المعروفة بها كانت صاحبة لسان فصيح في الشعر والنثر ، ولها كلمات حماسية ألقتها في تلك المعركة حرضت وجلبت بها اسامعين نحو التضحية والتفاني في محاربة الامويين .

وقد أنشأت بكارة الهلالية أشعارا في الطعن على الامويين ، ومن مقالها بعد ما استندت الخلافة لمعاوية :

قد كنت أطمع أن أموت فلا أرى

فوق المنابر من أمية خاطبا

فأله آخر مدتي فتطاولت

حتى رأيت من الزمان عجائبا

في كل يوم للزمان خطيبهم

بين الجميع لآل أحمد عائيا (الصفحة ١٧٤ ج ١ من الفتوحات الإسلامية) .

ومما يذكره التاريخ أن بكارة الهلالية صادفت (لبعض الأسباب) مجلس معاوية ، فذكر أحد رجاله شعرها الذي سبقت روايته ، فلم تذكره بكارة وقالت : بل قلت أكثر من ذلك ، وهذا لا يمنعني من برك ،

فقال معاوية لها « هل لك حاجة ؟ » قالت : ليست لي إلا حاجة ، وكان ذلك عند كبر سنها .

١٢ - ومنهن زرقاء بنت عدى بن قيس الهمدانية :

فإنها كانت من تلك النساء اللاتي قاتلن في وقعة صفين ضد الامويين . وكانت زرقاء أيضا (مثل صاحبيتها بكارة) تملك البلاغة في اللسان ، والبسالة في الميدان . تحرض رجال قومها بخطبها البليغة نحو القتال ، ومن شجاعتها أنها اعترفت أيضا بما قالت ضد معاوية حينما لاقت بطلب منه في عهد خلافته .

هذه هي المرأة والجهاد في الاسلام ، وهذه هي خصال أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وهذه هي النساء المسلمين في عهده النبوي ، وهذه هي النساء المسلمات في عهود الخلفاء رضي الله عنهم أجمعين .

فقد كن رضي الله عنهن يساعدن المجاهدين ، بما في وسعهن من إيصال الطعام والماء ومداداة الجرحى ، ويساهمن المقاتلين ، في ميادين الجهاد ضد الكفار والمشركين ، وقد تركن في صفحات التاريخ ما فيه من العبرة للمتذكرين والمتذكرات ، ومن العظة للمستمعين والمستمعات ، رضي الله عنهن :

للبحث صلة

يُحْنِ الوَحْدَةَ

قَصِيْلَةُ الشَّيْخِ مَعْرُوفٍ عَوْضٍ الرَّحْمَنِي

إبقاء عليهم ، وإنجاء من الأذى الذي كانوا يلاقونه لأنهم رفضوا العبودية لغير الله ، وكان أبو بكر ينفق الكثير من ماله في هذه السبيل ، ثم يعتق هؤلاء الذين اشتراهم ، ويوم لام أبابكر أبوه لأنه لا يشتري الاتوياء الذين يقدون ويروحون بتجارته ، ويعملون في نماء ثروته ، قال لابييه :

« انى لا اشتريهم لنفسي ، ولكنى اشتريهم لله ! »
وكان عمر رضوان الله عليه يقول : « أبوبكر سيدنا واعتق سيدنا » أى بللا رضى الله عنه ...

... ودعا الرسول صلوات الله عليه المهاجرين أن يتأخروا في الله اخوين اخوين ، وأتبع القول بالعمل ، وأخى بينهم بنفسه ، فلما استقر بهم المقام في دار الهجرة وجدوا أهلا بأهل واخوانا باخوان ، وأخى الرسول صلوات الله عليه بين الأوس والخزرج بعد أن هداهم الله للإيمان ، وأعزهم بالاسلام وصاروا بذلك انصار الله وانصار رسوله ، ثم أخى بينهم وبين المهاجرين الذين وجدوا في الانصار كما قال تعالى : « يحبون من هاجر اليهم ولا يحبون في صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون » . الحشر

... وكانت غزوات الاسلام جلاء لهذه الوحدة وذلك الاخاء الذي ربي عليه النبي صلوات الله عليه اصحابه ، ولقد احفظ اليهود ان يروا الايام تزيد المسلمين وحدة ومودة وتعاونوا على البر والتقوى ، فراحوا يوغرون صدور بعض الانصار على بعض ويوقعون مرة أخرى بينهم وبين المهاجرين ، ولم يفيض

وحدة الكلمة واستقامة صف الامة وسعيها على قلب رجل واحد لا يختلف ، يستهدف الخير العام ومصلحة الجماعة ، ولا ينحرف قيد شعرة لهوى خاص ، ولا لحساب فرد ، هي اسلوب الاسلام ووسائله كي تكون امته « خير امة اخرجت للناس » قال تعالى : « وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » .

ولقد ربي النبي صلوات الله عليه امته منذ اول يوم من ايام الدعوة على وحدة الكلمة ودعم صف الامة ، بالتأخي الصادق الذي يسترخص المسلمون فيه روابط اللحم والدم ، وصلات الابوة والنبوة والاخوة قال تعالى :

« انما المؤمنون اخوة . . . » الحجرات :
وقال : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله اولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم » . التوبة

وكان المسلمون افرادا وجماعات يحرصون على ان يكونوا كما ارادهم الله بقوله :

« يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير » . الحجرات

فتواسوا في مكة وعاد غنيهم على فقيرهم بفضل ماله وزاده ، وكان رجل كابي بكر رضوان الله عليه يشتري المستضعفين من المؤمنين من ساداتهم المشركين

أحد كان الفضل بعد الظفر أول الأمر وصدق الله العظيم وهو يواسي المؤمنين بقوله :

« ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم — تقتلونهم — بأذنه حتى إذا فُتِلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتهم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين » آل عمران .

وما أكرم ربنا وأحلمه أنه يقول للمؤمنين هنا « ولقد عفا عنكم » بعد أن قال لهم من قبل « إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون » آل عمران .

وخفف مواجههم ، وكففت — سبحانه — مدايهم بقوله « ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون أن كنتم مؤمنين أن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس » آل عمران .

لينفض المؤمنون مسرعين غبار الفضل ، ويبادروا إلى استئناف الجهاد .. خير عمل .. في الطريق إلى النصر الذي كتبه الله للمؤمنين ، وليبرز .. جلّت آلاؤه .. الدرس النافع للمؤمنين ، فلا يهلكهم ما ينوب من الخطوب ، ولا يتعدهم عن أخذ زمام المبادرة ما يكرهون من إحراز عدوهم جولة في غفلة الزمن ، لا يلبثون بعدها إلا أن يديروا — بالآيمان والوحدة وصدق اللقاء في جهاد الأعداء ... وجه التاريخ إلى الحق .. ولقد كانت غزوة حمرات الاسد وجراح المسلمين لم تتدمل بعد ، ودمائهم لم تجف ، وغبار القبور التي غيبوا فيها شهداءهم ما تزال على أيديهم .. كانت غزوة حمرات الاسد شاهدة لا يرد على يمين الوحدة وطالع ساعد الطاعة لله ورسوله ، فقد ولت قريش الأدبار وكانت تفكر في أن تباعد المؤمنين مع نبهم في المدينة وهم يعالجون الاسي والالام ويكرعون منهما أوفى جام ، وشمر المؤمنون امام قرار قريش بنشوة الانتصار ، ومدحهم الله واثني عليهم في محكم كتابه فقال « الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم ، الذين قال لهم الناس — رسل قريش — أن الناس — قريشا — قد جمعوا لكم ، فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم » آل عمران .

فهل نجرب كيف نتفياً ظلال الوحدة ؟ ونغمدو ونروح في رحابها الأمانة ، موقنين أن كل خير أدركناه يوماً من الأيام أنها كانت الوحدة سبيله ومآته ؟

الرسول صلوات الله عليه شتياً بقضه لدواعي الفرقة والانقسام التي كانت تصيب أصحابه في لحظات يسيرة ، لا يلبثون بعدها إلا أن يعودوا إلى رحاب الأخوة والوحدة ، ويطرحوا وراء الظهور ودبر الأذان الدنيا المؤثرة ، حين يبتدر اليهم النبي صلوات الله عليه ، فيذكرهم بالاسلام الذي جمعهم الله به من فرقة وكثرهم من قلة وأعزهم من ذلة ، وهداهم من ضلالة وعليهم من جهالة ، ونوه كتابه الباقي بشرهم فقال :

« لقد أنزلنا اليكم كتاباً فيه ذكركم أفلا تعقلون » الانبياء .

وقال تعالى « واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فأوآكم وأيدكم بنصره ووزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون » . الانفال

— لقد تطاوع المسلمون وكانوا حول رسول الله صلوات الله عليه كالحلقة المفرغة والهالة تكلاً القبر من شتى جوانبه وكانوا في ذات انفسهم كالبنيان المرموص في سلمهم وحريهم ، وكها وصفهم الصادق الصدوق صلوات الله عليه « كالجسد الواحد إذا اشتكى بعضه اشتكى كله » و « كالبدن تغسل أحدهما الآخرى » ، والنبي يتعاقد منهم هذا الترابط فيروى نبتته التي تنمو على الأيام وتقوى حتى ضرب الله بهم المثل فقال عز من قائل « أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه » « صفاره وأولاده » فأزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار » الفتح .

إلا تراهم مسرعين خفاً إلى سرايا الرسول وبعوثه وإلى الجهاد صفاء لا شفرة فيه لغامز الأهواء ، ومظاهر الحرص على البقاء في بدر حتى جاءهم النصر الذي يسره الله وقال فيه :

« إذ يوحى ربك إلى الملائكة أني معكم ففتتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان » الانفال

وجدير بوحدة الكلمة واستقامة الصف أن يستنزل معية الله وجهاد ملائكته لتحقيق الامال ، ويبلغ المنى الرجال ، ويمتن الله على المؤمنين حين يكونون هكذا في أي عصر وعلى أي أرض وتحت كل كوكب بها امتن على المؤمنين في بدر فقال :

« فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى وليبلى المؤمنين منه بلاء حسناً إن الله سميع عليم ، ذلكم وأن الله موهن كيد الكافرين » الانفال — ويوم خالف الرماة عن أمر رسول الله في



وأن كل شر حاق ، ومكروه ألم انما كان تبدد الشمل ،
وتفرق الراى وانقسامنا شيعا وشعوبا ، هو سببه
ودواعيه ، ونعوذ بالله من أن تضربنا الالهواء فتمزق
الصف الذى تركنا عليه رسول الله وهو يستجيب
نداء ربه ، والذى دعمه وحماه من بعده الراشدون
والولاة الصالحون حتى قال رجل كهارون الرشيد وهو
فى بغداد للسحابة « امطرى فى اى واد شئت فان
خارجي سيصل الينا » لقد كانت بلاد الاسلام بلدا
واحدا يتقاسم خير الله ، ويهتدى بهداه ! !

— وكان رجل كالامام محمود نور الدين زنكى يتألم
وهو فى احدى جولاته على حدود تركيا وسورية
فى « تل حارم » حين بلغه ان الصليبيين قد اغاروا
على ثغر دمياط .

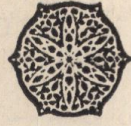
— وكان صلاح الدين الايوبى رضوان الله على
الجميع يسهر على حدود العالم الاسلامى ويرد عنه
وعن مقدسات الله فيه كل سوء ، ولقد أظفره الله
بالصليبيين فى مواقع من الخير يطول فيها
الحديث لتكون حافظا لمقاتلينا الاباة ، ومدعاة لمزيد من
ثقتهم فى نصر الله لاوليائه .

— ان اعلان قيام « اتحاد الجمهوريات العربية »
عمل جليل طابت به القلوب وقرت به الاعين وكان نفعا
شجيا فى الاذان ، وراحت السنة المؤمنين من بعده
تحمدا لله وتشكرا على نعمه نرجو ان يسارع الى
الانضواء تحت لوائها شعوب وامم حتى تتحقق الوحدة
الكبرى للامة التى يهتف بها كتابها الخالد فى يوم من
ايام الاسلام « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا
واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين
قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة
من النار فانقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم
تهتدون » « ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من
بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم »
آل عمران

— ويا أمم العروبة وشعوب الاسلام ، ان سبيل
النصر على الكفر بمختلف الوانه وعلى الاستعمار
بشتى صوره ، وعلى العدوان الجاثم فى فلسطين
ومقدسات العرب والمسلمين وبعض ديارنا أن
نعى مثل قول رسول الله صلوات الله عليه .

— يد الله مع الجماعة ومن شذ شذ فى النار .

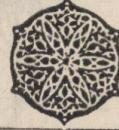
— وقوله « ان الشيطان مع الواحد وهو من
الاثنين أبعد »



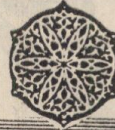
الوحدة العربية كامنة في روح كل عربي فانه يشعر بها دون أن يفكر فيها وهو يشعر بها عندما يسافر الى اى بلد عربية فلا يفقد الاحساس بأنه ترك بلده وتستمد الوحدة أصولها من اللغة العربية وهى وسيلة التعبير عن الفكر والعاطفة بصرف النظر عن الاختلاف في اللهجات ذلك الى أن النفوذ الروحي للقرآن الكريم وهو باللغة العربية الفصحى يربط بين جميع العرب ويوجههم جميعا نحو وجهات واحدة ولما كانت أغلبية العرب مسلمين فانهم يتلون القرآن في صلواتهم ويقرأون تفسيره وبذلك يكونون على اتصال دائم باللغة العربية الفصحى وبفضل القرآن الكريم الذى بقى سليما لم يتغير من وقت نزوله للأن « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » وبفضل الادب والشعر العربى بقيت اللغة الفصحى سالمة من طغيان اللهجات المحلية عليها .

وكانت ترجمة الانجيل والوصايا القديمة الى اللغة العربية الفصحى الوسيلة لاثام العرب المسيحيين باللغة العربية ودوام اتصالهم بها . وتستمد الوحدة كذلك قوتها من التاريخ بما يقدم من وحدة في الذكريات والاحداث والفكر والعاطفة وليس تاريخ العرب بالمتراعى في القدم فهم يعيشون فيه وفي ماضيهم الباهر وعلى وعى تام بما حل بهم من مصائب وبتنبههم لها ونهوضهم لاستعادة مجدهم يحسدوهم الامل في المستقبل . ان اكبر دليل على كفاية العرب وقدرة ملكاتهم ان كثيرا من افعالهم لا يزال باقيا . انهم لم يقتصرروا على فتح البلاد ولكنهم اغروا من غلبوهم على تقليدهم واقتباس دينهم ولغتهم وعاداتهم وافكارهم وكان تأثير العرب في ذلك بالغا الى حد أن من خلف العرب في الحكم لم يستطيعوا برغم ما بذلوا من جهود أن يستأصلوا آثارهم أو أن يغيروا ما فعلوه فحيث وضع العربى يده في سوريا والعراق ومصر

الوحدة



العربية



المستشار
مصطفى فاضل

وشمالى أفريقيا لا تزال آثاره باقية لأن برغم الجهود الفاشلة التي بذلتها الدول الاستعمارية لمحوها ، صحيح أن البلاد الأوربية التي فتحها العرب لم يعد لهم اثر فيها ولكن ذلك كان لسبب اضطهاد جماعى خال من وازع الضمير - لم تعد طيبة والاعريق وبابلون وفارس وبومباى سوى ذكريات ولكن دمشق ومكة والمدينة والقاهرة وتونس ومراكش وطرابلس بقيت زاخرة بالحياة الى اليوم تعكس نفوذها فى كافة أرجاء الشرق الاوسط .

ودين الاسلام باعتباره دين أغلبية العرب هو موثق الوحده بينهم جميعا لأنه ليس ديناً فحسب ولكنه دين ودنيا يلم بكافة اطراف الحياة وليس به تمييز بين ما هو دينى وزمنى ، والعرب يعيشون فى مجالات تعاملهم الاجتماعية والثقافية مع اكان من شأنه توحيد طرق تفكيرهم وثقافتهم وتصرفاتهم وأحوالهم ونظمهم الاجتماعية والإسرية .

وأصبحت الاقليات بمرور الزمن تتكلم العربية ودخلت فى محيط الثقافة العربية وأصبحت بمرور الزمن عربية بما فى ذلك المارونيين فانهم يتحدثون بالعربية وكان من بينهم رواد عملوا على احياء اللغة العربية والثقافة العربية وعندما فتح العرب سوريا والعراق كان يسكنها اناس من ملل وقوميات مختلفة يتحدثون بلغات مختلفة ولكن هذه الاقليات استعربت بمرور الزمن وتزاوج أفرادها مع العرب وأسلم معظمهم وضاعت جنسياتهم الأصلية وصاروا عرباً .

كل هذه العوامل كان من شأنها أن تجعل العرب أمة واحدة ولكن الاستعمار الغربى بدأ فى محاربة الوحدة العربية بدأ الغربيون فى تقسيم البلاد العربية وتطعيم أوصالها ومثال ذلك أن بريطانيا أنشأت فى الجنوب الشرقى لشبه الجزيرة العربية أكثر من ثلاثين ولاية مستقلة رغم أن عدد سكانها جميعا لم يكن يزيد على النصف مليون ثم عمدت الى الدس بين الاقليات والاغلبية وإيهام الاقليات بانها الحامية لها كما عمدت الى توسيع الهوة بينها وبين باقى المواطنين وبذر بذور الفتنة والاحقاد والتعصب الدينى . وفى الجزائر اعتبر الفرنسيون اللغة العامية المحلية لغة أصلية وذلك للنيل من اللغة العربية الفصحى وأوغلوا فى ذلك الى حد أن وفدا من الجزائريين حضر الى مصر أيام الثورة الجزائرية فلم يستطع أفرادهم التفاهم مع المصريين بلغتهم العامية لأن المصريين لا يفهمونها كما لم يستطيعوا التفاهم باللغة العربية الفصحى لأنهم لم

يدرسوها وكانت وسيلة التفاهم هى اللغة الفرنسية . وفصل الفرنسيون لبنان عن سوريا كما فصلوا عنها فلسطين وسلموا اسكندرون للترك وفصل البريطانيون السودان عن مصر وعملوا جميعا على وقف تدريس الدين والثقافة الاسلامية واللغة العربية وجعلوا دراسة لغاتهم وثقافتهم اجبارية ولو نجح الفرنسيون فى اضعاف الدين كما نجحوا فى اضعاف اللغة العربية لما وجدوا صعوبة فى فرنسة الجزائر والمغرب وتونس وقد هاجر من الفرنسيين الى هذه البلاد مئات الالوف وفيهم قال الجنرال جيوم المقيم الفرنسى الاسبق فى شمالى أفريقيا « مع أن الاوروبيين يمثلون ٥ فى المائة من السكان الا أن لهم الاغلبية بين الموظفين والصناع الفنيين وتبلغ الضرائب المقررة على أوجه نشاطهم نصف إيراد الدولة ولا تسمح لهم مكائتهم الاقتصادية فى البلاد أن يقبلوا أن يعتبروا أقلية سياسية » .

لقد نزل الغرب على العرب بقوة طاحنة يحمل معه ثقافته وحضارته وعلومه وقيمه الاخلاقية وتسلمه السياسى والاقتصادى والحربى ومبشره فآخذت العرب الدهشة لما شاهدوا من اتساع الهوة بينهم وبينه لأنهم بقوا جامدين فى حين أنه تحرك وتقدم فكان عليهم أن يتأملوا فى اسباب تأخرهم وتخلّفهم .

وكان من آثار تقسيم الغرب للبلاد العربية آثار مدمرة فى اقتصادياته التى كانت من قبل موحدة .

وفى نهاية الحرب العالمية الاولى اصدر الرئيس الأمريكى ويلسون تصريحات هامة تتضمن ١٤ نقطة تكفل لكل البلاد تمام الحرية والاستقلال وفى نهاية الحرب العالمية الثانية اصدر الغرب تصريحات تكفل لكل البلاد الديمقراطية والعدالة الاجتماعية وحق تقرير المصير وترتب على ذلك كله تنبه الوعى العربى الذى كان قد بدا ينفخ عنه غبار النوم الطويل الى ما اصبح عليه حال العرب من ضعف وتفكك تحت السيطرة الغربية وكيف أن الاستعمار الغربى ضرب صفحا عن هذه التصريحات واساء تطبيقها فكان ذلك مضافا الى انشاء دولة اسرائيل بمثابة خنجر فى قلب الدول العربية يفصل الشرق فيها عن الغرب اكبر منبه للعرب للتأمل فى حالهم .

وأخيرا استقلت الدول العربية ولكن بقيت فيها نتيجة للاستعمار والحكم الاجنبى الطويل آثار منها عدم وجود رأى عام عربى قوى متحضر من الجهل والفساد ولم بحقوقه وكرامته

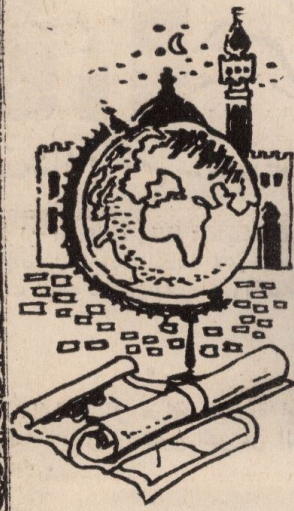
السياسة الخارجية وينظم مسائل السلم والحرب والدفاع ويحمي الأمن القومي ويخطط للاقتصاد والتعليم والاعلام والبحث العلمي ويكون مجلس رئاسة الاتحاد هو السلطة العليا فيه ويكون به وزراء للاتحاد ومجلس أمة ومحكمة دستورية اتحادية وقد حدد الرؤساء ميعاد الاستفتاء على إقامة هذا الاتحاد يوم التاسع من سبتمبر القادم ولن يقتصر الاتحاد على هذه الدول الثلاث بل ستنضم اليه دول أخرى وعند ذلك تتم الوحدة العربية مصداقاً لقوله [أن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون] • وتختفي التناقضات الموجودة الآن ففي حين نجد وفرة في المياه والخصب في بعض الدول العربية نجد الصحراء في البعض الآخر وفي حين نجد أجزاء منها عامرة بالسكان نجد أجزاء أخرى قليلة العمران وبها أراض شاسعة لا تجد من يستغلها وفي حين تجد بعضها فقيرة في الموارد تجد أخرى غنية بمنابع البترول وبالوحدة يتم التنسيق بين ذلك كله وتتوافر للعرب القوة والمنعة ويتحول العالم العربي إلى بلد كبير غني قوي متقدم فما حكم العرب العالم إلا بعد اتحادهم • • وتستند الحركة العربية نحو الوحدة على القومية العربية لا على الدين وحده وترمي إلى الأخذ بأسباب الحضارة الحديثة وعلومها على أساس أنها نتاج التقدم الذي أحرزه الغرب في الثقافة العربية التي ورثها عن العرب وكانت أساس نهضته •

وهذا الوجه العائس بدأ الآن في الاشتراق • إن عوامل الوحدة كاملة وأصيلة في حين أن معوقاتنا كانت طارئة • لقد زال الحكم الأجنبي وانتشر التعليم في كافة البلاد العربية وقامت جامعة الدول العربية بمجهودات كبيرة في تسهيل التقارب بين الدول العربية وتنسيق نشاطها السياسي بغرض إيجاد التعاون والتضامن بينها والمحافظة على استقلالها وسلامتها مع مراعاة المحافظة على كيان كل دولة ووضع الأحوال السائدة فيها موضع الاعتبار وذلك في الأمور المالية والاقتصادية بما فيها التجارة والعوائد الجمركية والعمل والزراعة والصناعة والمواصلات والبريد والبرق •

وبانتشار التعليم وسهولة المواصلات ووجود الإذاعة المرئية وغير المرئية أصبح من السهل تبادل الأفكار والآراء والتصريحات الخطابية التي تهدف إلى تنشيط الوعي العربي والثقافة العربية وتقديم القومية العربية وتحرير الوطن العربي من رواسب الجهل والتخلف • وبوجود البترول وزيادة الثروة القومية أصبح من السهل التغلب على الفقر والجهل كل ذلك يؤدي إلى إزالة العوائق فتتسطح عوامل الوحدة الكامنة وتؤتي ثمارها وظهرت بأكورة ذلك في مؤتمر الخرطوم ثم في ميثاق طرابلس الذي جمع بين سوريا ومصر وليبيا والسودان ثم في قيام دولة الوحدة الكبرى عندما أعلن الرؤساء الثلاثة السادات والقذافي والإسدي رسمياً قيام اتحاد الجمهوريات العربية بعاصمة واحدة وعلم واحد ونشيد واحد وشعار واحد لجمهوريات الاتحاد الثلاث وفيها يضع الاتحاد

من كلام الفلاسفة

قال فيلسوف : كما لا تشفق على عضو منك — أن وقع فيه شيء — من القطع مخافة أن يسرى بك كذلك لا ينبغي أن تشفق على اختلاف التعب والصبر في المكروه على إصلاح النفس •
وقال فيلسوف آخر : من التبيح أن تكون حاجة الإنسان إلى العقل أكثر من حاجته إلى المال •
وقال فيلسوف آخر : الحساد مناشير لأنفسهم وكان بعض الفلاسفة يقول :
استهينوا بالموت حتى يهون عليكم فراق الدنيا
وسئل فيلسوف أي الرسل أحرى بالنجاح ؟ فقال :
الذي له جمال وعقل



التاريخ الإسلامى

□ ١٤٣ □



الأستاذ قاسم غالب أحمد

١ - ان السكاتب والقارئ يستطيع كل واحد منهما ان يكون الرؤية الثقافية لاي شعب في فترة من فترات حياته - من المدرسة والمكتبة والمعيد .

٢ - قالوا ان اي حركة سياسية او علمية او اقتصادية لا يمكن ان تكون اكبر من العصر الذي عاشت فيه .

٣ - من القول الصحيح الذي رددته الاحصائيات التاريخية بان حركة الاستشراق قديمة عمرها لا يقل عن الف سنة - ولكنها وفي اليمن بالذات لم تبدأ الا في سنة ١٤٨٧ م

قال مؤلف كتاب اكتشاف جزيرة العرب لجاكولين بيرين الذي ترجمه قدرى قلمجي :

□ ١٤٤ □

والمستشرق يحمل وجهين وثلاثة وأكثر من ذلك فبينما هو على حد تعبيره يهتم بالدراسة العلمية والتاريخية اهتماما انسانيًا الا انه يهتم ايضا بالمسئولية التي من اجلها ارسل وفي سبيلها صرفت عليه الاموال - وكل ماتكونت عن المستشرق من فكرة قديما وحديثا عند الشعوب هي انه رسالة استعمارية قبل ان يكون رسالة علمية او دينية استطلاعية . كما كان للشركات التجارية دور آخر - اما الدور الثالث وهو دور الهواية الفردية وذلك قليل نادر فمن حق الباحث القريض في الحكم عليه .

ولكن الكل كان ينصب في مصب واحد يؤدي الغرض الذي تطلبه الدولة المساعدة او الهيئة او الشركة .

••• تربيته •••

ماهو الوسط الذي نشأ فيه

وقبل ان نقدم للقراء تاريخ ميلاد عامر ودولته نقدم نبذة من قول المستشرقين الذين يصفون فيها الواقع اليمني والاطماع البرتغالية وكذلك سنختم الكلمة بوصف المستشرق للحالة الاجتماعية .

ان هناك امرا لا يتسرب اليه الشك وهو ان الملك جان عاهل البرتغال كان قد ارسل الي شبه الجزيرة العربية سنة ١٤٨٧ م بدوردي كوفيلها الذي كان يتكلم العربية للتحقق من امكانية الذهاب الى الهند واستطرد في القول الى ان قال وكان الملاحون البرتغاليون قد توغلوا في رحلاتهم الاستكشافية طول ساحل افريقية الغربية الى درجة ان فاسكو دي غاما بين سنتي ١٤٩٧ و ١٤٩٩ في الدوران حول رأس الرجاء الصالح قال كانت سفن البرتغاليين تطوف المحيط ناشطة امام عدن في سنة ١٥٠٤ ولما نزل الرحالة دي فاريتما في عدن أيام الطاهريين وفي أيام عامر عبد الوهاب بالذات قوبل من الاهالي بالشك .

الاحساس الشعبي

قال المؤرخ وكان الناس يشعرون بخطين البرتغاليين لذلك لم يكذب أحد رفاق دي فاريتما لسوء طالعهم يتكلم مع اليمنيين حتى يتلقى الشتم منهم وكان يسمعونهم يقولون نصراني يتجسس لحساب البرتغاليين الكفرة وهكذا يستطرد مؤلف القصة حتى حبس المستشرق دي فاريتما في عاصمة الطاهريين « المقرانه » الذي وصفها دي بقوله انها مدينة جميلة جدا واقعة على هضبة مرتفعة يصعد اليها في طريق لا يستطيع اثنان ان يسيرا فيها جنبا الى جنب هواؤها ممتاز ومعظم سكانها من البيض وهي تنتج كثيرا من المحاصيل الغذائية

وتكثر فيها مياه الصهاريج أى السدود الصغيرة .

وفى هذا المكان الاستراتيجى الرائع يخفى السلطان كنزه من الذهب ذلك الكنز الذى يعجز أكثر من مائة جبل عن حمله كما وصف فارينما أسوار صنعا الفخمة ووفرة ثمارها وكثرة ينابيعها وكرومها .

أما مدينة تعز فقد وصفها بالقدم فى المباني وشبه مسجدها [ونعتقد ان هذا المسجد هو مسجد المظفر] بكنيسة السيدة مريم المستديرة فى روما كما وصف قصور تعز الرائعة .

وكان آخر ماقاله عن الصناعة المنتشرة فى مدينة تعز انها صناعة ماء الورد الذى تصدر منه كميات وفيرة الى الاسواق المحلية والخارج .

وشمل وصفه مدينة زبيد فقال عنها انها تقع على بعد مسيرة نصف يوم من البحر الاحمر وقال عنها انها مدينة تجارية ممتازة يباع فيها كميات من السكر والفواكه .

ثم قال ريثمان ان تجارة جنوب الجزيرة مع الهند والحبشة وبلاد فارس ومصر فى نمو كما وصف اليمن بمنتجاتها من العطور وكذلك وصف حضرها وبأديتها وصفا يقارب الصحة .

واختتم المؤلف وصفه بقوله وفى الجملة ان القرن السادس عشر كان عصر السيادة البحرية البرتغالية على البحور الساحلية لشبه الجزيرة العربية .

عامر عبد الوهاب

ولد فى رمضان فى عام ٦٦ وبعد قيام الدولة الطاهرية بأعوام قليلة فنشأ محوطاً بابهة السلطان وعز الملك ولم يكن والده حينذاك بعيداً عن الاحداث بل كان من القادة الذين شاركوا فى تشييد الملك . وفى عام ٨٦٢ هـ استولى على عدة حصون للجيش فى الهجوم الذى شنه الامام الناصر بن محمد على بلاد بنى طاهر ووصل بجيوشه الى جانب رداع سنة ٨٦٤ هـ ودارت رحى الحرب بين الفريقين وسقط فى الموقعة عدد من القتلى من الجانبين وكان من بين القتلى الامير على بن مخارش الجوفى أشهر فارس للامام واتضح أنه سقط فى المعركة على يد الهمام الضرغام الامير عبد الوهاب ابن داود كما ذكره المؤرخ الربيع .

قال التاريخ وكان لثباته فى الدفاع اثر كبير فى الموقعة التى هزم فيها امام صنعا أيام الملك الظاهر سنة ٨٦٦ هـ كما تقدم .

ولما فتح الظاهر صنعا فى نفس العام كان عبد الوهاب والى الدولة الطاهرية عليها وقد قيل ان المنصور عبد الوهاب اثناء حكمه من سنة ٨٨٣ بـ ٨٩٤ هـ كان محدود الطموح ولكن الدور الذى أداه فى اخلاص والمعارك التى خاضها طوال حكم عمه الظاهر والمجاهد تشهد بشجاعته واقدامه وان الفترة الهادئة التى احاطت بالدولة فى عهدهى من الفترات الضرورية التى تستتبع مثل هذا الجهاد الطويل .

واذا فقد ورث ولده الناصر عامر عنه شجاعته واقدامه وقد احاط الوالد هذه الصفة بالرعاية والتوجيه والتدريب حتى اكتملت واصبحت شجاعة عامر بن عبد الوهاب مضرب الامثال .

تدريب عامر عبد الوهاب على الفروسية
يذكر التاريخ من ذلك ان المنصور اهدى لابنائه عامر سنة ٨٨٩ هـ فرساً مدرباً اكتملت تربيتة وتدريبه على يد سائسه وبعد أن سلمه لابنه ورأى



براعة ركوبه وتمارين القتال اقام وليمة عظيمة ونثر الدراهم والدنانير والثياب على المعسكر .

من كل هذا سنرى مدة حكم عامر عبد الوهاب كلها كفاح وعراك وان شجاعته كانت مصحوبة دائما بشهامة عالية وترفع رفيع عن صفائر الحقد والنشفي من الخصوم .

فكان اذا قدر عفا واذا انتصر ائتم على الخصوم والاعداء مما ارتفع به الى مكانة عالية ومنزلة سامية عند الاصدقاء والاعداء .

نشأة عامر عبد الوهاب

وهكذا نشأ عامر بن عبد الوهاب في طفولته في ظل شخصية ابيه تلك الشخصية القديرة التي تحدثنا عنها من قبل وفي ظل عدل المجاهد وعلمه وتقواه وحبهِ للعلماء وانصافه للرعية .

ثم في فترة الاستقرار النسبي الذي وفرها والده فأتاحت له هذه الفرصة الدرس والتحصيل كأمير أعد للحكم وفي ظل دولة تقدر العلم وترعى العلماء وتبنى المدارس وتشيد المساجد وتتفق في سخاء على طلبية العلم وشيوخه فهو لاشك قد تتلمذ على جملة من هؤلاء العلماء واخذ من موارد العلم ما اهله للدور الذي لعبه بعد ذلك وعمق في نفسه الميل الى تقدير العلم والعمل على نشره بشتى الوسائل .

اعمال عامر ايام ابيه

ذكر المؤرخون أن والده في نهاية حكمه سنة ٨٩٤ هـ امره على جيش كبير لجباية الخراج من الجهات الشامية فنجح في مهمته أي نجاح وعاد الى زبيد بمال وخيل كثير وأثناء اقامته في زبيد أمر القضاة والعلماء بعمارة المساجد والمدارس بعد أن رسم لهم طريقة عمارتها ومدّهم بالمال اللازم لها . ولا شك أن أمراء الدولة الطاهرية كانوا يعنون بالعلم والتعليم عناية كبيرة فقد كانت المسدّن في الجنوب تزخر بالعلماء وتفاخر بهم وكان هؤلاء العلماء يحرصون على اقتناء الكتب واستجلابها ويتسابقون في ذلك ويتنافسون على جمعها حتى ولو كانت هذه الكتب تخالف آراءهم المذهبية الأمر الذي حفظ للتراث اليمني كيانه - وقد تسرب أكثر هذا التراث بعد ذلك الى مكتبات الغرب والهند على يد المستشرقين .

فكل ما في المكتبات من مخطوطات في الخارج انما تسربت من الجنوب ، ودليل المؤرخ على ذلك بأن كتب المخالفين للإمامة في الشمال كانت تعمد كما تعمد الآثار وما نراه اليوم بعد بحث من أن

□ ١٤٦ □

كتب الهمداني من الاكليل وغيره وبقية كتاب شمس العلوم لنشوان الحميري وتاريخ دولة بنى يعفر ودولة بنى الضحك وبنى الدعام وبنى حاتم الياهم كل هذا لا يوجد له اثر في مدن الشمال الا ما بقى من بعض التسميات كبستان السلطان وروضة حاتم مع أن هذه الدول المشار اليها كان لها صولة وجولة في مقاومة الشيعة القرامطة والهادوية وكان لها آثار وحركة فكرية وعلمية دامت لعدة قرون .

الحركة العلمية

وليسست الحركة العلمية عند علماء اليمن غريبة وفي المقدمة الاسر المالكة فقد كان هؤلاء الملوك الذين بقيت بعض مؤلفاتهم مشهورين في الشعب اليمني كملوك الدولة الرسولية مثلاً فقد كانوا علماء يفاخرون بعلمهم بل انهم لم يكتفوا بدراسة العلوم وقراءة الكتب فقط بل شاركوا في تأليف الكتب في شتى المعارف ولا نبالغ اذا قلنا انهم طرّقوا باب التأليف في ميادين لم يكن من اليسير على كثير من العلماء التصدر للتأليف فيها .

كتب في الطب والزراعة والمعمار والتاريخ

فما نحن نرى ملوكهم يصنفون في الفلك والبيزرة والفلاحة والطب والتاريخ والفروسية وكثير من هذه الكتب موجودة في اعلامها بدار الكتب والبعض اليسير قد طبع والبعض الاخر بالمكتبات في لندن واطاليا والهند الى ان يأتي اليوم الذي يبعث فيها هذا التراث والمآثر .

ومن الطبيعي بعد هذا وقد قامت الدولة الطاهرية على انتقاض الدولة الرسولية ولا سيما وملوك بنى طاهر كانوا عمالا للاولى ساروا على نهجهم واتبعوا طريقهم فلا بد أن يهتموا بتثقيف أنفسهم حتى يكتسبوا احترام العامة وتقدير العلماء هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فقد كان التنافس الواضح بين ملوك الجنوب الذين يحافظون وحافظوا على مذهبهم السني وبين ائمة الشمال وهم يحاولون اقامة دولة هادوية وفرض مذهب شيعي على اليمن يتركز عليه الحكم

وكان هؤلاء الائمة فيما بينهم يختارون الامام منهم في الظاهر على أساس السمعة العلمية وعلى شروط قتلوها بحثاً وجعلت هذه الشروط من اصول الدين فكان التفوق العلمي المذهبي الهادوي الى جوار اعتبارات ورموز واصطلاحات هي الاساس .

فمن الطبيعي اذا في كل الامور أن يهتم ملوك الدولة الطاهرية بتدعيم شخصياتهم من الناحية

متسلم من غير اسلام

أما المستشرق لو دفيكودي فارتبها — فقد كان عندهم صادق الرواية الى حد ما وهو الذى سننقل بعض أقواله التى يقول بأنه عاشها دموعا ومرضا وأفراحا وسنخص منها الناحية التجارية والاجتماعية ونفوذ المرأة آنذاك .

يقول هذا المستشرق ان السلطان عامر عبد الوهاب أراد استعماله فى بعض شئون الدولة بعد ان كذب عليه انه مسلم ولكن السلطان وقبل ان يستعمله طلب منه أن يؤدى الشهادتين أى ينطق بهما كاملة حتى يعلم صدقه من كذبه .

غير أن المستشرق يقول انه قد ارتج عليه فلم يستطع ان ينطق بكلمة واحدة وظهر عليه الارتباك — فأمر السلطان ببقائه موقوفا فى مدينة رداغ وأهله كالسجين .

وندع المستشرق ووصفه السجن والقيود وما لاقاه — الا أنه قال فى حديثه بأن الملكة رآته من نافذتها ذات يوم فرقت لحاله إعجابا به — لذلك نال حسن التفاتها مع وصائفها فأمرت بإخراجه من السجن الى القصر لفترة زمنية تمارض فيها فرخصت له بعدها بزيارة ولي من أولياء الله فى عدن كما رخصت له بزيارة بعض المدن منها صنعاء — ذمار — يريم — المقرانه — حيس — تعز — لحج — عدن

ولما كانت الاسواق هى التعبير الاقتصادى الاجتماعى آنذاك فقد وصف الحركة والنشاط والواردات لهذه الاسواق فقال تردها كميات من الاغوية والقمشة القطنية والحريرية المحلية والثمار الممتازة كالعنب الجيد والسفرجل والتين والجوز وأشجار العطور كما وصف بعض المدن كزبيد وتعز وعدن بالحركة التجارية الزائدة فيها .

وبعد أن وصل من رحلته الى عدن قال أنه تمارض ومكث فى أحد مساجد عدن ليله ونهاره حتى تيسرت له مواصلة لرحلته البحرية الى الحبشة وقد وصف الحصون التى بننها البرتغال فى كل من جزيرة مسقط أو غيرها من الجزر .

اختتم قوله بأن قد حذر نائب ملك البرتغال من استعمال الهنود فى الحيش والبحرية بحجة أنهم يضمرون السوء للبرتغاليين ، هذه عجالة ملخصة من كتاب جاكين لنقدم كيفية تولى عامر للحكم بعد هذا .

« يتبع »

□ ١٤٧ □

العلمية ولم يكن اشتغال الأمراء بتسكين الفتن ومحاربة الخارجين فى شتى مناطق اليمن ليشغلهم عن القراءة والدرس فقد كانت المدن والحصون فيها حاجتهم من العلماء والكتب .

الكتب والعلماء الى جانب السلاح فى الحصون الحربية

يذكر المؤرخ اليمنى صاحب غاية الامانى أن الملك الظافر عامر عبد الوهاب لما اتجه لحصار مدينة جبن أيام الفتنة وفى أول حكمه تاهب الناس للحرب ولسكنه وبعد أن حاصره خرج من الحصن بعض العلماء ومنهم القاضى عمر بن عبد السلام هاربا فلما علم أعداء الظافر بأمره نهبوا بيته وكان فيه من الكتب النفيسة الف وخمسمائة كتاب .

فهذا أحد قضاة المدينة الصغيرة كان عنده هذا القدر من نفائس الكتب مع أن شهرة مدينة جبن فى هذا المجال العلمى لم تصل الى ماوصلت اليه زبيد وصنعاء وتعز وأب مثلا فى هذا الميدان .

من كل هذا ومن الاهتمام البالغ الذى وجهه الظافر الى العلم ونشره وإحياء دور العلم وإنشاء المساجد وعمارها وتشجيع المؤلفين سواء كان ذلك وهو أمير أو وهو ملك فإن ذلك يدل على أن والده قد أعدّه اعدادا وأعيا من الناحية العلمية بالقدر الذى أعده له من الناحية السياسية والعسكرية والإنسان كان ولا يزال متأثرا بأسرته ومجتمعه فالكمل مدرسة مؤثرة على اخلاق الحكام والأفراد .

وقبل أن ننهى الاستعراض العام للحالة التجارية والاجتماعية ودور النساء فى الحكم والحالة العلمية أيام الملك عامر عبد الوهاب لابد وأن نختم الكلمة بنقل كما بدأنا .

وأكثر من تحليلنا ووصفنا واقعا كتبهيد أحبينا أن نقدم وصف مشاهد مستشرق لترك التحليل للذوق السليم من جهة القارئ .

يقول تاريخ الاستشراق الخاص باليمن وكما نقلنا ان ملك البرتغال جان كان قد أرسل سنة ١٤٨٧ م بالمستشرق — بدوردى كيوفيلها الذى كان يتكلم العربية لدرس الطرق التجارية البرية منها والبحرية — فطاف الجزيرة العربية والهند والحبشة للدراسة وقد دامت هذه الرحلة مدة [٣٠] سنة وطلع بمذكراته التى نشرها نحصل على لقب موزع الأنباء التى صدقتها البعض وكذبها آخرون .

حدود المعرفة الجغرافية قبل الإسلام

الدكتور أحمد على اسماعيل

والاطلال ، فقد كانت هذه الاماكن التي تستريح فيها القوافل مسرحا لكثير من العلاقات والاحداث العاطفية التي حركت وأثارت خيال الشعراء ، وهو ما نراه في قصائد شعراء المعلقات وبصفة خاصة امرؤ القيس وزهير بن أبى سلمى والناطقة الذبياني .

وقد أدت هذه الرحلات التجارية الى ان أصبحت كل أجزاء شبه الجزيرة تقريبا - فيما عدا الربع الخالي - مطروقة ومعروفة لعرب الجاهلية ، ذلك لأن رحلاتهم لم تكن وقفا على المحور الذي يخط شبه الجزيرة من الشمال الى الجنوب بين الشام واليمن ، بل كانت قوافلهم تسلك الاودية الصحراوية التي تتخذ اتجاهها عاما من الغرب الى الشرق ممثلة في وادي الرمة ووادي الدواسر وهي تتجه من المرتفعات الغربية لشبه الجزيرة على البحر الاحمر متجهة الى الخليج العربي في الشرق ، كما أن بعض التجار كانوا يفتدون الى مصر ، وقد زار عمرو بن العاص مصر أكثر من مرة في الجاهلية بقصد التجارة مما سهل عليه مهمة قيادة جيش الفتح العربي بعد ذلك .

وكان الليل هو وقت النشاط الرئيسي الذي تتحرك فيه القوافل ، وأما النهار فكانت القوافل تحرص على أن تصل قبل طلوعه الى ظل جبل أو كهف أو بئر يظله النخيل ، أو أحد شعاب الصحراء اتقاء للحرارة المجهدة القاسية ، وقد أدى ذلك الى ضرورة التعرف على الجهات الاصلية ضمنا للاتجاه الصحيح حتى لا تتعرض القوافل للضلال في الصحراء المجسبة ، وكانت ثمرة ذلك ممثلة في معرفة طيبة بالنجوم واتجاهاتها وادى ذلك الى تقدم مستمر في المعرفة

لعبت البيئة الطبيعية لشبه الجزيرة العربية - مهد الاسلام - دورا هاما في المعرفة الجغرافية لدى العرب في الجاهلية ، فقد كانت البيئة الصحراوية الطاردة سببا في عملية التجارة وتبادل المنتجات والقيام بدور الوساطة التجارية بين اليمن حيث المنتجات المدارية والشام الذي تقوفا به منتجات البحر المتوسط المعتدلة

ومنذ أقدم العصور فإن « رحلة الشتاء والصيف » كانت تقتزن بمواسم المطر في كل من طرفي شبه الجزيرة العربية في الشام واليمن ، وكانت قوافل العرب تجوب شبه الجزيرة وما وراءها شمالا وجنوبا متتبعه العشب الذي يعتمد عليه ابلهم - سفن الصحراء - وكانت الابل لديهم مصدرا للوبر الذي يصنعون منه الملابس التي تقيهم برودة الليالي الصحراوية ، ويحصلون منها على البانها للغذاء وتمثل وسيلة النقل الرئيسية ، بل الوحيدة ، فاذا ذبحوها قدمت لهم اللحم والجلود التي يفيدون منها ، لذلك كانت الابل مصدرا للثروة ومقياسا للثراء لدى القبائل العربية .

وكانت الطرق الصحراوية التي تسلكها القوافل تلتزم عادة بمسالك ثابتة ترتبط في تحديدها بوفرة موارد المياه في الابار والوديان ، وكانت القوافل تقطع رحلات طويلة وتستغرق وقتا غير هين ، ولذلك كانت تتخللها محطات للراحة والتزود بالمياه ، وقد أصبحت محطات الراحة بمرور الزمن مراكز ثابتة تطورت لتصبح ثغورا صحراوية ، وكثيرا ما ترد أسماء هذه الاماكن في الشعر الجاهلي الذي كان من السمات الاساسية فيه استهلال قصائده بالبكاء على العرض



فقيرة وطاردة ، ولم تتيسر الاستعانة بالرياح الموسمية في العبور بين الهند وشرق افريقية الا بعد أن تطور فن بناء السفن حتى تستطيع أن تحمي نفسها من سرعة الرياح والعواصف .

وكثيرا ما تقترن الرياح الموسمية ودورتها في المحيط الهندي باسم أحد الملاحين اليونان وهو هيبالوس الذي يشيع كثيرا انه « اكتشف » نظام الرياح الموسمية في القرن الاول قبل الميلاد ، ولكن الواقع أن هيبالوس لم يكتشف وجود الرياح الموسمية التي كان اليونانيون يعرفونها من قبل ، ربما منذ القرن الرابع قبل الميلاد ، ولعل الاقرب الى الصواب هو أن العرب كانوا يعرفون هذه الرياح قبل معرفة اليونانيين بها ، وأنهم عجزوا عن الاحتفاظ بمعرفتهم بها على أساس أنها « سر تجارى » أو « سر من أسرار النقل » ويرجع بعض الباحثين أن كل ما اكتشفه هيبالوس لم يزد عن كيفية الافادة من الرياح الموسمية في رحلة الذهاب الى الهند ، وأن الرياح الموسمية الجنوبية الغربية التي تهب في الصيف هي التي ينتفع بها في هذه الرحلة .

وكما يقول « حوراني » في كتابه (١) عن العرب والملاحة في المحيط الهندي :

« ولكن اذا كان سيرهيبالوس مع الرياح الموسمية الجنوبية الغربية كشفا قام به ، فكيف كان العرب يفعلون من قبل ؟ خاصة وأن سفنهم لم تكن تصلح للبحار الصاخبة فلا يحتمل أنها سارت مرة مع الرياح الموسمية الجنوبية الغربية ، يبقى طريقان ، فاما أن العرب كانوا يقطعون الرحلة كلها محتدين

الفلكية ، حتى أننا نجد الآن كثيرا من النجوم والمجموعات النجمية تحمل أسماء عربية الاصل . كما كان القمر يمثل أهمية خاصة في ذلك كله لما كان يكفل للمسافرين في الليل من احساس بالالفة وادراك للطريق يختلف تماما عن اللبالي غير القمر ، وقد عبد بعض العرب في الجاهلية القمر ، لما كان له من أثر في حياتهم .

أما فيما يتعلق بالمسطحات المائية التي تحيط بشبه الجزيرة فإن المقارنة بينها تظهر أن الشواطئ العربية التي تطل على البحر الأحمر تتكون أساسا من سواحل طاردة تمتد من رأس خليج العقبة حتى قرب حدود اليمن ، والسواحل الساحلية في هذه الأجزاء فقيرة للغاية ، ولا توجد بها موارد مائية ، أما المنطقة التي تمتد من حدود اليمن الشمالية حتى مضيق باب المندب ، فإنها أحسن حظا من حيث المطر ، ولكن الجبال المرتفعة تحول دون اتصال هذه السواحل بظهيرها المباشر . والسواحل الجنوبية لشبه الجزيرة العربية لا تتصل فيها المراكز العمرانية ، فهذه المراكز توجد أساسا في الشرق أو الغرب دون الأجزاء الوسطى في حضرموت وظفار ، لأنها فقيرة وظهيرها

المباشر يتمثل في صحراء الربع الخالي المجدية الطاردة ، وبذلك فإن سواحل جنوب شبه الجزيرة في أجزائها الوسطى مقطوعة الاتصال بداخل شبه الجزيرة ، مثل السواحل الغربية وربما بدرجة أكبر . وبذلك تبقى سواحل الخليج العربي - أو السواحل الشرقية لشبه الجزيرة - وحركة الرياح فيها أهدا ، وتوجد بها بعض الزراعة لوجود أمطار أغزر نسبيا ، ويؤدي ذلك الى كثرة المراكز العمرانية ، وقد مكن ذلك لهذه المنطقة من أن تكون على الأرجح المسرح الاول للملاحة العربية .

وقد ساعد الموقع الجغرافي لشبه الجزيرة على تطور الملاحة ، وخاصة في منطقة الخليج العربي ، والواقع أن الطريق البري لم يكن أفضل من الطريق البحري ، فكلاهما تكتنفه المصاعب ، وقد تمكن العرب بفضل عبورهم للخليج العربي والبحر الأحمر من الاتصال بمركزين من اقدم مراكز الحضارة في العالم القديم هما مصر في الغرب وإيران والعراق والهند في الشرق ، وكانت الرياح الموسمية ذات أثر فعال في الرحلة الى افريقيا الشرقية والهند فيما بعد ، والواقع أن البحر الأحمر كان من الصعب قطعه طوليا لانتشار الشعاب المرجانية المنتشرة أمام شواطئه ولسواحله الطاردة ، وقد استعاض العرب عن ذلك بأن أقاموا طرقا للقوافل على طول الساحل الغربي لشبه الجزيرة أما في الخليج العربي فقد كانت أمور الملاحة أكثر سهولة ويسرا ، وأن كانت ندرة مياه الشرب قد وقفت حائلا دون التطور السريع للملاحة في الخليج ، وفي المحيط الهندي ، كانت السواحل المؤدية الى الهند

سواحل بلاد العرب وإيران، وقد فعل اليونان ذلك قبل هيبولوس، ويحتمل أنهم كانوا في هذا يمسجون على منوال العرب، وأما أن العرب كانوا يفيدون من الرياح الموسمية الشمالية الشرقية على النحو الذي سبق وصفه كما يفعلون اليوم، وكما كانوا يفعلون في القرون الوسطى على نحو يكاد يكون قاطعا، وهذا أيضا معقول، ومن المحتمل كثيرا أن العرب كانوا يسلكون الطريقين معا،

وعلى الرغم من أن النشاط التجاري برا وبحرا، قد عرفه العرب منذ أقدم العصور التاريخية، فقد كانت معرفة العرب الجغرافية محدودة في الجاهلية، وكانت تتصل أكثر ما تتصل بالظواهر الطبيعية والجغرافيا الفلكية، خاصة وأنهم كانوا يعتمدون في أسفارهم الليلية على القمر والنجوم في تبيين معالم الطريق، وقد استطاعوا أن يكونوا معرفة طيبة عن منازل النجوم وأوقات طلوعها أو مغيبها وحددوا بذلك سمات الليل وساعاته، كما حددوا منازل القمر بثمانية وعشرين منزلا وأطلقوا على كل واحد منها اسما عربيا.

ولعل معرفة عرب الجاهلية بالعالم من حولهم كانت محدودة، نادرا ما كانت تتعدى حدود جزيرتهم، أي إلى الفرات وجبال طوروس شمالا، ولكن في مقابل ذلك كانت معرفة العرب بأنواع التربة ومميزاتها الباطنية وبالعالمين النباتي والحيواني ممتازة. وفي غنى مفردات اللغة العربية بمصطلحات هذه العلوم دليل قوي على ذلك ويرى كراتشكو فسكى أن ورود أسماء أنهار مثل دجلة والفرات وبعض الاقطار مثل العراق والشام وبعض المدن مثل بعلبك ودمشق...

وكثرة تداول هذه الاسماء في الشعر الجاهلي، ليست دليلا على المعرفة المباشرة أو التجارب الواقعية، وكذلك الامر بالنسبة لذكر بعض الشعوب المجاورة لهم مثل الروم والعجم، كما يرى أن معرفتهم كانت تقتصر على اليهود الذين كانوا يسكنون معهم في شبه الجزيرة ولكننا لا نستطيع أن نتفق معه في الرأي لأن رأيه يعني أن العرب كانوا معزولين في شبه جزيرتهم ولا يتعاملون مع غيرهم وهذا افتراض غير سليم، والا فَمَا الذي كانت تقدمه التجارة التي كانوا يقومون بها قاطعين شبه جزيرتهم برا ومطوقينها بحرا، ما الذي كانت تقدمه هذه التجارة، إذا لم تكن تقدم معرفة بأحوال البلاد التي يتم معها تبادل التجارة، والشعوب التي يتم معها التبادل، بل أن المدن التي ذكرها ليست في حقيقة الامر سوى ثغور صحراوية في بادية الشام على نهاية طرق التجارة العربية.

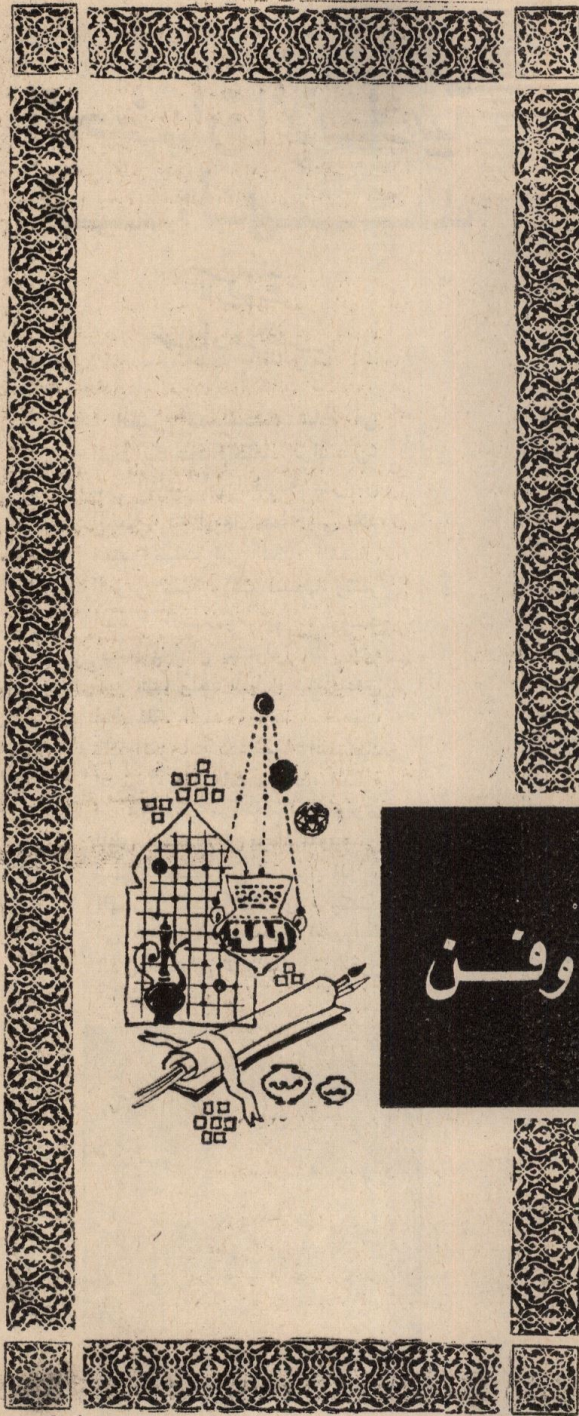
ومن الملاحظ أننا قصرنا الحديث فيما يتعلق بالعرب على سكان شبه الجزيرة العربية، فلم نستخدم كلمة العرب بمعناها الحديث أي البلاد التي يتحدث سكانها العربية اليوم، وذلك لأن التعريب كان نتيجة للفتح الإسلامي وانتشار الإسلام، ثم ما تبعه من نشر اللغة العربية، لغة القرآن. فإذا استخدمنا إطار العالم العربي بحدوده الحالية أو العالم الإسلامي الذي ينتشر فيه المسلمون اليوم، لنعرف المدارك الجغرافية التي كانت توجد لدى شعوب تلك الاقطار قبل أن تتحول إلى العربية أو الإسلام فسوف نجد أن دائرة المعارف الجغرافية تتسع أكثر.

من اوصاف الاسد

للأسد من الصبر على الجوع وقلة الحاجة إلى الماء ما ليس لغيره من السباع، ومن شرف نفسه أنه لا يأكل من فريسته غيره فإذا شبع من فريسته تركها ولم يعد إليها، وإذا جاع ساءت أخلاقه، وإذا امتلأ من الطعام ارتاض، ولا يشرب من ماء ولغ فيه كلب، وقد أشار إلى ذلك الشاعر بقوله:

واترك حبهــــــــــــــــا من غير بغض
وذاك لكثرة الشركاء فيــــــــــــــــه
إذا وقع الذباب على طعام
رفعت يدي ونفسي تشــــــــــــــــتهيه
وتجتنب الأسود ورود مــــــــــــــــاء
إذا كان الكلاب ولغــــــــــــــــن فيــــــــــــــــه

وإذا أكل نهش من غير مضغ، وريقه قليل جدا ولذلك يوصف بالبخر، وكما يوصف بالشجاعة يوصف بالجبن فمن جبنه أنه يفزع من صوت الديك ونقر الطشت ومن السنور، ويتحير عند رؤية النار، وهو شديد البطش، ولا يألف شيئا من السباع لأنه لا يرى فيها ما يكافئه.



□ ١٥١ □



الحضارة الإسلامية في الهند

الدكتور
سعاد ماهر

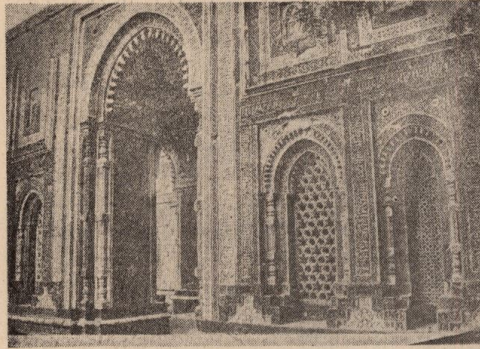
على أن نفوذ المسلمين أخذ يتقلص في الهند ولم يبق لهم إلا الجزء الغربي إلى أن أتيح للإمبراطور (بابر) حفيد تيمورلنك أن يمد سلطانه وأن يفتح (دلهي) و (أجرا) في القرن العاشر الهجري فتأسست على يديه إمبراطورية المغول الهندية الإسلامية التي حكمت الهند من القرن العاشر حتى القرن الثالث عشر الهجري . وقد نشأت في ظل أسرة بابر حضارة إسلامية هندية ، قوامها أساليب الحضارة الهندية القديمة وما دخل عليها من أساليب الحضارة الإسلامية . كما تأثرت الهند بالطرز الفنية الإيرانية إلى حد كبير حتى أن بعض مؤرخي الفنون اعتبروا أن الأساليب الفنية في الهند في العصر الإسلامي جزء من الطراز الصفوي الإيراني . ولكن الواقع أن الطرز الإسلامية في الهند رغم تأثرها بالأسلوب الإيراني ، ولاشك ، فإن الهند الإسلامية كان لها طابعها المميز سواء في العمارة أو في النحت الزخرفية وغيرها من الفنون التشكيلية . عرفنا أن شمال الهند وجزء من وسطها قد تنابعت على حكمه دويلات إسلامية كانت تتصف في حروبها بصيغة الجهاد في سبيل نشر الدعوة ومن أهم هذه

انتشر الإسلام في الهند منذ عهد الخلفاء الراشدين ، فمن الثابت أن الخليفة عمر بن الخطاب قد أرسل حملة إلى بلاد الهند وصلت إلى الجزء الشمالي الغربي منها وذلك لفتحها ونشر الدعوة الإسلامية فيها . وقد استطاعوا أن يستولوا على جزء كبير منها وأخذ سيل الغزاة يتدفق على بلاد الهند ، وقد اضطبغت تلك الغزوات بصيغة الجهاد الديني ، وقد تجلت مثل هذه الفكرة في ذهن كل من محمود الغزنوي الذي استطاع أن يوطد نفوذه في شمال الهند في القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي ، وكذلك في ذهن الإمبراطور تيمورلنك الذي استولى على دلهي في القرن التاسع الهجري .



ضريح السلطان التمش « ٢ »

باسم الحضارة الإسلامية الهندية . ولعل من أحسن الأمثلة التي تتمثل فيها الحضارة الإسلامية الهندية مسجد مدينة (بورانا Purnna) القريبة من مدينة دهلئ والذي يعرف باسم جامع كيلاكونا (Kilakuna) . وقد أسس هذا الجامع المبراطور [همايون] ثاني سلاطين الدولة المغولية في الهند الذي تولى الملك بعد والده بابر سنة ١٥٤٠م . ومما يجدر ملاحظته في جامع (كيلاكونا) أن واجهة رواق القبلة تشبه إلى حد كبير المساجد الإيرانية وخاصة في أصفهان في ذلك الوقت أي في القرن العاشر الهجري . ويرجع إلى عوامل عدة، أولها أن أصل الحكام مغولي هذا بالإضافة إلى أن السلطان همايون كان قد ترك عرشه وظل منفياً في إيران خمسة عشر عاماً ، فلما عاد إلى عرشه مرة



قلعة علاء الدين بدلهي « ١ »

أخرى كان قد أحضر معه في بلاطه كثيراً من فناني إيران في مختلف الفنون . وقد تركت هذه الفترة التي قضاها همايون في إيران أثراً عميقاً في نفسه والذي بدا واضحاً في كل ما تركه لناس من عمائر وتحف . ومن أحسن الأمثلة لذلك الزخارف المنقوشة على واجهة رواق قبله مسجده في (بورانا) ، إذ نلاحظ أن الواجهة بعقودها المدببة قد أحيطت بشريط مستطيل من الزخارف الجصية البارزة ، ثم القبلة التي تعلو مدخل رواق المجاز ، كل هذا يشبه إلى حد كبير مسجد أصفهان الذي بناه السلطان طهماسب الذي استضاف السلطان همايون مدة منفاه وأكرم وفادته .

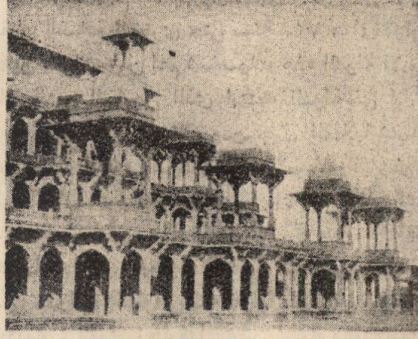
ومن الفنانين الذين عرفهم السلطان همايون أثناء إقامته في إيران المصور (ميرسيد علي) وخواجه

□ ١٥٣ □

الدويلات ؟ دولة الخليجيون الذين حكموا من نهاية القرن السابع الهجري حتى سنة ٧٢٠ هـ أي قرابة ثلاثين عاماً . ومن أهم شخصيات هذه الدولة الأمير علاء الدين الخليجي الذي امتدت الدولة في أيامه من البنجاب إلى البنغال ومن جبال الهمليا شمالاً حتى هضبة الدكن وهي الرقعة التي اصطلح المؤرخون على إطلاق اسم الهندستان . ومن أهم الآثار التي خلدت اسم الأمير علاء الدين قلعة مدينة دلهي القديمة ، والتي امتازت بالطراز الإسلامي ، فقد كسى جدرانها الخارجي كله تقريباً بالنقوش الجصية البديعة ، وقوام زخارفها نقوش نباتية وهندسية تتخللها كثير من الأشرطة الكتابية التي تحتوي على آيات قرآنية بخطوط عربية مختلفة الأساليب والطرز، لخط الكوفي المورق والخط النسخي والفارسي أنظر لوحة رقم (١) . ولم تقتصر أعمال علاء الدين على الحروب والمنشآت الحربية فحسب ، بل شملت كذلك المنشآت العامة ، كما عني بالنظم الإدارية والنواحي الثقافية ، ولهذا يعتبر علاء الدين أول سلطان مسلم بالهند جعل من إرادته المطلقة دستور الحكم .

ومن آثار دولة المماليك بالهند ضريح السلطان (التمش) الموحد بمدينة دلهي القديمة أنظر لوحة رقم (٢) وهو يشبه إلى حد كبير كثير من الأضرحة في مصر وإيران في القرن السابع والثامن الهجري . ويحتوي على قاعة مربعة تعلوها قبة مفصصة، وفي منطقة الانتقال بين المربع والدائرة توجد مجموعة من المقرنصات في الأركان مصفوفة على هيئة شكل هرمي رأسه إلى أسفل وقاعدته إلى أعلى تقوم عليها القبة . ومن أهم أضرحة أولياء الله الصالحين بالهند ، ضريح الشاه غلام بمدينة (أحمد آباد) ، الذي يشبه في تصميمه تخطيط المساجد التركية . ويرجع الضريح إلى سنة ١٤٧١ ، ويتكون من مستطيل ، يتوسطه مربع بداخله المقبرة وتعلوه قبة كبيرة . ويحيط بالمستطيل من جميع الجهات أرصفة بتقدمها صف من البوائك تقوم على أعمدة رخامية ويعملوها قباب صغيرة ضحلة .

وفي عصر الدولة المغولية في الهند التي أسسها الإمبراطور (بابر) أحد أحفاد تيمورلنك والتي ظلت تحكم الهند وجزءاً من أفغانستان أكثر من ثلاثة قرون ، كانت قد رسخت أقدام الحضارة الإسلامية في الهند . وقد نشأ عن امتزاج الحاكم والمحكوم حضارة ثالثة استهملت عناصر الحضارتين وهي التي تعرف



مسجد فتح بورسكرى

وكان الامبراطور [اكبر] راعيا عظيما للفنون ولا سيما التصوير ، فقد كانت جدران قصوره فى عاصمته الجديدة (فتح بورسكرى) وبل فى سائر الممائر التى انشئت فى عهده محلاة بالرسوم والزخارف والموضوعات التى قام بعملها الفنانون الايرانيون .

وتلاميذهم من الهنود . فقد أسس (اكبر) مجعاً للفنون الحق به نحو سبعين مصورا معظمهم من الهنود ، وكان هؤلاء المصورون يرسمون الصور لتوضيح المخطوطات كما هو الحال دائما بالنسبة للتصوير الاسلامى منذ نشأته فى القرن السادس الهجرى . وكان الامبراطور يحضر لهم فى مكتبته الخاصة ابداع النماذج بريشة اعلام المصورين الايرانيين لدراستها والسير على نهجها . (يتبع) .

عبد الصمد الشيرازى اللذان أصبحا بعد ذلك أعظم مصوري البلاط الهندى . وقد طلب منهما همايون بعد عودته الى الهند أن يوضحا قصة سيدنا حمزة عم الرسول صلى الله عليه وسلم ، والتى تعرف فى التصوير الهندى باسم (قصة امير حمزة) بأربع مائة ألف صورة كبيرة مرسومة على القماش ، وان كان معظم تلك الصور قد رسمت فى عهد الامبراطور اكبر ابن همايون .

ومن الممائر الاسلامية العظيمة التى ما تزال باقية فى الهند جامع مدينة (فتح بور سكرى) وهى العاصمة الجديدة التى انشأها ثالث سلاطين دولة المغول فى الهند وهو السلطان (اكبر) ويعتبر عصر الامبراطور (اكبر) ازهى عصور الهند التاريخية والتى من أجلها اعتبر المؤرخون القدامى من هنادكة وغيرهم ، السلطان (اكبر) أعظم عاهل عرفته الهند منذ أيام (آشوك) حامى البوذية القديم .

ويقال ان السلطان (اكبر) عندما فكر فى بناء جامع (فتح بور سكرى) أراد ان يحاكى فى تصميمه البيت الحرام والواقع ان مسجده يعتبر تحفة فنية رائعة ، فمساحته تبلغ خمسة أفدنة تقريبا (٢٧ الف متر مربع) ، ورواق القبلة يشبه فى تصميمه المساجد الإيرانية ، فالمعتود مدببة ، ويخترق الأروقة المستعرضة رواق المجاز المعبودى على حائط القبلة ويتقدمه قبة . ونلاحظ فى زخارف هذا الجامع اسلوبا جديدا فبدلا من أن تحلى نهاية الجدار بشرفات مدرجة ، نجدها هنا مزخرفة بقباب صغيرة وكل قبة ترتكز على عمودين رشيقيين ، ويرجع تاريخ هذا الجامع الى سنة ١٥٧١ أنظر لوحة رقم (٣) .



من عمائر القاهرة الدينية

روائع
خفية

• الدكتور عبد الرحمن فلاح محمد •

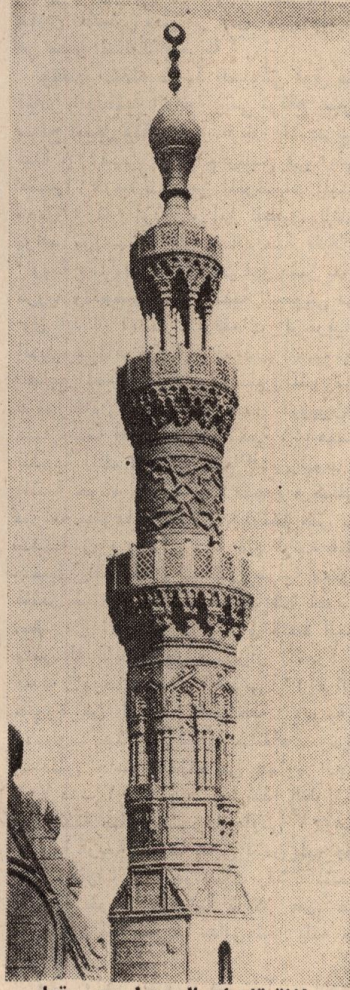
لا زالت العمائر الدينية هي أهم الآثار الإسلامية التي تنتشر بين مشارق الأرض ومغاربها في شريط طويل يبدأ شرقاً من أطراف الصين وحدودها ويصل غرباً إلى شواطئ المحيط الأطلسي، وتشرح تلك العمائر الإسلامية الدور الكبير الذي لعبته حضارة الإسلام في الارتقاء بحضارات العالم أجمع، وهو دور يزيد كثيراً على أثر الحضارة الأغريقية التي ذابت في حضارات وفنون الاقطار التي خضعت لها حيناً، ثم انصورت تحت لواء الإسلام فأنصهرت في بوتقته ثم نهضت من جديد ليهتدى بها الناس دوماً كعلامات على الطريق.

وقد اهتم المسلمون بإقامة منشآت معمارية متنوعة الأغراض، من حربية كالأسوار والقلاع والبوابات والرباطات، أو مدنية كالقصور والدور والوكالات أو الخانات والقياسر والحمامات والمستشفيات، أو دينية كالمساجد والخانقالات والأضرحة. ولكن مهما كان نوع هذه العمائر ووظيفتها فإن وحدة فنية خاصة قد ربطت بينها في بلاد الإسلام كلها في الشرق والغرب على السواء فضلاً عن أن هذه العمائر كلها قد أمدتنا بمعين لا ينضب من التحف والفنون التشكيلية في الإسلام.

ولن نعرض هذه المرة لغير بعض الوحدات الفنية المبتكرة في عمائر القاهرة الدينية كالقبة والمئذنة في المسجد والضريح وهي وحدات معمارية إسلامية خالصة تطلب عملها الدين، وحتمته تقاليده، ومن هنا ابتكر المعمار المسلم شكلاً خاصاً في تصميمها وليس لأحد غيره يد فيها.

والحق أن عمارة المسجد قد جاءت تعبيراً عما فرضه الإسلام من مساواة اجتماعية، حيث نجد النسب في الجامع تقوم على أساس إنساني هو الوضع الأفقي الذي جعل الفنان المسلم ينفر من الاتجاه الصعودي باستثناء المئذنة التي تشق بسموقها هذه الأفقية السائدة - في أعمدة المسجد وأروقته - لتتجه للمؤذن فرصة لاستماع أكبر عدد من

□ ١٥٥ □



مئذنة قايبتاي بالصحراء بجوسقها
الذي تعلوه قمة شكل القلعة
٨٧٩هـ - ١٤٧٤م

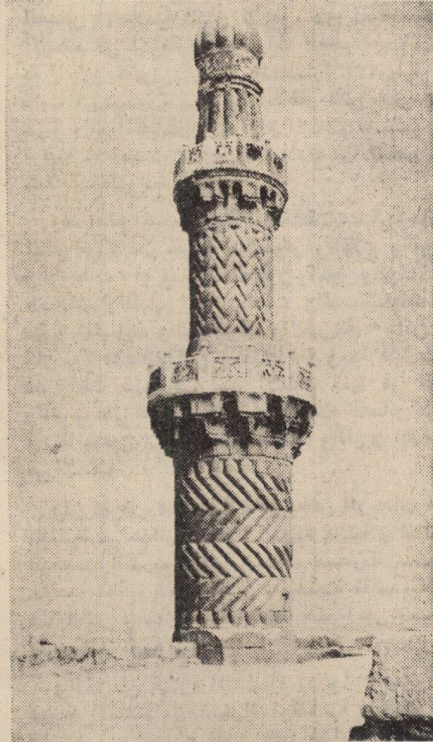
هـ ١٣٠٣ م أى بعد أن تهدمت منار الاسكندرية بقرن ونصف تقريبا .

والمهم أن المراجع التاريخية قد اشارت الى أن أول المآذن بمصر ترجع الى العصر الاموى حيث أمر مسلمة بن مخلد سنة ٥٣ هـ ٦٧٣م ببناء أربعة مآذن فى أركان جامع عمرو على هيئة أبراج لها درج من الخارج يرتقيها المؤذنون ، غير أن هذا النوع من المآذن المبكرة لم يصلنا منه أية بقايا أثرية ، ومن ثم فإن أقدم المآذن الباقية فى القاهرة ترجع الى العصر الفاطمى المبكر ٤٠١ هـ (١٠١٠م) وتبدأ حلقاتها بمنذنتى جامع الحاكم بأمر الله اللتين تخفيا داخل البنىات البارزة عن حوائط المسجد أما النهايات العليا من هاتين المنذنتين فهى من عمل الأمير بيبرس الجاشنكير فى عصر المماليك البحرية

وتعتبر منذنة مشهد الجبوشى فوق جبل المقطم أهم المآذن الفاطمية الباقية وهى ترتفع عشرين مترا فوق سطح الجبل وتقوم فوق مدخل المشهد الذى يرجع الى سنة ٤٧٨ هـ - ١٠٨٥م وتلمح فى أعلى هذه المنذنة عنصرا زخرفيا هاما من المقرنصات المبكرة من صنفين لحمل شرفة المؤذن ، أما الطابق الثانى فتفتح فيه نوافذ بواجهاته الأربع الداخلة قليلا عن القاعدة المربعة ، أما الطابق الثالث فهو مئمن تتوجه قبة نصف كروية وتنحصر أهمية منذنة الجبوشى فى أنها تعرض أول ابتكار لعنصر المرتفعات الزخرفية فى العمائر الدينية بالقاهرة كما أن قمة هذه المنذنة تعتبر أول أمثلة للطابع المصرى المعروف باسم « المتجرة » وهو ابتكار عرفته المآذن القاهرية فى عصر الأيوبيين الذى تبقى لنا منها منذنة المدارس الصالحية ٦٤١ هـ - ١٢٤٣م التى أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب ، ويتوج هذه المنذنة خوذة على هيئة « متجرة » كذلك أما قاعدتها فمربعة يعلوها شرفة مئمنة ترتكز على دعائم وحوامل خشبية ويزين كل وجهة من أوجه المئمن تجويفات جصية رائعة ذات أشكال طولية معقودة ، ويعلى المئمن صنفان من المقرنصات كما تقوم الخوذة على صف من الاسنان البارزة واحتفظ العدد الأكبر من مآذن المماليك البحرية بطراز المتجرة كما نرى فى منذنة زاوية الهنود ٦٦٠ هـ - ١٢٦٠م التى تكاد تكون صورة من المنذنة الصالحية الأيوبية ، وظل هذا الأسلوب ممثلا فى منذنة خانقاه بيبرس الجاشنكير ومنذنتى جامع الحاكم من عمارة الجاشنكير نفسه ٧٠٣ هـ - ١٣٠٣ م ، غير أن هذا الطراز قد تطور فجأة فى منذنة سلاروسنجر الجاولى ٧٠٣ هـ الى قاعدة حجرية مربعة يعلوها طابق مئمن يليه جوسق مستدير فوق صفوف من المقرنصات ولكن المنذنة هنا لا زال يتوجها خوذة مفضضة ترتكز على عسدة حطاط حجرية مربعة يعلوها طابق مئمن يليه جوسق مستدير من المقرنصات .

وفى أواخر القرن ٧ هـ - ١٣ م ازدهرت العلاقات السياسية والتجارية بين مصر والأقاليم الإسلامية الآسيوية كما ازدادت هجرة كثير من الفنانين

المؤمنين فى المدينة الدعوة الى الصلاة ، فضلا عن كونها رمزا للعزة والرفعة ، حيث ينطلق من فوقها أرفع السروات مبتدئة بان « الله أكبر » وقد نصورت المآذن فى القاهرة وتنوعت أشكالها وأخذت على مدى العصور التاريخية زخرفها وزينت تلمس ذلك فيما تتناوله من أمثلة ، ولسنا بحاجة هنا الى تنفيذ تلك الآراء التى أوردها بعض العلماء - وعلى رأسهم « بتلر » لتأكيد اشتقاق المآذن المصرية من منار الاسكندرية التى بناها « سوسقراطوس » فى عهد بطليموس الثانى فيلادلفوس (٢٨٥ - ٢٤٧ ق م) ، ذلك لأن هذا الرأى لم يزد عن كونه مجرد ملاحظة شخصية لصاحبه ، كما أن المآذن المصرية التى يشبه تخطيطها منار الاسكندرية والتى يتعاقب فيها الطابق المربع والمئمن والمستدير هى أندر أنواع المآذن القاهرية كما وأنه طراز إسلامى تطور بالتدريج من عناصر لا علاقة لها بمنار الاسكندرية فضلا عن أن أول منذنة يتمثل فيها هذا التخطيط بمصر هى منذنة سلاروسنجر الجاولى بشارع مراسينة التى لم تبني قبل سنة ٧٠٣



المنذنة الجنوبية الغربية بجامع الناصر محمد بالقلعة ٧٣٥ هـ - ١٣٣٥م وتبدو نهايتها العليا البصلية الشكل على طراز بعض المآذن الإيرانية والهندية الأسطوانية بدلهى



منذنة وقتنا سلاز وسنجر الجاولى ٥٧٠٣ هـ - ١٣٠٣ م

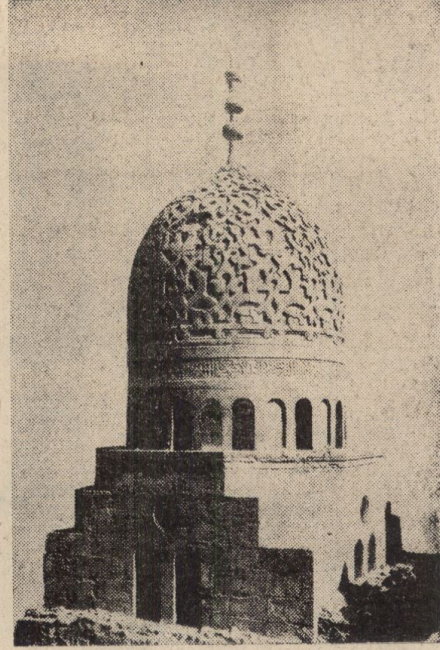
ولكن برغم هذه التأثيرات الوافدة على المآذن المصرية في عصر المماليك إلا أن المئذنة القاهرية ظلت محتفظة في طباقها المثلث بالشرقة عند منتصف ارتفاعها ، وإن كانت الخوذة المنصصة في الواقع لم يعد لها وجود إذ استعوض عنها بجوسق صغير يقوم على أعمدة وتعلو هذا الجوسق قبة مسحوبة أشبه بشكل القلة الفخارية ذات البدن المنقش ، وقد بلغ هذا النوع من المآذن أروع صورة في مئذنة الأشرف قايتباي بالصحراء ٨٧٠ هـ - ١٤٧٤ م التي تعتبر أكثر

الاندلسيين إلى القاهرة حيث الأمن والسلامة ورغد العيش ، وهكذا وقدت على القاهرة طائفة من الفنانين العجم والمغاربية ظهرت تأثيراتهم في العمارة الدينية بمصر ، فلمس ذلك في مئذنتي جامع الناصر محمد بالقلمة ٧٣٥ هـ - ١٣٣٥ م حيث ظهرت النهايات العليا البصلية الشكل والتي تتوج المئذنة على طراز القباب السمرقندية كما ازداد الأثر السطحي للمآذن في الوحدات الزخرفية الجصية على الطراز المغربي الإسلامي .

هذا عن الابتكارات الفنية في المئذنة أما القبة فإن القاهرة لم تعرف هذه الوحدة المعمارية منفردة أو ملحقة بالجامع أو المدرسة إلا في العصر الفاطمي وعلى وجه التحديد سنة ٤٠٠هـ (١٠١٠م) حين بدأت تظهر أول قباب في عهد الخليفة الحاكم بأمر الله جنوبى القسطنطية فوق رفات بنات وزيره أبى القاسم الحسين بن المغربى الذى فر من مصر فانتقم الحاكم منه بقتل بناته السبع ، ودفنت جثة كل منهن تحت قبة خاصة ، وهكذا أصبحت القبة ابتكارا معماريا ارتبط ظهورها بتحديد مكان الدفن ولا زالت بقايا هذه القباب توجد فى جنوب القسطنطية حيث القرافة الكبرى .

وبينما شاع فى عصر الفوالم ذلك النوع من القباب المفردة فى مشاهد آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم كمشهد الجعفرى والسيدة عاتكة عمة الرسول والسيدة رقية أخت الحسين وأم كلثوم ويحيى الشيبه برسول الله صلى الله عليه وسلم وغيرهم، نجد القباب فى عصر الايوبيين والمماليك تلحق بعمارة المسجد أو المدرسة غالبا حيث تقوم القبة فوق قبر المنشئ ، وعلى كل حال فقد توفر فى عمارة القباب مجال رائع للمهندس والبناء والمزخرف لابران فنهج ومقدرتهم على نحت الزخارف فى الجص أو الحجر ، فهى تارة زخارف من ضلوع مشعة ، وتارة أخرى من خطوط حلزونية ، وثالثة على هيئة الزجاج ، ورابعة على هيئة الاشكال النجمية المتشابهة ، وخامسة نجدما زخارف من فروع نباتية وأوراق وأزهار ، ومن هذه الناحية أخفت القبة على العناصر الدينية مزيدا من الجمال والجلال .

وقد بدأت القبة القاهرية مبنية بالطوب الاحمر المغطى بطبقة من الجص ، ولاشك أن هذه المادة البنائية قد أوجدت الفرصة لزخرفة القباب بضلوع محدبة من النوع من القباب الفاطمية قبة السيدة رقية ٥٢٧هـ - ١١٢٢م التى يزينا أربعة وعشرون ضلعا ، تشع كلها من قطب القبة العلوى ، وأصبح هذا النوع من التضليل شائعا فى زخرفة القباب فى عصر المماليك رغم استعمال الحجارة فى بنائها إذ أن الضلوع فى انشاءاتها على سطح القبة تؤكد ضخامتها وتكسبها جاذبية ملحوظة ، كما نرى فى قبة تنكزيفا ٧٦٤هـ - ١٢٦٢م وقبة مدرسة أم السلطان شعبان ٧٧٠هـ - ١٣٦٨م ، وكثيرا ما كانت هذه الضلوع تتوزع على سطح القبة فى أشكال حلزونية لتعطى للقبة مظهرا لحركة الدائرة كما فى قبة الجاى اليوسفى ٧٧٤هـ - ١٣٧٢م وقبة أيتمش البيجاس ٧٨٥هـ - ١٣٨٣م ، وتمثل القباب التى أنشأها برسباى فى صحراء قايتباى شرق القاهرة أعظم النماذج للقباب ذات السطوح الحجرية المزينة بزخارف نجمية متشابهة فى توافق هندسى رائع ، أقرب الى الايقاع الموسيقى .



قبة المدرسة الجهرية بالازهر بزخارفها البنائية
٨٤٤هـ - ١٤٤٠م

مآذن القاهرة رشاقة وأعظمها جمالا فى عصر المماليك الجراكسة ، وهو العصر الذى ابتكر فيه المعمار القاهرى طراز المئذنة ذات الرؤوس المتعددة كما فى مئذنة جامع الغورى بالغورية ٩٠٩هـ - ١٥٠٣م أو المئذنة ذات الرأسين كما فى مئذنة قايتباى الرماح بحى القلعة ٩٠٨هـ - ١٥٠٣م أو مئذنة الغورى بالجامع الازهر ٩١٥هـ (١٥١٠م) .

ثم جاء الفتح العثمانى لمصر سنة ٩٢٣هـ (١٥١٧م) ففرض الاتراك أسلوبهم فى عمارة المئذنة فأزاد ارتفاعها فى هذا العصر وتعددت الضلوع التى تزين بدن المئذنة الاسطوانى الشكل ، وأصبحت قمة المآذن القاهرية مخروطية مدببة ، بحيث اتخذت شكلا أقرب الى قمة الشمعة أو القلم الرصاص المبرى وفقا للطراز الذى شاع فى القسطنطينية ، وقد ظهر هذا الابداع الفنى فى عمائر القاهرة الدينية لأول مرة فى مئذنة جامع سليمان باشا بالقلعة ٩٣٥هـ - ١٥٢٨م ، وتعددت ظهوره فى مآذن جامع سنان باشا ببولاى وجامع الملكة صفية بشوارع القلعة وغيرها ، وانما أروع أمثلة هذا الطراز فى المآذن التركية نجده فى جامع محمد على بالقلعة سنة ١٨٣٠م حيث تظهر دقة وسمو مئذنتى هذا الجامع من أعلى رتبة من جبل المقطم فتشرقان على القاهرة وتشقان بسمو قهما سماءها



مئذنتنا جامع محمد على بالقلمسة ١٢٤٦هـ - ١٨٣٠م تشرفان على القاهرة وتشقان بسموقهما سماءها

٨٧٩ هـ - ١٤٧٤ م وقبة قايتباي الرماح بحى
القلعة ٩٠٨ هـ - ١٥٠٣ م

ويعد هذه لمحة سريعة عن بعض الوحدات المعمارية
الرائعة من قبة ومئذنة فى العمار الدينية بالقاهرة
وان لم تكن هى العناصر الوحيدة التى زُخرف بها
فنون العمارة الاسلامية .

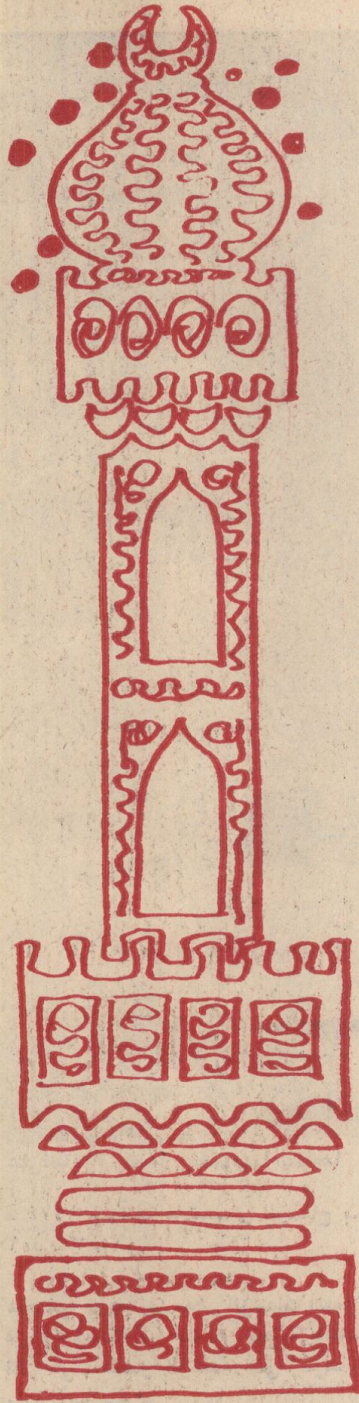
وفى القرن ٩هـ - ١٥ م بدأت زخرفة القباب
القاهرة بالعناصر البنائية التى هيات للزخرفة
فرصة تغطية السطوح العليا بالقبة عن طريق تصغير
الوحدة البنائية كلما قلت الارضيات المطلوب زخرفتها
وأجمل مثال لها فى العمار الدينية ، قبة المدرسة
الجهرية بالازهر ١٤٤ هـ - ١٤٤٠ م ويليها تاريخيا
قبة عبد الله المتوفى ٨٧٩ هـ - ١٤٧٤ م ثم قبة قايتباي

الاسلام

٠٠٠

الشاعر حسن صالح

يا لقومي ويا لوحدة قومي
 ان قومي جموعهم في ثبات
 ولديهم من القتاد ابناء
 وليوث الوغى وأرمى الكمأة
 لحمي الدار من ضواري العوادي
 ولواء الهدى وضوء الحصاة
 وهداة الأنام في كل عصر
 ومنار الطريق في الحالكات
 وشيوخ النصوف المستنير
 وضياء لسيرهم في السراة
 وبيان وللفصيحة جنود
 ييلفون البيان كل اللغات
 وعظمت من اليتيمات در
 وعلوم النهى وجمع الثقة
 وبلاغ من السموات يتلى
 يسفر الحق في سني المحكمات
 هن أصل وللرسول حياة
 ترسل الضوء في دجى الشبهات
 ورجال البديع من كل فن
 ومذيع وكاتب الصفحات
 في نضار من القصائد تنرى
 أو مقال مدبج في أناة
 وكثير من الخزائن ملأى
 بالآلى وعامر المكتبات
 وأطباء لا يجارون علما
 وعماد المصانع العاتيات
 وأساطين في السياسة غر
 ودهاقين في علوم النواة
 ومعين من المعادن نخر
 في بطون الثرى لمعد الحياة
 وتراث الجدود في كل قطر
 وقلاع الدفعا في الجبهات
 وذوات الخدور يصنعن أسدا
 ويسابقن في جهود البناء
 ولديهم من السلاح عتيد
 وطريف وحصنهم في القتاة



المعركة



واباة القيود من اى نوع
والفدائي في عتاد الرحمة
طلبوا الحرب للسلام ودفعوا
لزعوف الضلال والسترهات
وامانا لكل دين وشعب
وحفاظا من الهوى والهفات
سبقوا الناس في القديم وكانوا
اسوة في اقامة النهضة
بعثوا النبض في الحياة قويا
في سنى البرق في مدى لمحات
طوفوا العالمين امانا وسلاما
واقفاوا عليهم الكرمات
واذاقوا الانام طعم رحيق
في ظلال الهدى وعدل القضاة
وحياة السلام في فيء ود
واقاويه من جليل الصفات
والاخاء الرحيم دون تعال
والبناء الفريد للجامعات
حصنوها قلاع دين ودنيا
سرهما في تماسك اللبسات
لا يباليون حفظهم في متاع
بل خلود التعميم في الدرجات
ثم كانوا لسبقهم دون شك
عمد العالمين دون اقتضات
سل اذن يا اخى عن السر فيها
تجد السر واضح القسمات
تحت ضوء الشمع في كل ركن
مشرق الوجه صائب النظرات
اذ به يقظة ودفق حياة
وزمام موحد الكلمات
في ضياء الهدى ودين البرايا
وامام التقى وخير الدعاة

الجامع والحياة العامة



في العصور الإسلامية المبكرة اختلف مفهوم وظائف الجامع عن مفهوم وظائف المسجد . وكان المسجد يؤدي وظيفة دينية فحسب ، أما الجامع فقد كان كل شيء في حياة المسلمين ، فكان له وظائف سياسية واجتماعية واقتصادية وعسكرية وثقافية وتعليمية . وكان في كل مدينة في صدر الاسلام جامع كبير واحد ، الى جانب العديد من المساجد والزوايا .



من فوق منابر هذه الجوامع . وكان جميع المسلمين يحرصون على أداء صلاة الجمعة في الجامع الكبير في كل مدينة اسلامية . وبعد انتهاء الصلاة ، يقف الوالي فيلقى خطبة طويلة يتناول فيها الشؤون العامة في ولايته ، ويعلم المسلمين بالقرارات والأوامر الجديدة ، سواء الصادرة من الخليفة في العاصمة المركزية ، أو الصادرة من الوالي . وقد تطول خطبة الوالي فتتمد الى قبيل صلاة العصر ، وقد احتشد المسلمون في هذا الجامع لسبب ما يجد في شؤون حياتهم العامة . وكثيرا ما يحدث أن تصل بعض القرارات التي يصدرها الخليفة في العاصمة ، فيريد الوالي إبلاغها لسائر المسلمين ، دون انتظار يوم الجمعة التالي ، فقد تكون هذه القرارات عاجلة أو ذات أهمية ، فيبعث الوالي المندادين في أرجاء المدينة ، يدعون الناس الى الاحتشاد في الجامع لسبب هذه القرارات العاجلة الهامة ، وقد يكون الوقت ليس وقت صلاة ، ولكن هذا اللقاء بين الوالي ورعاياه ، هو الوسيلة الوحيدة حينئذ من وسائل الاعلام .

الى جانب هذه الوظائف السياسية ، كان للجامع دور بارز في حياة المسلمين الاجتماعية . فقد كان الجامع هو النادي الاسلامي ، حيث يلتقى المسلمون في ظل بيت الله في مودة وصفاء وسلام . وبعد صلاة العشاء ، وانتهاء المسلمين من أعمالهم ، كانوا يجلسون معا ، يتحادثون ويتداولون في شؤونهم العامة ، مما يوثق صلاتهم الاجتماعية ويزيد الفتنة . كما كان كثير من المسلمين يحرصون على عقدالقران في بعض الحجرات الملحقة بالجامع تبركا ببيت الله .

وكان للجامع دور كبير في الحياة الاقتصادية ، وقد اعتاد معظم الولاة في صدر الاسلام حفظ

كان المسجد النبوي هو أول جامع في العصر الاسلامي ، وقد شيده الرسول عليه الصلاة والسلام في يوم هجرته من مكة الى المدينة ، فكان رمزا لانتصار الاسلام ، ولسيادته في المدينة المنورة ، حيث اعتنق معظم بناء قبيلتي الاوس والخزرج الاسلام فاصبحوا أنصارا للرسول وللإسلام . ثم كانت الفتوحات العربية الاسلامية في عهد الخلفيتين أبي بكر وعمر بن الخطاب ، رضى الله عنهما ، فكان الجامع هو أول بناء شيده العرب المسلمون في المدن الاسلامية الجديدة التي أقاموها في الاقطار المفتوحة ، مثل البصرة والكوفة في العراق ، والفسطاط في مصر ، والقروان في المغرب . وكانت هذه الجوامع عند أول انشائها كبيرة في مساحتها ، بسيطة في مظهرها ، تتفق مع بساطة الاسلام وسباحتها .

وكان المسجد النبوي الشريف في المدينة ، هو المركز السياسي والإداري في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام وخلفائه الراشدين الأربعة . وكان هؤلاء الخلفاء يديرون شؤون الدولة الاسلامية كلها من هذا المسجد . وفيه يلتقون بالولاة وسائر المسلمين ، ويتخذون فيه القرارات السياسية والإدارية والعسكرية . كما كان هذا المسجد الشريف هو [البرلمان] الاسلامي ، حيث يلتقى الخلفاء الراشدون بالصحابة رضى الله عنهم وبالشخصيات الاسلامية الكبيرة ، حيث يتداولون في شؤون الدولة العربية الاسلامية .

وبعد اتساع الدولة الاسلامية ، أصبح الجامع في الاقطار المفتوحة هو مركز السياسة والإدارة . ولما كانت وسائل الاعلام في صدر الاسلام قليلة ، فقد اعتاد الولاة المسلمون في الاقطار الاسلامية ، تبليغ قراراتهم السياسية والإدارية والاقتصادية ،

الدكتور خالد مصطفى الحزبى

الدائرة . حتى اذا شيد الخليفة العباسى الثانى ابو جعفر المنصور عاصمته بغداد ، اتبع نفس الطراز المعمارى واصبح الجامع أيضا مركز الدائرة . كما كان جامع عمرو بن العاص أول بناء اقامه عمرو عند انشاء أول عاصمة اسلامية فى مصر ، واصبح هذا الجامع أيضا أول جامع فى القارة الافريقية . واصبحت هذه الجوامع كلها رايات خفاقة تمثل سيادة الاسلام فى تلك الاقطار الاسلامية .

واستمرت هذه السياسة على مر العصور الاسلامية المختلفة ، فقد شيد العباسيون جامع العسكر فى مصر عند بنائهم مدينة العسكر ، حتى اذا اقام احمد بن طولون عاصمته القطائع كان الجامع هو أول وأبرز مبانيها ، واصبح يمثل تطور الفن المعمارى الاسلامى ، ولما اقدم العباسيون على القضاء على الدولة الطولونية وتخريب عاصمتها القطائع ، ظل جامع ابن طولون هو المبنى الوحيد الباقي من تلك العاصمة الطولونية . وفى نفس الليلة التى دخل فيها جوهر الصقلى على رأس الجيش الفاطمى مدينة الفسطاط شرع فى بناء العاصمة الفاطمية الجديدة ، وكان الجامع الأزهر هو أول بناء فيها . وظل الجامع الأزهر فى عهد أول الخلفاء الفاطميين فى مصر ، المعز لدين الله الفاطمى ، مركزا للصلاة ، والمذهب الشيعى ، حتى تولى خلقه الخليفة العزيز بالله الفاطمى الذى حول الجامع الأزهر الى جامعة علمية كبرى ، تقوم بتدريس كثير من العلوم والمعارف ، وقصدها آلاف الطلاب المسلمين من كل ارجاء العالم الاسلامى ، كما الحق العزيز بها مدينة جامعية ، ووفر للطلبة وسائل الحياة والمعيشة .

ثم كان العصر العثماني الذى بدأ فى العالم العربى فى سنة ١٥١٦ م واستمر الى مطلع القرن العشرين الميلادى . وكان هذا العصر العثماني من العصور المظلمة التى شهدتها العالم العربى ، وفيه فقد الجامع مركزه فى الحياة العامة ، واقتصرت وظيفته على الجوانب الدينية . حتى كانت النهضة الحالية فى مصر ، فبدأ الجامع يسترد مكانته الاولى ، ويقوم بدوره الكبير فى حياة المسلمين ، وعاد الجامع يؤدى وظيفته الثقافية والتعليمية ، وشهدنا كثيرا من الاجتماعات الدينية والثقافية فى كثير من جوامعنا ، كما اصبح كل جامع يضم مكتبة عامرة ، مما يبعث على التفاؤل التام ، فيسترد الجامع ما كان له فى صدر الاسلام من مكانة وصدارة .

الخرانة العامة فى الجامع . كما حرص معظم المسلمين على عقد صفقاتهم التجارية فى بيت الله . على مشهد ومسمع من المسلمين . وكان الاتفاق يتم مشافهه عادة بدون تحرير او كتابة ، وينتهى الاتفاق بين البائع والمشتري بالمصافحة ، داعين الله فى بيته أن يصفى بركاته على صفقتهم التجارية . وأمام الجوامع فى المدن الاسلامية ، اعتاد المصارغة الجلوس ، ويقومون بهبـادلات العملات المختلفة ، وتحرير بعض الصكوك والعقود ، وغير ذلك من الشؤون المالية .

واعتادت الحيوث الاسلامية فى كثير من المدن الاسلامية أن تبدأ مسيرتها وزحفها من الفناء الواسع أمام الجامع ، حيث يقوم الوالى أو القائد العام باستعراض الجند وتوزيع الاسلحة المختلفة ، ثم يأذن للجيش بالتقدم للجهاد فى سبيل الله . ويشهد هذا الفناء أيضا عودة الجيش الاسلامى الظافر كما يشهد أيضا احيانا توزيع الغنائم .

وكان الجامع أيضا مركزا ثقافيا رئيسيا فى صدر الاسلام ، وخاصة أن وسائل الاعلام حينئذ تسكاد تكون منعدمة ، فلم تظهر الطباعة بعد . وكثيرا ما ألقى كبار الشعراء قصائدهم من فوق منابر الجوامع ، وكان معظم القصائد يتخذ الغرض الدينى ، أو للحث على الجهاد ، وينصت المسلمون الى هذه القصائد العصماء فى اعجاب واستحسان . كما كان الادباء والمؤلفون ، يقرأون عادة انتاجهم الادبى على عامة المسلمين فى الجوامع بعد صلاة العشاء ، وكان معظم ذلك الانتاج يدور حول سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام ، وخلفائه الراشدين ، وأخبار المسلمين الاولين ، وقد يتناول بعض المسائل الدينية والفقهية .

كما كان الجامع يقوم بدور الجامعة أو المدرسة ، فبجانب وظيفته تعليمية كبيرة . فكان عند كل سارية من سوارى الجامع ، يجلس شيخ أو عالم ، فيلتف حوله تلاميذه ، من مختلف الاعمار ، يتلقون عنه علوم الدين واللغة والادب والفقه . وبذلك أصبحت الجوامع منارات للثقافة والعلم ، وحملت لسواء الحضارة الاسلامية .

وإلى الجامع فى صدر الاسلام وظيفة قضائية ، فقد اعتاد القضاة الجلوس فى الجامع الرئيسى فى كل مدينة اسلامية . وكان للقضاة أعوانهم الذين يستدعون اليهم أرباب القضايا والشهود ، وكان القضاة يحققون فى الشكايات المختلفة ، أو فى الخلافات بين الأفراد ، ويفصلون فى الخصومات .

ومن أشهر الجوامع فى صدر الاسلام ، فى الاقطار الاسلامية ، جامعا البصرة والكوفة ، وقد كانا أول بنائين فى تلك المدينتين الاسلاميتين ، اللتين اتخذتا شكلا دائريا ، وكان الجامع هو مركز

آخر كلام أبي بكر
ذكر ابن النجار : ان آخر ما تكلم به أبو بكر
— رضى الله عنه — : رب توفنى مسلما والحقنى
بالصالحين .

مجاهدة النفس افضل !

عن مجاهد سئل عمر بن الخطاب — رضى الله
عنه — عن رجل لا يشتكى المعصية ، ولا يعمل بها
افضل ، أم رجل يشتكى المعصية ولا يعمل بها ؟
فقال : الذين يشتكون المعصية ولا يعملون بها ،
اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى ، لهم مغفرة
وأجر عظيم .

علم الامام على :

عن سعيد بن المسيب انه قال : لم يكن احد من
اصحاب رسول الله — صلى الله عليه وسلم —
يقول : سلونى الا عليا . أخرجه أحمد فى المنقب ،
والبيهقى فى المعجم وأبو عمر ، ولفظه : ما كان أحد
من الناس يقول : سلونى غير على بن أبى طالب .
وعن أبى الطفيل : قال شهدت عليا يقول :
سلونى والله لا تسألونى عن شيء الا أخبركم .
وسألونى عن كتاب الله ، فوالله ما من آية الا وأنا
أعلم أبليل نزلت أم بنهار ، فى سهل أم فى جبل ؟
أخرجه أبو عمر .

نقش خواتم الراشدين :

كان نقش خاتم أبى بكر حين ولى الامر : عبد ذليل
لرب جليل .
وكان نقش خاتم عمر حين ولى الامر : الله المعين
لمن صبر .
وكان نقش خاتم عثمان حين ولى الامر : اللهم
أحيى سعيدا وأميتى شهيدا .
وكان نقش خاتم على حين ولى الامر : الله الملك .

ليس فى الصحابة اسم غيره !

ليس فى الصحابة من اسمه عمر بن الخطاب ؟
غير عمر الخليفة الراشد ، أما عمر فقط ففى
الصحابة ثلاثة وعشرون نفسا على خلاف فى
بعضهم .

ثيوخ مالك بن أنس وتلاميذه :

أخذ الامام مالك بن أنس امام دار الهجرة — رضى
الله عنه — عن تسعمائة شيخ ، منهم ثلاثمائة من
التابعين ، وستمائة من تابعيهم ممن اختاره ، وارضى
دينه وفهمه ، وقيامه بحق الرواية وشروطها ،
وسكنت النفس اليه ، وترك الرواية عن أهل دين
وصلاح لا يعرفون الرواية .
وفى طبقات الفقهاء ، وفى مناقب أبى حنيفة : ان
مالك بن أنس ، كان يسأل أبى حنيفة ويأخذ بقوله ،
وبعضهم ذكر أنه كان ربما سمع منه متكررا ، وذكروا
ايضا ان أبى حنيفة سمع منه .

ا قصوف

الله عز وجل الخيرة

عن الامام على — عليه السلام — قال : الا أخبركم
بأفضل آية فى كتاب الله ، حدثنا بها رسول الله
— صلى الله عليه وسلم — وتلا قوله — تعالى — :
« وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو
عن كثير »

ثم قال : « وسافسرها لك يا على : ما اصابكم من
مرض أو عقوبة أو بلاء فى الدنيا فبما كسبت ايديكم ،
والله — تعالى — أكرم من ان يثنى عليكم العقوبة فى
الآخرة ، وما عفا الله — تعالى — عنه فى الدنيا فانه
— سبحانه — أحلم من ان يعاقب به بعد عفو .
وقال الامام على : هذه الآية أرجى آية فى كتاب
الله ، وإذا كان الله — تعالى — يكفر عنا بالمصائب
ويعفو عن كثير فأي شيء يبقى بعد كفارته وعفو ؟

هبة الخلافة !

ضرب عمر بن الخطاب سعد بن أبى وقاص بالدرّة
على رأسه ، حين مر به ولم يقم له ، وقال له :

انك لم تهب الخلافة ، فأردت ان تعرف ان الخلافة
لا تهابك !

ولم يغير ذلك سعدا ولا رآه عيبا !

وكذلك ضرب عمر أبى بن كعب ، حين رآه يمشى
وخلفه قوم ، فعلاه بالدرّة ، وقال : ان هذا مذلة
للتابع ، وفتنة للمتبوع !

ولم يطعن أبى بذلك على عمر ، بل رآه ادبا منه
نفعه الله به !

رضى الله عنهم أجمعين !

وأما الذين زووا عنه الموطأ ؟ والذين زووا عنه مسائل الأبي فأكثر من أن يحصوا ، وقد بلغ بهم الدارططنى فى كتاب جمعه فى ذلك ، نحو ألف رجل وقال البخارى : أصبح الاسانيد مالك عن نافع عن ابن عمر — رضى الله عنهما —

وعن الشافعى : إذا جاءك الحديث عن مالك فشد به يدك . وإذا جاء الاثر فمالك النجم .

وعن الشافعى أيضا : مالك بن أنس معلمى . وعنه أخذنا العلم .

وقال محمد بن الحسن الشيبانى صاحب أبى حنيفة : أقيمت عند مالك بن أنس ثلاث سنين وكسرا . وكان يقول : أنه سمع منه لفظا أكثر من سبعمائة حديث . وكان إذا حدث عن مالك امتلا منزله وكثر عليه الناس حتى يضيق بهم الموضع ، وإذا حدثهم عن غير مالك من شيوخ الكوفيين لم يجئه الا اليسير .

• • •

جبريل :

جبريل — عليه السلام — هو ملك الوحي الى الرسل — عليهم الصلاة والسلام — والموكل بانزال المصداق والزلازل والديام . ومعناه بالسريانية : عبد الله ، لأن جبر : عبد بالسريانية ، وأيل : اسم من اسمائه تعالى .

وروى عبد بن حميد فى تفسيره عن عكرمة : ان اسم جبريل : عبد الله ، وميكائيل : عبيد الله .

وقال السهيلي : جبريل : سريانى ، ومعناه : عبد الرحمن أو عبد العزيز — كما جاء عن ابن عباس —

والجبر عند العجم : هو اصلاح ما فسد ، وهو توافق معناه من جهة العربية ، فان فى الوحي اصلاح ما فسد ، واقامة ما ضعف من الدين . ولم يكن اسم جبريل معروفا بمكة ولا بأرض العرب ، ولهذا لما ذكره — صلى الله عليه وسلم — لخديجة — رضى الله عنها — انطلقت لتسأل من عنده علم من أهل الكتاب ، كعداس ونسطور الراهب ، فقالا : قدوس ، قدوس ، ومن أين هذا الاسم بهذه البلاد ؟

وفى هذا دليل ساطع ، وحجة شهباء على صدق نبوة خاتم الانبياء — عليه الصلاة والسلام — وفى جبريل سبع لغات — كما يقول الزمخشري — وذكر ابن الانبارى فيه تسع لغات .

وقرأ ابن كثير جبريل — بفتح الجيم وكسر الراء من غير همز — وقرأ حمزة والكسائى وأبو بكر عن عاصم — بفتح الجيم والراء مهموزا — والباقيون — بكسر الجيم والراء غير مهموز —

• • •

كتاب الرسول الى قيصر :

أرسل بعض ملوك المغرب الى قيصر الروم رسولا فى شفاعته ، فأجابه الى طلبه .

ثم قال القيصر للرسول لأتحفك بتحفة مسنية ، فأخرج له صندوقا مصفحا من ذهب ، فأخرج منه مقلمة من ذهب ، فأخرج منها كتابا قد زالت أكثر حروفه ، فقال هذا كتاب نبيكم الى جدى قيصر ، ما زلنا نتوارثه الى الآن ، وأوصانا أبائنا بحفظه ، فنحن نحفظه غاية الحفظ .

يشير الى الكتاب الذى بعث به الرسول — صلى الله عليه وسلم — الى قيصر الروم يدعو فيه الى الاسلام .

• • •

كلمة حنسية :

لما أتى بلال من بلاد الحبشة الى النبي — صلى الله عليه وسلم — أنشده بلسان الحبشة :
أره بره كنكرة كراكرى مندره

فقال عليه الصلاة والسلام لحسان : « اجعل معناه عربيا » .

فقال حسان — رضى الله عنه — :
إذا المكارم فى آفاقنا ذكرت

فانما بك فينا يضرب المثل

• • •

تفسير صوفى :

قال بعض المصنفين عند قوله — تعالى — :
« وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا »

السد الذى بين أيديهم ، هو طول الأمل ، وطمع البقاء .

و « من خلفهم سدا » : هو الغفلة عما سبق من الذنوب ، وقلة الندم عليها ، والاستغفار منها .

• • •

تعريف العشق :

قال المأمون ليحيى بن أكثم : ما العشق ؟ فقال : سوانح تسنح للمرء ، يهيم بها قلبه ، وتتأثر بها نفسه .

فقال له ثمامة — وكان حاضرا — : اسكت يا يحيى فانما عليك ان تجيب فى مسألة طلاق ، أو محرم قتل صيدا ، فأما هذا فمن مسائلنا !

فقال له المأمون : قل : يا ثمامة ، فقال : هو جليس ممتع ، وصاحب مالك ، مذاهبه غامضة ، وأحكامه جائزة ، يملك الإبدان وأرواحها ، والقلوب وخواطرها ، والعقول والبابها ، قد أعطى عنان طاعتها ، وقوة تصريفها .

فقال المأمون : أحسنت يا ثمامة ! .. وأعطاه الف دينار ، وقال له : من يصف العشق ، يصفه مثلك ، فانك طبيبى الحادث !

• • •

تصوير بديع للانسان وأمله وأجله :

« خط رسول الله — صلى الله عليه وسلم —
البقية صفحة ١٧٥ »

النزعة الإنسانية

في العروبة والإسلام

الأستاذ مهن فتح الباب

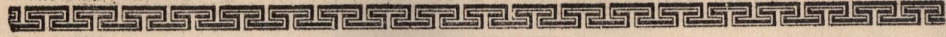
انعقد اجماع العلماء المتخصصين في علم الانجاس البشرية وفي تاريخ القوميات على الاقرار العرب بالنزعة الانسانية المتسامية . ومن ثم كانت هذه النزعة احدى خصائص القومية العربية الاصيلية . ومن ابرز ملامح هذه الخاصية نبذ التعصب والعنصرية في مواجهة الامم والشعوب الاخرى وما الى ذلك من نزعات التفرقة بين البشر بسبب اختلاف الجنس او اللغة او الدين . ويسجل التاريخ في هذا الصدد ان الجماعة البشرية التي استوطنت الارض العربية منذ اقدم العصور اتسمت بالسماحة والبروة ، وحسن الجوار والتعايش السلمى مع الجماعات الاخرى والرغبة في الوئام والعمل على توفيره ، والنفور من البغى والعدوان . كما عرف عنها التمسك بالقيم الانسانية الفاضلة التي تتمثل في المحبة والحرية والمساواة

والعدل والخير والتعاون والتقدم .

ولا شك في ان موقع الرقعة الجغرافية التي يقطنها العرب كان من اهم العوامل التي اثرت في نزعات اهلها وشكلت طبائعهم وتقاليدهم ، اذ تميز هذا الموقع بوسطيته حتى اطلق عليه الباحثون « قلب العالم » . ولا ريب كذلك في ان اولئك القوم قد تأقلموا طباعا وسلوكا ببيئتهم الجغرافية هذه حتى اصبح لهم على امتداد الزمن تراث غنى من المبادئ والقيم الاخلاقية وفضلا عن تأثير العامل الجغرافى فان عامل المصالح المشتركة بين العرب وجيرانهم صبغ معاملاتهم بالطابع الانسانى ، اذ اقتضت مصالحهم التجارية ان يتعايشوا في سلام مع هؤلاء الجيران ، وان يكونوا دعاة اصلاح بينهم وحاملى مشعل العدل كلما استعر الخلاف وحكموا فيه تشهد على ذلك

المعاهدات التي عقدها لحل المشكلات وتصفية المنازعات وتحقيق التوازن العادل بين الاطراف المتنازعة . كما تشهد به الاحلاف التي اقاموها للضرب على ايدي المعتدى واقرار الامن والسلام .

وثمة عامل آخر من اشدد المؤثرات فاعلية في النزعة الانسانية لسكان الوطن العربى وجنوحهم الى السلام والتعاون بينهم وبين غيرهم ، وهو نزول الرسالات السماوية الثلاث في ارضهم ، وتعميقها معانى الخير والعدل في نفوسهم ، وانتزاعها من نزعات الشر والجور والفرقة . ومن المسلم به ان الدين الاسلامى بطبيعة مبادئه ومثله واهدافه الانسانية كان اعبق هذه الرسالات اثرا في هذه المنطقة من العالم واكثرها ابعادا ، اذ انه اعاد صياغة الانسان العربى من جديد ، مدعيا جوانبه المضيئة ،



مهدمها جواربه المظلمة . ودعا الى الوسطية بمعنى العدل بين الناس : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا » . وحث أهله على أن يكونوا « قوامين بالعدل شهداء على الناس » به ونزل قوله تعالى : « ان الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر » وأرسخ هذه المثل في وجدان العرب ودعاهم الى نشرها بين الناس جميعا بحكم موقعهم الوسيط وتأثيرهم فيمن حولهم .

ومن مبادئ الوسطية التي عمقها الاسلام في نفوس العرب التنكين للمحبة والتضامن والتكافل والقضاء على عوامل الحقد والتباين والبغضاء ، لافى نطاق المؤمنين برسائله فحسب ، ولكن على امتداد العالم اجمع ، وفي كل زمان ومكان ، بحكم عالمية هذه الرسالة وانسانيتها . ويؤكد هذا ان الاسلام في شتى المعارك التي خاضها كان حربا على العبودية والاستغلال واسترقاق الانسان ، وأنه حرم الظلم والتفرقة بين الناس بغير الحق ، وأعلن الحرب على التعصب الذميمة . وجاء مدافعا عن الحقوق الأساسية للانسان ، حق الحياة ، حق الحرية ، حق الامن والعيش في سلام ، حق العلم والعمل ، حق كل فرد في اجتناء ثمار جهده بلا تحيف ، وحق حرية العقيدة . وقاوم الاسلام المعصية والطائفية والعدوان . ودعا الى انتهاج طريق وسط بين رغبات الفرد ومصلحة الجماعة ، ومكن في الارض لكل القيم الشريفة ، واستأصل المعتقدات والتقاليد الفاسدة . ويمكن القول بان نشر الاسلام القائم على العدل يقع في مكان الصدارة بين أهداف الاسلام ومقاصده الاجتماعية جميعا .

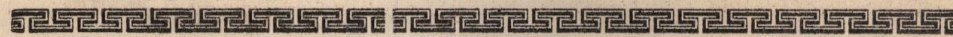
ولهذا كان الاسلام عاملا حاسما في تاصيل خصائص القومية العربية ومقوماتها ، تلك القومية التي تعنى الشعوب بالانتماء الى أمة واحدة : وهو شعور ينبع من أعماق النفس ومنطقة اللاوعي ويفخر منطقة الوعي التي تعمل فيها الملكات العقلية بحيث يصبح عقيدة رابسة في مشاعر معنيتها . فلا جرم ان تكون النزعة الانسانية عند العرب بعد الاسلام أبعد أعماقا ، وأن يجاهدوا في سبيل تعميم هذه النزعة حتى تشمل العالم بأسره ، فيأمرؤا بالعرف ، وينهوا عن المنكر ، ويعلموا أنه لا طبقية ولا شعوبية في الاسلام ، وإنما مساواة بين الناس جميعا في الحقوق والالتزامات ، وتعاون بينهم في السراء والضراء ، وانتصار للحق والعدل ، وقهر للباطل في كافة أشكاله وصوره .

ولقد ضرب العرب للعالم — في ظل الاسلام — أعظم المثل على صدقهم فيها دعوا اليه ، فلم يعرف في تاريخ الأمة العربية في العصر الاسلامي أنهم ادعوا التفرد والتفوق على غيرهم من الاقوام ، أو حاولوا السيطرة الفاشية على الشعوب الاخرى ، أو نادوا بسمو سلالتهم على غيرهم ، أو آثروا سيادة عنصر على آخر . بل كانوا رواد حرية ودعاة سلام وأمن دوليين ، وكانت حروبهم دفاعية ، فاذا بادروا بالهجوم فانما كان ذلك للوقاية من العدوان أو من الاكراه في الدين .

وقد رسخت هذه المبادئ في نفوس العرب والشعوب التي دخلت في الاسلام ورغرت على ربوعها راياته . فأصبحت دعوة العدل والمساواة بين الناس

جميعا على اختلاف أصولهم والسننهم وثقافتهم احدى السمات المميزة للأمة الاسلامية وكانت الرغبة في اعلاء كلمة الحق هي الدافع وراء الصراع الذي خاضه العرب ومازالوا يخوضونه ضد القوى التي تمثل الاتجاهات والفلسفات المعادية للانسان ، تلك الاتجاهات التي تقر التمييز العنصري البغيض بين الشعوب ، والتي تعمل على تسلط جنس أو طبقة أو طائفة على سائر الاجناس والطبقات والطوائف واستئثارها بخيرات العالم بأسره .

ومن ثم كان قيام اتحاد الجمهوريات العربية المتحدة انطلاقا من النزعة الانسانية في الاسلام ، تؤمن العربية — شعورا وعقيدة — بحق الانسان في الحياة ، وبحق تقرير المصير ، وتدعو الى المساواة الكاملة بين كافة الشعوب ، وتحارب التفرقة العنصرية ، كما تحارب الاستعمار والاستغلال ، وتدعو باستخدام القوة مع الشعوب المغلوبة على أمرها والتي تسعى الى التحرر . كما تدعو أيضا الى التسامح ، وتدين أساليب القوة والعنف في العلاقات الدولية . ومن ثم فان المعركة المصرية التي يخوضها العرب الآن ضد أعداء الله وأعداء الانسان انما هي معركة الحق ضد الباطل ، والخير ضد الشر ، والاستقلال والحرية ضد الطغيان والعبودية . ولسوف ينصر الله الحق في ظل اتحاد الجمهوريات العربية الثلاث « بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق » .



من وصية لقمان



قال لقمان لابنه يرسل النص
ح .. يرعى الفنى على التوحيد
وينمى عقيدة الله فى القلب
ب .. ويلقى اليه معنى الوجود
توحيد الله
ان هذا الوجود صنع الهى
مرسل الخير .. واجب التوحيد
وخده الخالق البديع تعالى
عن شريك .. ووالد .. ووليد
هل رايت الضياء يشرق صباحا
ثم يمضى لمغرب محسود ؟
هل رايت النجوم تلمع ليلا
ثم تطفى السما .. يصبح جديد ؟
هل رايت الزروع تنمو فتغمرى
هل رايت الجنى .. وحب الحصيد ؟
هل رايت الانسان .. يقطع عمرا
ثم يمضى الى طوايا اللحد !!
سوفة يفتنى الوجود غير الهى
فهو باق .. وواجب التوحيد
اقم الصلاة
فاقم فى الصلاة وجهك لله
به وكبر .. لرعى المعبود
ان روح الصلاة نور وتقوى
وطريق الى المولى الجيد
هى زاد الانسان ان دهم الام
سر وفيض من الرضى والجود
هى سر القلوب .. قرة عين
وهوى راكع .. ومعنى السجود
ودعاء الانسان فى هجمة اليب
ل .. ونبض التكبير والتحميد
صلة القلب .. بالذى خلق القلب
ب .. واحياه عامرا بالمهود
فاملا القلب بالصلاة وبالذك
ر .. وكبره مرجع التفريد
« ووصينا الانسان بوالديه »
شاكرا نعمة الاله .. رضيا
ان شكر الرحمن ينبع السعود

واشكر الوالدين شكرك لـ
 هـ .. وصاحبهما بقلب وذود
 هو وصاك بالتعاطف والـ
 بر .. وليس المقال فى المقصود
 قد قضى ربك الكريم فمن ذا
 يتعالى بفلاظة .. أو جحود
 « حملته أمه وهنا على وهن »
 عامل الأم بالحنان وبالـ
 ير .. وصننها من الأسى والنكود
 حملت همك الكبير .. جنينا
 فى طوايا الاحتشاء فى تسهيد
 حقبة تحسب الثوانى فيها
 والليالى .. كخطو ركب ونيد
 وتمعد الأيام علك تببدو
 فى رخاء .. وظل عيش رغيد
 جنت فى بيتها فكنت ضياء
 وتلفاك ثفورها بالثشيد
 فاشكر النعمة الكبيرة بالـ
 بر .. وجاز المعروف بالتمجيد
 « وان جاهداك على ان تشرك بى
 ما ليس لك به علم فلا تطعمها .. »
 كن قوى الايمان فى جانب الحد
 بق .. بعيدا عن ترهات العصاة
 جاهد النفس .. ان تهامس فيها
 دافع الشر .. جانب السيئات
 لا تصخ ان دعائك للشر داع
 واحذر السوء فى مقال الدعاة
 واصطحب نفسك الرقيقة بالمعرو
 ف .. خذها الى رحاب الصلاة
 طهر الداخل العميق .. وان نا
 داك داع .. فكن قوى الثبات
 كن [كخباب] (١) لا تلن لاجترأ
 يدفع النفس فى دجى السيئات
 وتمسك بدينك الحق .. واعلم
 ان خير الانسان فى الحسنات
 ان لله فى الوجود قلوبا
 هى جند الرحمن بين الحياة
 - لها بقية -

[١] خباب بن الارت وقد اضربت أمه عن الطعام حتى يرتد عن الدين فلم يطعمها .



بردة متفرد لي وحدي وأن يكتب لي شيخ في ورقات
تكون معي مدة حياتي وأعمل بها فيها مدة عمري
إن شاء الله تعالى ... وصل الخطاب من التلميذ
إلى معلمه وشيخه الغزالي وكتب مولانا الشيخ محمد
الغزالي هذا الرد الخاص لتلميذه قال

((بسم الله الرحمن الرحيم))

[أعلم] أيها الولد المحب العزيز أطال الله بقاءك
بطاعته، وسلك بك سبيل أحبائه أن منشور النصيحة
يكتب من معدن الرسالة عليه السلام أن كان قد
بلغك منه نصيحة فأى حاجة لك في نصيحتي وإن
لم يبلغك فقل لي ماذا حصلت في هذه السنين
الماضية .

[أيها الولد] من جملة ما نصح به رسول الله
صلى الله عليه وسلم أمته قوله [علامة اعراض
الله عن العبد اشتغاله بما لا يعنيه وإن امرؤ ذهب
ساعة من عمره في غير ما خلق له لحدير أن تطول
عليه حسرته ، ومن جاوز الأربعين ولم يقابل خيره
شره فليجهز إلى النار] وفي هذه النصيحة كفاية
لأهل العلم .

(أيها الولد) النصيحة سهلة والمشكل قبولها
لأنها في مذاق متبع الهوى مر ، إذ المناهى محبوبة
في قلوبهم على الخصوص لمن كان طالب علم ،
الرسمى مشغول في فضل النفس ومناقب الدنيا
فأنه يحسب أن العلم المجرى له ، سيكون نجاساته
وخلاصه فيه ، وأنه مستغن عن العمل وهذا اعتقاد
الفلاسفة سبحانه الله العظيم لا يعلم هذا القدر أنه
حين حصل العلم إذا لم يعمل به تكون الحجة عليه
أكد كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
[أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لا ينفعه الله
بعلمه] وروى أن الجنيد قدس الله سره رأى في
النام بعد موته فقيل له ما الخبر يا أبا القاسم ، قال
طاحت تلك العبارات وغفيت تلك الاشماعات وما
نفعنا الا ركيعات ركعناها في جوف الليل .

[أيها الولد] لا تكن من الاعمال مفلساً ولا من
الاحوال خالياً وتيقن ان العلم المجرى لا يأخذ اليد
مثاله لو كان على رجل في برية عشرة أسياف هندية
مع أسلحة أخرى وكان الرجل شجاعاً وأهل حرب
فحمل عليه أسد عظيم مهيب فما ظنك هل تدفع
الأسلحة شره عنه بلا استعمالها وضربها — ومن المعلوم
أنها لا تدفع الا بالتحريك والضرب ، فهكذا لو قرأ رجل
مائة الف مسألة علمية وتعلمها ولم يعمل بها لا تنفعه
الا بالعمل ، ومثله أيضاً لو كان لرجل حرارة ومرض
صفراوى يكون علاجه بالسكنجبين والكشكاش فلا
يحصل البرء الا باستعمالها ، ولو قرأت العلم مائة
سنة وجمعت الف كتاب لا تكون مستعداً لرحمة الله
تعالى الا بالعمل [وأن ليس للإنسان الا ما سعى]
(فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً)

أيها الولد

إسلامتكم على السلام الشاذلي القوي

تسديدى القارىء : لا تعجب من هذا العنوان
الذى اتخذته لهذا المقال الذى بين يديك ولكنه ليس
لي فيه أبني رأى : أنه صادر من عالم من علماء
الاسلام وحجة بالغة من حجج الايمان وأستاذ لفئة
من الناس بلغوا على يديه مبلغ الرجال العاملين
بأوامر الدين ففازوا ونجحوا . انه المربي الفاضل
زين الدين أبى حامد محمد بن محمد الغزالي قدس
الله روحه والمتوفى عام ٥٠٥ هجرية عليه سحائب
الرحمة والرضوان : ترجمة مولانا وشيخنا الأستاذ
محمد أمين الكردي التفشيدى : ولهذا العنوان
سر لم تقرأه في كتب الغزالي رضى الله عنه لأنها
كانت رسالة خاصة منه إلى تلميذ له اشتغل على
يديه بتحصيل العلم وقراءته عليه حتى جمع من
دقائق العلوم واستكمل من فضائل النفس : ثم أنه
تفكر هذا التلميذ في حال نفسه وخطر على باله
فقال : مخاطباً شيخه ((انى قرأت أنواعاً من العلوم
وصرفت ريعان عمري على تعلمها وجمعها فالآن
ينبغي أن أعلم أى نوعها ينفعني غداً ، ويؤنسني في
قبري ، وأيها لا ينفعني حتى أتركه وأتى لأرى في
حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مستعيذاً
بالله قائلًا [اللهم انى أعوذ بك من علم لا ينفع]
فاستمرت هذه الفكرة في مخيلتي وبقيت في حيرة
متردداً أكتب لشيخى مستأذناً منه في الرد ليسكن
خاطرى أم أسكت ؟ ولكنى تشجعت وكتبت خطاباً
إلى شيخى الامام الاكبر الشيخ محمد الغزالي
مستفتياً وسائلاً عن مسائل والتهمت منه النصيحة
والدعاء وإن كان لبعض أسئلتى . جواب في
مصنفات شيخى الغزالي الا اننى أحبت أن أحظى

شئت فانك مفارقة واعمل ما شئت فانك مجزي به .

[ايها الولد] اى شئ حاصل لك من تحصيل علم الكلام والخلق والطب والدواوين والاشعار والنجوم والعروض والنحو والتصريف غير تضييع العمر بخلاف ذى الجلال انى رايت فى انجيل عيسى عليه الصلاة والسلام قال من ساعة ان يوضع الميت على الجنائز الى ان يوضع على شفير القبر يستل الله بعظمته منه أربعين سؤالا .

أوله يقول عبدى طهرت منظر الخلق سنين وما طهرت منظرى ساعة وكل يوم ينظر فى قلبك بقول ما تصنع لغيرى وانت محفوف بخيرى ايا أنت اسم لا تسمع .

[ايها الولد] العلم بلا عمل جنون والعمل بغير علم لا يكون « واعلم » أن العلم لا يبعدك اليوم عن المعاصى ولا يحبك على الطاعة ولن يبعدك غدا عن نار جهنم وإذا لم تعمل اليوم ولم تدارك الأيام الماضية تقول غدا يوم القيامة فارجمنا نعمل صالحا فيقال يا احمق أنت من هناك تجيء .

[ايها الولد] اجعل الهمة فى الروح والهزيمة فى النفس والموت فى البدن لأن منزلك القبر وأهل المقابر ينتظرونك فى كل لحظة متى تصل اليهم اياك أن تصل اليهم بغير زاد ، وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه هذه الاجساد قفص الطيور واسطبل الدواب فتفكر فى نفسك من ايها أنت ان كنت من الطيور العلوية فحين تسبح طينين طبل « ارجع الى ربك » تطير صاعدا الى أن تقعد فى أعالي بروج الجنان كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اهتز عرش الرحمن من موت سعيد بن معاذ ، والعباد بالله ان كنت من الدواب كما قال الله تعالى [اولئك كالانعام بل هم اضل] فلا تأمن انتقالك من زاوية الدار الى هاوية النار ماروى أن الحسن البصرى رحمه الله تعالى اعطى شربة ماء بارد فأنخذ القدر ففشى عليه وسقط من يده فلما أفاق قيل له ما لك يا ابا سعيد قال ذكرت أمنية أهل النار حين يقولون لاهل الجنة : افيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله .

[ايها الولد] لو كان العلم المجرد كافيا لك ولا تحتاج الى عمل سواه لكان نداء هل من سائل ، هل من مستغفر ، هل من تائب ، ضائعا بلا فائدة ، وروى ان جماعة من الصحابة رضوان الله عليهم ذكروا عبد الله بن عمر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال نعم الرجل هو لو كان يصلى بالليل ، وقال عليه الصلاة والسلام لرجل من اصحابه يا فلان لا تكثر النوم بالليل فان كثرة النوم بالليل يدع صاحبه فقيرا يوم القيامة .

للموضوع بقية فالى العدد القادم ان شاء الله تعالى .

« جزء بما كانوا يكتبون » « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدون فيها لا يبغون عنها حولا » (الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا) وما تقول فى هذا الحديث (بنى الاسلام على خمس شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله واقام الصلاة وابتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت من استطاع اليه سبيلا) والايمان قول باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالاركان ودليل الاعمال أكثر من أن يحصى وان كان العبد يبلغ الجنة بفضل الله تعالى وكرمه لكن بعد ان يستعد بطاعته وعبادته لان رحمة الله قريب من المحسنين ، ولو قيل ايضا يبلغ بمجرد الايمان ، قلنا نعم لكن متى يبلغ ؟ وكما من عقبة كؤود ينتقلها الى أن يصل ، أول تلك العقبات عقبة الايمان وانه هل يصل من سلب الايمان ، أم لا ، وإذا وصل يكون خائبا مغلسا ، وقال الحسن البصرى يقول الله تعالى لمباده يوم القيامة : ادخلوا يا عبادى الجنة برحمتى واقتسموها باعمالكم .

[ايها الولد] مالم تعمل لم تجد الاجر [حكى] أن رجلا من بنى اسرائيل عبد الله تعالى سبعين سنة فأراد الله تعالى أن يجلوه على الملائكة فأرسل الله اليه ملكا يخبره أنه مع تلك العبادة لا يليق به دخول الجنة ، فلما بلغه قال العابد نحن خلقنا للعبادة فينبغى لنا أن نعبد فلما رجع الملك قال الهى أنت أعلم بما قال ، فقال الله تعالى اذا هو لم يعرض عن عبادتنا فنحن مع الكرم لانعرض عنه اشهدوا يا ملائكتى انى قد غفرت له ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [حاسبوا انفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا اعمالكم قبل أن توزنوا] وقال على رضى الله عنه من ظن أنه بدون الجهد يصل فهو متهم ، ومن ظن أنه ببذل الجهد يصل فهو مستغن ، وقال الحسن رحمه الله تعالى طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب ، وقال علامة الحقيقة ترك ملاحظة العمل لا ترك العمل وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، [الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحق من اتبع هواه وتنى على الله تعالى (الامانى) .

[ايها الولد] كم من ليل احييتها بتكرار العلم ومطالعة الكتب وحرمت على نفسك النوم ، لا أعلم ما كان الباعث فيه ان كان نيل عرض الدنيا وجذب حكامها وتحصيل مناصبها والمباهاة على الاقران والامثال فويل لك ثم ويل لك وان كان قصدك فيه احياء شريعة النبى صلى الله عليه وسلم وتهذيب اخلاقك وكسر النفس الامارة بالسوء فطوبى لك ثم طوبى لك ، ولقد صدق من قال شعرا

سهر العيون لغير وجهك ضائع

وبكاؤهن لغير فكدك باطل

(ايها الولد) عشى ما شئت فانك ميت واحبب من

والاميراليين كامريكا مثلاً وبقية قلوب
المادين ، وذلك لاتساع مصادر العلم
وارتفاع نتائجه في هذا القرن على
الاخص .

ويريد العلماء في عصرنا أن يصلوا الى
هذا الاوج العظيم الذي يتلاقى فيه العلم
بالفلسفة والدين اذ ان الفلاسفة والفكرين
يبدون الآن بدورهم نشاطاً فريداً في هذا
الباب من التفكير لتوسيع دائرة العلم
ونشاط الفلسفة مما يدل على انه لا بد ان
ياتى يوم يتلاقى الجميع في رحاب الحقيقة
المطلقة — حقيقة الحقائق — وعلة العلل
[الله] .

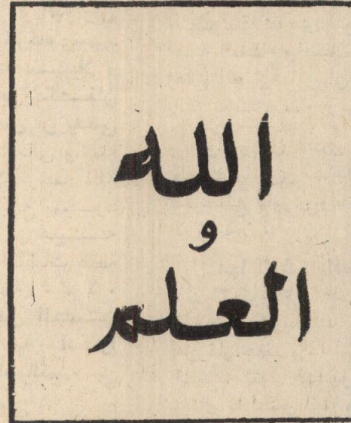
ومرادنا هنا ان نجعل هذه الآراء
للفلاسفة بعد العلماء الماصرين في الله
والطبيعة والانسان ، او بالاحرى في تلك
المسائل الكاملة الشاملة تلك الحقائق
التي لا يصلح في تحليل وجودها انساب
من عزو وجودها الى [الله] اصل
الاصول وعلة العلة وذلك بكامل ماتنضمه
تلك الكلية من معان وقوة في الدلالة تعبيراً
عن الحقيقة المطلقة ووصفاً لها .

وسنورد هنا بعض آراء كبار العلماء
والفلاسفة في تلك المسألة فنراهم مؤيدين
لراينا على ذلك بآراء المحققين من الفلاسفة
الذين تكلموا عن الحقيقة الالهية وهم
موقنون بوجودها كامل اليقين .

راى أدنجن :
وأحب ان أبداً برأى الاستاذ أدنجن

الفلكى الانجليزى الشهير استاذ الفلك في
جامعة كامبردج بانجلترا لاسيما وان هذا
العالم يعد ثقة في الفلك والرياضيات
والطبيعات جميعاً ، وهو لذلك يلخص
رأيه في الله من جهة هذه الفروع العلمية
التي يجيدها كل الاجادة فانت لا تراه يبني
عقيدته وايمانه بالله الا على نتائج علمية
محضة لا على تقاليد بشرية تلقنها من امه
وبيئته ومدرسته بل قد وصل افق علمه
في دراسته للطبيعة الى شعوره امام
ذلك بوجود الايمان بالالوهية ، وهو لهذا
السبب نفسه يؤمن بالله تعالى ايماناً
قويًا ، وقد استكشف بعض صفات الله
ببحثه العلمى الخاص .. فما هي هذه
الصفات الالهية التي راى أدنجن ان
ابحاثه العلمية تؤدى اليها ياترى ؟ فان
اردت ان تعرفها فاصغ اليه حيث يقول :

من المعلوم ان المادة في اقصى تركيبها
ليست سوى شحنات كهربية يطلق عليها
اسما البروتون والالكترون اشارة الى



الاستاذ محمود أبو الفيض النوفى

والعالم الواسع العلم يرى نفسه
مضطراً الى الاعتراف بمثل تلك الحقائق
وخصوصاً اذا نظر لذاته في وجوده
الجسمانى الظاهر للعيان ، فيعلم انه
لا يملك لوجود ذاته فيا وراء جسمانه
تحديداً ثم يعلم أيضاً ان وراء تلك الذات
روحاً علوياً قد وهبت جسده الحياة فهو
يريد ان يعلم من اين انت والى اين تذهب
وهناك يدرك ان روحه في نفسها تعتبر
غيباً من الغيوب بالنسبة لجسده المحدود
ذى الابعاد والاعضاء ، فيرى عند ذلك
اى عند تلك النظرة الفاحصة انه قد خلف
وراء ظهره عالم الحس والمحسبات وأنه
قد ارتفع في نظرنه العملية الى آفاق تملو
على كل ملموس ومنظور : هذا اذا لم
يفره قول الماديين « ان وجود الروح عرض
لوجود المادة » القول الذى لا يساويه
الا قولك « ان وجود فكر المهندس عرض
لوجود الاحجار التي يريد ان يشيد بها
بناء » .

والحقيقة ان العلم في نزغته الاخيرة
يدلى بجعله لتلك الحقيقة الروحية وهو
متشوف للتعرف اليها وهذا الشأن شأن
كبار العلماء لاسيما علماء القرن العشرين
ولا يقتصر هذا النشاط في البحث الحر
عن الروح والاله في العصر الحاضر على
اهل العلم الطبيعى فقط .

بل انه يشمل التيار الفكرى العام على
اطلاقه اللهم الا في بلاد الراسماليين



أقياس
من النور
لمحات
من
المعرفة

« اننا لا نستطيع ان ندرك كيف يمكن
للمعلم تحليل فكرة [الله] بأسلوبه
العلمى اذا تمسك بحدوده التي وصفها
كتوله حين عرف نفسه بأنه [المعلم]
حسب موضوعى امكانى ، وانها تدرك
قط كيف يجب على العالم في مسلكه ان
يكون سمعيه تسمياً نزيها لا يتوخى سوى
الحق في ذاته فاذا كان للعالم قول محق
في شأن من الشئون قاله واذا لم يكن
قال لا اعلم وهذا في عرفنا وعرفنا الحقيقة
هو شرط العلم الصحيح — وهو يفيد ان
ليس للعلم بطبيعته هذه المحدودة حق
البحث فيما وراء المكتبات الطبيعية
الا ان يهب الله عز وجل للمعلم المجد
انواعاً من السعة — سعة الادراك —
فيكون لديه الفهم والتفكير والالهام الخ .
وكلها مواهب الهية تقع فيا وراء عالم
الحس والمحسبات ، ولذا يرى العالم
الطبيعى ان البحث عن تلك الغيوب لاسيما
فيما يختص بحقيقة الحياة والروح والاله
من اخطر المباحث الكونية ولكنها في الوقت
نفسه حقائق على كل حال .

والعلم كسعى نزيه يجب ان يسلم
بتلك الحقائق مضطراً لانها من الضروريات
وان كانت ليست من موضوع بحثه العلمى
فلا لوم على العلم المحدود المدى اذا وقف
صامتاً ازاء تلك الحقيقة [الالهية]
ولا يلام اذا ارتأى ان ليس له ما يصرح به
بشأن تلك المسائل اللهم الا اذا كان
العالم من سعة العلم بحيث يضيف الى
الحس والحواس بصر العقل والوجدان .

ماهو موجباً منها وماهو تسالباً يمكن
الراى القديم الذى كان يراها [المادة]
جامدة وخالدة ومعلوم أيضاً أن أى جوه
فرد من الجواهر الاثنين والتسعين
يستطيع أن يشع نوراً أو أى إشعاع
انترى آخر بشرط أن يكون الجوه الفرد
فى حالة خصوصية من حيث الحركة
والبيئة الطبيعية التى تتفاعل معه وعملية
الإشعاع هذه تطبع البروتونات والالكترونات
بعلامة خاصة بحيث إذا جرى إشعاع
استطعن أن نتأكد من حدوث هذه العلاقة
الفارقة فى تركيب الجوه الفرد الذرى
وإذا شاهدنا أو استنتجنا حدوث هذه
العلاقة استطعن أن نثق أن ثمة إشعاعاً
معيناً وقع ، أى أن الصلة بين الإشعاع
والعلامة المذكورة صلة تبادلية حتمية وهذه
العلامة هى التى يسقط الالكترون من أحد
أفلاكه حول النواة الى فلك أصغر فيقترب
بذلك من النواة ويستطيع الالكترون كذلك
أن يسقط الى فلك أقرب فاقرب من النواة
حتى يلتصق بها أخيراً ، وفى كل هذه
السقطات أو الوتبات ينبعث من الجوه
الفرد إشعاع معين تتوقف موجته على
مقدار الوثبة ومركزها .. وعندما يندمج
الالكترون فى الوثبة الأخيرة بالنواة يكون
الجوه الفرد قد استنفد جميع الطاقة
المثلة فى وجود هذا الالكترون داخل
نظامه وتكون قد استحالته هذه الطاقة
المخزونة الى طاقة إشعاعية خالصة وبهذا
التفاعل التجريدى تزول المادة وتستحيل
الى إشعاع .

وهنا يقول أدنجن وفى هذه اللحظة
يقول التساؤل الهام الآتى : متى ينب
الالكترون والى أى مدى ينب ؟ وعلى هذا
التساؤل لم يحظ العلم لآن بالجواب
المرضى فلا هو يعرف متى يشع الالكترون
فى السقوط ولا الى أى مدى يصل فى
سقطته لكنه - أى العلم - يعرف أنه
متى يشع الالكترون فى السقوط نحو
النواة توجد عدة احتمالات للبدى الذى
يستطيع أن يقطعه وتتمايز الوتبات بعضها
عن بعض باحتمال حدوثها ، أى أنه
بالرغم من عدم إمكاننا القطع فى وجوب
وقوع أحد هذه الاحتمالات وعدم وقوع
سواها نستطيع الجزم بأن أحدها مرجح
على ماعداها . كذلك نستطيع بالضبط
أن نحسب مقدار الإشعاع الذى ينطلق
من أى هذه الاحتمالات وبالجملة فإنه ليس
فى استطاعة العلم التنبؤ عن وثوب
الالكترون ولا عن مدى هذا الوثوب لكنه

كصفة هامة من صفات الله هو بالفعل
شائع فى أدق حوادث الكون عليا .
يستطيع متى وقع الوثوب أن يعين النتائج
الطبيعية المرتبة عليه تعييناً علياً مضبوطاً
ومثله فى ذلك مثل امرى لا يستطيع
التنبؤ بحدوث حرب عالمية لكنه يعرف تمام
المعرفة أن هذه الحرب متى وقعت ستبدي
الحديثة الأوروبية الحاضرة .

ونحن نلاحظ من كل هذا أن للعلم
حدوداً لا يستطيع تخطيها إذ لا يقدر على
نشر لواء معرفته على جميع أسرار هذا
الكون .. ومتى أدركنا طبيعة هذه الحدود
ومعناها الفلسفى علمنا أن العلم لا يستطيع
أن يشمل بطريقته ومبادئه جميع تصرفات
هذا الكون ، وأن ثمة تصرفاً خطيراً غير
منظور بمنجاة تامة عن الأسلوب العلمى
فيما وراء الكون ووراء تصرف الالكترون
قبل انبثاق الإشعاع منه ، والإشعاع
هو الوسيلة الوحيدة التى تعرف بواسطتها
ما يجرى داخل الجوه الفرد والآخر
الوحيد الذى يربط حوادث الجوه الفرد
الداخلية بحدوث الكون الأكبر الذى
يكتفه . وأذن فعدم استطاعة العلم
الإحاطة بسر هذا الفتح الوحيد للجوه
الفرد من الخطورة بما لا يستطيع أحد أن
يبالغ فى الحكم عليه . من كل هذا تبرز
حقيقة ناصعة عن تصرف الكون فى نهاية
تركيبه هى أن ثمة وجهة نهائية من هذا
الكون بأسلوبه المقدر توصل فى نهاية
تحليله اليه ناحية خارجية فى تصرفها عن
هذا الأسلوب الحسى ، ولا حيلة للعلم فى
الإحاطة بأسرارها ، ولو كان العيب
مقتصراً على مجرد نقص فى المعرفة
العلمية لما نجم عنه شيء ذوبال إذ ما أكثر
ما عجز العلم عن تفهم مكنونات الوجود
بعد . لكن الأمر تعدى مجرد هذا النقص
السلبى فى المعرفة الى إدراك أن الإبداع
والحرية من أخص خصائص أسباب الكون
العليا ، فالكون تملوه وتستقر فى كنهه
مسحة خالصة من الحرية والإبداع
ولا سبيل للآلية العلمية فى الوصول
اليها ؟ .. ومن هنا ينشأ إيمان أدنجن
بالله إذ هو يرى فى هذه الحرية القصوى
التي ينبثق بها الالكترون فى تصرفه خاصة
من أهم خصائص الفعل الإلهى : ألا وهى
الخلق ، والحرية ، والإبداع ، وهذه
صفات وخصائص تتعلق بالالوهية منذ أن
وعى العلم والفلسفة والدين معرفة الله
ومعرفة خصائصه .. فإذا تكشف البحث
العلمى عن تأثير هذه الصفات الإلهية فى

تصرف الكون النهائى ؟ فما أجدر أن يقرر
العالم التزيه أن مكان الدين يوصى به

وهذا هو نوع المنطق العلمى السليم
الذى حدا بأدنجن وغيره الى اليقين بالله
ويعرف أدنجن مع ذلك أن أى تغير فى
وعيه وإدراكه مرتبط أوثق الارتباط بتغير
خاص فى تركيب جسمه وهذا التغير
الآخر يمكن الوصول به تحليلاً الى مركبات
جسمه القصوى .. أى الى الكتروناته
فتصبح بين وعى أدنجن وبين الكتروناته
صلة وطيدة تبعث على صلة الكون بالله
تعالى ، بحيث إذا حصل تغير فى حال
الالكترونات جسمه أعقبه تغير فى وعيه
ناجم عنه ، ويعرف أدنجن أيضاً أن
الالكترونات جسمه وخصوصاً جهازه المصبى
تشارك جميع الكترونات الكون فى تصرفها
الحر المطلق الذى لا يقيد الا قدرة الله .
وأخيراً يعرف أدنجن أن هذه الحرية فى
الفعل التى يتخض عنها العلم الطبيعى
تتصل فى مصدرها من الخلق والأبداع
بالله تعالى لذلك كلما فكر العالم فى شيء
أو اختبر أمراً شمر أن هذا التفكير
والاختيار مشروط بوجود الله ومتوقف
عليه مثبت به .. إذا مرت بذهنه فكرة
أو إذا جنح الى حال نفسية خاصة
قامت فى جسمه ، وخصوصاً فى جهازه
المصبى رأها تغيراً الكترونياً حراً فى
انبثاقه ومضبوطاً فى نتائجه .. ولما كانت
هذه الحرية توحد جميع الكترونات الكون
فى مبدأ واحد هو فعل الله جاز أن يقوم
بذهن أدنجن كلما فكر واختبر إرأى أنه
إنما يفكر ليلتمس عرفان الله عند أقسى
تراكيب الكون من طريق التور والإشعاع .

وقلنا فى كتاب الوجود :

وبهذا التصوير والتدليل الرياضى
والطبيعى والعقلى المطابق للحقيقة بالفعل
يكون الوجود فى مفهومه وواقعيته ككل
مطلق يمثل دائرة واحدة مركزها فعال فى
محيطها ، ومحيطها يؤول فى النهاية الى
مركزها .. فمحيطها المادة وأقطارها
عوامل الوجود العامة الخفية المؤثرة فيه
.. كالقوة والحياة والفكر ، وأما مركزها
فهو السبب الأول الكافى المبدع الذى من
خصائصه الحياة الواعية الشاملة ،
والإرادة العليا المبدعة ، والفاعلية
المطلقة ، وهو [الله ، السبب الأول
لكل مانرى وما لا ترى من أشياء وقوى
ونظم والكل معلول له .

والمرارة من أجل أمك ، فكانت هذه الرؤيا اقوى الدوافع الى نظم هذه القصيدة .
وقد عبر اقبال في هذه القصيدة عن مشاعره في أسلوب يعد قمة في القوة والصراحة ، وحرارة الانجاسة ، على النحو الذي يلكه في آخر كتاب « رموز بيخودی » وجعل عنوانها : **عرض الشكوى على من أرسله الله رحمة للعالمين .**

وقد بدأ نظمه في هذه القصيدة ببيان آيادي النبي صلى الله عليه وسلم ومكارمه ومفضله على الإنسانية ، ثم بكى واستبكى على المناظر المؤسفة في حياة الشباب بخاصة ، والامة الإسلامية بعامة ، وتناول شرح ما تجيش به حياته الخاصة من المحن والكوارث ، ولكنه لم يجعل نفسه فاتحة الحديث ، بل أثر تهجيد الرسول الكريم ثم اتجه الى بث شكواه ووصف ما يعانيه من العلة والداء ، وأخيرا يعود الى التعبير عما تخفق به جوانحه من عشق للرسول مقهنا لو أن القدر قد أتاح له زيارة مدينة الرسول .

وهكذا بين اقبال في مطلع هذه القصيدة ما احسن به الرسول الكريم الى الامة طالبا أن ينجيها الله لا من الموت ، بل من خوف الموت ، فالموت قضاء محتوم لا حيلة فيه ، ولا تحويل عنه ، فلو أن المسلم قد تحرر من خوف الموت لتغلب على جميع قسوى الفساد ، وتعبير اقبال هنا هو صدى لرسالة خالد بن الوليد التي كتب بها الى قادة الفرس قبل بدء المعركة [**جئكم يقوم يحبون الموت ، كما تحبون الحياة**] .

ثم بين اقبال مآثر الرسول ، وكيف قضى على عبادة الاصنام ، واسبغ ظل حياة جديدة ، يسودها توحيد الله ، وقد خلص المسلمين من عبادة الاوثان ، واحناء الرعوس امام الكهان ، والخضوع للطغاة ، والخشية من الظالمين .

ويقول اقبال للرسول الكريم : ما هذه النعم الروحية الا من عطياك ، وما تجد القلوب سعادتها الا في ذكرك ، ان حبك هو الذي جعل الفقير المعدم يتهم بقوة من الشعور ، وحصانة من الايمان ، وسلاح من الارادة ، تجعله يقف في ثبات ليقول كلمة الحق في وجوه الجبارين غير خائف ولا هباب . واخذ اقبال بعد ذلك يستنزف الدموع الدامية على تخاذل الشباب وضعف ارادته ، وقد خلت القلوب من حب نبيها ، وأي حب ذلك الذي تهتم به الكلمات ، وتتحرك به الشفاه ، دون أن تتجلى حقيقته في صورة العمل والقوة بالرسول وسيرته في عزه واستغناؤه .

يقول اقبال : ان قنبارتي قد أصبحت أوتارها غير متجاوبة ، ويريد بذلك أنه لا يجد النفوس المستعدة لقبول التوجيه والنصح ، فكل كلمة يحاول بها الهداية ، يحملها الفضاء الى الفضاء ، ثم يتبدد صداها دون جدوى .



قصيدة الشيخ الصاوي شملت



هذهما تسعدت بزيارة باكستان ، تخيرت من مؤلفات اقبال كتابا للترجمة ، وجه فيه الشاعر عبقريته الى انهاض المسلمين ، وشسح عزائمهم ، في دفع قوى الى وجوب التخلص من الاستعمار ، الذي لا حصيلة له سوى مسخ صورة الإنسانية للامة التي تشقى بالمستعمرين .

واعلنت الصحف الباكستانية أنني بسبيل الى نقل هذا الكتاب الى العربية ، على أن أقدم لكل فصل من الكتاب مقدمة تشرح وجهة الشاعر وفكرته . وإلى قراء المنبر أقدم الجزء الاول من القصيدة المشاعر اليها ، وقد أتممت الكتاب بنظمه ونثره ، وهذا الجزء من مناجاة الشاعر للرسول الكريم .

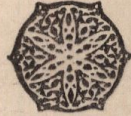
يقول اقبال :

في الليلة الثالثة من شهر ابريل سنة ست وفلائين وتسعمائة وألف حينما كنت مقبها في [بوفال] إحدى ولايات الهند ، رايت السيد أحمد خان في المنام يقول لي : تقدم الى رسول الله صلوات الله عليه وسلامه بعرض شكواك ، وبين ما تجد من الآلام

ومن هذه القصيدة (الى رسول الله)



يا رأس مال البائسين ويا منار الحائرين
أدع الاله يهب لأمتك الشجاعة واليقين
ويعيذهم من شر خوف الموت من قبل الممات
الخوف يفنى الخائفين وهم على قيد الحياة
يا من هدمت اللات والعزى وحشرت الحرم
وبنيت أعلى أمة تهدي بسيرتها الأمم
ذكر الاله ويقظة الوجندان في انس وجنان
آيات وحبك يا صلاة الصبح يا صوت الأذان
فحرارة الإيمان في القلب المشوق الى النضال
وسراج ليل الفكر لا معبود الا ذو الجلال
لم نتخذ في الكون ربا من رخام او حجر
كلا ولم نسجد لنجم او نبات او بقعر
لم نلق جبهتنا لدى الكهان في ذل حقير
لم نحن هامتنا لسلاطان قوى او امير
من فيض لطفك كل هذا الفضل والعز المكين
وبناء صرح المجيد في توحيد رب العالمين
ذكراك ورد سائف يحياو به العيش المرير
وبفيرة الإيمان صار الدين كنزا للفقير
يا منتهى كل المنازل في طريق السالكين
يا من الى انواره تهبو قلوب الماشقين



بقية مقال « قطوف »

لأصحابه خطا مريعا ، وخط وسطه خطا خارجا منه ،
وخط خطوطا صفارا الى جانب الخط ، وقال :
أتدرون ما هذا ؟
قلنا : الله ورسوله اعلم .
قال : هذا الانسان : الخط الذي في الوسط ،
وهذا الاجل محيط به ، وهذه الخطوط الصغار
الاعراض التي حوله تنهشه ، ان أخطأ هذا نهشه
هذا ، وان أخطأ هذا نهشه هذا ، وذلك الخط
الخارج ، الأمل .

• • •

خوف الكبير :
عن جعفر بن محمد الصادق — عليه وعلى آبائه

السلام — « ان فقيرا اتى الى النبي — صلى الله عليه
وسلم — وعنده رجل غني ، فكف الغني ثيابه عنه ،
فقال له رسول الله — صلى الله عليه وسلم — :
ما حملك على ما صنعت ؟ . . أخشيت ان يلصق
فقره بك . او يلصق غناك به ؟
فقال : يا رسول الله ، اما اذ قلت هذا ، فله
نصف مالي !
فقال — صلى الله عليه وسلم — للفقير : انقبل
منه ؟
قال : لا !
قال — صلى الله عليه وسلم — : ولم ؟
قال : اخاف ان يدخلني ما دخله ! »

النظم البديع الأسنى

الأسماء الله الحسنى

الشاعر محمد فهد الطيب

انت الرجا يا واسع كبير
يا عدل يا لطيف يا خير
قوى يا غفور يا شكور
حفيظ يا مقيت يا صبور
ويا مجيد متكبر على
ويا متين يا حميد يا ولي
يا محصى يا مبدى يا معيد
يا محيى يا مميت يا شهيد
يا حي يا قيوم يا وهاب
ويا بصير ملك ثواب
يا وارث يا باعث وكييل
يا حكم منتقم جليل
ويا غفور يا رؤوف جامع
ويا عزيز يا مجيب مانع
يا نافع يا صار يا بديع
يا نور يا هادى يا سميع
يا مقنى يا غنى يا كريم
يا باقى يا مقسط يا عظيم
ويا رشيد مالنا سواكا
يرشدنا لما به رضاكا
نسالك الوصول للجناب
واللطف بالاعداء والاحباب
وكل ما سألته الاخيار
والفضول مما خافه الابرار
وافضل الصلاة والسلام
على رسول الخالق السلام
والال والصحب مدى الاوقات
بقدر علم الله ذى الهيات
واختم لنا يارب بالخيرات
بحرمة الاسماء والصفات

قال عليه الصلاة والسلام «ان
الله تسعة وتسعين اسما مائة
الا واحدا من احصاها دخل
الجنة» - رواه البخارى .
الحمد للخالق ذى الالاء
والطول والحسنى من الاسماء
ثم الصلاة والسلام سرمدا
على النبي والذي به اقتدى
وبعد فاحفظ يا مريد الجنة
اسماء مولانا العظيم المنه
وسل بها مولاك ما تريد
فانه الفعالم ما يريد
وهاك فيها يا مريد الحسنى
يحفظها [النظم البديع الأسنى]

الله يا رحمن يا رحيم
يا بر يا قدوس يا حكيم
يا مالك الملك ويا سلام
يا من له الجلال والاکرام
يا مؤمن مهيم حسيب
يا قادر مقتدر رقيب
يا خالق يا بارى مصور
يا اول مقدم مؤخر
يا صمد يا باطن يا ظاهر
يا واجد يا ماجد يا آخر
وياودود باسط وقابض
ويا واحد ورافع وخافض
ويا معزى يا مذل والى
يا حق يا قهار يا متعالى
رزاق يا فتاح يا عليم
جبار يا غفار يا حلیم

جولة

منبر
الإسلام

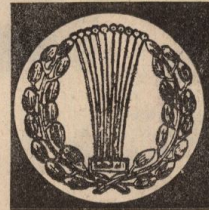
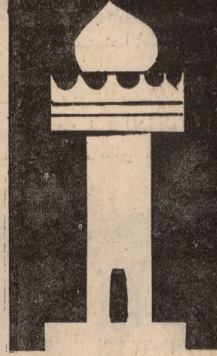
إعلاء يسرى مخلوف

مع اشراقه المواد النبوى الشريفه، عاشت
الدقهلية طوال شهر مايو فى احتفالات
مستمرة . ما بين مشروعات تفتح . . ومؤتمرات
تعقد . . ولقاءات كثيرة . . وكان كل هذا
بمناسبة يوم الدقهلية ٧ مايو . يوم سجله
التاريخ وسجل معه أروع البطولات فى
معركة المنصورة ضد الغزو الصليبي الذى
كان يستهدف الاستيلاء على مصر . ان العيد
القومى للدقهلية ذكرى عزيزة غالية لانتصار
الجيش والشعب على الغزو الصليبي . .
ذكرى تدعم ثقتنا بانفسنا .

مع العيد القومى لمحافظة الدقهلية



السيد محمد احمد وزير شئون رئاسة الجمهورية والسيد محافظ
الدقهلية وسكرتير عام المحافظة يتجهون الى المؤتمر الكبير الذى
عقد بالمنصورة بمناسبة العيد القومى .



١٠ آلاف جنيه لمشروع المدارس الإسلامية

١٥٠ فرصة عمل للشباب في الصيف

الصحة - وضع حجر الأساس لفرع المؤسسة العالية الاجتماعية بالمنصورة ... هذا كله الى جانب العديد من المشروعات الهامة التي تمت في خلال هذا العام بالدقهلية .. والواقع ان الدقهلية شهدت خلال السنوات الاربع الماضية الاخيرة تحولا واسعا في شتى المجالات وخصوصا مجال الصناعة . وبرز مشروعات المحافظة في المجال الصناعي مشروع المجمع الصناعي . وإيمانا من المحافظة بأهمية دور الصناعة بالمنصورة قرر السيد عبد الفتاح على أحمد محافظ الدقهلية البدء في تنفيذ المدينة الصناعية بالمنصورة كما قرر المحافظ تنفيذ مشروع المدينة الصناعية بكل مجلس مدينة مع البدء في عزل الورش الصناعية والمصانع في تجمع صناعي خارج المدن وخلق الصناعات البيئية والصناعات الثقيلة بالمدن .

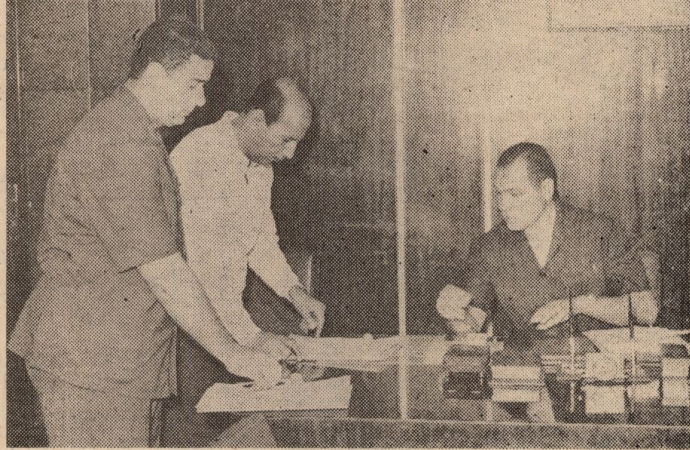
هذه هي الدقهلية تلك المحافظة التي تعد بدون فخر من أنشط المحافظات في الجمهورية العربية المتحدة في جميع المجالات .. في التقدم العلمي .. الصناعي .. الزراعي .. العمراني .. الانتاجي بل في شتى المجالات . مما جعلها ثاني محافظة بعد العاصمة .. ولقد قال السيد الاستاذ محمد أحمد وزير الدولة لشئون رئاسة الجمهورية في أثناء زيارته للدقهلية : - ان روح التعاون الوثيق بين الأجهزة التنفيذية والشعبية في الدقهلية كانت من العوامل الرئيسية في تحقيق كثير من الانجازات

من هذا المنطلق احتفلت الدقهلية بعيدها وعاشت في مهرجان شعبي كبير ملأ المحافظة بأكملها .. وذهبت الى هناك لنعيش في هذه الاحتفالات ولانقل الى القراء الاعزاء صورة من الصور الرائعة التي شاهدها وشاهدها معي كل من قدم الى المنصورة للاحتفال بعيدها . كانت هناك لقاءات كثيرة حضرها الوزراء لقد زار الدقهلية السيد الوزير محمد أحمد وزير الدولة لشئون رئاسة الجمهورية . والسيد وزير الصحة - ووزير الشؤون الاجتماعية .. ووزير العمل ، وكبار المسؤولين في الدولة . وعاشوا جميعا مع شعب الدقهلية في عيدها . وأفتتحوا الكثير من المشروعات الهامة ووضعوا حجر الأساس لكثير من المساجد والمشروعات التي أهمها .. وضع حجر الأساس لمسجد النصر بالسنبلاوين . افتتاح متحف الزعيم الراحل عبد الناصر - مكتبة الديوان العام بالمحافظة - افتتاح حديقة الأطفال - وضع حجر الأساس بمعهد العلاج الطبيعي والنطق الجديد بطلخا - زيارة كورنيش النيل الجديد - وضع حجر أساس الجزر الآلى بالمنصورة والمدينة الصناعية - افتتاح مسجد ربحان - افتتاح بيت الطالبات المغتربات بجمعية سيدات الدقهلية - وضع حجر الأساس للوحدة الاجتماعية بقرية ميت العامل - افتتاح الوحدة الصحية بسلامون القباشي - افتتاح وتوسيع مستشفى السنبلاوين المركزي - وضع حجر الأساس لوحدة منية سنوب



مكتبة الديوان العام بالمحافظة

١٠٠ ألف جنيه لنشر تعليم الدين بالمحافظة



السيد عبد المنعم عبد ربه
سكرتير عام المحافظة . .
وعديد من المسائل التي
يبحثها

يجيء احتفال الدقهلية بعيدها القومي هذا العلم مع مناسبتين هامتين ، أولهما الاحتفال بذكرى المولد النبوي الشريف ، وثانيهما إعلان اتحاد الجمهوريات العربية المتحدة .
المناسبة الاولى لها جلالها وهداها العميق في قلب كل مسلم ، والمناسبة الثانية لها مدلولها الكبير ومغزاها في العالم العربي كله .
ان ذكرى المولد النبوي الشريف ، والسيرة النبوية تعطينا زادا نحن أحوج ما نكون اليه لكي ننهل منه دائما ونستلهم منه الدرس والعبر . درس الصبر والمثابرة والاصرار وقوة العزيمة والايمن بالرسالة والتضحية من أجلها والتمسك بالهدف والسعي لتحقيقه بكل وسيلة - والاعداد قبل الاقدام والثقة بالنصر . ثمة دروس بغير نهاية نستلهمها من الذكرى النبوية في سلوك الفرد وسلوك الجماعة في قيمة وحدة الصف وفاعليته فيما يمكن ان نحززه بالكلمة الواحدة .
واختتم سيادته حديثه قائلا اننا ونحن نحتفل بعيد الدقهلية القومي فان الثقة تملأ شعب الدقهلية في أن يوم النصر آت بلا ريب وأن الثقة في الله والعمل الدائب والجهد الكبير الذي يبذله أبناء مصر على جبهة القتال ، هذه العوامل جميعها كفيلة بتحقيق الأمل في النصر وفي الوحدة وفي الفد المشرق .

وشكرت سيادته على هذه الكلمة الفياضة المليئة بالايمن والقوة والثقة وودعته مهنئا بعيد الدقهلية القومي متمنيا للدقهلية وشعبها مستقبلا زاهرا .

وذهبت لالتقى بعد ذلك بالسيد السكرتير العام

التي شهدها المحافظة . وكان السيد الوزير يتحدث في مؤتمر كبير عقد بديوان المحافظة وشهده السيد عبد الفتاح على أحمد محافظ الدقهلية والسيد عبد المنعم عبد ربه سكرتير عام المحافظة وكثير من كبار المسؤولين . . ولقد استطرد سيادته قائلا في المؤتمر . اننا نعيش الآن في اعياد الدقهلية القومية كذكرى للانتصار على الغزاة الصليبيين وأيضا أيام اعياد مولد الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وندعو الله أن يتحقق العبد الثالث وهو اتحاد الجمهوريات العربية الشامل في القريب ان شاء الله . ولقد لمست في جميع لقاءاتي بالمواطنين في كل القرى والمدن التي زرتها بالدقهلية تأييدا واصرارا على الوحدة .

وفي نهاية هذا المؤتمر الكبير قرروا بالاجماع ارسال برقية باسم جماهير الدقهلية للسيد الرئيس انور السادات يباركون فيها خطوة قيام اتحاد الجمهوريات العربية . وكانت هناك على توالي الايام زيارات أخرى للسادة الوزراء . . وعاشت الدقهلية في مهرجانها القومي . . وفي غمرة هذه الاحتفالات التفت مجلة منبر الاسلام مع السيد الاستاذ عبد الفتاح على أحمد محافظ الدقهلية الذي يبدأ يومه بالجلوس في مكتب الشكاوى بين الناس يسمع لهم ، ويحل مشاكلهم ويقف وسطهم يستمع الى الكبير والصغير الكل يعرض شكواه ويدب النشاط في المحافظة بوصوله لتنفيذ ما يأمر سيادته به من جل لكثير من المشكلات للمواطنين . . وفي وسط هذا الزحام من العمل المتواصل حصلت مجلة منبر الاسلام على حديثه اليها في العيد القومي لمحافظة الدقهلية فقال سيادته :



جامع الرحمن بطلخا : نموذج رائع للفن الاسلامي

وقد تمت المحافظة باسم اهالى الدقهلية لوزارة التعليم ١٠٠ ألف جنيه لاستكمال مشروع الجامعة . كما قدمت المحافظة كل ما تملك لصالح هذا المشروع ما يقرب من ٢٠٠ ألف جنيه . وقال سيادته ان ثمة تركيزا واضحا على التعليم فى المحافظة . فهناك حوالى ٩٣ مدرسة اقيمت بالحلول الذاتية وهناك خطة لانشاء مدرسة ثانوية بكل قرية يصل سكانها الى عشرة آلاف . كما قال سيادته ان تعميم المدارس الاسلامية بالمحافظة سيتم خلال خمس سنوات . لاتنا نهتم دائما بالقيم الروحية والدينية . وأن الدقهلية تتمتع بل اقول انها اكبر المحافظات بالناحية الدينية ولذلك اعتنت المحافظة وتعتنى دائما بإقامة المساجد فى الدقهلية حوالى ١٨٠٠ مسجد اهلى وحكومى ..

ثم استطرد سيادته قائلا : ان محافظة الدقهلية تعيش فى حالة الاستعداد للمعركة فى كل مرافقها ومواقع العمل المختلفة فيها . وهذا التاهب والاستعداد ليس غريبا على محافظة الدقهلية التى هزم فوق ارضها لويس التاسع واسر بدار ابن لقمان، وعلى ارضها كسر المجاهد حسن طوبار شوكة

للمحافظة الحاج عبد المتعم عبد ربه .. الرجل القلبي يفتح باب مكتبه مع باب قلبه .. وحينما تلمحه تحس بالايمن والثقة يشعان من بين حديثه .. وتصلو الابتسامة على وجهه الطيب .. ويملك بين ضلوعه قلبا يؤمن بالله وحب الناس .. لقد فتح باب مكتبه للجميع مؤمنا بالمبدأ الذى يقول ان الباب المفتوح يجعل المسئول يعيش قريبا من الناس .

ذهبت اليه وانا أعرفه .. أعرف حبه للخير .. ومع ذلك فهو انسان قاس ضد الانحراف والاستهتار .. وحازم فى تصرفاته ومعتدل فى جميع ما يتخذه من قرارات وانسان فى حل مشاكل الناس .. لذلك تجد مكتبه يعم بالجميع .. خلية نحل .. دائم النشاط .. يستطيع ان يتحدث مع الجميع فى وقت واحد ..

دخلت الى مكتبه وسط الزحام .. ولى امل فى ان استطيع وسط زحمة العمل ان احصل على حديثه لحظة منير الاسلام .. وجلست ساعات طويلة فى مكتبه .. فانت لا تبلى من الجلوس معه .. حدثنا عن جامعة المنصورة حلم الدقهلية الذى حققه شعبها .. وقال لم تحرص الدقهلية على ان تحقق املا مثلها تصمت لبناء جامعة المنصورة .. وقال ان المحافظة تحتضن مشروع الجامعة .. فقد تبنت المحافظة المشروع كأكبر المشروعات الحيوية فى الدقهلية



أحدى المدارس الاسلامية بالمنصورة

الدقهلية رائدة في ميدان كهربة الريف..



بدأ تنفيذه هذا العام . حيث زادت الى ٥٤ قرية حتى هذا العام حيث تم ائارة ٣٩ قرية منها ١٨ قرية بمركز طلخا ودكرنس تم ائارتهما بالجهد الذاتى . زادت الى ٥٤ قرية حتى هذا العام . وقد أعدت المحافظة الآن خطة الائارة ١٠٠ قرية من التيسار الرئيسى من القرى الواقعة على جوانب خطوط الضغط المتوسط والقرية منها وذلك على مدى عامين وسيتم تنفيذ كهربة الريف بالدقهلية فى خلال ٤ سنوات .

١٥٠٠ فرصة عمل للشباب فى الصيف ١/٢ مليون طوبة صنعها شباب الدقهلية فى العام الماضى

شباب اليوم هم رجال الغد . وهم حملة الرسالة وبناء المستقبل . ان نظرة على مشروعات الشباب فى الدقهلية تؤكد لنا مدى التركيز والاهتمام بهذا القطاع الحيوى فى مجتمعنا .

فلقد تحول معسكر حفير شهاب الدين . الذى حقق نجاحا كبيرا الى معسكر دائم . دولى يعمل صيفا وشتاء .

الى جانب المعسكر فلقد قام شباب الدقهلية فى الصيف الماضى بتصنيع ١/٢ مليون طوبة . اشترك فى المشروع ٧٠٠ شاب وبلغ قيمة هذا العمل الذى قدمه الشباب للمحافظة فى هذا المشروع ٥٠ الف جنيه ولم يكلف المشروع الميزانية سوى ٦٥٠ جنيها .

اما مشروع تشكيل الطلبة فى هذا الصيف فسوف يزيد هذا العام . بعد نجاحه بالاستشارك بين كل الاجهزة بالمحافظة وسيتم تدبير ١٥٠٠ فرصة عمل للشباب باجر . وسيلتحق بهذه الاعمال الطلبة الممتازون والذين تطوعوا فى كتاب خدمة الجبهة ومشروعات خدمة البيئة ..

رعاية أسر المجندين مكتب اضافى لحل مشكلاتهم ١٠ ٪ من المساكن لهم .

لتوفير الخدمات لاسر المجندين تم تشكيل مكتب خاص لهذا الغرض بالمحافظة بالإضافة الى اسر المجندين لتعزيز خدمة المجندين واسرهم وقد قام هذا المكتب بالاتصال الشخصى بين رؤساء المديرىات واسر المجندين لحل اكبر عدد من شكواهم ويتم خلال هذا العام

الفرنسيين - وشهدت أرضها منذ عدوان يونيو عدة غارات أثبتت سرعة وكفاءة اجهزة الدفاع المدنى والشعبى بها .

ثم حدثنا سيادته عن الرعاية الكاملة للمهجريين بالمحافظة وعن فرص العمل التى اقيمت لاربعة آلاف مواطن وعامل تم تشغيلهم فى المصالح والمؤسسات .. ثم يقول سيادته ان هناك جانب آخر من الاهتمام بالمهجريين وهى خدمات الصحية . ان كل مهاجر معفى من دفع رسوم الكشف الطبى فى الوحدات الصحية - كما يولى المحافظ اهتماما متزايدا بمشروعات الاسر المنتجة كوسيلة فعالة للقضاء على البطالة بين المهجريين .

وخرجت من مكتب السيد السكرتير العام مندهش من هذا النشاط الذى يعم الدقهلية وكل ذلك يرجع الى الجهاز التنفيذى الذى يتولى الاشراف على كل هذه المجالات مما جعل محافظة الدقهلية بحق من أولى المحافظات فى الجمهورية العربية المتحدة وشكرت سيادته على هذا اللقاء مع منبر الاسلام وتحوّلت فى المحافظة لنقل صورة أخرى من أخبارها من جميع الوجوه .

محافظة الدقهلية تؤيد الرئيس أنور السادات

أرسل السيد عبد الفتاح على احمد محافظ الدقهلية برقية باسم شعب الدقهلية يؤيد فيها السيد الرئيس محمد أنور السادات فى خطواته المباركة . وقراراته الثورية التى أكدت سلطة الشعب وحمت مكاسبه الثورية ووحدته الوطنية

تجربة عملية للدفاع المدنى

شهد السيد محمد احمد وزير شؤون رئاسة الجمهورية والسيد عبد الفتاح على احمد محافظ الدقهلية تجربة عملية للدفاع المدنى والشعبى للوقوف على مدى كفاءة هذه الاجهزة وذلك اثناء زيارة سيادته للمحافظة فى عيدها القومى .

الدقهلية رائدة فى ميدان كهربة الريف

سبقت محافظة الدقهلية محافظات الجمهورية العربية المتحدة فى تنفيذ مشروع كهربة القرى الذى

لقاء مع السيد المحافظ
والسيد رئيس المجلس عند
موقع انشاء كوبرى نبروه
الجديد الذى يربط منطقة
بحرى طلخا مع جنوبها .



لجنة مسابقة امتحان حفظ
القرآن الكريم



أفراد المنظمة للمجالس والقريء ، تبرع أعضاء
المنظمة بـ ٩٨٠ مشروعا لصالح المعركة .

مكتب ، للدعوة والفكر
بديوان عام المحافظة

ايماننا بأن عامل النصر فى المعركة يتوقف على
الايمان بقضية التحرير والايمان بالقيم والمبادئ
الروحية . شكلت المحافظة مكتبا للدعوة والفكر
قام حتى الان بتغطية مراكز المحافظة والوحدات
الاساسية بالمحاضرات والندوات الدينية والثقافية
من مراحل النضال ..

مشروعات جزيرة الورد

يجرى الآن بجزيرة الورد اجمل بقعة فى وسط
النيل بالمنصورة ، اقامة منطقة سياحية متكاملة على
هذه الجزيرة التى تبلغ مساحتها ٢٠ فداناً . وأهم
المشروعات التى يجرى اقامتها بالجزيرة . انشاء
فندق وكازينو المنصورة واطامة حديقة للحيوانات .

الحصول على مساكن لـ ١٦٠ أسرة وتعيين ٣٩٠
عاملا وموظفا وموظفة من أبناء أسر المهندسين .

اضخم مكتبة فى ديوان عام المحافظة

هى احدث المكتبات التى تضم ثروة ثقافية لامثيل
لها . الى جانب اقطاب العلم والحضارة وهى تضم
مكتبة العلامة الفيلسوف احمد لطفى السيد وتحتوى
على ٣ آلاف كتاب .

أول حديقة سياحية للأطفال

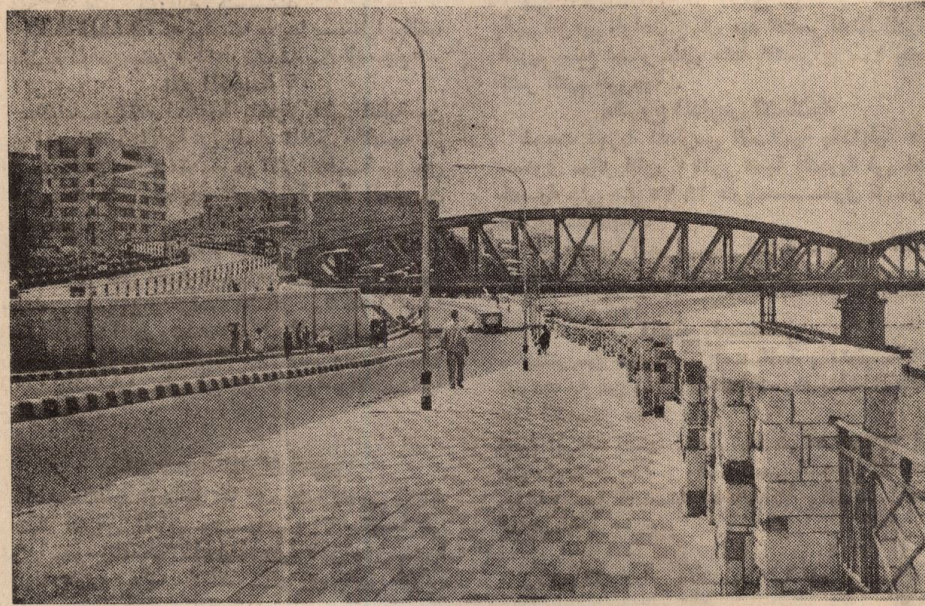
الحديقة تقع فى مواجهة قصر الثقافة وهى تمثل
أحد المشروعات التى يقوم بها مجلس مدينة
المنصورة ، وسيقوم المجلس بتزويدها بلعب الأطفال
الحديقة التى تساعد على كشف المواهب الفنية عند
الأطفال .

الشباب يساهم فى المعركة

شاركت منظمة الشباب الناصرى بالدقهلية فى
تحديد فصائل دم ١٥ ألف مواطن عن طريق توعية



ديوان عام محافظة الدقهلية الذى شيد على الطراز الحديث



الكورنيش الجديد : احد المشاريع الكبرى التى تمت فى محافظة الدقهلية



حديقة الاطفال التى افتتحت فى العيد القومى للمحافظة

وزيادة فى التشجيع تم الاعلان عن مسابقة اسلامية باسم الزعيم الراحل جمال عبد الناصر لحفظ القرآن الكريم يمنح اصغر طفل حفظ القرآن ١٠٠ جنيه لنشر القيم الروحية .

مشروع المدارس الاسلامية

نجحت تجربة المدارس الاسلامية بالدقهلية على مستوى مركز النور ، تقرر تنمية التجربة فى خطة خمسية حتى عام ١٩٧٥ على مستوى كل مركز ادارى بالدقهلية .
على ان يبدأ العمل بمركز المنزلة . واعتمد السيد المحافظ للمشروع ١٠ آلاء ، جنيه .

المجمع الصناعى

يعتبر من مميزات الصناعة بالدقهلية ان انفردت به عن معظم المحافظات وقد بدأت المحافظة هذا الشهر ..
تنفيذ المرحلة الثانية منه . وقد تم اعتماد ١٤٧ الف جنيه لهذه المرحلة . وقد خصص للمجمع ٤٤ فدانا بهدف تجميع الصناعات الحديثة والصناعات المتوسطة .

وياذن الله تعالى ستتتصر الامة العربية على اعدائها وخاصة انها تسعى لوحدها ممثلة فى الدولة المؤمنة بربها دولة اتحاد الجمهوريات العربية .

كورنيش جديد

اقامت المحافظة كورنيشا جديدا سفليا بجانب شاطئ البحر مباشرة بلغت تكاليفه ٨٠ ألف جنيه .

الام المثالية

حظيت محافظة الدقهلية باختيار الام المثالية من بين الامهات بالدقهلية فى العام الماضى بالنسبة لام الشهداء .. كما اختيرت الام المثالية من بين المرشحات على مستوى الجمهورية هذا العام من ميت غمر .

التعليم الدينى

يجرى الآن اقامة ٤ معاهد دينية بميت غمر ويلقاس وشربين ودكرنس تكلفت ١٠٠ ألف جنيه لنشر التعليم الدينى تحت اشراف المحافظة والاقواف وينتهى العمل بها فى نهاية هذا العام وتسع ١٥٠٠ طالب وتشتمل على مراحل الثانوية والاعدادية والابتدائى .

مكاتب تحفيظ القرآن الكريم

اعتمد السيد المحافظ ٣٠ الف جنيه لتدعيم مكاتب تحفيظ القرآن الكريم وسيقام ٢٢٥ مكتبا فى قرى حدود الدقهلية الحديثة حتى اكبر جزر بحيرة المنزلة تتولى رعاية ٤٠ الف طفل وتحفيظهم القرآن الكريم وسيكون مقرها المساجد والجمعيات الشرعية وجميعيات القرآن الكريم .

قراءات

طرائف

نصير: فؤاد هبة

عز الوحدة .. ومزله الفرقة

فقد أحبني ، ومن أحبني كان معي في الجنة » رواه الترمذي .

والغش الذي يشير اليه الرسول الكريم هو الاصرار على اضرار الغير في نفس أو عرض أو مال . ويقول صلى الله عليه وسلم « أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ، ومن كانت فيه ثلثة منهم كان فيه خلة من نفاق حتى يدعها : إذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا وعد أخلف ، وإذا خان فجر » (رواه الأربعة) .

ويقول عليه الصلاة والسلام « اياكم والخصم فان الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب » وقال « اتدرون ما الغيبة ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : ذكرك أخاك بما يكره ، قيل : أفرأيت ان كان في أخى ما أقول ، قال ! ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، وان لم يكن فيه فقد بهته » (أى رميته بالبهتان وهو الباطل) .

وقال صلى الله عليه وسلم « اياكم والظن فان الظن أكذب الحديث ، ولا تحسسوا ولا تجسسوا ، ولا تنافسوا ، ولا تحاسدوا ، ولا تباغضوا ، ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا » .

ويريد الرسول الكريم بالتنافس التنافس على الدنيا ، وبالتدابير ما يسبب البغض والتنافر .

ويقول الرسول الكريم « ان شر الناس منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء فحشه أى كلامه السيء

ان مفاهيم الوحدة والاتحاد والتضامن والتماسك والتآزر والتعاون عرفها الانسان بفطرته وسعى اليها بفطنته وضحى من أجلها بارادته لانه رأى فيها حياته وعزته وسعادته ، ونعم في ظلها بالامن والامان والطمأنينة والاستقرار بعد ما عاناه في صراع الفرقة ، وفرقة الصراع . .

فما هي الدعامات التي وضعها الاسلام لتحقيق قيمة المجتمع الصالح على هذه المبادئ السامية وتجنب الفرقة والنزعات الشيطانية . . وهو ما نعرضه بايجاز من خلال صحبة طيبة مباركة صادقة لرسول الانسانية ونبي الرحمة وامام الموحدين سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه ، من خلال احاديثه الشريفة . . عن أنس قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا بنى ان قدردت أن تصبح وتمسى ليس فى قلبك غش لأحد ، فافعل ، ثم قال لى : يا بنى وذلك من سنتى ، ومن أحيا سنتى

تخلص حكيم



حدثنا الحسن بن الصباح قال : لما أن قدم الشافعي إلى بغداد وافق عقد الرشيد للأمين والمأمون على العهد ، قال : فبكر الناس ليهنوا الرشيد ، فجلسوا في دار العامة ينتظرون الأذن فجعل الناس يقولون : كيف ندعوا لهما ؟ إذا فعلنا ذلك كان دعاء على الخليفة وإن لم ندع لهما كان تقصيرا ، قال : فدخل الشافعي مجلس ، فقيل له في ذلك ، فقال : الله الموفق ، فلما أذن للناس فكان أول متكلم الشافعي فقال :

لا تقصرا عنها ولا بلغنها
حتى يطول على يدك طولها
فكان تخلصا حكيميا ..
أدب الخصمة ، كرم المجالسة



بلغنا عن عمارة بن حمزة أنه دخل على المتصور فجلس على مرتبة المرسومة له فقام رجل وقال : مظلوم يا أمير المؤمنين ، فقال : من ظلمك ؟ قال عمارة غصبني ضيعتي ، فقال المتصور : قم يا عمارة فاجلس مع خصمك ، قال : ما هو لي بخصم ، قال : وكيف وهو مظلوم منك ؟

فقال : إن كانت الضيعة له لم أنازعه فيها ، وإن كانت لي فقد تركتها له ، ولا أقوم من مجلس شرفتي أمير المؤمنين بالرفعة فيه فأجلس في أدناه بسبب ضيعة .



القلم والتون والعقل والجنة

عن ابن عباس : أنه دخل على عائشة فقال : يا أم المؤمنين ، أرايت الرجل يقل قيامه ويكثر رقاذه ، وآخر يكثر قيامه ويقل رقاذه ، أيهما أحب إليك ؟ قالت : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم كها سألتني عنه ، فقال : أحسنهما عقلا . قلت :

ويقول عليه أفضل الصلاة والسلام « من قارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه » .
فالمفارقون للجماعة هم المنشقون والرجعيون والمنحرفون الذين لا يؤمن شرهم ، وهم أضر على الأمة من الأعداء ..

وفي الله أمنا العربية ومصرنا الحبيب شر الفرقة ، وألهمها الهداية والتوفيق للسير صفوفا مقراصة ، وقلوبا متألقة ، وأفئدة متوحدة ، خلف الرئيس القائد أنور السادات الذي (أيده الله) فصدر في كل تحركاته ونبراته وخطاته ومستلهماته من وحى المعركة من وحى الأمة من وحى شعبنا الأصيل ، منتصرا لكل مكرمة ومؤيدا لكل ما هو جليل وكريم فكان التوفيق حليفه والشعب حبيبه والله مؤيده وناصره .. وفقه الله وسدد خطاه وبارك مسعاها وكلل نجواه بالرضا والتأييد وحقق على يديه كل ما تنهاه من حرية وانطلاق إلى رحاب المحبة والأخوة الصادقة القائمة على التوجيه السديد وطهارة القلب وصفاء السريزة ، بعيدا عن الصراع الخبيث والمهاترة السفسطائية أو التحكم المبيت وأحياء لكل متطلبات الحياة من أمانة في التعبير وصدق في المواجهة وأصالة في المكاشفة .. اتبعنا من الشريعة المحمدية شريعة الأخوة والاتحاد .. وأحياء للحضارة العربية حضارة الحرية الفكرية والحرية الإنسانية .. فאלك في حق الحياة سواء لا مجال للتسلط والإرهاب ولا أمان لتجسسي يتجسس المورث ويتاجر بالحريات وصدق الله العظيم إذ يقول في كتابه العزيز « أن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء » « قل آمنتم بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم » .

صدق الله العظيم ..



الحكم بعد المداولة

روى أن الرشيد قال لأبي يوسف : ما تقول في الفالودج واللوزينج أيهما أطيب ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ! لا أقضي بين غائبين عنى ، فأمر بإحضارهما ، فجعل أبو يوسف يأكل من هذا لقمة ومن ذاك أخرى ، ثم قال : يا أمير المؤمنين : مارايت خصمين أجدل منهما ، كلما أردت أن أسجل لأحدهما أدلى الآخر بججته .. فاعذرني إن طالبت المداولة ..



جاء رجل الى حاجب معاوية ، فقال له : قل له على الباب أخوك لايك وأمك ، فقال له : ما أعرف هذا ، ثم قال ائذن له فدخل ، فقال له أى الأخوة انت ؟ فقال : ابن آدم وحواء ، فقال : يا غلام اعطه درهما ، فقال : تعطى اخاك لايك وأمك درهما ؟ فقال : لو أعطيت كل أخ من آدم وحواء درهما ، ما بلغ اليك هذا ...

المساواة فى الظلم عدل



تظلم اهل الكوفة من عاملها الى المأمون ، فقال : ما علمت فى عمالى عدل منه ، فقال رجل من القوم : يا أمير المؤمنين فقد لزمك ، ان تجعل لساير البلدان نصيبا من عدله حتى تكون قد مساويت بين رعاياك فى حسن النظر ، فاما نحن فلا تخصصنا منه بأكثر من ثلاث سنين ، فضحك المأمون وأمر بصرفه .

كثرة البشر وندرة الانسان

مر رجل من الاذكياء برجل قائم فى الطريق . قال : ما وقوفك ، فقال : انتظر انسانا ، فقال : يطول قيامك اذن .

سوء الخلق بداية النهاية

تقدم رجل سيء الادب الى حمام فقال له : تقدم يا ابن الفاعلة وأصلح شاربى ، فقال : ان كان خطابك للناس كذا فمن قريب نستريح منه ومنك ... صدق ، فان سوء الخلق بداية النهاية لكل من اخذته العزة بالاثم وظن الا يقهر ابدا ، وما ريك بظلام للعبيد ...

الاعمى والفضولى

قال بعضهم : خرجت فى الليل لحاجة فاذا اعمى على عاتقه جرة وفى يديه سراج فلم يزل يمشى حتى أتى النهر وملا جرتة وانصرف راجعا ، فقلت : يا هذا انت اعمى والنهار والليل عندك سواء ، فما تصنع بالسراج ؟ فقال : يا فضولى حملته معى لاعمى القلب مثلك ليستضى به فلا يعثر بى فى الظلمة فيقع على فيكسر جرتى .

يا رسول الله ! اسألك عن عبادتهما ؟ فقال : يا عائشة انما يسألان عن عقولهما ، فمن كان عقلا كان افضل فى الدنيا والاخرة .

وعن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تمجبوا باسلام امرىء حتى تعرفوا عقدة عقله » .

وعن ابى هريرة قال « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اول شئ خلقه الله القلم ثم خلق النون وهى الدواة ، ثم قال له اكتب ، قال : وما اكتب ؟ قال : اكتب ما يكون وما هو كائن الى يوم القيامة ، ثم خلق العقل ، وقال : وعزتى لاكملنك فيمن أحببت ، ولانقصنك ممن أبغضت » .

وعن مطرف انه قال : ما اوتى عبد بعد الايمان افضل من العقل .

وعن ابى زكريا انه قال : ان الرجل ليلذذ فى الجنة بقدر عقله .



فلسفة الملعون

من المتقول عن عيسى عليه السلام : ان ابليس جاء اليه فقال له : الست تزعم انه لا يصيبك الا ما كتب الله لك ؟

قال : بلى . قال : فارم بنفسك من هذا الجبل فانه ان قدرك السلامة تسلم . فقال له : يا ملعون ان الله عز وجل ان يختبر عباده وليس للعبد أن يختبر ربه عز وجل ... فهبت الذى كفر . . .



سم الخيانة وسم الحية

حكى العلى بن الحسين الواعظ ان عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام مر على جواد يطارد حية ليأخذها ، فقالت الحية : يا روح الله ، قل له : لئن لم يلتفت عنى لأضربنه ضربا أقطعاه قطعاه ، فمرعيسى عليه السلام ، ثم عاد ، واذا الحية فى سلتة ، فقال لها عيسى : الست القائلة : كذا وكذا فكيفصرت معه؟ فقالت : يا روح الله ! انه حلف لى فلتن غدرنى فسم غدره اضر عليه من سمى . وانها والله لحكية بالغة ياخذها لو ادركها الانسان كما ادركتها الحية ...

التشريعات العمالية في الإسلام

إعداد : السيد محمود الميرغني

حول هذا المعنى الحليل يقول الرئيس أنور السادات في خطابه الذي ألقاه في الاحتفال الذي أقيم في مناسبة مولد النبي صلى الله عليه وسلم « بعون الله سنبنى دولتنا الجديدة على العلم والإيمان . وبعون الله سنجعل من شعبنا كلة عائلة واحدة يحس فيها كل إنسان بأخيه يحس فيها كل فرد بما يعانیه أخوه ولن يمر عام [أن شاء الله] حتى يكون المشروع الذي كان يجمع له جمال واعطيته لوزير الخزانة لن يمضي عام بعون الله وفي مثل هذه الذكرى الا ويكون كل فرد في هذه العائلة المصرية مؤمنا بمعاش ، علينا ايها الاخوة ان نرفع رؤوسنا ، وادعو الله سبحانه وتعالى : ان يهبنا رسالة الاخاء رسالة الإيمان رسالة الصلابة في الحق ، رسالة التصدي للباطل ، علينا ان نرفع رؤوسنا ، وادعو الله سبحانه وتعالى : ان يهبنا صلابة الإيمان ، ومثانة اليقين وحلاوة الصفاء حتى نستطيع أن نبني مصر ، أمنا وعائلتنا بأيدينا وبعرقنا وان ندفع عنها كل شر ، وفقكم الله والسلام عليكم ورحمة الله . »

وكانت النخبة مكونة من الدكتور أحمد الشرباصي والدكتور عبد المجيد محمود استاذ الشريعة بكلية دار العلوم والدكتور حسين حامد بكلية الحقوق والسيد المستشار عبد الستار آدم نائب رئيس مجلس الدولة والسيد على محمد شحاته وكيل وزارة العمل .

● ● ●

وفي بداية الحديث التقينا بالدكتور عبد المجيد محمود لسؤاله عن رأى الإسلام في العمل ومنزلة العمل في الإسلام فقال :

العمل هو مظهر الحياة فالسكون فناء، والحركة حياة والذي يعطى للحركة قيمة هو تنظيمها حيث يتحقق للإنسان الغاية من وجوده وتنتج له أفضل الظروف والادوات الصالحة له النافعة لحياته . ومن هنا أعلى الإسلام من شأن العمل وحض عليه، ورتب درجات الناس على أساسه سواء في الآخرة أو في الدنيا . وقد أخبرنا الله في أكثر من آية من قرآنه أنه سخر لنا هذا الكون بكل محتوياته لننتقل فيه عاملين استكشافا واستفادة واستخراجا لكنوزه وتسخييرا لقوانينه كما أمرنا سبحانه وتعالى بالسعى في طلب الرزق « هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه » ثم أضاف على هذه [الإجابة] السيد المستشار عبد الستار آدم فقال :

العمل والعمال هما دولاب الحياة ، قاعدة الانطلاق والتطور . فالعمل توأم الحياة وقربان الإيمان ومظهر من مظاهر النهضة والرقى ومقياس لتقدم الأمم . والعمل الصالح هو الذي يعود بالنفع على العامل في الدنيا والآخرة كما يعود على المجتمع بالرفاهية والسعادة . ولذلك فقد حث الإسلام على العمل في أكثر من آية ، فقال الله تعالى [وكل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون] . كما قال الله تعالى [فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه] ولقد قال رسول الله [ان الله يحب العبد المؤمن المحترف] . ولذلك أمرنا الله بالسعى في طلب الرزق مرغبا فيه منفرا من تركه واعتبره الاسلام من أقدس وأشرف الواجبات واعتبره جهادا في سبيل الله . ولقد كرم الإسلام العامل حق تكريم وذلك تقديرا لمكانته ولساهمته في بناء المجتمع الناهض . ومن ثم جاء الإسلام منظما للعمل وأضعا موازين الصلة بين العامل وصاحب العمل مبينا حقوق وواجبات كل منهما لكي يكفل العدل والمساواة وتكافؤ الفرص وأردنا بهذا التحقيق أن نضفي ضوءا على ابعاد التشريع العمالي في الإسلام والقوانين الوضعية في المجتمع الحديث في كل من العمل والعلاقة العمالية والضمانات التي كفلت حق العامل والمرأة العاملة وأنواع الرعاية التي تقدم للعمال ولذلك فقد أجرينا عدة أحاديث مع نخبة من رجال التشريع الاسلامي ورجال القانون .

□ ١٨٨ □



كان العمل عضلي أو عقلي أو فني ولعل هذا ما فهمه إليه الحديث الذي يقول [**أطيب كسب الرجل عمل يده**] والاسلام يوجب أن يكون الأجر موازيا للجهود الذي يبذله العامل فإذا بحث صاحب العمل أجر العامل كان ذلك ظلما حراما . وكذلك يحرم الدين أن يؤخر صاحب العمل الأجر عن العامل مادام أدى واجبه وذلك يقره الرسول عليه الصلاة والسلام : « **أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه** » وهذا كناية على الحث على دفع الأجر بسرعة وكذلك يوجب الاسلام على العامل أن يؤدي عمله بأمانة مادام سيأخذ الأجر الموازي له ولا يجوز للعامل أن يختلس شيئا أزيد من أجره وكذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : [**من عمل لنا عملا فأعطيناه أجره فما أخذه بعد ذلك غلوة**] أي سرقة ونهب ومن حق ولي الأمر أن يتخذ من الإجراءات ما يردع به صاحب العمل على ظلمه عن العامل وقد روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه . . ان صاحب عمل اشتكى إليه أن العمال عنده يأخذون من ماله حائبا ولما بحث عمر القضية وجد أن الأجر الذي يأخذه هؤلاء العمال أقل بكثير من العمل الذي يؤدونه فقال مهنذا صاحب العمل ما معناه إذا لم تنصف هؤلاء وجئني شكيا مرة أخرى قطعت يدك وهذا على سبيل التهديد والوعيد » .



وأضاف الدكتور حسين حامد حول واجبات العامل وصاحب العمل في الاسلام فقال :
انه يجب على العامل أن يخلص في عمله وأن يعتقد لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :
[**ان الله يحب من أحدكم ان عمل عملا فليقتنه**]

١٨٩

ان الاسلام يبحث على العمل ويحترق اليه بل جاء الاسلام أمرا بالسعي في طلب الرزق مرغبا فيه متفرا من تركه . فقال الله تعالى في سورة الجمعة [**فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله**] .

وفي سورة الملك وقد ذكرت الاحاديث النبوية الشريفة بالحث على العمل والسعي عليه فقال صلى الله عليه وسلم [**ما أكل أحد طعاما قط خيرا من عمل يده**] ، [**من أمسى كالا من عمل يده أمسى مغفورا له**] .

ان السعي على الرزق من أطيب العبادات فقد ورد في «الآثر» [**ان من الذنوب ذنوبا لا يكفرها صوم ولا صدقة وإنما يكفرها السعي على العيال**] .

كما روى أن جماعة من المسلمين ذهبوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا له : يا رسول الله ان فلانا [**أحدهم**] يصوم النهار ويقوم الليل ويكثر الذكر .

فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم : **أيكم يكتفي طعامه وشرا به** . قالوا : **كلنا** ، قال : **كلكم خير منه** . ولما في رسول الله أسوة حسنة فقد اشتغل صلوات الله عليه وسلامه برعى الغنم وبالتجارة فكان يضرب الأرض ابتغاء الرزق غير مبال بهشاش المنفر ووعاء الطريق . وكذلك كان أصحابه رضي الله تعالى عنهم مثلا في الكفاح في سبيل العيش فقد أنشد أحدهم وقد رأى الرسول يعمل :

ان قمعدنا والنبي يعمل

فذلك منا العمل المضلل

ومن المعروف أن الخليفة الأول أبا بكر الصديق رضي الله تعالى عنه هم باستئناف تجارته في أول يوم ولي فيه الخلافة لولا أن منعه أصحابه حتى يفرغ لشئون الأمة .

وقد حدثنا الدكتور حسين حامد عن قيمة العمل ودوره في زيادة الإنتاج في الظروف الراهنة فقال : **الاسلام قرن بين الإيمان بالله والعمل فجاءت الآيات [ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات] الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا [] ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن []**

وهذا دلالة قاطعة على أن الاسلام يقدس العمل ويعتبره قرين الإيمان . والعمل الصالح هو الذي يعود بالنفع على العامل في الدنيا والآخرة كما يعود على المجتمع بالرفاهية والسعادة . والأممال المقصودة في الاسلام نثر ثمرتها في الدنيا ونشر ثمرات أخرى في الآخرة فمثلا السعي في طلب الرزق والعمل على زيادة الإنتاج في حقل الزراعة والصناعة يعد عبادة وطاعة كالصلاة تماما .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **ما من مسلم يزرع أو يفرس غرسا فيأكل منه انسان أو بهيمة أو طير الا كان له به صدقة** .

وقال صلوات الله عليه وسلامه : **ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب حتى الشوكة يشاكها الا كتب له بها صدقة** . أي أن كل عمل في الدنيا له قيمته وله ثوابه في الآخرة وقد جعل الاسلام طلب الرزق من أقدس الواجبات واعتبره جهادا في سبيل الله أي في وقت السلم يعدل الجهاد في وقت الحرب . فالأمة المسلمة مطالبة بالجهاد في وقت السلم بالعمل الجاد لتنمية مواردها والاستفادة بخبراتها . كما انها مطالبة بالجهاد عن طريق القتال في وقت الحرب وقال تعالى : [**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة**] والاعداد اعداد اقتصادي وعسكري معا لان المال هو الذي يعد للمعارك في العصر الحديث أي انه يجب على كل عامل أن يهتم بإنتاجه ويعمل متعاوناً مع صاحب العمل على أن يزيد انتاجه لأنها تعتبر عبادة وواجب وبذلك يزيد الإنتاج وتستطيع الدولة أن تنمو وتقوى .

وقد حدثنا الدكتور أحمد الشرباصي عن الأجر في الاسلام وكيفية حسابه واهتمام الاسلام به .

فقال : **الاسلام يقرر أن أطيّب أنواع الرزق هو ماأخذه الانسان مقابل عمل يؤديه صاحبه سواء**

فالإسلام يأبى تكالب الإنسان على الجمع لنفسه لما فيه من طغيان مادي وانما يتيح الإسلام نظامه على الاعتدال والتصد بين الدين والدنيا الى الحد الذي يوفق بين حظوظ الجسد المعتدلة وحظوظ الروح المعتدلة ، فلا إفراط ولا تفريط . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم [ان لبنك عليك حقا]

وقد حدثنا الدكتور حسين حامد عن التكافل الاجتماعي في الاسلام :

لقد عرف الاسلام التكافل الاجتماعي فأوجب على ولي الامر ان يهيئ لكل قادر على العمل عملا حتى لا يفتدى على مال الغير أو يكون عالة على الغير وهو قادر . اما غير القادر فقد جعل الاسلام نفقته وما يحتاج اليه من مسكن وملبس لائق على الدولة ولها ان تفرض من الضرائب ما تسد به باب الاتفاق على العاجزين عن الكسب كما ان لها ان تفعل ذلك في زمن الشدة وساعة الحرب عن طريق الوزارات والمؤسسات التي تختص بانفاق هذه الاموال على العجزة وغير القادرين على الكسب .

وأضاف السيد المستشار عبد الستار آدم عن نظرة الاسلام الى العامل في حالة العجز فقال :

ان كان العامل يعجز عن الكسب لعلة لاعلاج لها فان الاسلام لا يلزم هذا العاجز بالعمل بل جعل مواساته حقا على المجتمع لا تبرعا ولا تطوعا قال تعالى : [والذين في اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم] . اما اذا كان العجز عن الكسب لفقد الوسيلة عن العمل فقد اوجب الاسلام على الدولة ايجاد الوسيلة لتكسبه .

فقد روى ان رسول الله [اعطى سائلا درهما وامره ان يشتري فأسا وجبلا ويحطب ولا يعرضه لذل السؤال] .

ولقد حدثنا الدكتور احمد الشريامي عن التشريعات الاسلامية لميل المرأة والاعمال المناسبة لها فقال سيادته :

الذي نفهمه من مبادئ الاسلام وتعاليمه ان الاسلام لا يمنع المرأة من ممارسة أى عمل يعود عليها او على أسرته او على وطنها بالخير والفائدة مادام هذا العمل لا يعرض المرأة لخطر تسيء اليها في عفتها واخلاقها . وهناك أعمال يجب على المرأة شرعا ان تقوم بها . ومن حق ولي الامر ان يفرضها على المرأة فرضا مثل رعاية الطفولة والاسر الفقيرة ومثل تطيب النساء والولادة وكل عمل ينصل بالنساء مما تستطيع ان تؤديه المرأة ولو اتنا نظمتا ميادين العمل بين الرجال والنساء لاستوعبنا كل القادرات على العمل والراغبات فيه دون مزاحمة غير سليمة بين الرجال والنساء . ولكن المشكلة تنشأ من اتنا نقبل الاوضاع ونضع الرجل مكان المرأة ونضع المرأة مكان الرجل .

وفي رأى ان المرأة اصلع من الرجل في تربية الاطفال في مدارس الحضانة او الروضة والمرحلة الابتدائية لان المرأة في هذا المجال اكثر خيرا من الرجل .

وكذلك اعتقد ان المرأة يجب ان تشتغل بالعمل في تعليم البنات من الروضة حتى كلية البنات وان تشتغل بأعمال الطب والتربية والعلاج في مستشفيات النساء وأمراض النساء .

مما سبق يتضح لنا ان التشريعة الاسلامية شريعة شاملة كفلت للمعالم وللرأة العاملة حق العمل وأعطت لهم حقوقا وضمانات واسعة قبل رب العمل ، وكفلت لهم الحياة الكريمة والرعاية الواجبة عند الإصابات والشخوخة والعجز وسوف تلقى الضوء على التشريعات العمالية في المجتمع الحديث ونرى مدى ارتباطه بالتشريعات الاسلامية .

فإذا لم يؤد العمل على الوجه الاكمل فقد أخذ بواجبه . وتفرض هذه الواجبات على العامل وصاحب العمل لكي يتقدم الانتاج في خطوات سريعة لأن من يأخذ أجره كافيا قبل ان يجف عرقه لابد ان يخلص في اداء العمل الذي كلف به .

كما عقب الدكتور عبد المجيد محمود ان الاسلام يضمن حق العامل في الاجر ومقدار التكلفة وساعات العمل ، وقد قال عليه الصلاة والسلام [ثلاثة أنا خصيهم يوم القيامة] وذكر منهم رجلا استأجر اجيرا فلم يوفه حقه .

وحدثنا الدكتور عبد المجيد عن العمل وای المهنة افضل في الاسلام فقال : معنى العمل ليس مقصورا على العمل اليدوي بل كل من يقدم انتاجا نافعا للمجتمع فهو عامل سواء في الناحية الفكرية أو الفنية أو العلمية أو اليدوية . ولا يستغنى المجتمع عن خدمات أى من هذه الفئات غير ان الجهد العضلي الذي يمانيه العامل اليدوي لما كان واضحا مع حرص الجشعين على استقلاله حرص الاسلام على تقدير العمل اليدوي تقديرا خاصا وحذر من استقلال العاملين أو غمط حقوقهم ، وفي هذا يقول عليه الصلاة والسلام [افضل الكسب ما كان من عمل اليد] ويقول [ما اكل ابن آدم طعاما خيرا من عمل يده] وان نبى الله داود كان يأكل من عمل يده وفي هذا ما يبين شرف هذا النوع من العمل

وحدثنا الدكتور عبد المجيد محمود عن مقدار تكلفة العامل : فأشار في بيان مقدار التكلفة بوجهنا الاسلام الى الا تكلف احدا فوق طاقته ويصوغ هذا في صورة قاعدة عامة في قوله تعالى :

[لا يكلف الله نفسا الا وسعها] ويقول عليه الصلاة والسلام بالنسبة للعبد وقت ان كان الرق مسمولا به « لا تكلفوهم من الاعمال ما لا يطيقون » واذا كان هذا بالنسبة للعبد فالعامل الحر أولى وفي مقابل هذا يتوجه الاسلام الى العامل فيأمره ان يقن عمله .



وأضاف السيد المستشار عبد الستار آدم عن مقدار التكلفة بالنسبة للعامل فقال :

من المقرر أيضا في الاسلام انه لا يجوز ان يرهق الانسان نفسه في عمل بدني أو فكري أو فني



وأجرينا حديثاً مع السيد علي محمد شحاته وكيل وزارة العمل وطرحنا هذا السؤال : ان الاسلام يفرض على كل عامل ان يعمل ويلزم ولي الامر بتهيئة فرص العمل فما مدى تطبيق هذا في المجتمع الدولي ؟

فقال : تطبيق ذلك له في المجتمع الحديث عدة أبعاد :

البعد الأول : هو المفهوم والفلسفة التي أخذت بها الجمهورية العربية المتحدة من أن العمل حق وواجب . وأيضاً ماصدر من وثائق التزام الدول - الذي أوضحه الدستور والميثاق - بتوفير فرص العمل لكل قادر عليه وراغب فيه .

البعد الثاني : الاخذ بهبداً التخطيط الشامل وتضمينه تخطيط القوى العاملة من أجل إيجاد فرص عمل لجميع الداخلين الجدد في سوق العمل طبقاً للدراسات الخاصة بالسكان والنمو السكاني والقوى البشرية . وأيضاً التخطيط لتنمية الموارد البشرية وزيادة ناعليتها وإنتاجيتها . ويتضح ذلك كمثال في التزام الدولة بتوفير فرص العمل لخريجي الجامعات والمعاهد العليا والمدارس الثانوية الفنية والمهنية .

البعد الثالث : هو أن الدولة قد حققت السياسات الاستخدامية وكذلك الاسس لضمان تكافؤ الفرص وعدالة توزيعها على الأفراد القادرين والمؤهلين لهذه الفرص .

ويسأله أن الاسلام عمل على حماية أجر العامل فما هي التشريعات التي وضعت لحماية أجور العمال ؟

فاجاب بالنسبة للأجور يمكن تقسيمها للمراحل التالية :

قبل الأربعينيات كانت الأجور تتحدد على أساس تفاعل عنصرى العرض والطلب وكان النظام السائد شبه اقطاعى يتحكم فيه فئة قليلة من أصحاب الأعمال بينهم عدد كبير من الاجانب وكانت فرص العمل قليلة حيث الأرض الزراعية لا تستوعب القوى البشرية المتوافرة وفي هذه الفترة بلغت الأجور أدنى المستويات وكان أجر العامل الزراعى يتراوح ما بين ثلاثة قروش ، وخمسة قروش يومياً .

في الفترة التالية : صدرت عدة أوامر بتحديد حد أدنى للأجور وبلغ سبعة قروش ونصف في عام ١٩٤٢ و ٨ قروش في عام ١٩٤٢ ثم ارتفع اثني عشر قرشاً في عام ١٩٥٠ .

بعد الثورة : اتخذت الإجراءات التالية :

تحديد حد أدنى لأجور العمال الزراعية بلغ ١٨ قرشاً .

صدر القانون رقم ٩١ لسنة ١٩٥٩ وقد انشأ هذا القانون لجان للأجور على مستوى الاقليم .

وصاحب صدور القوانين ١٠٢ ، ٢٦٢ لسنة ٦٢ بهضاعة الأجر الى ٢٥ قرشاً كحد أدنى بالنسبة للهنشات الصناعية التي تجاوز تكاليف اقامتها ١٠٠٠ ج وكذا المنشآت النامية للقطاع العام

كما صدرت عدة لوائح وقوانين تنظم الأجور للعاملين بالقطاع العام والحكومي بقصد الاستقرار الإظفي وأخرها ٢٣٠٩ لسنة ٦٦ . ٤٦ لسنة ٦٤ في القطاع العام مما اضطر القطاع الخاص بطريقة غير مباشرة أن يتماشى مع الأوضاع السائدة في القطاع العام .

وفي ضمن الحديث استفسرنا عن صور الصرف على العمال في حالات الإصابة والعجز والشيخوخة حيث كان بيت المال هو الذي يصرف على العمال في مثل هذه الحالات ؟ فقال :

نظم القانون اسلوباً سلبياً لرعاية الطبقة العاملة وهذا اسلوب عبارة عن انشاء هيئة عامة متخصصة لرعاية العاملين في القطاع العام والخاص وهي الهيئة العامة للتأمينات الاجتماعية والهيئة العامة للتأمين والمعاشات بالنسبة للعاملين في القطاع الحكومي وتتضمن هذه الرعاية مخدلف التأمينات الطبية والصحية وتأمين اصابات العمل والبطالة والوفاة والعجز والشيخوخة .

وأجاب سيادته عن سؤالنا عن التشريعات التي وضعت لتشغيل النساء في المجتمع الحديث .

فقال : تضمنت لائحة العاملين بالقطاع العام رقم ٢٣٠٩ لسنة ٦٦ وكذلك قانون العمل رقم ٩١ لسنة ٥٩ والقانون ٤٦ لسنة ٦٤ مخدلف أنواع الرعاية للمرأة العاملة مثل اجازات الوضع وفترات الرضاعة ودور الحضانه وايضا تحديد ساعات العمل وتحديد مهن معينة وأماكن معينة لايجوز فيها تشغيل نساء . كل هذا بقصد رعاية وحماية المرأة العاملة .

وفي ختام الحديث سألنا سيادته عن دور كل من العمال وصاحب العمل في رفع الكفاية الإنتاجية ؟ فاجاب :

ان رفع الكفاية الإنتاجية هي محور أساسي لحل المعادلة الصعبة والتي تلخص في احتياجات النمو التي تتطلب رفع معدلات الإنتاج بصورة أكبر من معدلات الاستهلاك وهذا ضروري في مجتمع مثل ج.ع.م حيث يولد سنوياً ٩٠٠ ألف طفل ومن وجهة نظرنا فان رفع معدلات الكفاية الإنتاجية تعنى الحد من الاستهلاك غير الضروري لمستلزمات الإنتاج . بمعنى أيضاً أداء العمل بأقل قدر من الحركة والجهد بالنسبة للعامل . أيضاً رفع كمية وجودة الانتاج والتطوير والبحوث وهذا في مفهومه يعتبر عوضاً عن رفع الكفاية الإنتاجية . وصاحب العمل له دور كبير في ذلك فهو يخصص بالجزء الخاص بوضع حوافز سلبية وإيجابية للعمل وأيضاً له دور كبير في دراسة الحركة والترقى لتوفير الحركات الغير ضرورية لأداء العمل . أيضاً توفير جو العمل اللائم والمناسب . إيجاد أساليب التدريب لرفع القدرة الادائية للعامل . أما العامل فيتمثل دوره في مراعاة الله في أجره وفي نية العمل هذا في نظري هو الأساس الأول وإلى جوار ذلك توفير استهلاك مستلزمات الإنتاج وبالاخص المواد الخام . تحقيق أعلى معدل كمية وجودة الإنتاج حيث المصنع والمنشأة هي ملك للشعب وهو أحد أفرادها .

وفي نهاية التحقيق نجد أن الجمهورية العربية المتحدة قد كفلت حقوق العمال وأعطت لهم مزايا كثيرة لم تكن موجودة في التشريعات السابقة كما كفلت حياة جديدة للعامل وحمته بضمانات كثيرة .

ولقد جاء في الميثاق : لقد أصبح العامل هو سيد الآلة ولم يعد أحد التروس في جهاز الإنتاج ، ولقد أصبح لديه الكثير من الرعايات تقدم اليه بعد أن كان مهدداً بالضيق ولذلك نجد أن الشريعة الإسلامية شريعة شاملة لأنها دعت إلى كل ذلك واهتمت بالعمال ونجد أن التشريعات الوضعية مستمدة من التشريع العمالي في الاسلام .

وان الشعب العامل هو المجتمع المتخلص من الاستغلال بكل اشكاله بكل ألوانه ، الاستغلال الاقتصادي والاستغلال الاجتماعى . الشعب العامل هو المجتمع الذى تتكافأ فيه الفرص للجميع .

تسديد الجهاد

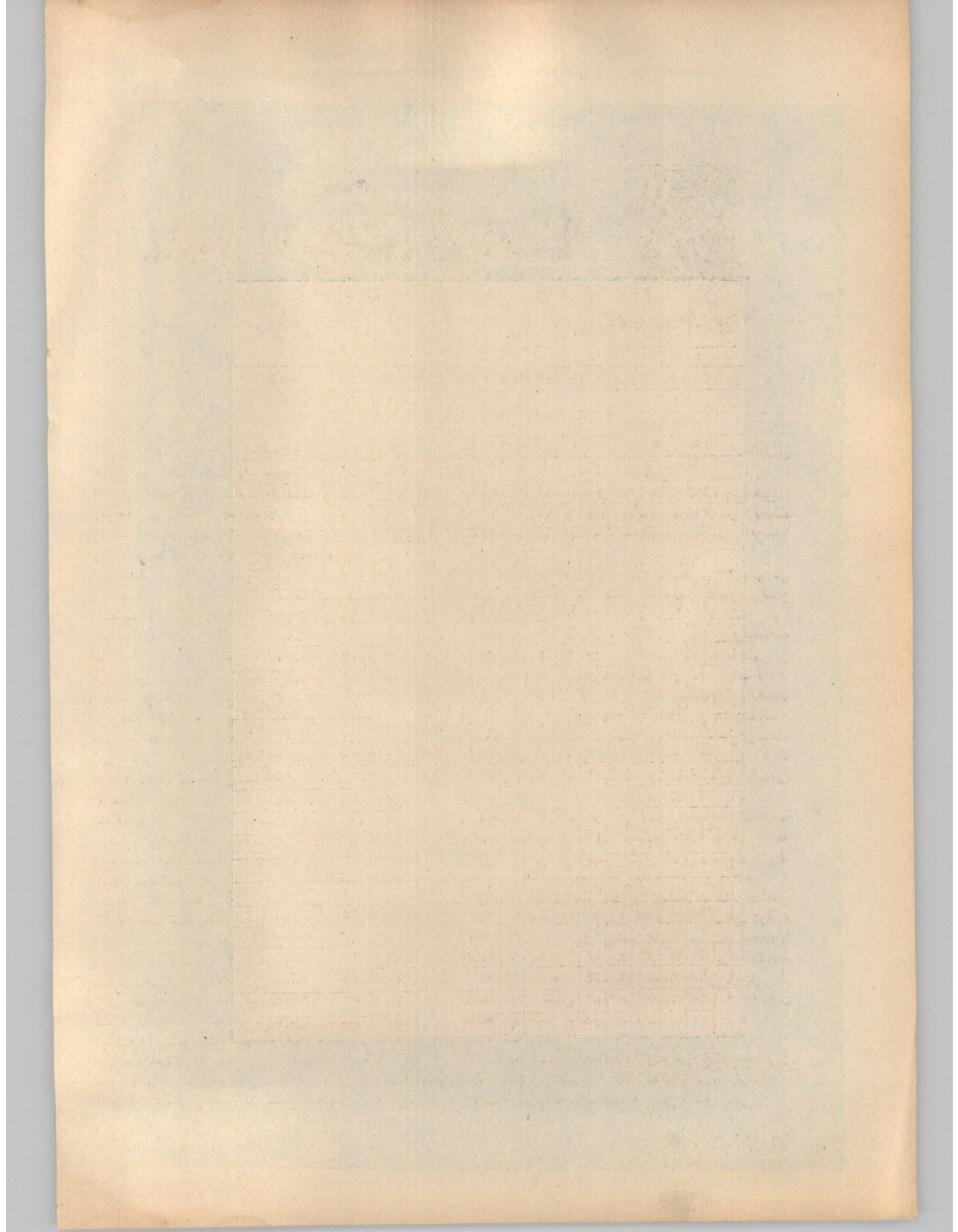
الشاعر أحمد عثمان المراتي

أخي في الله ان الله اكبر
فجاهد باسمه ترقى وتنصر
وسر بالمعزم للنصر المؤزر
وكبر دائما الله اكبر
أخي في الله ان الحق نور
ونور الحق منبعه الضمير
وهاهي ذي العقائد تسحير
وصوت الحق يهتف من يجير ؟
وجهدك في الممارك لا يباري
يذكرنا باصرار الجودود
وسارعنا بتزويد العقاد
لتحرير البلاد من الاعادي
فتاة الشرق ان الله شاهد
على آني مهاجركي أجاهد
أعنيك بالهدى من كل فاسد
وبالرحمن من فسق وحاسد

● ● ●

سكتنا فقالوا دهانا المرض
وثرنا فقالوا ضللتنا الفرض
ففي كل ارض وفي كل شبر
عقدنا على النصر اقوى رباط
اذا قيل عنا باننا فظاظ
وانا على كل باغ غلاظ
سننحق كل لهيب النذال
ومن غيرنا في الوري للقتال
بروحى اقدى ليوت القتال
واهتف بالنصر في كل حال
رعى الله مصر ووديانها
وابطال مصر واعوانها
وكل ابي على ارضها
يهب ليرفع بنيانها
لمصر عليكم حقوق الوطن
فجودوا لمصر باغلى ثمن
وها هي ذي كل ارض العرب
تخوض الغمار فدكوا المحن
الهي . الهي وانت السميع
وانت النصير معين المطيع
سنذكر اسمك ما نستطيع
لنملا بالحق ارض الجميع







النشاط الاسلامي في بلجيكا

الأستاذ محمد العلوي

الوضع والاتفاق على اوفق النسل لنجاح العمل الاسلامي وتحقيق أغراضه السامية .
وبعد المناقشة وتداول الرأي اتفق المجتمعون على :
أولا : اعداد دراسات وبحوث مركزة عن الاسلام وتعاليمه بعدد اللغات ونشرها في مختلف الاوساط وذلك قصد :

أ - تدعيم الحياة الروحية للمسلمين المقيمين في بلجيكا وتمكينهم من حسن معرفتهم بالدين واتباع صحيح تعاليمه .

ب - اثارة الرأي العام البلجيكي والاوروبي بتعاليم الاسلام وثقافته الحقه وازاحة ما علق باذهانهم من صور مشوهة وتخيلات باطلة عن هذا الدين واتباعه .

ثانيا : القيام بالاتصال المباشر بالكهول والشباب في مراكز تجمعاتهم (كالمساجد والجامعات، والمقاهي، والمعامل، والنوادي ... الخ) لارشاد الذين ضلوا عن سواء السبيل، او تأثروا بالعادات البالية والتقاليد الجاهلية، وتوعية الذين وقعوا فريسة النظم الهدامة والمبادئ المنحرفة .

ثالثا : تنظيم دروس : ١ - في التربية الاسلامية واللغة العربية للاطفال المسلمين ٢٠ - في اللغة العربية للاخوة المسلمين الذين لا يجسنونها، وقد تطوع باعطاء هذه الدروس بعض الطلبة والموظفين .

رابعا : العمل على تكوين منظمة كشفية تحضن الاطفال والشباب المسلمين ايام العطل وفي اوقات الفراغ لتدريبهم في غربتهم على السيرة الاسلامية المستقيمة وتقرس فيهم منذ الحداثة السلوك النظيف خامسا : عقد اجتماعات عامة بمقر المركز كل نصف شهر تلقي فيها دراسات اسلامية وتناقش خلالها مشكلات المجتمع المسلم .

اللجنة الثقافية :

وتحقيقا لهذه الاهداف انتخبت من بين الحاضرين لجنة ثقافية تتولى اعداد خطط العمل وتنظيم الاجتماعات والمنتديات وتسهر على تطبيق القرارات .

خلال السنوات العشرة الاخيرة عرفت بلجيكا نموا هائلا في عدد المسلمين فزحوا اليها من مختلف البلدان الاسلامية، خاصة من بلاد المغرب العربي وتركيا، والبنانيا، للعمل والارتاق، او للدراسة، وانضم اليهم عدد من البلجيكين اعتنقوا الدين الاسلامي حتى بلغ هذا العدد اليوم ما يقارب ١٠٠ الف مسلم .

وطبيعي ان ينتج عن هذا الوضع الجديد من حياة المسلمين في بيئة وسط غربيين عنهم بعض المشاكل الدينية، والاجتماعية، والاخلاقية، اذ ان جلهم لم يتل خطا وافرا من الثقافة الاسلامية الصحيحة تجعله في مامن من اهواء الحياة الاوروبية، ومغريات الحضارة الغربية .

وهذا مما جعل المركز الاسلامي والثقافي في بروكسل يدعو الى عقد اجتماع بالشباب المسلم في شهر يناير ١٩٧١ - للنظر فيما يجب عمله لقلافي مثل هذه الاخطار بصيانة العقيدة لدى الجالية من عوامل الانحراف والالحاد وتوعيتهم بمبادئ الدين وتعاليمه .

لبي الدعوة عدد كبير من الطلبة، والعمال، والموظفين من مختلف الجنسيات جاءوا من جميع انحاء بلجيكا، وعلى اثر اداء صلاة العصر جماعة، افتتح الاستاذ مدير المركز الاجتماع بكلمة رحب فيها بالحاضرين الذين قدموا بالرغم من شواغلهم الخاصة حيا في الله ورسوله وغيره وحاسا على الدين الاسلامي وبعد ان اعطى بسطة عن تاريخ المركز الاسلامي والثقافي والاهداف التي يرمى اليها والانجازات التي حققها قال، ان اتصالي المستمر بالجالية المسلمة والتقائي المتعددة بالمجتمع البلجيكي اوقفني على الحاجة الاكيدة لتضافر الجهود المخلصة للقيام بالدعوة الاسلامية ونشر كلمة الله في هذه الربوع وهو ما دفع منظمة المركز الى دعوة الشباب المسلم المثقف للاجتماع بالمركز وتدارس

فَاللِقَاءُ وَمَنْ قَى حَكْمَهُمْ لَا تَنْقَطِعُ صَلَاتُهُمْ بِالْمَجْتَمِعِ
الَّذِي يَعِيشُونَ فِيهِ بَلْ هُمْ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ (فَإِنْ
لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاُخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ) وَأَنْ
الْقِيَامُ إِذَا وَجَدَ فِي دَارِ الْإِسْلَامِ اعْتَبَرَ مُسْلِمًا بِحُكْمِ
الدَّارِ وَمَنْ ثُمَّ كَانَ سَيِّدُنَا عَمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَفْرُضُ
لِلْقِيَامِ فِي بَيْتِ الْمَالِ مَا يَفْرُضُهُ لغيرِهِمْ مِنَ الْإِطْفَالِ
الصَّغَارِ وَعَلَى رَأْسِ الْأُمُورِ الَّتِي تَوْضَعُ شِدَّةُ عُنَايَةِ
الْإِسْلَامِ بِالطُّفُولَةِ هُوَ الْحُكْمُ بِأَنْ يَتَّبَعَ الصَّغَارُ حَيْثُ
اِخْتَلَفَ الْأَبَوَيْنِ فِي الدِّينِ خَيْرَ الْأَبَوَيْنِ دِينًا وَأَنْ تَرْفَعَ
التَّكَالِيفُ عَنْ هَؤُلَاءِ الْإِطْفَالِ لِضَعْفِهِمْ
كَمَا رَفَعَ عَنْ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْهُمْ الْجَزِيَّةَ وَالْعُقُوبَاتِ
وَرَأَى الْإِسْلَامُ الْمَسَاوَاةَ بَيْنَ الْإِطْفَالِ
وَالرِّجَالِ الْمَكْتُمِلِي الرِّجُولَةِ فِي حَالَةٍ عَجَبٍ هِيَ أَنَّ
الطِّفْلَ الْمَوْلُودَ لِسِتَّةِ أَشْهُرٍ وَهِيَ أَقَلُّ الْحَمْلِ - إِذَا جَنَى
عَلَيْهِ فَانَّهُ تَجِبَ الدِّيَّةُ وَالْقَوْدُ لَهُ كَالرِّجَالِ سَوَاءً بِسَوَاءٍ
وَلَعَلَّ هَذَا يَشْعُرُنَا بِمَقْدَارِ قِيَمَةِ الْإِنْسَانِ فِي طُفُولَتِهِ وَأَنَّهُ
شَيْءٌ لَهُ قَدْرُهُ فِي الْمَجْتَمَعِ . وَقَدْ أَمَرْنَا سَيِّدَنَا رَسُولَ
اللَّهِ أَنْ نَتَّخِذَ الْأَسْمَاءَ لِلطُّفُلَانَا وَغَيْرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ
أَسْمَاءَ كَثِيرٍ مِنَ الْإِطْفَالِ كَمَا فَعَلَ فِي الْحُسَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ وَكَانَ قَدْ دَعَاهُ أَبَوَاهُ (حَرْبًا) فَسَمَاهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ (الْحُسَيْنِ) .



فِي الْيَوْمِ الثَّانِي مِنْ شَهْرِ يُونِيَّةِ يَحْتَفِلُ الْعَالَمُ كُلُّهُ
عَامَ (يَوْمِ الطُّفُولَةِ الْعَالَمِيِّ) كَمَا تَحْتَفِلُ مِصْرُ فِي
مُنْتَصَفِ شَهْرِ يَنَايِرَ مِنْ كُلِّ سَنَةٍ (بِعِيدِ الطُّفُولَةِ) .

وَلَعَلَّ هَذَيْنِ الْمُعَلِّمِينَ مَعَ مَا نَرَاهُ مِنْ اِهْتِمَامِ الدَّوْلَةِ
بِالْبَالِغِ الْإِنْسَانِ بِشُغْنِ الطُّفُولَةِ إِذَا أَقَامَتْ جَمِيعَاتٍ لِرِعَايَةِ
الْأُسْرَةِ وَالطُّفُولَةِ وَكَوْنَتْ مَجْلِسًا أَعْلَى لِرِعَايَةِ الطُّفُولَةِ
الَّتِي غَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْمُنْشِئَاتِ الَّتِي تَقُومُ بِرِعَايَةِ الطُّفُولَةِ
فِي جَمِيعِ مَنَاطِقِهَا وَمَجَالَاتِهَا لَعَلَّ كُلَّ ذَلِكَ يُؤَكِّدُ الْمَعْنَى
السَّامِيَّ الَّذِي أَبْرَزَهُ مِيثَاقُنَا الْوَطَنِيُّ حِينَ تَحَدَّثَ فِي
قِيَمَةِ الْعِلْمِ عَنِ الطُّفُولَةِ فَقَالَ (أَنَّ الطُّفُولَةَ هِيَ صَانِعَةُ
الْمُسْتَقْبَلِ وَمَنْ وَاجِبُ الْأَجْيَالِ الْعَامِلَةُ أَنْ تُوفِّرَ لَهَا كُلَّ
مَا يُمْكِنُ مِنْ تَحْمِيلِ مَسْئُولِيَّةِ الْقِيَادَةِ بِنَجَاحٍ) .

وَهُنَا يَثْبُتُ الذِّهْنُ سَرَّاعًا إِلَى مَا كَانَ مِنْ رِعَايَةِ
الْإِسْلَامِ لِلطُّفُولَةِ عِبْرَ التَّارِيخِ فَلَقَدْ عَنِ التَّشْرِيعِ
الْإِسْلَامِيِّ بِالطُّفُولَةِ عُنَايَةً لَمْ يَسْبِقْهُ إِلَيْهَا أَى تَشْرِيعٍ
مُسَابِقٍ وَلَا أَظُنُّ أَنَّ أَى قَانُونٍ أَوْ تَشْرِيعٍ لَاحِقٍ يَصِلُ فِي
الْعُنَايَةِ بِالطُّفُولَةِ مَا وَصَلَ إِلَيْهِ ذَلِكَ التَّشْرِيعُ الْحَكِيمُ .
وَأَوَّلُ مَظْهَرٍ لِعُنَايَةِ الْإِسْلَامِ بِرِعَايَةِ الطُّفُولَةِ يَبْدُو فِي
تَوْجِيهِ الشَّبَابِ أَوْ الرِّجَالِ إِلَى تَخْيِيرِ الزَّوْجَاتِ
لِلصَّالِحَاتِ فَيَقُولُ سَيِّدُنَا رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ (تَخْيِرُوا لِنُطْفِكُمْ فَإِنَّ الْعَرْقَ دَسَاسٌ) كَمَا
حَرَصَ الْإِسْلَامُ عَلَى اثْبَاتِ نَسَبِ الطِّفْلِ بِكُلِّ الطَّرِيقِ
مُلَاحَظَةِ الْإِحْتِيَاظِ التَّامِ وَتَصْحِيحِ نَسَبِ الْإِطْفَالِ إِلَى
آبَائِهِمْ وَلِذَا حَرَّمَ التَّبْنِيَّ إِذَا مَا كَانَ لِطِفْلٍ أَبٌ مَعْلُومٌ
حَتَّى لَا يَحْرَمَ هَذَا الطِّفْلَ الْحَنَانَ الْحَقِيقِيَّ الْفَطْرِيَّ الَّذِي
خَلَقَهُ اللَّهُ فِي نَفْسِ الْإِبْرَةِ كَمَا أَبَاحَ إِعَادَةَ الْبِنُوَّةِ
وَإِثْبَاتَهَا إِذَا مَا كَانَ الطِّفْلُ الَّذِي خَلَقَهُ اللَّهُ فِي نَفْسِ
الْإِبْرَةِ كَمَا أَبَاحَ إِعَادَةَ الْبِنُوَّةِ وَإِثْبَاتَهَا إِذَا مَا كَانَ
الطِّفْلُ مَجْهُولَ النِّسَبِ وَبُلَغَتْ عُنَايَةُ الْإِسْلَامِ بِالْإِطْفَالِ
أَنَّهُ جَعَلَ مَنْ لَمْ يَعْرِفْ لَهُمْ آبَاءَ أَخْوَانًا لِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ

فَإِنَّ فَقْدَ الطِّفْلِ أَبَاهُ وَأُمَّهُ عَمَلُ الْإِسْلَامِ عَلَى أَنْ يَجْعَلَ
مَكَانَ الْإِمَامِ أَقْرَبَ قَرِيبَاتِهَا لِتَقُومَ مَقَامَهَا وَإِنْ لَمْ تَكُنْ
غَنَاهَا كَمَا نَجِدُ الْفُقَهَاءَ يَنْصُونُ عَلَى أَنَّ الْعَبْرَةَ فِي
الْحَضَانَةِ وَالضَّمُّ مَا يَحْقُقُ مَصْلَحَةَ الصَّغِيرِ سَوَاءً
كَانَتْ مِنْ نَاحِيَةِ التَّوْجِيهِ الرُّوحِيِّ أَوْ مِنْ نَاحِيَةِ اخْتِصَاصِهِ
بِالْحَنَانِ وَالشَّفَقَةِ . وَحَرَصَ الْإِسْلَامُ عَلَى أَنْ يُرَبِّيَ
الطِّفْلَ بَيْنَ أَبَوَيْنِ صَالِحِينَ يَقُومَانِ عَلَى تَنْشِئَتِهِ الْأَوَّلَى
تَنْشِئَةً صَالِحَةً طَيِّبَةً وَيَعُودَانِهِ الْإِخْلَاقَ الْفَاضِلَةَ
وَيَجْعَلَانِ مِنْهُ إِنْسَانًا يَأْلِفُ الْجَمَاعَةَ وَتَأْلَفُ وَيُذْمَجُ فِيهَا
وَقَدْ تَرَبَّى فِيهِ الضَّمِيرُ الْاجْتِمَاعِيُّ الْيَقِظُ وَيُرَوِّضَانِهِ
عَلَى الْقِيَامِ بِوَأَجِبَاتِهِ الدِّينِيَّةِ مِنْ صَلَاةٍ وَصِيَامٍ إِذَا
اسْتَطَاعَ كَمَا فِي أَمْرِ الْآبَاءِ بِتَعْوِيدِ أَطْفَالِهِمُ الصَّلَاةَ
مَتَى بَلَغُوا سَبْعَ سَنَوَاتٍ كَمَا بَفِهُمُ مِنْ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **مَرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ لَسَبْعٍ وَأَضْرِبُوهُمْ**
عَلَيْهَا لَعْنُورًا وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ) وَمِمَّا امْتَدَحَ
اللَّهُ بِهِ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ كَانَ كَمَا يَقُولُ اللَّهُ
تَعَالَى (وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ
رَبِّهِ مَرْضِيًّا) .

وَحَرَصَ الْإِسْلَامُ عَلَى تَرْبِيَةِ الْيَتَامَى فِي أَسْرِ تَرْعَاهُمْ
وَتَحْنُو عَلَيْهِمْ وَتَجْعَلَ مِنْهُمْ أَوْلَادًا لِيَقُومُوا مَقَامَ آبَائِهِمْ
وَلِذَلِكَ يَقُولُ اللَّهُ جَلَّ شَأْنُهُ (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ
إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَأُوخَالِكُمْ) وَمَنْعُ
الْإِسْلَامِ قَهْرَ الْيَتِيمِ حَتَّى لَا تَتَرَبَّى فِي قَلْبِهِ الْبَغْضَاءُ
وَالنَّفُورُ مِنَ الْجَمَاعَةِ وَلِهَذَا أَوْصَى بِأَكْرَامِهِمْ وَضَمَّهُمْ
إِلَى الْبَيْتِ الصَّالِحَةِ قَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ [خَيْرُ الْبَيْتِ بَيْتٌ يَكْرَمُ فِيهِ يَتِيمٌ وَشَرُّ
الْبَيْتِ بَيْتٌ يَقْهَرُ فِيهِ يَتِيمٌ] وَفِي كِفَالَةِ الْيَتِيمِ وَالْبِرِّ بِهِ

الشعن [والأمثلة لذلك كثيرة بما تحفل به كتب الأئمة والسير .
وإذا أصبح الطفل شابا وجب عليه أن يؤدي فريضة الجندية والدفاع عن الأراضي الإسلامية والاستعداد للجهاد في سبيل الله ، وإذا أصبح الطفل فتاة يجب أن تتعلم علوم الحياة التي تستطيع الأنثى أداءها ويكون بالنسبة لها فرض كفاية مع تمويدها على حفظ الأسرة والقيام على البيت ورعاية حقوق الأهل والزوج .

ويؤكد الإسلام حقوق الأبناء على الآباء ويضع لهم من القيود ما يحفظ تلك الحقوق ويوفر ما يضمن للطفولة حياة رغبة وعيشا آمنا واستقرارا دائما ونشأة سليمة فيوجب على الآباء حقوقا يلزمهم بها ويدعوهم إلى عدم التفريط فيها أو التجاوز عنها فيقول تعالى (وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف) بل يحتم الإسلام رعاية الدولة للآباء والأمهات الكادحين من أجل أبنائهم وأن يسانوا من الضرن والعيلة قال تعالى (لا تضار الدة بولدها ولا مولود له بولده) هذا إلى أن الإسلام انصف الطفولة بمنع أدها وقتلها قال سبحانه (ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم) وقال جل شأنه (وإذا المؤودة سئلت بأي ذنب قتلت) ونراه بعد أن حرر الطفولة مما كانت تعانيه من عسف وقسوة أخذ يوصي بها فقال عليه الصلاة والسلام (الزموا أولادكم وأحسنوا أدبهم) بل جعلهم زينة الحياة وبهجة الدنيا فقال تعالى (المال والبنون زينة الحياة الدنيا) وقد شرع لهم من الحقوق أضعاف ما قدمناه ولولا ضيق المجال لأفضنا في تعدادها وحسبنا أن نعلم أن الإسلام شرع لها من الحقوق ما لم تدركه أوروبا إلا في أواخر القرن السابع عشر . وأن الحياة الزوجية قد لقيت من التشريع الإسلامي كل عون ورعاية وذلك أساسا محافظة على الطفولة وتدعيمها لها لنموها نموا طبيعيا . لأن الأسرة هي اللبنة الأولى في بناء المجتمع ولا يمكن أن تتكون هذه الأسرة إلا إذا اعتنى الابوان بتربية أولادهما .

وأخيرا إذا نظرنا إلى منهج التربية الإسلامية للصغار فإننا نجد أن أساسه القدوة الحسنة والتوجيه الراشد السليم وتنمية توازن الخير ومعاني العزة والكرامة في نفوس الأطفال ، وأفضل مثل لذلك وصية رسول الله عليه الصلاة والسلام لابن عباس رضي الله عنهما حيث قال (يا غلام اني أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، وأن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك جفت الأقلام وطويت الصحف) وإذا كان المجال لا يتسع لتفصيل هذا المنهج فيمكن تلخيصه في أمرين هما معرفة الله والاستقامة على صراطه المستقيم والله هو المسدد للخطي والموفق للصواب .

والعناية بتربيته وحسن توجيهه بطالعنا قول الله تبارك وتعالى [فأما اليتيم فلا تقهر] وقول الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام (أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين .) وأشار بأصبعيه وقرج بينهما) ومن عنايته بهم إقامته أولياء عليهم قال سبحانه (وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليقتوا الله وليقولوا قولا سديدا) وقوله جل شأنه (وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم) ويقول النبي عليه صلوات الله (اتجروا في مال اليتيم حتى لا تأكلها الزكاة) .

أما عناية الآباء والأمهات بأبنائهم وبناتهم فتوصى بها الفطرة ومع هذا طلب النبي الأمين عليه السلام إلى الآباء أن يعدلوا بين أبنائهم وأن يتعهدوهم بالتربية الصالحة كما يفهم من قوله عليه الصلاة والسلام (اعدلوا بينهم في النحل) وقول الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا) وقوله سبحانه (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان أحقنا بهم ذريتهم) وإذا شب الطفل عن الطوق أخذ بأدب الإسلام وعلم كل ما من شأنه أن يجعل منه شابا مكتمل الرجولة قوى النفس عطوفا الوفا مجاهدا فقد كان الصحابة يربون أطفالهم على الفروسية والرماية وتحمل الشدائد ثم يعملون على إعطائهم حرية الاختيار كاملة إذا نضجوا وكملوا ورشدوا في بعض الآثار في تربية الأولاد ما نقرأ (غز ذلك سبعا وأديه سبعا وصاحبه سبعا ثم اترك حبله على غاريه) ولعل أنصب تربية لمن بلغ الصبا هي مصاحبته أبيه أو من يتولى أمره فإنه بذلك يعود عادات الرجال ولا ينحرف ولا يفسد ولا شك أن هذا يقتضي أن يكون أبوه مثلا طيبا يستفد ولده من مصاحبته ولقد كفل الإسلام للطفل حقوقا فوجب على والديه أن يعتنيا بتربيته وأن يعملوا على تعليمه ورعايته وتثقيفه ليكون عضوا نافعا في مجتمعه وعدة لأمته وحثهما على الاتفاق عليه في سبيل ذلك ولا يدخروا وسعا في سبيل النهوض به قال عليه الصلاة والسلام (أفضل دينار ينفقه الرجل دينار ينفقه على عياله) والإسلام حينما يحض على تعليم الأطفال لا يقصد التعاليم المدنية تحسب ولكنه بحث على التعليم الديني والتعليم المدني فالإسلام حين يطلب التعليم من المهد إلى اللحد يطلب العلم بأوسع معانيه وكل ضروبه ومجالاته من علم الدين إلى علم الحياة ومن علم الحياة أن يتعلم مهنته ليكتسب منها رزقه لا يكون كلا على الجماعة أو على أهله ولكي يكون إنسانا نافعا يقدم لأمته الخير ولذلك نجد السلف الاختيار كاملة إذا نضجوا وكملوا ورشدوا . وفي بعض الصالح قد تركوا لنا كثيرا من الوصايا والتوجيهات في هذا الصدد ، فنجدهم يوصون بتعليم الأطفال الرماية ، وركوب الخيل ، وقرض الشعر قال عمر رضي الله عنه (علموا أبناءكم العوم والرماية ومروهم فليثبوا على الخيل وثبا ورووهم بما يجعل من

أدعوك ضارعة

الشاعر
روحية القليفت

مهما تضيق دنياى بي فانا بشكواى الضئيلة
الا اليك فانت يا رباه وحيدك لى السكينه
ادعوك من اعماق قلبي فى خضوع المستكينه
فمذلتى لك عزه ولفميرك الشكوى مهينه
ولكم اعاف الذل الا بين ايديك الامينه
يا كم يلوذ بك الشكاة ويرفع الراجى جبينه
وتعين عبدك قادرا وسواك يعجز أن يعينه
كم ذا يطول به الحنين اليك ما اقوى حنينه
مقربا لك بالدعاء فتبحرو يا ربى شجونه

● ● ●

ادعوك عند الفجر كيما تسعد اليوم الجديد
واقول وفقنى به يا رب حقق ما اريد
واجعل لىالى العمر من عمرى سعوذا فى سعوذ
من ترض عنه فهو يا رباه فى الدنيا السعيد
ادعوك ضارعة الهى أن تقرب لى البعيد
تشفى المريض المستجير اذا اثنتكى الداء العتيد
واحفظ ضميرى نا صما يارب كالفجر الوليد
فانا بجاهك قوه أمحو بها كل السدود
وانا بنورك يا الهى ارتقى الصعب الكؤود
وانا بمعزتك فى دمي عز يلين به الحديد
ولانت اقرب دائما يارب من جبل الوريد
يا رب يا رحمن انت الموئل الحامى الوحيد
حصنى الوذ به يا رب فى هذا الوجود

الجمهورية العربية المتحدة كضامن الإسلام
ومعقل العربية ، وكعبة العلماء .
وهي بحكم هذا كله واتماما لرسالتنا الإسلامية
الخالدة ، وإيماننا منها بالآخرة الإسلامية وأهميتها في
تدعيم أواصر الصداقة والمودة بين الشعوب
الإسلامية ، فانها تقوم بدعوة علماء المسلمين من
كل حذب وصوب ، يعملوا عليها ضيوفا كراما ،
وليتباحثوا ويتناقشوا مع اخوانهم العلماء في
الجمهورية العربية المتحدة . في كل ما يهم المسلمين
في بقاع الارض .

• • •

ومجلة منبر الإسلام إيماننا منها بدورها الإسلامي؟
يسرها ان تقدم لقرائها هؤلاء الضيوف ، وتنقل
اليهم صورا من أفكارهم ، وتعطي لهم فكرة واضحة
عن الإسلام والمسلمين في بلاد هؤلاء الضيوف
الافاضل ، الذين ان حلوا بيننا فاننا يحلون بين
اخوانهم واحبابهم ، وضييفا في هذا العدد . ضيف
من ضيوف القاهرة . ضيف خدم الإسلام ولفسته
ومازال في خدمته . وعلى هذا الطريق يسير ،
خدمة بالكلمة منطوقة ومكتوبة . وتجري معه
حديثا عن الإسلام والمسلمين في ايران وعاداتهم
وتقاليدهم والإسلام ودوره في آسيا .

وهو الدكتور جعفر شهيدى . رئيس قسم اللغة
العربية واستاذها بجامعة طهران . ومدير المعهد
العلمي « القائم بانتاج موسوعة لفتحة تقع في
عشرين ألف صحيفة تحوى اللغات والأعلام والأماكن
الجغرافية » وهو من مواليد سنة ١٩١٨ م .

والدكتور جعفر قد بدأ حياته بدراسة الفقه
والاصول في بلدته بغرب ايران . ثم انتقل الى
العراق واستقر بالنجف الاشرف ودرس بجانب الفقه
والاصول . علم الكلام والفلسفة . وقد منحه علماء
النجف الاشرف اجازة الاجتهاد في الفقه الجعفري ،
وفي الوقت نفسه اشتغل بدراسة التاريخ . ثم رجع
الى طهران واستقر بها . وعين في المعهد اللغوى .
واشتغل بتدريس الادب الفارسى والعربى ، وحصل
على درجة الليسانس من كلية المنقول والمقول ،
وحصل كذلك على درجة الليسانس من كلية الاداب
جامعة طهران . ثم التحق بقسم الدكتوراه وحصل
عليها في موضوع . . شرح أبيات أنورى ابيوردى
وحلل أبياته المفصلة ونقد الشروح التي كتبت عليها . .
ثم عين استاذاً مساعدا بكلية الاداب جامعة طهران
وهو الان يدرس الادب الفارسى والعربى وكذلك

□ ١٩٧ □



ضيوف القاهرة

لقاء مع

الدكتور

جعفر شهيدى

رئيس قسم اللغة العربية

جامعة طهران

اعداد : محمد أبو مطيع

التحقيق والتحرق لطلاب الماجستير والدكتوراه
بالجامعة . . .

وصيفا هذا له مؤلفات كثيرة . . منها مثلا . .
كتاب عن حياة فاطمة بنت رسول الله عليه الصلاة
والسلام . . وكذلك كتاب عن حياة علي بن زين
العابدين . . وكتب كثيرة عن التشيع واطهار حقيقته
وابطال ما نسب اليهم من تهمة زائفة . كذلك ترجم
الكثير من الكتب . منها مثلا كتاب الفتنة الكبرى
للدكتور طه حسين . وكتاب بطله كربلاء للدكتور
بنت الشاطيء كما أن له كتب كثيرة من الادب
الفارسي .

أما عن المحاضرات والمقالات وحضور المؤتمرات
العلمية وزياراته للدول الاسلامية . فنشاطه فيها
غير محدود .

وفي بداية حديثي مع سيادة الدكتور . . سألته
عن العلاقات بين الجمهورية العربية المتحدة وايران
فاجاب سيادته بثقة وقوة . . قائلا . .

أما عن العلاقة بين الجمهورية العربية المتحدة
وايران فحدث عنها ولا حرج . . لان العلاقة بين
بلدينا ليست حديثة كما قد يظن البعض بل هي في
حقيقة أمرها قديمة ، قديمة جدا والتاريخ قد شهد
وسجل ذلك في صفحاته الخالدة ، وقد كتب المؤرخون
كثيرا عن العلاقات بين مصر القديمة وايران قبل
الاسلام ، ولذا فاني سأتكلم عن العلاقات بين البلدين
في العصر الاسلامي . . ولعل أول صورة تنطبع في
ذهن كل ايراني مثقف ، وأروعها جمالا ، هي تلك
الصورة الجميلة التي صورها لنا شاعرنا الايراني
الفيلسوف ناصر خسرو القباذاني الذي عاش في
القرن الخامس من الهجرة في كتابه الرحلة . . هذه
الصورة انطبعت في قلب كل ايراني مسلم لجمالها
وروعها . . فشاعرنا يصف لنا ارض مصر ،
ويحددها تحديدا جغرافيا دقيقا ، ويصف لنا النيل
وروعته وعظمته وكيف تجري مياهه . . ومن أين
يأتي ، وكيف ترتفع مياهه ، وكيف يقوم عامل
الحكومة بشأن مراقبة ارتفاع الماء في زمن
الفيضان ، وكيف يرصد العمال الواقفون على ضفاف
النيل جريان المياه وارتفاعها وانخفاضها ، كذلك
فانه يصف لنا حالة الفلاحين على ضفتي النيل ،
وكيف يحرثون أرضهم ويزرعونها ، ثم ينتقل الى
وصف البلاد وصفا دقيقا ، من شوارع وحوانيت
وخانات ، ومساجد ، ودور العلم ، وأخيرا ينتهي
بنا الى وصف المسجد الجامع واقامة الصلاة فيه
وكيفية خروج السلطان من بيته للصلاة في الجامع . .
يصف لنا كل هذا في صورة رائعة جذابة تلند
منها العقول ، وتشرح لها الافئدة ، وتسكن اليها
النفوس .

□ ١٩٨ □

وبعد ذلك يأتي دور جلال الدين الرومي ؟ فيصف
مصر في أبياته العرفانية ، وأشاراته اللاهوتية وسفا
يستولى بروعه وسحره على العقول ، حتى تحن
اليها النفوس ، وتشتاق اليها القلوب ، ثم تتابع
زيارات الفقهاء والمحدثين والرحالة . . وبالطبع لا يمكن
أن نلم بها جميعا أو حتى تشير اليها لكثرتها ، ويكفي
أن نشير الى زيارات أول هذا القرن من الهجرة
النبوية الشريفة على صاحبها أزكى السلام ، وعلى
رأس هذه الزيارات بل وأهمها . . زيارة السيد/
جمال الدين الاسد آبادي الى مصر والقائه الخطب
في الازهر الشريف وتليذة الشيخ محمد عبده على
يديه . . وتفصيل هذه الزيارة أوضح من أن نتكلم
عنها الان ويأتي بعد ذلك دور الامام أبي عبد الله
الزنجاني رحمه الله وما أبدت اليه مصر من ضروب
الحفاوة والتكرم ومن بعده يأتي دور الشيخ محمد
تقي القمي وانشائه دارالتقريب بين المذاهب الاسلامية
بالقاهرة وأخيرا وأنها فائدة وأغلاها ثمرة الاتصال
والمكاتبة التي تمت بين الامامين الكبيرين الزعيم
الخالد الحاج الطباطبائي البروجردي والامام الاكبر
الشيخ محمود شلتوت . . تغدبها الله برحمته . .

هذه صور متعددة تنطبع الواحدة منها بعد
الأخرى في ذهن الأمة الايرانية . وتجعلها تشناق
الى مصر معقل العروبة وحصن الاسلام ، والى
الشعب المصري . .

هذه هي الرابطة الاسلامية ، وهذه هي الوحدة
المحمدية ، تتصل فيها القلوب ، وتسكن اليها النفوس ،
هذا وهناك صلات أخرى جديرة بالذكر ، وهي
العلاقات التي تمت بواسطة دراسة اللغة الفارسية
في جامعتي القاهرة وعين شمس ، ودراسة اللغة
العربية بجامعة طهران ، وقد حان الوقت لان يقوم
الاساتذة بجامعة الجمهورية العربية المتحدة
واساتذة الجامعة الايرانية بتبادل الزيارات والبعثات
الدراسية والثقافية . . توطيدا للعلاقات الثقافية
بين البلدين . . والتي نرجو أن تدوم الى الابد ان شاء
الله .

وعن الاسلام ، والعادات والتقاليد الاسلامية في
ايران . . قال سيادته . .

الأمة الايرانية أمة مسلمة ، ومذهبها الرسمي
الشيعي الامامي . . وأظن أن حقيقة التشيع لآل
محمد صلى الله عليه وسلم أصبح واضحا جليا ،
كالشمس في رابعة النهار ، والشيعيون يحمدون
الله ليل نهار ، صباح مساء ، على ظهور بطلاق
ما نسب اليهم من عقائد مزيفة ، وتشريعات هدامة
والشيعية في عقائدهم لا يختلفون عن اخوانهم أهل
السنة ، فهم يؤمنون بالله ورسوله ، واليوم الآخر ؟
الكمية شرفها الله سبحانه وتعالى ، كتابهم

القرآن الكريم الخالد بما هو بين دفتيه لا يروى فيه والعياذ بالله زيادة أو نقصا فإله جل جلاله هو منزله وهو حافظه .

والشيعة يتشيعون لآل بيت الله عليه السلام — لا بالمعنى الذى سمعته من بعض الاخوان والاصدقاء من مختلف البلاد واندعشت لما سمعته ولا شك أن ما سمعته انما هو من بقايا التهم الباطلة التى نسبت الى الشيعة زورا وبهتانا ، ومن أثر ضعف النفوس والعقيدة واصحاب الاقلام التى لا تعرف الاخلاص فى شيء .. يا أبا الاسلام .. الشيعة لم تفكر فى يوم ما فى تفضيل على ، على رسول الله عليه السلام ولن تفكر فى ذلك فى يوم ما وحاشى الشيعة من هذه التهمة الباطلة .. ان عقيدتنا تقول ، من فضل أحدا من الاولين والآخرين على محمد عليه السلام فقد كفر بالله ، وبئس المصير الذى ينتظره .

هذه كلمات لابد منها لظاهر أمر الشيعة .. لان إيران كلها شيعة وعاداتنا وتقاليدنا اسلامية شيعية فمثلا عيد الفطر عندما يبيت برؤية الهلال وذلك عن طريق القطع الوجدانى بان يرى الشخص نفسه الهلال أو عن طريق الشيوخ الخيد للعلم ، أو شهادة عدلين من الرجال عند الفقيه ، وكل هذا مفصل فى كتب الفقه وعند ثبوت رؤية هلال شوال — يستعد الناس لاستقبال العيد فى الصباح تقام صلاة العيد .. ويوم العيد يوم عطلة عند الإيرانيين حكومة وشعبا ، وزكاة الفطر ، حكمها بوقتها ومن يستحقها كل ذلك مقرر فى كتب الفقه وهى تختلف عن بقية المذاهب الأخرى .

وفى عيد الأضحي تقام صلاة العيد ، ويقوم ذوو القدرة من الإيرانيين ببيع الاضحيات ، وتوزيع لحومها على الفقراء والمساكين واهداء الاصدقاء والاقارب منها ، ويوم الاضحي هذا يوم عطلة أيضا عند الشعب والحكومة الإيرانية ، أما أول يوم من شهر الله المبارك فثبت برؤية الهلال ، والإيرانيون ينتظرون رمضان بشوق عظيم وفرح متزايد . لانهم يعرفون أنه شهر الخير والبركة ، وأنه شهر القرآن ، وأنه الشهر الذى فيه ليلة هى خير من ألف شهر . اذا فلا عجب ان ينتظره الإيرانيون ويؤمنون ان تكون السنة كلها رمضان ، والمساجدى هذا الشهر كلها تكون مزدانة ، ويسابق الجميع لقراءة القرآن ، وتقديم الصدقات ، وإطعام الفقراء ، وإفطار الصائمين ، وإحياء المساجد بالصلاة طول الليل ، وهم يسمون ليلة التاسع عشر من رمضان وليلة الحادى والعشرين منه وليلة الثالث والعشرين منه .. لما إلى الأحياء ، ويحتفل عندهم أن تكون ليلة القدر احدى هذه الليالى ، وعلى أقرب احتمال هى ليلة الثالث والعشرين ، ونحن نجتنب هذه الليالى فى المساجد من بعد المغرب إلى قرب الفجر حيث نعود لبيوتنا لتساول السجود ونحن على الإجماع .. فى هذا الشهر تكثر من الخيرات وبذل التبرعات ، وتقديم المعونات ، وقراءة القرآن .

والشيعة ترى ان عليا اغتيل فى يوم التاسع عشر من هذا الشهر ولقى ربه فى يوم الحادى والعشرين ، ولأجل ذلك تقيم التعازى فى هذين اليومين .

أما شهر المحرم وبالأخص العشر الاوائل منه .. فهى أيام التعزية ، وتذكر مصائب الإمام الحسين رضى الله عنه ، ولذا فالحفلات التابينية تعقد فى جميع المساجد ، بل وفى كثير من الدور ، ويحلى القراء هذه الحفلات .. ونسبهم [روضة خان] أى قراء التعزية وتلقى الخطب والمواعظ فى هذه الحفلات مذكرة بمصائب آل البيت وقتلى الطفوف على الشيعة ، والاكثار من الطعام وبذل الخيرات فى هذا الشهر من السنة المرغوب فيها ، ولا أرى مانعا من ذكر حكاية تقارن بين المحرم

ورمضان .. قيل ان أعقابنا تفلن بلدة من بلاد الشيعة فرأى فيها مجالس معقودة فاشتدك فيها وتقدم لهذه المجالس الكبير جدا من الأكل والشرب ، وتماقبوها بالطعمة غذاء وعشاء ، فتعجب من ذلك وسأل عن سبب هذا فقيل له ان هذا الشهر هو « محرم الحرام » وما نراه يحدث فى كل عام .. ثم يرجع الى بلده وحدث ان عاد لهذه البلدة مرة أخرى وصادف مجيئه شهر الله المبارك [رمضان] فرأى الناس لا ياكلون ولا يشربون ، ولم ير شيئا مما اعتاد فى المرة السابقة فسأل عن السبب فقيل له .. اننا فى شهر الله المبارك .. فقال : لا انكم اخطأتم فى التسمية .. قولوا بعد هذا محرم المبارك ، ورمضان الحرام ..

هذه حكاية تدل على اهتمامنا بشهر المحرم وبذل الخيرات فيه كثيرا ..

أما المولد النبوى فهو عندنا .. ليلة التاسع عشر من شهر ربيع الأول ، وهذا اليوم يوم عطلة عند الإيرانيين جميعا .. وللزواج تقاليد عندنا جدية بان أذكر بعضها ، مثلا .. عند انتماء الزوج يحدد العريس ليلة خاصة تنسبها ليلة العرس ، وفيها يجتمع الاهل والاصدقاء ومن ينصل به بأى صلة ، وتقدم اليهم الولائم ويكترون فى هذه الليلة من الطعام والشراب والحلويات وبعد الانتهاء من هذا يذهب العريس مع جمع من اصدقائه وأهلها الى بيت العروس ويحولونها الى بيت الزوجية وسط الفرحة العامة .. وفى القرى يؤتى بالزوجة من بيت أبيها الى بيت زوجها بين ضرب الدفوف والتصفيق وغير ذلك من ضروب والوان الفرح المتعددة .

هذا وقد ظهرت عادة جديدة فى بعض الاسر .. وهى اقامة ولائم العرس فى النوادى .. ولكنها قليلة .

وعن التعليم فى إيران .. قال سيادته ..

التعليم عندنا فى إيران يجرى فى نطاقين ..

١ — نطاق المدارس المنظمة حسب البرامج الخاصة .

٢ — نطاق المدارس الدينية القيمة .
والحالة فى المدارس المنظمة كتنس الحالة فى سائر البلاد الأخرى ، فالمدارس الابتدائية ومدتها ست سنوات ، ثم الثانوية الأولى ومدتها ثلاث سنين .. ثم الثانوية النهائية ومدتها فى الأخرى ثلاث سنين .. والثانوية النهائية بها ثلاث تخصصات .. أدبى .. علمى .. رياضى .. وبعد ذلك تأتى الدراسة العالية التى تتمثل فى الكليات الجامعية — ويشترط فى الطالب الذى يرغب فى التعليم الجامعى أن يحصل على شهادة الثانوية النهائية . ويدخل الكلية التى تناسب مؤهله .. وبعد الجامعة توجد دراسة الماجستير والدكتوراه .. ولا يختلف النظام فيها عن البلاد الأخرى الا قليلا .

أما المدارس الدينية .. فالحالة فيها هى نقس الحالة التى كانت موجودة فى الأزهر الشريف القديم .. وذلك قبل أن يصبح جامعة منظمة كلياتى الجامعات .

وسألت سيادة الدكتور عن الاسلام ودوره فى آسيا .. فأجاب قائلا ..

بالرغم مما نراه فى الدول الاسلامية فى آسيا .. ومما تقاسمه هذه الدول من تخلف ، ومن ضعف ، ومن فقر .. بالرغم من هذا غالى أمل بل اننى أقول اى على ثقة من أن هذه الحالة لن تدوم .. وان التيارات المختلفة والظروف القاسية التى مرت بالدول الاسلامية ، والتى لعبت دورها فى الأمة الاسلامية .. أقول .. ان هذه التيارات انتهت فى بعض البلاد وهى فى طريقها الى الزوال من البلاد الاسلامية الأخرى ، وذلك

أن الله سبحانه وتعالى لا يخلق العالم للغير لا للشر ، وأن
لهي دولة وللباطل جولة .. وأن ما عند الله باق والمآقية
للبنين . هذه الاضطرابات وإن كنت مزعجة وهذا الضعف
وذلك الخلف وإن كان مخفيا .. إلا أن كل هذا إن شاء الله
سيمر من المسحاب .. وسترتفع الغيوم ، ويصحو الجو ،
ويجلى من وراء هذا كله نور الأيمان وشمس الهداية المحمدية
.. ونحن إذا نظرنا إلى الدول الإسلامية في بداية هذا القرن
.. نجد أن فرنسا كانت مسيطرة على سوريا ولبنان ، وانجلترا
هي الأخرى تتحكم في مصر والعراق والهند .. وكانت باقي الدول
الإسلامية حتى التي لم تقع تحت نير الاستعمار ، ضعيفة ..
متخلفة مرتبطة بالاستعمار ولو من بعيد .. وكانت الشعوب
الإسلامية تعاني من هذا الاستعمار البغيض وذاك التخلف
المجيت ، إلا أنه مع مرور السنين وكر الأيام حدثت الثورات
التحريرية والثورات الفكرية الثقافية ، وسارت في ذلك أسواطا
بيدة حتى انتهى بها الأمر إلى التخلص من كابوس الاستعمار
واستقلت الدول الإسلامية تباعا .. استقلت سياسيا واقتصاديا
وثقافيا .. إلا أن هذا المجال الأخير لا تقوى أن الاستقلال فيه
تام لما يعتد عليه مجالنا الثقافي من ترجمة واقتباس ..
وفي نفس الوقت بدأت الدول الإسلامية تتعاون فيما بينها تعاوناً
واضحاً .. ومن أمثلة هذا التعاون .. ما قام به جمال الدين
الإفريقي في مجال الأخوة الإسلامية .. لقد بذل جمال الدين
جهداً عظيماً في بذور الأخوة الإسلامية ووجدت دعوته
صدورها واسمة وقلوباً واعية .. وعقولاً نيرة .. ومن أبرز
الشخصيات التي آمنت بدعوته .. الإمام محمد عبده كذلك ..
فإن رشيد رضا دعا الأمة الإسلامية إلى تقبّل دعوة جمال الدين
الإفريقي فأجابته علماء إيران وعلى رأسهم المفكر له أبو
عبد الله الزنجاني .. كذلك فإن علماء مصر ولبنان وغيرهما
من الدول الإسلامية قد لبوا دعوة الإمام كاشف الغطاء ..
وهكذا سار الأمر في مجال التعاون والتقارب وازدهار الروح
الإسلامية الحقيقية ، إلى أن وصل إلى قطبين .. أولهما شمس
وهو الحاج الطباطبائي زعيم الأمة الأممية في عصره والإمام
الأكبر محمود شلتوت وهو سني وكان من نتيجة نقائهما تقارب
الشريعة مع السنيين ..

كل هذه الجهود نابعة من الإسلام وقائمة تحت رايته
ومستقلة بظله .. والإسلام هو صاحبها وهو الذي لعب الدور
الأول في تحريك الشخصيات الإسلامية الطمعية .. وتحريك
الشعوب الإسلامية .. وإيقاظها من غفوتها التي طالّت .. وهو
الذي سار بها إلى طريق الاستقلال .. طريق التحرر ..
وما ذكرته ليس إلا أمثلة فقط .. ولكن لو رجعنا إلى بقية
الدول الإسلامية في آسيا لوجدنا أن سبب تحررها .. وسبب
نهوضها وسبب استقلالها .. إنما هو الإسلام .. والإسلام
هو الذي لعب الدور الأول والأخير في بعث هذه الدول من
جديد .. وإن التاريخ لهو خير شاهد على هذا ..

ونحن الآن نرى أن إطار الأخوة الإسلامية يتسع يوماً بعد
آخر .. وإن علاقات الشعوب الإسلامية تتوطد يوماً بعد يوم ..
المعلم يتكاتفون مع بعض بهدف اظهار الروح الإسلامية
الحقيقية .. المؤتمرات العالمية الإسلامية تمتد وتناقش المسائل
الإسلامية العلمية ، والمسائل التي تخص المسلمين .. ويحضر
هذه المؤتمرات شخصيات إسلامية من جميع دول العالم ..
وأما على يقين من أن هذه المؤتمرات وهذه اللقاءات بين العلماء
سوف تنهي إلى تأكيد الأخوة الإسلامية النابعة من الهداية
المحمدية التي يستل بظلمها أكثر من سبعمائة مليون مسلم
في جميع بقاع العالم .. ونحن إذا سرنا في هذا الطريق فإن
المسلمين سيمودون إلى مجدهم التليد وعزهم الغابر .. وترجع
إليهم حضارتهم العظيمة التي عمت أرجاء العالم ويعيش المسلمون
عيشة راضية تجمهم كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله ..
احتجاج بعد تفرق .. قوة بعد ضعف غنى بعد فقر .. أن
المسلمين باستردادهم مجدهم السابق سيمشون معيشة كلها
عز وهناء .. معيشة لا سيطرة فيها للمادة على الروح كما
هو حال الغرب اليوم .. الغرب في أيامنا هذه لا قيمة للروح
فيه بل السيطرة كلها للمادة ، لئلا .

□ ٢٠٠ □

أن المسلمين يمتسكهم بالإسلام الذي هو تتقوى الحياة ..
سوف يسيطرون على المادة ويرجعونها إلى خضوعها للروح
وتوجيهها إلى الأغراض التي هي في حقيقة أمرها في خدمة
الإنسانية .. ومن المعلوم أن الإنسان لا يمكن أن يعيش بالمادة
فقط ولا بالروح فقط .. ولكن معيشته هي كما رسمها الإسلام
.. بالروح والمادة .. بسيطرة الروح على المادة إذ معيشة
الإنسان يجب أن تكون وفقاً لما رسمه الإسلام .. الإسلام
دين الفطرة ، فطرة الله التي فطر الناس عليها ، ذلك الدين
القيم .. أن الدين عند الله الإسلام .. فأما الزبد فيذهب جفاء
وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض إلى هذا يستول الدول
الإسلامية في العالم وفي آسيا .. إذا فالدور الأساسي في
الحياة هو من نصيب الإسلام ، ولا جدال في ذلك ، يقولون
بني نصر الله .. أن نصر الله قريب من المؤمنين ..
وإن العلماء الإيرانيين وقد آمنوا بهذا الدور للإسلام ..
وقد آمنوا بالأخوة الإسلامية .. ولزوم الترابط الروحي والاتصالات
بين جميع الشعوب الإسلامية - قاموا ببث هذه الدعوة في
كل ميدان .. وتوطيد لهذه الاتصالات أنشأوا في « قم »
« دار التبليغ » من أهم وظائفها توطيد الصلات بين علماء
المسلمين في كل مكان .. أما عن طريق الزيارات - أو عن
طريق المراسلات ، أو عن طريق إرسال مندوبين ..
كل هذا من أجل مستقبل أحسن ، مستقبل مزدهر للمسلمين
وفق الله المسلمين في جميع بلاد العالم للعمل لهذا المستقبل
الأفضل ..

وعن أحوال المسلمين بين الأمس والغد .. قال سيادته :
إن حال المسلمين بالأمس القريب غير حالهم في سابق عصرهم
وسالف مجدهم وما ذلك إلا بسبب أعمالهم لأمورهم الدينية
وبعدهم عن الإسلام الحقيقي .. واهدارهم لكرامة الإنسان :
وعدم تقهّم في أنفسهم كمسلمين ، ورغبتهم في الانزوال وجهم
للدنيا .. وتهالكهم عليها .. وهناك أمر تاريخي مهم كان له أثر
عظيم في تأخر المسلمين .. هو الاعتداء الوحشي الذي قام به
المغول [أحلم الله دار البوار] على العالم الإسلامي . فقد
كان لهذا الاعتداء نتائج غاية في السوء .. في انهيار للبلاد
إلى تهديم للمباني إلى تخريب للمساجد إلى احراق
للمكتبات والكتب إلى اضطهاد للعلماء إلى غير هذا وذلك
من أنواع التخريب والاضطهاد والتعذيب .. ونتيجة لهذا كله
أصبحت أرض المسلمين مفاوز تسكنها الوحوش .. وتروح فيها
غرياب البين .. فهذا الاعتداء كان سبباً مباشراً في تأخر
المسلمين بل في رجوعهم إلى الخلف بخطوات سريعة .. في
حين أن غيرهم من البلاد الأوروبية كان قد بدأ يقضي من سبات
عميق .. وتفتتح عينيه على مآتيه الدولة الإسلامية من فروات
علمية ، ومكتبات قيمة ، وتراث خالد ، حتى أنه بعدد أن
ارتفعت تلك الغمة وزالت تلك البلوى عن الأمم الإسلامية ركن
المسلمون إلى الكسل والتكاسل إلى التوهم والدعة ، وبمقارنة
بسيطة بين مؤلفات العالم الإسلامي قبل الفتن وبين ما القوه
وسجلوه بعد ذلك لعرفت اليون التاسع والفرق الكبير بين
المؤلفات السابقة واللاحقة ، ولا يقتت أنه لا وزن لتلك المؤلفات
اللاحقة ، ينسأ في ذلك جميع فروع المعرفة - من فلسفة
إلى طب إلى فقه إلى صيدلة إلى رياضة ، الخ اللهم إلا القليل
والقليل جدا من المؤلف ، التي أثبتت جدارتها ومكانتها العلمية
ونحن نرجو الله الصلي القدير أن يكون انتاج العلماء
الإسلاميين غزيراً غزيراً جداً وذا قيمة علمية ، تعيد للإسلام
والمسلمين مجدهم القديم ..

وبعد ذلك أخذت الدول الإسلامية تسير وتنقل من سوء إلى
أسوأها في الوقت الذي كان الغرب فيه قد استيقظ من نومه
وأخذ يتطلع إلى مافي أيدي الشرقيين من تراث لا يعرفون كيف
يستفيدون منه .. ولا كيف يصونونه ، وبعد محاولات ومحاولات
استولى الأوروبيون على مافي أيدي الشرقيين من علوم ومعارف
وأخذوا يندرسونه ويقيرون الجامعات لتتوافر لهم دراسة
هذه التأثيرات الإسلامية .. ومن ثم طبقوا مناهج المسلمين على
التجارب العلمية على أساس القياس والمناهج الاستقرائية ..
وعلى ضوء النتائج التي توصلوا إليها تقبّلوا قبحاً إلى الإجماع
ثم تقدم يليه تقدم ..

وفي الناحية الأخرى المسلمون يتأخرون ويتأخرون ويتوقعون والزمن يسير ويسير حتى انتهى بنا الزمن إلى القرن العشرين أو قل إلى عصر الميكانيكا والذرة والصواريخ .. هكذا حالنا .. وهكذا حال الغرب نحن وقفنا عن الهمع الذي كنا نسلكه بشاسعة من اليون والآخرين وصلوا في العلم إلى ذروته .. تلك الذروة التي كان لأحلم بها انسان منذ أمد قريب ، الآن أصبحت الذرة تحت أيديهم .. والقمر تحت سلطانهم .. والبحار شقت مياهها وكشف ما فيها من عجائب ..

ولكن يا أخى بالرغم من هذا التقدم العلمي الرائع إلا أنهم في الناحية الأخرى قد رسبوا ورسبوا .. لأنهم أهملوا الروح .. غرتهم المادة .. فأصبحوا تحت سيطرتها .. تتسيطر عليهم الآلة ولا يسيطرون هم عليها .. وبالتالي فهم عبيد لها ، وخدم وحشم ، ويمكننا أن نقول أن العالم أصبح الآن أبعد ما يكون عن السلام بسبب خضوع الغرب للمادة ، ولقد انبعث من هذا الخضوع تيارات الحادية جارية كانت سببا في انهيار المجتمعات .. وبالتالي بعثت هذه المجتمعات عن القيم والأداب ، والأخلاق ، والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى ، لقد ثارت النفوس ، وجزعت القلوب ، وشلت العقول أمام هذه الانحرافات المذهلة والمآسى المؤسفة .. وها نحن نرى أن هذه الأمم تعيش في قلق واضطراب .. بعيدا عن الاستقرار بعيدا عن الطمأنينة بعدها عن الروحانيات ، ولا أدل على ذلك من قول جونسون عندما كان رئيسا للولايات المتحدة الأمريكية لابنته . من الممكن أن تقوى من نومك مبكرة فتجدى أن أبك قد مات على سريرته (يقول لها هذا لأنه موقن ومتأكد من أن حياة العالم بهذه الصورة ليس لها استقرار ، ولا يمكن أن يتأتى لاحد فيها الاطمئنان على حياته ولا للحظة واحدة ..

وإذا كنا الآن نرى العالم الإسلامي وقد فاق من سباته العميق وغفوته الطويلة ورقاهه الذي طال ، فاتنا نرى في الوقت نفسه نرى الغرب يسير من سيء إلى أسوأ .. وينحدر إلى أسفل بخطى سرية .. ومع ذلك فإن هناك نفر قليل من أبناء المسلمين مازال ينظر إلى الغرب نظرة كلها تقدير واعجاب ورضا ، وعين الرضا عن كل عيب كيلة .. المسلمون الآن .. يحاولون اللحاق بالركب « المسلمون الآن يرجعون بأنفسهم إلى الإسلام الحق ، ويتمسكون بقرآنهم .. وسنة رسولهم .. والغرب ينحدر وينحدر ..

ولكى نقف من هذه التيارات الإلحادية المختلفة .. فانه من الواجب على علماء الاجتماع أن يدرسوا هذه التيارات ويظهروا ما فيها من انحرافات وهدم .. وأن يضعوا نتائج دراستهم أمام علماء الدين وعلى علماء الاجتماع أيضا اقتراح ما يروونه من مزاج اجتماعي .. أما علماء الدين فالواجب عليهم تقبل ثقل الأمانة الملقاة على عاتقهم .. عليهم أن يقدموا للعالم أجمع دين الإسلام في أوضح صورة وأجلاها ، يجب عليهم أن يكشفوا للعالم الدرر الكامنة في الدين الإسلامي — يجب أن يزيلوا عن الإسلام انهم

الباطلة .. وأن يزيلوا الصورة المشوهة التي لحقت به .. عليهم أن يستخرجوا من الإسلام علجا لمشاكل العالم المختلفة .. والإسلام زاخر بآراء المجتمعات ولا عجب في ذلك لانه صالح لكل زمان ومكان ويجب على المسلمين عموما ان يتمسكوا بدينهم في وجه هذه التيارات ويكونوا قدوة لغيرهم . والقنوة علاج لكثير من الامراض .. ومن واجب المسلمين أيضا ارسال البعثات المختلفة الى مختلف البلاد لتقديم الاسلام اليهم التقديم المناسب لمعظمة الاسلام وجلاله .

وانى في نهاية الامن واثق من أن هذه التيارات الإلحادية لن تؤثر في العالم الإسلامي التأثير الذي يرجوه منيروها .. وستمر ان شاء الله بسلام ، وستسكن ان شاء الله عما قريب وما ذلك الا بفضل الدين الإسلامي الحنيف .. أن الدين عند الله الاسلام ، وأن موعدنا الصبح ليس الصبح بقريب . وفي نهاية حديثي مع السيد الدكتور تكلم عن شعور ايران تجاه ما حدث لبيت المقدس .. فقال ..

المسجد الأقصى هو أول قبلة في الاسلام ، وثالث مسجد تشد إليه الرحال ، بهذا تؤمن الأمة الإيرانية ، اذا من الممكن أن تعرف ما حدث للأمة الإيرانية عندما سمعت ما حدث لبيت المقدس وعندما سمعت أن هذا قدرة ارتكبت جريمة لا يستحياها الوثنى فكيف لمن يزعم أنه على دين سماوى [ودين الله يرى منه رمن عصا براءة الذئب من دم يوسف] ان ايران فور سماعها لهذا النبأ المؤسف من الاذاعات والصحف .. ارتجت مدنها وتزلزلت أركانها .. وصعد الخطباء الى منابر المساجد ينكروا هذا العمل الفبيح اشد الانكار .. واخذت الصحف الإيرانية تندد بهذا العمل الشائن وهى في ذلك تعبر عن مشاعر الشعب الإيراني .. كذلك فان موقف الشعب الإيراني بالنسبة لفلسطين . موقف المسلم المؤمن بالله ورسوله وبأخوانه في الدين .. وان الاراضى المقدسة بفلسطين ليست ملكا للعرب فقط ، بل هى ملك المسلمين فى كل مكان .. ولذا فالدفاع عن هذه المقدسات فرض على كل مسلم فى أى مكان فى العالم .. الجهاد فى سبيل انقاذ مقدساتنا فى فلسطين واجب ديني بحثنا عليه اسلامنا والتقاوس عن هذا الفرض وذاك الواجب تفريط فى ركن من اركان الدين الا وهو الجهاد .

فهيا أيها المسلمون فى بقاع العالم .. هيا الى العمل .. أن الجهاد يتاديكم .. أن دين الله يحثكم .. هذا هو وقت العمل .. هذا هو وقت الاختبار . وقت الاسراع الى جنة الخلد .. الى لقاء الله سبحانه وتعالى .

وجاهدوا فى الله حق جهاده ..

وفقى الله الأمة العربية الى السير على طريق النصر والفلاح ...

نداء على طريق الجهاد

يا أخى فى الجهاد هذا ندائى ضارع الشجوة صفته من دمائى
صفته حينما اشرايت سمائى وصباحى شدا به ، ومسائى
فتفتت به بقاعى وصاحت واستراحت على الربا الخضراء
فالظلام الذى اتاخ عليها مزقته فى عزة ، واباء
فرشت أرضها أخضارا وخصبا ونماء أنعم به من نماء ..
اطلمت صباحها وريقا رقيقا عاطر اللحن عبقرى الضياء
يا أخى فى الجهاد أرضك أرضى ونداك الذى هتفت ندائى
نحن نمضى معا فدىك دبرى والبناء الذى رفعت بنائى
وانطلاقاتك الأبيّة دوت وتعالى الى غنان السماء
قد بنيت الحياة . يا حر . بالايهان . والكبح . والضنى . والعناء
صوتك الثائر الابى ترامى وتسامى للعزة القعساء
صيحة اثر صيحة تتحدى ظلم مستعمر عنيد العدا
يا أخى فى النضال ، والمجد ، والتاريخ ، والدين ، والمنى ، والرجاء
قد كشفت العدو خلف ستار اسود اللون عنجهى الرداء
فتعرت ثيابه السود حينما وتبدى حينما بمر البلاء
يا أخى لاتهب فمن رام شرابلادى مصيره للفناء ..
ان هذا النداء ازجيه خفاقا الى فجر يومك الللاء
يوم ثارت دنالك تبغى خلاصا وفداء أنعم به من فداء
فيه حققت عزة فشمال وجنوب فى وحدة ، ولقاء
يوم ناديت للسماء فلبت واستجاب الدعاء رب السماء
يا أخى فى الجهاد فجرك فجرى وضياك الذى تبدى ضيائى
وعلى دربنا الطويل نضال نحن نمضى فيه بكل مضاء
لانبألى الاعصار ، والظلم ، والجور ، ودس العدا ، ومكر الدهاء
يا أخى فى الجهاد هذا ندائى ضارع الشجوة صفته من دمائى
يا أخى لاتهب فمن رام شرابلادى مصيره للفناء



السّاعِرُ عَمْرُو هاشم



الخلفاء الراشدون
وأعلام الإسلام



ثلاث لم يعطها غيره :

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لعلى رضى الله عنه « يا على اعطيت ثلاثا لم يعطها احد غيرك • صهرا مثلى • وزوجة مثل فاطمة وولدين مثل الحسن والحسين »

ذو الاذن الواعية :

نزل قول الله تعالى « وتعيها اذن واعية » فقال النبي عليه الصلاة والسلام سألت الله أن يجعلها اذنك يا على • فكان رضى الله عنه لا يسمع كلاما من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا حفظه ووعاه • وقد بلغت رواياته ٥٣٦ حديثا •

أخو النبي عليه الصلاة والسلام :

أخى النبي عليه الصلاة والسلام بين اصحابه نجاءه على وعيناه تدمعان فقال يارسول الله • آخيت بين اصحابك ولم تؤاخ بينى وبين احد • فقال له النبي عليه الصلاة والسلام « أنت أخى فى الدنيا والآخرة » •

أقضى الصحابة :

عن النبي عليه الصلاة والسلام قال « أقضاكم على » وسبب ذلك أن النبي عليه الصلاة والسلام كان جالسا يوما مع جماعة من الصحابة فجاءه خصمان قال أحدهما : يارسول الله ان لى حمارا وان لهذا بقره • وان بقرته قتلت حمارى فقال أحد الحاضرين « لا ضمان على البهائم • فأشار النبي عليه الصلاة والسلام الى على ليقضى بينهما فسألها : أكانا مرسلين أم مشدودين أم أحدهما مشدودا والآخر مرسلا • ؟ واستبان له أن الحمار كان مشدودا والبقرة مرسله وصاحبها معها فقال على : « صاحب البقرة ضامن للحمار وأقره النبي عليه الصلاة والسلام على ذلك • •

ويروى أن النبي صلى الله عليه وسلم بعثه قاضيا الى اليمن • فقال : يارسول الله « ما أدري بالقضاء • فمسح النبي على صدره وقال : « اللهم اهد قلبه وسدد لسانه قال على « فوالله ما شككت بعدها فى قضاء قضيت بين اثنين •

وكان وهو أمير المؤمنين يحتكم الى القاضى شأنه فى ذلك شأن رجل من عامة الناس • وجد درعه يوما عند رجل نصرانى • فذهب الى شريح - قاضيه - وقال أنها درعى ولم أبع ولم أحب • فسأل القاضى الرجل النصرانى فيما يقول أمير المؤمنين فقال أنها درعى وما أمير المؤمنين عندى بكاذب • فالتفت شريح اليه يسأله عن بيعة فضحك وقال : « أصاب شريح مالى

الشهيد أبو الشهداء

على بن أبى طالب
رضى الله عنه

أستاذ محمد حسن عبد العزيز

تحدثنا فى مقالنا بعدد صفات ١٣٩١ فى هذه المجلة الغراء عن بعض الجوانب من الشخصية الفذة ، شخصية سيدنا على بن أبى طالب - رضى الله عنه - من ناحية ولأيته ونشأته وصلته بالرسول صلى الله عليه وسلم - وفى هذا العدد بمشيئة الله نكمل ما بدأنا راجين أن نكون قد وفقنا فى اللقاء الضوء على بعض جوانب هذه الشخصية الكريمة ، مستلهمين منه - رضى الله عنه - القدوة والشجاعة والبطولة والايثار والاخلاق الفاضلة التى لابد أن يتحلى بها كل مؤمن غيور على دينه ووطنه وأمته •

زهد وجوده :

كان رضى الله تعالى عنه عزوفا عن متاع الدنيا • وجاء متاع الآخرة • ويروى أن عقبة بن علقمة دخل عليه يوما وهو أمير المؤمنين فوجده يأكل لبنا حامضا وكسرات يابسة • فقال له : « يا أمير المؤمنين أأكل مثل هذا ؟ فقال له : « لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل ابيس من هذا ويلبس أخشن من هذا - وأشار الى ثيابه - فان لم آخذ بما آخذ به خفت الا الحق به »

ونقل الواحدى فى تفسيره يرفعه بسنده الى ابن عباس رضى الله عنهما قال - كان مع على رضى الله عنه أربعة دراهم لا يملك غيرها • فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية • فأنزل الله تعالى « الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية قلهم أجرم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » •

□ ٢٠٤ □

بينة « ففضى بالدرع للتصرائى فآخذها ومشى بضع خطوات • ثم عاد يقول « أما أنا فاشهد أن هذه أحكام أنبياء • أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله • الدرع والله درعك يا أمير المؤمنين •

باب مدينة العلم :

روى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : أنا مدينة العلم على بابها فمن أراد العلم فليأته من بابيه • ووصفه عليه الصلاة والسلام في حديث آخر ببمسوب المؤمنين ورزا الأرض • واليعسوب في عالم النحل هو أميرها الذى تنقاد اليه ويقوم بمصالحها • ويرجع اليه فى أمورها أما رزا الأرض بمعنى صوت الأرض أو الرجل المفرد الوحيد •

من ماثور قوله :

فى علامة الإيمان « أن تؤثر الصدق حيث يضرك على الكذب حيث ينفكك والا يكون فى حديثك فضل على علمك وأن تتقى الله فى حديث غيرك •

فى الحق « لا تعرف الحق بالرجال • اعرف الحق تعرف أهله •

فى المناجاة « كفانى عزا أن تكون لى ربا وكفانى فخرا أن أكون لك عبدا أنت لى كما أحب فوقنى لما تحب •

فى العلم • المرء مخبوء تحت لسانه • فكلموا تعرفوا • ماضع امرء عرف قدره • لا تنظر الى من قال ولكن انظر الى ما قال • قيمة كل امرء ما يحسنه •

ثنائيات - لا ظفر مع البغى • لا ثناء مع الكبر • لا برمغ الشح • لا صحة مع الهوى • لا شرف مع سوء الأدب • لا اجتباب لمحرمة الحرص • لا راحة مع الحسد • لا محبة مع المرء • لا صواب مع ترك المشورة • ولا مروءة مع الكذب • لا وفاء للول •

ما قيل فى حقه :

قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله فيه « أزهى الناس فى الناس على بن أبى طالب ولعل تلك شهادة واحد من أسرة كانت تحصى عليه سيئاته وترفض حسناته •

وقال عبد الله بن مسعود « أعلم أهل المدينة بالفرائض على بن أبى طالب •

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه « لولا على لهلك عمر •

وقال ابن عباس رضى الله عنهما : لقد اعطى على ابن أبى طالب تسعة أعشار العلم وأيم الله • لقد شارككم فى العشر العاشر •

وفاته :

أنباء النبي عليه الصلاة والسلام أنه سيموت

مقتولا • فقال له « أنتك ستقرب ضربة هاهنا • وأنتك الى رأسه • فيسيل دمها حتى تخضب لحيتك •

تأمر ثلاثة من الخوارج على قتل على ومعاوية وعمرو بن العاص (هم عبد الرحمن بن ملجم والبرك ابن عبد الله التميمي وعمر بن بكر التميمي) ونجا من القتل معاوية وعمرو رضى الله عنهما وأصيب الإمام بضربة من عبد الرحمن بن ملجم فى رأسه • بقى بعدها ليلتين حتى مات فى يوم الأحد لخمس عشرة ليلة قد خلت من شهر رمضان سنة أربعين •

ويوم أصابته استدعى ولديه الحسن والحسين رضى الله عنهما وقال لهما « أوصيكما بتقوى الله والرغبة فى الآخرة والزهد فى الدنيا ولا تسافوا على شئ فأتكما منها • أعملا الخير وكونا للظالم خصما وللمظلوم عوناً • ثم دعا ولده محمدا وقال له • أما سمعت ما أوصيت به أخوك قال بلى : قال : « فانى أوصيك به • وعليك ببر أخوك وتوقيرهما ومعرفة فضلهم ولا تقطع أمرا دونهما • : ثم وجه حديثه الى الحسن والحسين • قائلا : « أوصيكما به خيرا فإنه أخوكما وابن أبيكما وأنتما تعلمان أن أباكما كان يحبه فاحياه • »

ثم طلب أحضار القاتل بين يديه • فنظر اليه ثم قال : النفس بالنفس • ان أنا مت فاقتلوه كما قتلنى • وأن سلمت رأيت رأيي فيه •

ولما حضرته الوفاة • نادى ابنه الحسن وقال له : ابصر ضاربى فاطمته من طعامى واسقه من شرايى فإن عشت فأتا أولى بحقى • وإن أنامت فاضربوه ضربة ولا تمثلوا به فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « اياكم والمثله ولو بالكلب العفور » يا حسن أن أنا مت لا تتغال فى كفى • فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا تغالوا فى الإكفان » وامشوا بين المشيتين فإن خيرا عجلتمونى اليه • وإن شرا أقيتمونى عن اكتافكم يا بنى عبد المطلب • لا الفيناكم تريقون دماء المسلمين بعدى • تقولون قتلتم أمير المؤمنين • فلما مات جرى بابن ملجم فقتل تنفيذا لأمر الإمام •

تلك كلمة يسيرة عن رجل لم يسبقه الاولون بعمل • ولا يدركه الآخرون بعمل جامد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ووقاه بنفسه • وكفاه شهادة ان الله تعالى أوحى الى نبيه عليه الصلاة والسلام فى على ليلة أسرى به بأنه سيد المؤمنين وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين •

وكفاه أيضا أنه أحد كتاب الوحي وإن الجنة تشتهى اليه • وهو فيها يزهو ككوكب الصبح لاهل الدنيا •

وما أردت بما كتبت الا وجه الله تعالى : ورضاء نبيه عليه الصلاة والسلام وجبا فى آل بيته الأبرار و « ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد » صدق الله العظيم •

أعظم النساء حياة

الأستاذ عبدالمقصود حبيب

أصفيائه صلى الله عليه وسلم « لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب » كما قال تعالى « وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك » وقال تعالى « فاقصص القصص لعلهم يتفكرون »

وان كنا معشر المسلمين نساء ورجالا في حاجة دائمة لاستجلاء العبر واستنهاض الأمثال من سير عظماء الشخصيات الإسلامية والتأسي بما كانوا يقدمون للعالم من خير وفضل .. فما أحوجنا الآن الى مثل سيرة سيدة هي أعظم نساء العالمين .. ليست لأنها فقط كانت زوجة للرسول صلى الله عليه وسلم .. ولكن أيضا لأنها ضربت أروع الأمثلة في مساندة الزوجة لزوجها في دعوته عندما أكد لها قلبها الملهم أنها دعوة الحق من عند الله .. وقفت بجانبه تقويه وتركه وبذل من راحتها وطمأنينتها ونفسها لكي يسير الداعي بدعوته حتى تشق الدنيا وتملاها بالنور والمحبة والسلام .. وليس هذا أيضا فحسب ولكن لأنها أنجبت ذرية صالحة طاهرة سامقة تضيء للمسلمين أركان الأرض الى اليوم .. وإلى يوم الدين .

كانت حياتها منذ يومها الأول حياة النبل والترفح حتى لقبته قريش من قبل الاسلام بالطاهرة لما كانت عليه من خلق عظيم وفضل سابغ ومجد عريق وسمعة يحفها الطيب في كل مكان وفي كل مجلس .

« خديجة بنت خويلد » ولدت لابوين كريمين كلاهما من أرق الأسر في الجزيرة العربية ، وكلاهما ينتهي نسبه الى « لؤي بن غالب بن فهر » .. وكان نسبا معرقا في النبل والسيادة .. وقد اجتمع لها مع النبل مكانة الثروة الوافرة واليسار الظاهر فكانت

ماذا يقول كاتب في واحدة هي أم المؤمنين والمؤمنات ، وهي أول من أسلم من النساء وعلى الإطلاق ، وهي أول من احتضن الدعوة وداعيتها ، وبذلت في سبيلهما من مالها ونفسها .. كرمها الله .. وكرمها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقسم أن لا يبدل لها ولا يعدلها عنده أحد « والله ما أبدلني الله خيرا منها »

ماذا يقول هذا الكاتب أو ذاك في هذه السيدة العظيمة بعد تكريم الله ورسوله لها .. انه — مهما بلغ — لن يستطيع أن يشتمل بفكره وقلمه على كل الروعة في تلك السيرة العطرة .. كما لن يستطيع أن يحيط بعظمة هذه الشخصية الفذة .

ولكن حسب من كتابته شيئان :

أولهما : انه يرضى نفسه ومشاعره بالاقتراب من ذلك النور الباهر يستجليه قدر ما يستطيع ويملا منه قلبه رضا واجلالا .

وأما ثانيهما : فكما يقول الأستاذ حسن كامل اللطاي « ليس المقصود بالكتابة في سير عظماء الاسلام واعلامه اننا نسرد وقائع التاريخ المتصلة بهم فحسب .. بل المقصود ان نأخذ العبرة من سيرهم لنستضيء بها في حياتنا وننتفع بتجاربهم في أمورنا الدنيوية والاخرية .. فقد هلك خزان المال وهم أحياء .. والعظماء باقون ما بقى الدهر .. أعينهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة .. وقد بين الله سبحانه حكمة القصص فقال لأصفي

فقسلا وعطاء يزيد من حولها القلوب المحبة .
ولكن الرجال في مكة لم يسكتوا عن طلبها .. فما
اشوق كل رجل في مكة ان يحوز شرف الزواج من
خديجة .. صاحبة الفضل والفتنة، والذكاء والثراء
فطلبها كثير منهم .. ورغم ذلك لم تستجب الى هذه
الرغبة اذ وجدت في نفسها عزوفا كبيرا يمنعها .
وظلت على هذا الراى .. كما ظل الرجال على
طلبهم .. والايام تمر ..

وفي ذات يوم منها .. بعد ان انتهت ما تطلبه
المعيشة من اعمال منزلية .. اوت الى فرائسها
وليس في ذهنها ما يشغله غير ابنائها الايتام والقافلة
التي ستذهب في رحلة الشتاء الى اليمن بعد ايام .
وما ان مر وقت قليل حتى استفرغها النوم وراى
فيها رؤيا كالحقيقة الناصعة جلاء ووضوحا .. رأت
فيها شمسا عظيمة القدر مضيئة اشده ما يكون
الضوء جمالا وجلالا تهبط الى دارها من سماء مكة
فيغمر ضوءها ما يحيط بالدار من دور ومنازل وتدرج
الضوء حتى غمر الدنيا حينها تتوجه بناظريها ..
فقامت من فورها ولم يعاودها النوم في تلك الليلة
حتى الصباح وهي تفكر طويلا في امر تلك الرؤية
ماذا تعنى ؟ والى اى شيء تهدف ؟ وماذا يكون
تاويلها ؟

ومع ذبيب الحياة في مكة ذهبت الى ابن عمها
ورقة بن نوفل وكان من اهل العلم والحكمة الذين
نبذوا عبادة الاوثان واعتزلوا عبادها في انتظار نبي
آخى الزمان الذى بشرت به التوراة كما بشر به
الانجيل .. ورأى لقرب مجيئه تباشير وارهاصات
كثيرة نطق بها العلم الذى يعرفه والكتب
التي يخرتها ويعب منها .. وكان ورقة قد عاب
على اهل مكة ما يعبدون والقرن في عبادته دين
ابراهيم عليه السلام فاحتجب الخمر والميسر ورحم
الموودة من وادها وافتداهما بماله .
ذهبت اليه خديجة متلهفة لسماع تفسيره لرؤياها
التي رأتها في اول الليل وشغلتها عن النوم حتى
الصباح .

رأها ورقة فاستفسر عن سر مجيئها الباكى
فقصت عليه ما رأت فاستبشر وضحك وقال لها
مبشرا :

« لك البشرى ياخديجة يا ابنة العم .. فهذه
الشمس المضيئة علامة على قرب ظهور النبي الذى
اظل زمانه ودخلها دارك دليل على انك انت التى
ستتزوجين منه »

دهشت خديجة لذلك التفسير .. ورغم انها
لم تعلق عليه فقد رسب في اعماقها .. وشيئا
فشيئا كان يسدل عليه ستار من النسيان تكفنه
مشاغل الحياة واحداث الايام .

كان « محمد » غلاما يورق صباه وبينه وبين
شبابه نحو الاكتمال والازدهار ويتردد في ارجاء
مكة صدى الحديث عن صفاته وأخلاقه وعفافه

□ ٢٠٧ □

تأملت الى الشام تعدل قوافل قريش اجمعين في
كثير من الأعوام .. كما كان لهذه الأسرة نزعة
فطرية للروحية والتدين . ولابى خديجة في ذلك حادث
مشهور .. كما نزع بعض أفرادها الى العزلة
والاعتكاف بحثا عن دين أقوم مما عليه القوم .. مثل
ابن عمها « ورقة بن نوفل » الذى ما فعل ذلك لنفع
مادى أو كسب شخصى .. وانما كان عكوفه على
دراسة الدين لطبيعة فيه توحى اليه بالشك في
عبادة الاوثان وتجنح به الى البحث والمراجعة عسى
ان يهتدى الى عقيدة أفضل مما يمارسها قومه .
درجت خديجة بنت خويلد في هذه الأسرة العظيمة
من الطفولة الى الشباب حتى تزوجت « ابا هالة بن
زرارة التميمي » الذى كان من عليّة الناس في مكة
وقد مات في الجاهلية بعد ان قضت معه أعواما
قليلة وقد ولدت له « هذا » الذى صار في الاسلام
صاحبيا وقد شهد غزوة بدر وقيل غزوة أحد ..
وكان يقول : أنا أكرم الناس ابا وأما وأخا وأختا ..
أبى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخى القاسم
وأختى فاطمة وأمى خديجة رضى الله عنها »

وكذلك أنجبت من هذا الزوج « هالة » أيضا .
وبعد ان مات عنها زوجها « ابو هالة » تزوجها
« عتيق بن عامر المخزومي » الذى ولدت له بنتا
اسمها « هذا » وقد أسلمت وصحبت .

عاشت مع الزوجين عيشة راضية .. قامت
فيها خديجة بأعظم ما تقوم به زوجة .. وقدمت
لزوجها خير ما تقدم زوجة لزوجها .. كان مبدؤها
الذى سارت عليه ان الزواج تعاون بين الزوج
والزوجة ، وحرص من الزوجة على رضاء زوجها
وان تحفظه في ماله وفى أهله وفى غيابه .. من
هذه القاعدة العظيمة لكل زواج ناجح مثير منحت
خديجة كلا من زوجيها المتوالين كل ما يمكن ان تمنحه
المرأة العاقلة الفاهمة : أطاعته واحترامته وشجعته
.. ووجد في قلبها عطشا انس به وارتاح اليه
وأحس عندها بسعادة كان يرجوها فاطمأن اليها
ومنحها من قلبه مثلما منحت من قلبها ..

لخلقها العظيم .. أحبها كل من الزوجين على
التوالى ..

ولسمعتها العطرة .. ما ان مر وقت قصير
على موت زوجها الأول .. حتى تقدم لها أشخاص
عديدون الى ان استقر الراى على من كان لها الزوج
الثانى لكن الموت لم يبهله أيضا ..

ففضلت من بعده ان تبقى بلا زواج .. وحسبها
من الحياة الزوجية ما قضت وتعيش لثروتها التى
ورثتها عن أبيها وزوجيها .. ولابنائها منها ..
فاخذت تدبر أموالها أحسن تدبير .. وترسل القافلة
بالتجارة الكبيرة الى الشام صيفا وإلى اليمن
شتاء مثلما يرسلها الرجال .. وعليها عمال أمناء
أحسن اختيارهم .. فتعود القافلة بالربح الجميل
الذى يجعلها محط أنظار القوم اعجابا وتقديرا ..
وتفيض منه على المحتاجين والفقراء من أهل مكة

وامانة .. تلك الصفات التي لم يعدها القوم في شباب من شباب مكة غيره .. ولقب بالامين .. وقدم على شباب مكة بل وفي بعض الاحيان على مسنيها وهو لا يزال في ميعه الصبا .. توفي عنه جده عبد المطلب ، وكفله من بعده عمه ابوطالب وكان كثير العيال كثير الاعباء . فما ان بلغ « محمد » العشرين من عمره حتى قال له عمه :

— يا ابن اخي انا رجل لا مال لي وقد اشتدت الزمان علينا والحت علينا سنون منكرا وليس لنا مال ولا تجارة وهذه غير قومك قد حضر خروجها الى الشام وخديجة تبعك رجلا من قومك يتجرون في مالها ويصيرون منافع فلو جئتها لفضلتك على غيرك لما يبلغها عنك من طهارتك وامانتك وان كنت اكره ان تأتي الشام واخاف عليك يهود . وقد بلغني ان خديجة استاجرت رجلا ببيكرين ولسنا نرضى بمثل ما اعطته فهل لك في ان اكلمها .

فقال محمد في لطفه ووداعته :

— ما احببت يا عمي

فذهب ابو طالب الى خديجة وقال لها :

— هل لك يا خديجة ان تستاجري محمدا

فاجابت بالهام فوري :

— لو سالت ذلك يا ابا طالب لبعيد بغيض فعلنا فكيف وقد سألته للقريب الامين .

وقابلها محمد فقاتلت له

— دعاني الى ان ابعت اليك ما بلغني من صدق حديثك وعظم امانتك وكرم خلقك وساعطيك ضعف ما اعطى رجلا آخر من قومك .

فانبسطت اسارير ابي طالب وقد غضنت الاعباء مع السنين ملامحه وقال لابن اخيه :

— يا محمد .. هذا رزق ساقه الله اليك .

ذهبت القافلة بتجارة خديجة في امانة الامين محمد الى الشام وعادت بخير لم يسبق ان جنته قافلة لها من قبل واستقبلته خديجة في سرور بالغ وامتنان عظيم .. ومضى يقص عليها انباء رحلته وريح تجارته وما جاءها به من طبقات الشام وانصت اليه شبه مأخوذة حتى اذا ودعها ومضى ظلت واقفة حيث هي تتبعه عيناها الى ان توارى في منعطف الطريق «

اي شيء حدث لخديجة .. وماذا دار في خاطرها .. ؟ « لقد بليت الدنيا وعرفت الرجال وتزوجت مرتين باثنين من سادات العرب واشرافهم .. واستاجرت غير واحد من الكهول والشبان على تجارتها فما رأت فيمن عرفت ذلك النبط الغريب من الرجال واستغرقت في تفكيرها تستعيد صوته العميق الساحر وهو يحدثها عن رحلته ويطالعها مرآه وهو مقبل عليها ملء الفتوة والجلال «

شيء ما .. اخذ يدوى صداه في اعماق خديجة .. وتلح عليها صوره .. شيء غامض القى عليها الحيرة والتساؤل .. فاخذت تستمع الى ميسرة

الذي رافق « محمدا » قى قافلته الى الشام .. سمعت منه أعجب ما يسمع انسان عن انسان سمعت من ميسرة حديث الراهب « نسطور » الذي قال فيه بعد ان رأى محمدا يجلس تحت شجرة بذاتها في بصرى من ارض الشام :

— « يا ميسرة .. ان من يجلس بجوار هذه الشجرة وتظله هذه الفمامة المنخفضة وصفاته كما تصف ليس الانبيا .. فوالذي رفع السموات بغير عمد اني لأجد في صفحي أن النازل تحت هذه الشجرة هو رسول رب العالمين يبعثه الله بالسيف المسلول وبالريح الاكبر وهو خاتم النبيين فمن اطاعه نجا ومن عصاه فقد غوى !

وايدته خديجة فقد كانت ترتب الشباب الامين « محمدا » وهو قادم على مشارف مكة من رحلة الشام فرأت بعينيها هي الاخرى عجبا وقالت — صدقت يا ميسرة .. فلقد رأيت اليوم بعيني عجبا .. رأيت مع القافلة سحابة بيضاء تصحب هذا الامين حتى دارنا .

بدات الاحداث والرؤى تترايط في مخيلة خديجة بنت خويلد ..

في اعطافها شيء ينبض بالحنان والتقدير والتعظيم لهذا الفتى الامين ..

وفي طبقات ذكرياتها رؤيا تكاد تكون كالشمس في قبة السماء ..

وفي احاديث القوم اسرار مشرقة وانبعثات الهية تفيض على السنتهم نورا وهم يذكرون هذا الفتى ..

فذهبت الى ابن عمها « ورقة بن نوفل » تلقي عنده بعبء حيرتها بين كل ذلك .. وقصت عليه كل ما سمعت .. وكل ما شهدت .. فقال لها ورقة :

— « ان كان هذا حقا يا خديجة .. فان محمدا نبي هذه الأمة .. فلقد عرفت أنه كائن لهذه الأمة نبي منتظر وهذا هو زمانه الذي فيه يبعث .. عشت طوال حياتي ارقب هذه النذر .. ثم جاءت انباء ميسرة فزادني يقينا وايمانا .. وجاء حديثك ليكون زكاة جديدة لايماني بان محمدا هو دعوة ابراهيم الخليل ليكون رحمة للعالمين ... اقدمي يا ابنة العم على ما تريد في نفسك لا تحجمي ولا تترددى فانت اسعد نساء قريش » .

تبلور الامر في فكر خديجة .. وادركته صديقة لها هي « نفيسة بنت منبه » فاعتزمت امرا ..

ثم زواج محمد من خديجة وهو في نحو الخامسة والعشرين وهي في اغلب الاقوال في نحو الاربعين .. فكانت اول زوجة لكرم انسان .. تهيب له بيتا سعيدا ، وتتجلب له زينة الحياة الدنيا بنين وبنات وتشاركه آماله وتقاسمه تبعاته ومسئوليته .. وتلين له حياته في وداعة وفي رقة وفي حنان وفي شجاعة .

عمار بن ياسر

عرض وتقييم
الأستاذ محمد فاوي عيسى

«وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات
ليستخلفهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم
وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلهم من بعد
خوفهم أمنا • يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر
بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون • صدق الله العظيم •

في الحديد • وأشعلوا النار في الدار • وهكذا ابتكر
أبو جهل هذا الحدث العظيم في هذا البلد الآمن الذي
ليس لاهله عهد بتحريق الدور على أهلها ووضع
الرجال والنساء في الحديد واذقتهم ألوانا من
العذاب بلا ذنب • وقد شعر بعض اشراف مكة بعظم
هذه الفعلة • فكان مما قاله الوليد بن المغيرة لأبي
جهل : «ويحك يا ابن أخي ! لقد أحدثت في هذا الحرم
الآمن ما ليس لقريش به عهد • لم تؤامرنا فيما
صنعت • ولم تصدر عن ذوى أحلامنا ولا عن أولى
الأمر من قومك • وانما اتبعت هواك واستخفك
الغرور • وتبعك السفهاء من فتياننا والمحققون من
رقيقنا • وانى لأخشى أن يكون لهذا الحدث الذي
أحدثته ما بعده • فإن لهذا الحرم في نفوس العرب
مكانته يأمنون فيه من خوف ويطعمون فيه من جوع
ويلتمسون فيه مالا يجدون في غيره من الدعة والسعة
والطمأنينة والرخاء •

ولكن هذا الصوت وغيره من الاصوات العاقلة
يضيع في وسط هذه الفتنة الباغية الطاغية التي
تزعمها أبو جهل • وكان أبو جهل يأخذ أسراه إلى
بطحاء مكة • ويطرحهم أرضا • ويعمل هو وفتيان
فيهم أشد صنوف العذاب • من كى بالنار وضرب
بالسياط ووضع الحجارة الثقالة على أجسامهم
المنهكة • وكان ينتظر متحرق النفس أن يسمع من
أحدهم صيحة أو أنة أو شكاة • ولكن الأسرى عقدوا
السننهم وعمروا قلوبهم بذكر الله وخلوا بين القوم
وبين أجسامهم يصنعون بها ما يريدون •

وبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في بطحاء
مكة وقد وضع يده في يد عثمان بن عفان حتى يبلغا
آل ياسر - والعذاب يصب عليهم ألوانا - حتى إذا
رأى الأسرى النبي تحركت السننهم بعد طول صمت •
فيقول ياسر : الدهر هكذا يا رسول الله • فيرد النبي

بهذه الايات المباركة استهل الأستاذ الدكتور طه
حسين كتابه «الوعد الحق» الذي تناول فيه السيرة
العطرة للسلف الصالح من المستضعفين من المسلمين
الذين كانت حياتهم قبل الاسلام ضعفا وهوانا يرسفون
في أغلال الرق والعبودية والجوار والاحلاف • وكانت
حياتهم مع أول عهدهم بالاسلام في مكة ضعفا وهوانا
وذلا وتعذيبا فوق ما يحتمل البشر • ومع ذلك كانت
السننهم وقلوبهم أشد ذكرا لله ولرسوله • ولم يقل
واحد منهم ما قالت بنو اسرائيل لموسى عندما نالهم
عذاب فرعون حيث يقول تعالى في سورة
الاعراف : «قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا
ان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين
قالوا أودينا من قبل ان تأتينا ومن بعد ما جئنا قال
عسى ربيكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض
فينظر كيف تعملون •

وكان حال آل ياسر بعض ما تناوله الكتاب بالعرض
والشرح والتحليل • وقد كان ياسر بن عامر وزوجته
سمية أول شهيدين في الاسلام وابنيهما عمار الذي قال
له رسول الله يوما تقتلك الفتنة الباغية • وسيرة آل
ياسر وما تحملوه جديرة بدوام المذاكرة والاعتبار •
لقد جاء ياسر بن عامر العنسي من اليمن وأقام بمكة
حليفا لأبي حذيفة بن المغيرة المخزومي • كما تزوج من
أمته سمية بنت خياط • وأنجب منها عمارا وقع حب
ياسر في قلب أبي حذيفة موقعا غريبا حتى قال
عنه : «ما أحببت غريبا قط كما أحببت هذا الغنى •
ولو كنت متخذاً ولداً لاتخذته ولداً •

وتقدمت السن بياسر وزوجته ومات حليفه أبو
حذيفة • ثم ظهر نور الدعوة الاسلامية في مكة فدخل
عمار الاسلام وتبعه على الفور والداه •

وطار صواب أبي جهل • واقبل على دار ياسر في
فتنة من احرار مخزوم ورتيقها فوضعوا عمارا وابويه

قائلا ، ايشرحوا آل ياسر فان موعدكم الجنة * فتقول
سمية : اشهد أنك رسول الله واشهد أن وعدك الحق *
وإذا عمار يرجع حديثه للمشاركين قائلا : عذبونا يا أعداء
الله ما سئمنا فان موعدنا الجنة وأنوفكم راغمة *

ويخرج المشركون عن أطوارهم ويصبون على أولئك
الرهط من العذاب ما ليس إلى وصفه سبيل *
واتصل العذاب أياما * وآل ياسر لم يتزعزعو ، عن
أيامهم قيد أنملة * حتى سئم أبو جهل وزاده
الشيطان عنادا على عناد فزاد في العذاب وتفنن فيه *
وأخذ يضرب سمية في بطنها برجله وهي تقول له :
يؤسا لك ولآلهتك * وهل شيء أحب إلى من الموت الذي
يرجئني من النظر إلى وجهك هذا القبيح *
فيطعننها الكافر بحربة كانت في يده فتشبهق شهقة
خفيفة ثم تكون أول شهيدة في الاسلام فيقول له ياسر :

قتلتها يا عدو الله * يؤسا لك ولآلهتك *
وقال عمار : قتلتها يا عدو الله * يؤسا لك
ولآلهتك * ليمتلئ قلبك غيظا وحقا فان رسول الله قد
ضرب بها موعدا في الجنة *

فيقول ياسر على الفور : اشهد أن وعد الله حق *
ولكن الكافر المشرك يعاجله بضربة في بطنه برجله
فيشبهق ياسر شهقة ثم يصبح ثاني شهيد في الاسلام *
واراد أن يجهز أيضا على عمار لولا تدخل بعض
اهل مريش الذين طلبوا منه أن يفك وثاقه ويدعه ليدفن
والديه *

ولما انتهى عمار من دفن والديه * أقبل عليه عثمان
ابن عفان وقال له : « ما يحزنك عليهما وقد استوفيا
نصيبهما من الدنيا وسبقاك إلى نعيم الله ورضوانه
الم تسمع نبي الله وهو يضرب لكم موعدا في الجنة
مرة ويدعوكم إلى الصبر مرة أخرى وهو يقول :
« اللهم اغفر لآل ياسر وقد فعلت » *

فيرد عمار قائلا : « لو مت معهما لكنت خليقا أن
أرضى * ولكنهما ذهبا وبقيت * وفي الحياة فتنة *
وفي النفس ضعف * »
ثم يستجمع قواه ويذهب إلى دار الأرقم ليلحق
بمجلس النبي *

ولم يتركه أبو جهل * فأخذ يعذبه كما احس
الشوق إلى أن يشهد مشهد العذاب * وكأنه حالف
الشيطان على أن يوفى عمارا من العذاب ما لم يستطع
أن يصب على أبويه * ولم يخلص عمار من هذه الفتنة
المنكرة التي كانت تتلاحق طورا وتنقطع طورا آخر الا
حين أذن الله للمسلمين في الهجرة للحبشة فهاجر
عمار الهجرة الثانية ثم هاجر إلى المدينة * وعاش مع
رسول الله آمنا * وشهد معه الغزوات وشارك مع
غيره في الجهاد في سبيل الله * وكان عطف النبي
عليه شديدا وحبه له قويا عميقا * وإن كان رسول الله
يقول له بين الحين والحين : « ويحك أين سمية ! تقتلك
اللهه الباغية ! » *

وقال حروب الردة في عهد أبي بكر كما اشترك في
فتوحات المسلمين في عهد عمر * وظل يجاهد إلى أن

ولاه عمر صلاة الكوفة * ونظر عمار فإذا هو أمين
لمصر عظيم من أمصار المسلمين وجيش عظيم من
جيوشهم * وأكبر الظن أن استحضر في نفسه ما لقي
من الجهد والمحن قبل أن يهاجر إلى المدينة وما لقي من
الشدة والبأساء مع النبي بعد أن هاجر إلى المدينة *
فلم يقع هذا من نفسه موقعا غريبا * وإنما أمن بأن
وعد الله حق * ولم يدفعه هذا كله إلى تكبر أو تجبر
أو استعلاء ، لأنه استيقن ، كما استيقن نظراؤه من
أصحاب النبي أن هذه الحياة الدنيا غرور * وأنها
فتنة يمتحن بها أولو الحزم في أنفسهم فمن خلع منها
كريما نقيا سليم القلب فهو من الناجين ومن وقع فيها
حتى أراضى غرائزه وشهواته فهو من الذين حبطت
اعمالهم وضل سعيهم وعجلت لهم طياتهم في حياتهم
الدنيا *

وكان عمار في ولايته يسيرا سمحا * لم يتغير من
أمره شيء * صمت كثير * وكلام قليل * واختلاط
بأناس كأنه رجل من عامتهم * وأقامة للعدل وحكم
بالقسط ونصح في الدين لا تكلف فيه ولا تزيد * يخرج
في حاجات أهله وبيته كما يخرج غيره * ولا يغضب
لنفسه مهما يؤذ *

ولما انتهى عهده بالولاية - كدأب عمر في تغيير
الولاة بين أن وآخر - تفرغ للعبادة والطاعة والامر
بالمعروف وتاديب الناس في دينهم ما بقى من أيام عمر
وصدرا من أيام عثمان *

وأثارت تصرفات بعض ولاة عثمان معارضته
ونقده * وذهب عمار إلى الخليفة ليحدثه برأى
الناس في ولاته * فلا يرضى قوله عثمان ويعظم الامر
بينهما حتى يأمر عثمان بإخراجه ، فيخرجه غلما
ويضربونه حتى يعشى عليه وحتى تظن الناس أنه الموت
ولكن عمارا يهيق ويقول : طالما غويانا في الله من قبل *
ويصبح زعيما من زعماء المعارضة لعثمان *

ولما قامت الحرب بين علي ومعاوية كان عمار اشد
الناس مبصرة لعلي وشهد معه موقعة صفين * وكان
قد تاهز التسعين من العمر * وكان نشيطا مستيقنا
يقينا لا يعرض له الشك أنه على حق وأنه يقاتل في
سبيل الله *

واشتدت الحرب في صفين يوما ويوما * فإذا كان
اليوم الثالث قاتل عمار نهارة كله حتى ملأ قلوب
الناس عجبا وأعجبا * فلما جعل الاصيل ينشر أشعته
على المقتتلين اشتد نشاط عمار * وأخذ شيء يشبه أن
يكون شغفا بالموت * وكان صائما * فلما وجبت
الشمس قال اسقوني * فجاء بشربة من لبن * فلما
رأها ضحك وشرب ثم قال : قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لي : آخر زادك من الدنيا لبن حتى تموت
وظل يقاتل حتى قتل . فقتلته الفئة الباغية كما قال
له رسول الله من قبل *

فقال فيه على كرم الله وجهه : « رحم الله عمارا
يوم اسلم ورحم الله عمارا يوم قتل ورحم الله عمارا
يوم يبعث حيا » *



قيس

ابن سعد ابن عبادة

و .. لنعود الى ابناء الصحابة المباركين ..
و .. شخصية اليوم ..
قيس بن سعد بن عبادة ..

أبوه .. سيد الخزرج .. وواحد من الذين آمنوا
بالنبي وأحبوه .. بكل كيانهم وعواطفهم .. وكان
بطلا في شجاعة وأقدام .. شهد المواقع كلها مع
رسول الله ألا بدرا .. وكان كريما في سخاء ..
حتى ليقال عنه .. ان الانصارى كان يدعو الى
مائذته واحدا أو اثنين من المهاجرين .. أما سعد
فلم يقل عدد من يدعوهم عن الثمانية مهاجرا ..

الأستاذ صلاح عزام



وكان أقرب أولاده الى قلبه قيسا ..
وكان معروفا بأنه الوحيد الذي سيرك أباه في
زعامة الخزرج من بعده ..
وكان على خلق أبيه من الكرم والشجاعة ..
ويزيد بأن العرب كانوا يمدونه من أدهام وان
واحدا أبا كان لا يمكنه التفوق عليه ..
ولأن تاريخ أبيه في الاسلام كان مشرقا ..
ومشرقا .. وبارزا .. فقد تسبب ذلك في اسباغ
بعض الظلال عليه .. ولكنه مع ذلك كان الى جواره
.. ورفيق خطى جهاده ونضاله وآرائه ..
والذي نعرفه عن اسلامه ان سعدا قد أخذ بيده
ذات يوم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليشهد على اسلامه وليباركه وقال فيها قاله : ان
بقي ابني هذا فهو خادمك يا رسول الله ..
ولم تعرف أين كان ذلك .. ولكن الغالب ان
هذا حدث في المدينة المنورة .. ولكن الذي يرويه
لنا التاريخ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
أخذ قيسا الى جواره .. ومسح بيده الكريمة على
رأسه ثم دعا لال سعد بن عبادة .. وكان قيس
واحدا من هذه الاستجابات الربانية ..
فقد أحب رسول الله .. ولازمه .. يتعلم منه
.. ويذود عنه .. ويكون طوع أمره في أي وقت
ولاي أمر .. وفي هذا يقول انس ابن مالك (كان
قيس بن سعد من النبي بمكان صاحب الشرطة
من الامير ..)
ولقرب قيس من رسول الله .. فقد سبغت أخلاقه
.. ولاسلامه العميق تحولت كل طاقاته الفكرية الى
الجهاد ، والكرم والعطاء من مال الله الذي استخلف
عليه .. وفي وصف العرب لدهائه يقول لواحد
من أصحابه يوم تذكروا هذا الماضي [لولا الاسلام
لكرت مكررا لاطيقته العرب ..]
واشترك قيس مع رسول الله في كثير من المواقع
.. وتعلم من رسول الله كثيرا من الاحاديث ينقلها
لنا الرواة .. ويحدثنا هو عنها ..
وينتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
راض عنه وليحتفظ قيس بلواء الانصار معه ..
اللواء الذي كانوا يرفعونه وهم يقاتلون مع رسول
الله .. فقد كان معه وعنده يوم انتقال النبي عليه
الصلاة والسلام ..
ويقف قيس الى جوار أبيه في نزاعه مع أبي بكر
وعمر .. ولكن عندما يستقر الامر ببيعة أبي بكر
يكون مع أبيه سيد الخزرج سعد بن عبادة في توحيد
صفوف الامة المحمدية .. وفي حروب الردة ..
ولكن قيسا فوق ذلك يقف بكل جوارحه مع آل
بيت رسول الله .. يكن لهم الولاء العميق .. ويجب
فيهم روائع النبي وذكره الخالدة .. ويعتبر أن
جزءا من يومه .. وكل عمره .. يجب أن يكون
مع العترة الباقية من بيت النبي ..
ومن أجل ذلك يقف مع الامام على في كل خطاه
.. ليصبح واحدا من آل البيت يبائع اذا بايعوا ..
ويقاتل اذا قاتلوا ..

ابن سَعْدَ .. ولم يكن يَسْقُلُ همهم الا كيف يوقعوا بينهما .. ويوغروا صدر قيس على الامام .. وحاولوا في سبيل ذلك الكثير من الشائعات والوشايات .. والاغراء والاماني والوعود لقيس ان ترك صف الامام .. ولكنه احب الامام وبنيه واحب فيهم ولاء النبي صلى الله عليه وسلم .. لذا فلم يؤثر فيه شيء من ذلك اطلاقا .. ولم يززع ايمانه بحبهم اى امر .. حتى عندما عزله الامام على من اماراة مصر التي كان قد ولاه اياها .. فقد عاد قيس بعد قرار العزل الى الكوفة .. ولم يذهب الى المدينة غاضبا .. وانما جاء ليضع نفسه واهله ومعارفه تحت امرة الامام على .. فهكذا تعلم من دينه ومن رسوله .. ان يحب من غير غرض او مطلب .. وان يكون ولاءه لله ولرسوله .. فقط ..

ويعد ان توفي الامام على .. كان قيس ومعه خمسة الاف من الخزرج واصدقاؤهم يمدون ايديهم بالبيعة للامام الحسن رضى الله عنه ولا يقبلون بغيره اميرا .. ولا يدينون لاحد سواه بالولاء .. وعندما انتهى النزاع بين الامام الحسن ومعاوية ابن ابي سفيان .. لم يجد قيس في نفسه دافعا للوقوف مع معاوية .. كهذا الذي فعله الكثيرون غيره بل أعلن في وضوح وصراحة أن ولاءه لآل البيت فقط .. ومن أجل ذلك فهو يترك الكوفة ويعود الى اشرف رحاب .. الى المدينة المنورة .. يفقه الناس في أمور دينهم ويعيش الى جوار الحسن والحسين رضى الله عنهما وظل كذلك .. الى ان مات في عهد معاوية .. وفي المدينة المنورة .. وفي عام ٥٩ هـ .. ودفن بها .. على ولائه ووفائه لآل البيت .. ورضى الله عنه ..

وبهذا الحب لابناء رسول الله صلى الله عليه وسلم كان له مع عمر وعثمان بعض المواقف .. وان لم يخرج عن خط الوحدة الإسلامية .. ولم يجلس صامدا .. او صامتا .. وانما قاتل كواحد من الجنود في صفوف المجاهدين في الفتوحات وعندما كان يعود الى المدينة .. كان يجلس ليعلم الناس ويذكرهم بأيام النبي واحاديثه .. وينفق في سخاء ويفتح بيته لكل محتاج ولا يرد طلبا لى مسلم .. وفي هذا يقال الكثير عنه .. ومن هذا ان واحدا اقترض منه ذات يوم مبلغا كبيرا من المال وعندما حل موعد الوفاء جاءه بحقه فردة في رفق .. وذكر عبارة ترمز الى اصالته ومنهجه في الحياة بقوله (أنا لا نعود في شيء أعطيناه ..)

وعندما استقر الامر لامير المؤمنين على بن ابي طالب كان قيس .. بكل وفائه .. وكل طاقاته الى جانب الامام هو وكل الخزرج بعد ان اصبح سيدا لهم عقب وفاة ابيه في خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنهم جميعا ..

وكان قيس الى جوار الامام في كل المواقف .. في صفين ، والجل ، والنهروان .. يقاتل خصوم الامام في بطولة تعيد الى الازمان ايام الرسول هليمة الصلاة والسلام وانه كان يحمل لواء الانصار وينشد دائما :

هذا اللواء الذي كنا نحف به
مع النبي وجبريل لنا مدد
فأخبر من كانت الانصار عيبته
الا يكون له من غيرهم امد
ولم يكن هناك اقصى على خصوم الامام من قيس

من حكم على بن ابي طالب

« كرم الله وجهه »

قال على [رضى الله عنه] : العفو يفسد من اللئيم بقدر ما يصلح من الكريم .
وقال : اذا بلغ المرء من الدنيا فوق قدره تنكرت للناس اخلاقه .
وقال : غاية الاتبع ان يستحيى الانسان من نفسه .
وقال : من استحيى من الناس ولم يستحي من نفسه فليس لنفسه عنده قدر .
وقال : رب صلف أدى الى تلف .
وقال : ينبغي للعاقل ان يتذكر عند حلاوة العزاء مرارة الدواء .
وقال : الكريم لا يلين على قسر ولا يقسو على يسر .
وقال : خير القتال ما صدقه الفعالي .

سعد بن معاذ

رضي الله عنه

فضيلة الشيخ زكي مهدي السيد



« اهتز عرش الرحمن
لوت سعد بن معاذ »
حديث شريف



أسيد : نعم وأرجو لك ان تسرع فتلق
بى على درب الحرية ولإسلام .
سعد : هذا ما أكون ، وسأقوم بنفسى
الى هذا الرجل ، لأجره وأدفع أذاه وشره
عن دارنا ويذهب مفتاحنا الى مصعب ،
ويجلس اليه ويسمع كلامه ، فما هو الا
أن شرح الله صدره للإسلام وأعلن إسلامه
وولاه للدين الجديد ، ويعود الى قومه
قائلاً لهم :
يا بني عبد الأشهل : كيف تعلمون امرى
فيكم ؟ قالوا : سيدنا وأوصلنا وأفضلنا
رأيا وأيمنا نقيبة .
سعد : فان كلام نساكنم ورجالكم على
حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله ، فأسلم
قومه رجالاً ونساء .
سعد فى غزوة بدر :
أسلم سعد بن معاذ ، وأخلص للدين
الجديد ، وشارك فى معاركه الكبرى ،
وأظهر من آيات البطولة والشجاعة فى
غزوة بدر ما كان مضرب الامثال فى صدق
الايمان ، وقوة العقيدة ، وحسن الراى
وسداد المشورة .
محمد يقول لأصحابه : هذه قرىش قد
رمتكم عن قوس واحدة ، وخرجت بخيلها
وخيلاتها تكذب رسولكم ، وتريد أن تقضى
على دينكم ، فيقوم المقداد بن عمرو
المهاجرى ويقول :
يا رسول الله : امض لما أمرك الله
فنحن معك ، والله لا نقول لك كما قالت
بنو إسرائيل لموسى عليه السلام « فاذهب
أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون » ولكن
أذهب أنت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون ،
فوالذى بعثك بالحق لو سرت بنا الى برك
القياد لجالدنا معك من دونه حتى تبلفه .
وهنا أراد الرسول أن يأخذراى الانصار
فى هذه المعركة فقال :

وصلت اخبار هجرة محمد صلى الله
عليه وسلم وصاحبه أبى بكر الصديق
رضى الله عنه الى يثرب الموطن الثانى
للاسلام ومدينة الانصار الذين مدحهم الله
تعالى فى كتابه الكريم بقوله جل شأنه :
« والذين تبوءوا الدار والايمان من
قبلهم يحبون من هاجر اليهم ، ولا يجدون
فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون
على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن
يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » .
وانتظر المسلمون بالمدينة على أحر من
الجمر مقدم نبي الهدى والرحمة ، وطلعة
صاحب السمائل العالية والاخلاق السامية ،
ومنهم من أسلم بمحمد صلى الله عليه
وسلم عن بعد ولم يروه من قبل .
جلس المسلمون الى مصعب بن عمير
رسول محمد صلى الله عليه وسلم فى
المدينة يتعلمون منه مبادئ الاسلام ،
وينهلون من تعاليم القرآن الكريم ، وعلم
بذلك سعد بن معاذ سيد الاوس ، وأسيد
ابن حضير ، فقال سعد لاسيد :
ثم الى مصعب بن عمير الذى أتى الى
دارنا ، ليفسد علينا أمورنا ، ويسفه
أحلامنا ، ويجتذب ضغفائنا الى دين
الاسلام ، فذهب أسيد الى مصعب يريد
به الشر والاذى .
مصعب بن عمير : الا تجلس الينا
فتسمع ، فان رضيت أمرا قبلته ، وان
كرهته فكف عنا ماكره .
أسيد : حسنا لقد أنصفت وركزت حريته
وجلس الى مصعب يسمع آيات القرآن
وتعاليم الفرقان ، فشرح الله تعالى صدره
للاسلام ، وعاد الى صاحبه سعد مسلماً
سعد : أوقد صبات يا أسيد .

اشيروا على ايها الناس وكررها مرارا
فقام سعد بن معاذ وقال :
والله لكانت تريدنا يارسول الله قال :
اجل .

فقال سعد : قد آتينا بك وصديقنا ،
وشهدنا ان ما جئنا به هو الحق ، واعطيناك
على ذلك عهدنا وموائفتنا على السمع
والطاعة ، فامض يارسول الله لما اردت
فتحن معك فوالذي بعثك بالحق لو
استغرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه
معك ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره
ان تلقى بنا عدونا غدا ، انا لصبر في
الحرب ، صدق في اللقاء ، لعل الله
يبريك لنا ما نقر به عينك ، فسر بنا
على بركة الله .

فسر الرسول بقول سعد ، ونشط
للفرو ثم قال : سيروا وابشروا فان الله
وعدني احدى الطائفتين .

وعبر الرسول عن ثقته في النصر عندما
راى هذه الروح العالية من اصحابه ،
كان المعركة قامت وانتهت ، وعرفهم بصير
كل مقاتل ، وراى صناديد قريش ،
وطواغيت المشركين تنهاوى رؤوسهم تحت
اساف المسلمين ، فيسر المؤمنون بالنصر
وقال :

« والله لكأني انظر الان الى مصارع
القوم ههنا وههنا » .
بناء العريش :

ولما استقر المسلمون عند بدر ،
وبنوا الحوض واخذوا عدتهم للقتال تقدم
سعد بن معاذ وقال :

يا بني الله : الا نبني لك عريشا نكون
فيه ، ونعد عندك ركائبك ثم نلقى عدونا ،
فان اعزنا الله واظهرنا على اعدائنا كان
ذلك ما احببنا ، وان كانت الاخرى جلست
على ركائبك فحلقت بين وراثة من قومنا ،
فقد تخلف عنك اقوام يا بني الله ما نحن
باشد حبا لك منهم ، ولو ظنوا انك تلقى
حربا ما تخلف عنك منهم احد ، يمنحك
الله بهم ، وبناصحتك وبجاهدون معك .
فأثنى رسول الله على سعد ودعا له
بخير ، فبنى العريش بناء على اي سعد
ومشورته .

سعد في غزوة الاحزاب :

كان محمد صلى الله عليه وسلم يشاور
اصحابه في كل الامور التي لم ينزل فيها
وحى من السماء ، ومن أبرز هذه المشاورة
ما فعله الرسول في غزوة الاحزاب حين
شاوَر اصحابه في المعاهدة التي عقدها
مع غطفان على ان يرجعوا عن المدينة ولهم
ثلث ثمار المدينة .

وهنا يتقدم سعد ويسال الرسول عليه
الصلاة والسلام .

اذلك من الوحي يارسول الله ؟

محمد صلى الله عليه وسلم : « انما
هو امر صنعته لكم ورجوت من ورائه
الخير » .

سعد : يارسول الله : انهم لم ينالوا

منا قبل الاسلام ثمرة الا قرى او بيعا ،
افبعد ان اعزنا الله بك ياخذون ثلث
ثمار المدينة ؟ لا والله .

فنزل محمد صلى الله عليه وسلم على
راى سعد بن معاذ ، وسر المؤمنون .
حكم سعد في بنى قريظة :

نقض يهود بنى قريظة عهدهم مع
الرسول صلى الله عليه وسلم ، وانضموا
الى الاحزاب التي جاءت لحصار المدينة ،
وللقضاء على الاسلام في عقر داره ،
ولكن الله تعالى نصر عبده ، واغز
جنده وهزم الاحزاب وحده ، وفي ذلك
يقول الله تعالى ممثلا على المؤمنين
بالتصير :

« يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله
عليكم اذ جاءكم جنود فارس على رؤسكم
وجنودكم لم تروها ، وكان الله بما
تعملون بصيرا » .

ورجع الاحزاب الى ديارهم بجلهم
العار ، وتحذوهم الهزيمة ، وكفى الله
المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا .

ويأتي دور تاديب الرسول لبني قريظة
جزاء غدوهم ، وتكثف للمهود ، فيحاصروهم
المسلمون في حصونهم حتى يتسوا من
النصر ، وطلبوا من الرسول ان يحكم
فيهم من يرضون به ، ويتقون فيه ،
فاجابهم محمد وحكم فيهم سعد بن معاذ ،
ويقف سعد ويعلن فيهم حكمه :

اني ارى يارسول الله ان تقتل الرجال ،
وتقسم الاموال ، وتنسب الذرائع للنساء
وهنا يقول محمد صلى الله عليه وسلم
« لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق
سبع سموات » .

ويحفر الخندق ، وتضرب الاعناق ،
وتنظر المدينة من اليهود الى الابد ، وينزل
قول الحق تبارك وتعالى في تسجيل ذلك :

« وانزل الذين ظاهروهم من اهل الكتاب
من صباصبهم وقذف في قلوبهم الرعب
فريقا تقتلون وتأسرون فريقا ، وأورثكم
أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضهم لم
تظنوها وكان الله على كل شيء قديرا » .
سعد الشهيد :

يروى ابن اسحق ان [حسان بن
المرقة] رمى سعد بن معاذ بسهم فقطع
أكحله فلما رماء قال :

خذها مني وأنا ابن المرقة فقال سعد :
« حرق الله وجهك في النار ، اللهم
ان كنت ابتقت من حرب قريش شيئا
فايقض لها فإنه لا قوم احب الي ان اجاهد
من قوم ادوا رسولك وكذبوه واخرجوه ،
وان كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم
فاجعله لي شهادة حتى تقر عيني في بنى
قريظة » .

ويأمر محمد صلى الله عليه وسلم ان
يجعل سعد في خيمة رفيدة الاسلامية في
المسجد ، ليعوده من قريب ولما حاصر
رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى
قريظة ، واذعنوا ان ينزلوا على حكم

سعد بن معاذ أرسل اليه ليحكم فيهم ،
فأقبل على دابته ، ولما دنا من النبي
صلى الله عليه وسلم قال : قوموا الى
سيديكم او قال : خيركم واعلان سعد
حكمه فيهم فقال محمد صلى الله عليه
وسلم :

« حكيت بحكم الله » .

وكان سعد لما جرح ودعا بما تقدم
انقطع الدم فلما حكم في بنى قريظة انفجر
عرقه ، فاحتضنه رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، والديها تسيل على رسول
الله فجاء أبو بكر وقال : وانكسر ظهراه
فقال له محمد صلى الله عليه وسلم :
صه ، فقال عمر : انا لله وانا اليه
راجعون .

روى أن جبريل عليه السلام نزل الى
النبي صلى الله عليه وسلم معنجا بعمامة
من استبرق فقال يا بني الله : من هذا
الذي فتحت له أبواب السماء ، واهتز
له العرش ، فخرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم سريعا يجر ثوبه فوجد سعدا
قد قبض .

ولما دفنه رسول الله صلى الله عليه
وسلم وانصرف من جنازته جعلت دموعه
تحدار على لحيته ، وندبته أمة فقالت :

ويل أم سعد سعدا

براعة ونجدا

ويل أم سعد سعدا

صرامة وجدا

فقال النبي صلى الله عليه وسلم :
« كل نادية كاذبة الا نادية سعد »
وعن جابر بن عبد الله قال : سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
« اهتز عرش الرحمن لموت سعد
ابن معاذ » .

وعن سفيان عن أبي اسحق عن البراء
قال : اهدى لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ثوب حرير ، فجعلوا يعجبون من
لونه فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم :

« اتعجبون من هذا ؟ لناديل سعد
في الجنة أحسن من هذا » .

وقال سعد بن أبي وقاص عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال :
« لقد نزل من الملائكة في جنازة سعد
ابن معاذ سبعون الفا ما وطئوا الأرض من
قبل وبحق أعطاه الله ذلك » .

وهكذا انتهت حياة هذا الصحابي الجليل ،
والبطل الشهيد بعد غزوة الاحزاب وصعدت
روحه الطاهرة الى بارئها سنة خمس من
الهجرة ، ولحق بربه في عِلين مع النبيين
والصديقين والشهداء والصالحين وحسن
أولئك رفقا .

فسلام عليه في الخالدين من أبطال
الحق ، وأعلام اليقين .

النهاية من بيته شكواه سوى الحصان! ... أما القصة الأخرى فقصة الصحابي أبي ذر الغفاري الذي زهد الدنيا عامدا ... فلم تفتحه غزوة أو قتال والذي رفض بعد رسول الله كل ما عرض عليه من مناصب ... والذي تزعم بإيجابية جريئة وبأسلة تقويم كل ما واجه الدعوة من انحراف ... ومع ذلك فهو امسام الاغتراب! ...

حدث أن تعثرت ناقته وهو في طريقه للحاق بجيش المسلمين يوما فحمل متاعه على كتفه ومضى سيرا على قدميه ... وتأخر المجاهد العظيم حتى افتقده رسول الله فسأل عنه ... فقليل له أنه لم يحضر ... ولم يصدق الرسول أن يتخلف أبو ذر ... لذلك فما كاد يلوح شبح رجل في الأفق يسعى نحو الجيش حتى هتف الرسول في لهفة ...

- كن أبا ذر!

وكان فعلا أبا ذر ...

فلما وصل ممزق القدمين نظر إليه الرسول صلى الله عليه وسلم في أسى عطوف وهو يردد كلماته الرهيبة:

- يرحم الله أبا ذر ... يمشي وحده ... ويموت وحده ويبعث وحده!

وصدقت نبوءة الرسول عليه الصلاة والسلام ... فقد فاجأته المنية وهو بظهر الصحرَاء بعيدا عن الناس وليس بجانبه أحد غير زوجته ... فجلست إلى جواره تبكي وهي لا تدري كيف تكفنه وليس عليها أو عليه من الثياب ما يكفي له كفنا ...

ونظر أبو ذر فلمح دموعها فابتسم وقال:

- والله ما كذبت ... لقد كنا جماعة ... فقال لنا رسول الله ... يموت أحدكم بقلادة وحده فتشهده عصاية من المؤمنين ... ولقد ماتوا جميعا بين الناس ولم يبق غيري ... فأنظري لعل أحدا قادما من بعيد ...

وغادرت الزوجة الملهوفة خيمتها لتتظن صوب الأفق فرائت قافلة تتقدم في بطء فسعت اليهم وأبلغتهم فخفوا إليه ...

ولكن أبا ذر نظر اليهم قائلا:

- هل فيكم رجل لم يشغل منصبيا؟

فنظروا إلى بعضهم البعض في حيرة إذ كانوا جميعا من أصحاب المناصب إلا شابا صغيرا أثري قسائلا:

- أنا ... وهذا الثوب صنعتته لي أُمِّي ...

فقال أبو ذر وهو يقتهد في أوتياح أسلم بعده الروح:

- أنت تكفني!

- والسؤال هو:

- هل يمكن أن يكون هذا المجاهد العظيم سلبيا عاجزا؟

هل يمكن أن توصف مواقفه البطولية ... وعناده الطويل ... وأخلاصه في خدمة المسلمين بأنها ظاهرة مرضية؟

ومع ذلك فقد كان أبو ذر شديد الاغتراب ... كان

□ ٢١٥ □



« يرحم الله أبا ذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده ... »

اعظم آلام الدنيا أن تكتم ألمك ... أن تضحك وتسامر ... وتجاهل ... وقلبك يبكي ... ذلك أنك كلما أمعنت في الكتمان ازدادت اغترابا عن نفسك وعن الناس ...

والشعور بالاغتراب في نظر علم النفس ظاهرة مرضية رغم أنه في نظر الدين إحدى مراتب الزهد ... هو مرض لأن علم النفس يراه مجرد شعور بالعجز عن التكيف ... وهو مرتبة من مراتب الزهد لأن الدين يرى أن الحكمة عين الحكمة أن تزهد الدنيا وما فيها ...

والنتيجة واحدة على أي حال ...

سواء كان الاغتراب عجزا أو زهدا ...

ولعل العزاء في محنة الاغتراب أن تراك تقترب من الله بقدر ما تبتعد عن الناس ...

الفارق في الحالتين: حالتى العجز والزهد هو نفس الفارق بين قصة تشيكوف عن الحوذي الذي توفيت زوجته فأصابه لفقدانها حزن عظيم ... ولما كان وحيدا فقد خرج بعربته في اليوم التالي يبحث عن شخص يئته شكواه ...

حاول أن يروى مأساته لأول راكب لعله يروى ظمأه بكلمة عطف ... ولكن الراكب كان مشغولا فلم يعره اهتماما ... وكرر المحاولة مع الراكب الثاني والثالث والرابع ولكنهم جميعا كانوا في شغل عنه بمشاكلهم الخاصة وحاول أن يتحدث إلى كثيرين ... وكنته عاد في آخر الليل يحمل حزنه الحبيس كما هو ... ولم يعد في

نسيج وحده • يمشى وحده • ويموت وحده • ويبعث وحده

تسألنى وما مناسبة هذا الحديث كله ؟

أقول لك أننى عشت مقبل عمرى كله مغتربا شديد الاغتراب دون أدنى معاناة ثم ثقلت على فجأة محنة الاغتراب فى الفترة الأخيرة •

بدأت القصة عندما هبت الرياح هوجاء ضارية فى مقبل عمرى فاطاحت بأمل عزيز كان يضىء قلبى فألقت به حطاما وراء الشمس •

وليلتها حملت قلبى المظلم وخرجت أتخطى فى ظلام القرية حتى بلغت قنطرة جبرية جلست فوقها •

وفى الظلام الموحش أرسلت بأحر صلواتى الى السماء ضارعا • • ولكنها لم تستجب لى •

وعندئذ • • وكما يتدفق الماء هادرا الى جوف غواصة غارقة تدفق الظلام المحيط بى يملأ داخلى أيضا ثم لم ألبث بعد لحظات أن اكتشفت أننى لم أعد أخشى الظلام بل لقد أسمى فى وسعى أن احتضنه فى لفة •

لحظتها رفعت عيني الى السماء وقلبت شفتى ساخرا • وقفزت فى خفة الشيطان عاقدا العزم على أن أروع الحياة بشروى وأن أطفىء الشمس لو استطعت •

وعند المنعطف الاخير وأنا فى طريقى الى البيت اصطدمت فجأة بخفير عملاق أسود كانوا يخيفوننا به ونحن أطفال فاجفقت للمفاجأة للوهلة الاولى ولكننى لم ألبث أن انفجرت ضاحكا عندما تذكرت أن الظلام الذى يملأ نفسى أكثر سوادا من هذا الوجه المخيف وأن هذا الظلام أولى أن يروعه هو • وبدلا من أن أدخل البيت صافحته فى مودة وسرنا معا •

واستقرقنا السير والحديث حتى قطعه فجأة آذان الفجر ونحن على بعد خطوات من جامع قديم اعتادوا أن يصلوا فيه على الموتى •

واحسست برغبة مفاجئة فى أن أطلق ساقى للريح عندما رأيت عم مبروك (وهذا اسم الخفير) ينعطف نحو باب المسجد ولكنه أطبق على يدى فى قوة وسحبني معه الى الداخل •

ووقفت أصلى منصرفا بكل قلبى عن الصلاة مركزا انتباهى كله على وجوه القلة اللبائسة من المصلين • ورحت أذل عيني بينهم ساخرا حتى استقرت أخيرا على وجه العملاق الاسود وعندئذ شملتني رعدة نهائية ! • وقد بدا لى الوجه الذى كانوا يخيفوننا به جميلا • • جميلا • • الى حد انى لم أر شيئا جميلا مثله من قبل أو من بعد وأرهفت أذنى بالدعاء الذى كان يردد رافعا ذراعه فصعقت !! • كان يردد فى الحاح غريب •

اللهم أحيى مسكينا وأميتنى مسكينا واحشرنى فى زمرة المساكين • •

وغرقت فى الذمول حتى لفنا ظلام الطريق مرة

أخرى واستدردت أسأله فى استحياء كيف يطلب الفقر بهذا الاحاح ؟

وأصاءت أسنانه البيضاء ابتسامة فى الظلام وهو يقول فى يقين عميق أن ذلك كان دعاء الرسول • فلما أبدت استكبارى لنسبة الدعاء للرسول قال لى موضحا أن المسكنة شيء والفقر شيء آخر • وأن الرسول الذى كان يطلب أن يعيش ويموت ويبعث مسكينا كان يستعين بالله من الفقر • أن المسكين هو من يعيش برزق محدود !

ولحظتها بدأت رحلة الاغتراب • •

عشت أياما طويلة أتأمل حكمة الدعاء الذى أودعه فؤادى ذلك الوجه الطيب الجميل • • الجميل •

وكما رددته بينى وبين نفسى زاد قلبى اطمئنانا اليه !

فلكى تدعو مثل هذا الدعاء لابد أن تكون على ثقة من أنك ستجد العوض عن المال فى شيء آخر • • شيء لا يأتى ويذهب • شيء دائم • شيء تجد فى ظله الانس والصفاء والسلام • شيء تركز اطعمك وأحلامك وعواطفك فيه •

شيء إذا توصلت اليه فسيكون وجهك مضيئا وضيئا جميلا مثل وجه عم مبروك •

وهكذا أسلمت أمرى الى الله • • الى واحة الروح العطرة • وبدأت أهرب من الناس الى بستان الجمال الدائم • •

كلما عصروا قلبى وجدت بستانى مزهرا يتضوع عطرا وسحرا وعزاء • •

وعشت فى اغترابى السعيد لا ينال منى شيء حتى ساقطت الى الظروف انسانا أعارنى بعض كتب علم النفس التى تتحدث عن الاغتراب ! وبدأت رحلة الشقاء : هل يمكن أن تكون سعادتى كلها وهما ظاهره القوة وباطنه العجز ؟ من أنا ؟

اننى لم أشعر قط بشقاء الحوذى بل على العكس لقد عشت حياة مكتظة بالناس أضحك وأسامر وأجمال وأحب ولكننى اغترب عنهم فى الدقيقة الواحدة عشر مرات • • أقارن بين دنياهم ودنياى • أشبه براكب القطار الذى يسامر جاره قطعاً للوقت والقرزما بحق الجوار دون أن يبنى على هذا الجوار أملا ولا غدا •

فهل كنت أخدع نفسى ؟

وقبل أن أضيع مرة أخرى ترامى الى سمعى عرضا صوت الإمام فى صلاة الجمعة الماضية بالتليفزيون يروى قصة أبى ذر فانتشلتنى من الضياع •

اذن فلست مريضا • •

وحتى لو كنت مريضا • • ما أجمل أن يعيش الانسان ويموت مريضا كائى ذر !

وأغمضت عيني احتضن صورة وجه عم مبروك الاسود الجميل • • الجميل • • الجميل الذى لم أر فى جماله شيئا من قبل أو بعد !!

عمارة وادب

من

المستضعفين
والفقراء



أستاذ سعد عبد السلام خليل

اتخلون بيني وبين ما أريد من الهجرة ؟
قال أبو جهل : هيهات ! ان حاجتنا الى مالك ليست اقل من حاجتنا الى نفسك «
فلنمسكك في المذاب حتى نأخذ مالك ثم نأتي على نفسك .. او تعود الى ماكنت عليه من ديننا !
قال خالد بن الوليد ، رضى الله عنه :
رايت من صهيبي عجا .. رايت القوم يعذبونه بالنار ويلهبون جسده بالسياط ويطنونه بالحرايب .. وهو على ذلك يتحدث اليهم حديث من لا يحفل بما كانوا ينالونه به من الاذى .. ومازالوا به يعذبونه بالرماح والسياط ومكاوى النار .. ومازال بهم يعذبهم بهودنه وبساته وایماته .. !
.. ولبت صهيبي فيجسه اياما لايرزق من الطعام الا مايعصيه من الموت ..
واخيرا انسل من محبسه وربك راحلته واخذ طريقه الى المدينة .. بيد ان قريشا ترسل في اثره من يدركه . فلم يكذب يراه حتى صاح بهم في صوت حازم مصمم :
علمتم يامعشر قريش اني من اركانكم رجلا ، وانكم والله لا تصلون الى حتى اريكم بكل سهم في كنانتي ، ثم اضربكم بسيفي هذا حتى لا يبقى منه شيء في يدي ..
فاقدموا ان شئتم ! فقالوا له ما قال ابو جهل : اتيتنا صعلوكا فقيرا ، فكفر مالك وبلغت بيننا مابلغت ، والان تنطلق بنفسك وبمالك ! فقال لهم : « ان شئتم دللكم على مالي وتتركوني وشائي ..
فاختاروا بين الموت وبين مالي .. «
ولم يطل تفكير قريش ولا انتهازها ، وانما آثروا السلامة والمال . فقالوا : قد قبلنا ، فدلنا على مالك . فانباهم بمكاته ، وانصرفوا عنه .
ثم اخذ صهيبي يطوى الصحراء بناقته

« ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين ، ونمكن لهم في الارض ويري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون »
صدق الله العظيم
على صفحات مجلة منبر الاسلام القراء ،
بمعددها الصادر في شهر ذي الحجة . ١٣٩٠
تحدثنا عن : بلال بن رباح ، وعمار بن ياسر ،
وخبيب بن الارت ، رضى الله عنهم وارضاهم .. هؤلاء النفر الذين راحوا ،
بعد الاسلام ، يتهردون على سادة قريش وينكرون سلطنتهم .. ويقدمون على الموت في سبيل محمد ، صلى الله عليه وسلم ، في غير جزع ولا هلع ولا اضطراب ..
وفي هذا المقال نتحدث عن طائفة اخرى من بين المستضعفين والفقراء ، الذين نصرهم الله واورثهم ارضه ، وجعلهم ائمة للناس ماعاشوا .. حتى اذا اختارهم لجوارره وآثرهم بنعيمه جعل ذكرهم خالدا وحياتهم قدوة صالحة واسوة حسنة ..
فتحدثك عن : صهيبي بن سنان .. وزيد بن حارثة .. واسامة بن زيد .. وسالم مولى ابي حذيفة .. رضى الله عنهم جميعا وارضاهم ..
● قصيبي بن سنان ، العبد الروماني الذي اشتراه عبد الله بن جدعان .. ثم اعتقه وحرره لامانته واخلاصه ، وهيا له فرصة الاتجار معه ..
لقد كان صهيبي من الذين حبستهم قريش عن الهجرة حتى لا يلحق بمحمد ، صلى الله عليه وسلم ، وابى بكر ، رضى الله عنه .. ويقول له ابو جهل : اتيتنا صعلوكا حقيرا لا تبلك من الدنيا شيئا ، فانثريت عندنا واصبحت ذا مال ، ثم انت تريد ان تغربنا الى محمد واصحابه .. قال صهيبي : فان خلعت بينكم وبين مالي ،

حتى بلغ رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وقد أدركه من الجهد والكد ومن الظما والجوع ما كاد يقضى عليه .. وما كاد يهل على محمد ، عليه الصلاة والسلام ، وكان جالسا في « قباء » وحوله بعض الصحابة ، حتى قال له : ربيع الببع أبا يحيى .. ربيع الببع أبا يحيى !!

ونزل من السماء هذه الآية الكريمة : « ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله ، والله روعف بالعباد » !! .. وعاش صهيب ماعاش خير مثل للمسلم الذي صورته الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، حين قال : « المسلم من سلم الناس من لسانه ويده » .. فلم يكن صهيب يعطى الناس من نفسه الا خيرا .. كان يجود عليهم بآله وعليه جميعا .. وكان لا يجب أن يتحدث عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، مخافة أن يخطيء الحديث ، فكتيرا ما قال : هلموا أحدثكم من غزواتنا ومشاهدنا : أما أن أروى لكم عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فلا .. !

ولما سئل عن اسرافه في اخراج الطعام ، قال : سمعت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يقول : « ان خياركم من اطعم الطعام ورد السلام » !

ولئن كانت حياة صهيب حافلة بالورع والتقوى ، وزاخرة بالزهد والإيمان ابتغاء وجه الله ومرضاته ، فإن اختيار عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، إياه ليؤم المسلمين في الصلاة ، في تلك الأيام الفاصلة بين وفاته وبين اختصار الأيام الجديد ، لزية تملأ حياة صهيب تألقا وعظمة وجلالا .. ! إذ ينظر المهاجرون والانصار ذات يوم ، فإذا صهيب « سابق الروم الى الاسلام » يصلى بهم المكتوبات بأمر عمر .. فإذا حضرت جنازة عمر تقدموا صهيبا فصلى بهم عليه .. !

● وزيد بن حارثة ، الذي كان عبدا لخديجة أم المؤمنين ، رضي الله عنها ، ثم حرره الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، واعتقه .. او هو « زيد الحب » حب رسول الله ، عليه الصلاة والسلام ، كما يلقيه الصحابة ، عليهم جميعا رضوان الله ..

تقول عائشة أم المؤمنين ، رضي الله عنها عن زيد : ما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية فيها زيد الا أمره عليها ، ولو بقي حيا بعد الرسول لاستخلفه ! ! لاستخلف من ! ! لا يستخلف زيدا ، العبد القصير الاسود الأفطس الأنف !! وعندما توجه جيش الاسلام للاقاة الروم واتباعهم في غزو « مؤته » وقف نبي الله ، محمد صلى الله عليه وسلم ، يعلن اسماء قادة الجيش ، الذي يضم كبار الصحابة من المهاجرين والانصار فقال :

« عليكم زيد بن حارثة »

فان أصيب زيد ، فصعفر بن أبي طالب « فان أصيب جعفر ، فعبدا لله بن رواحة » وهكذا كان زيد في المقدمة .. في المقدمة على جعفر ، رضي الله عنه ، ابن عم الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، وأقرب الناس الى قلبه .. !!

وبينما كان القتال يدور فوق أرض « البلقاء » بالشام .. كان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يجلس مع أصحابه في المدينة ، يحدثهم ويحادثونه .. وفجأة قال لهم : « أخذ الراية » زيد « فقاتل بها ، حتى قتل شهيدا .. ثم أخذها » جعفر « فقاتل بها ، حتى قتل شهيدا .. ! » ثم استأنف رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، حديثه قائلا : « لقد رفعوا الى في الجنة » !!

● واسامة بن زيد ، أبوه « زيد بن حارثة » مولى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وخادمه ، كما قدمنا .. راجه « أم أيمن » مولاة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وحاضنته .

اسامة هذا ، الاسود الأفطس ، ابن المولى العتيق ، أمره الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، على جيش يضم بين أفراد وجنوده : أبا بكر وعمر ! وكثيرا غيرهم من كبار الصحابة والسابقين في الاسلام !

ولما بلغ الرسول ، عليه الصلاة والسلام ، اعتراض نفر من المسلمين على تعيين هذا الفتى الشاب ، وهو لم يبلغ بعد العشرين من عمره ، وفي الجيش من هم أسن منه من شيوخ الانصار والمهاجرين .. قام بخطب في الناس ، فقال : « أما بعد أيها الناس . فما مقالة بلقثي عن بعضكم في تأميري أسامة ! ؟ ! لن طعنتم في تأميره ، فلقد طعنتم في تأميري إياه من قبل . وإيم الله ، انه كان لخليقا بالإهارة . وان ابنه من بعده لخليق بها . وانها لحظة لكل خير . وان أسامة لن احب الناس الى بعد أبيه . فاستوصوا به خيرا : فاته من خياركم » !

ولم يقدر لجيش اسامة ان يمضي الى غايته في حياة الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، فقبل ان تحرك الجيش توفي رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ولكنه كان قد ترك وصيته لأصحابه : اتفؤوا بعث اسامة . اتفؤوا بعث اسامة ! !

وخرج الجيش بعد وفاة الرسول ، صلى الله عليه وسلم .. إذ قام الخليفة الأول ، ابو بكر ، رضي الله عنه ، الى حيث كان الجيش معسكرا ، فدعاه للتحرك على بركة الله ، وسار معه مودعا .. سار الخليفة على قدميه الى جوار اسامة الذي كان محيطا ظهر فرسه ! واستحيا اسامة ، فهم بالتزول داعيا خليفة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، الى الركوب ... ولكن أبا بكر رضى ، وأصر على ان يمضي في ركاب اسامة ، تكريما له وللغرض النبيل الذي يمضي في سبيله !

بل وفي هذا اليوم ، الذي خرج فيه ابو بكر يودع جيش اسامة ، كان عمر مازال بين جنود الجيش .. فاقترب الخليفة من اسامة ، وقال له في رجا : « اذا رأيت ان تترك لي عمر بن الخطاب ، فاني اجد في نقائه معنى خيرا ونفعا » فأذن أمير الجيش لعمر بالبقاء !

ولما تولى الخلافة عمر .. جلس ذات يوم يقسم أموال بيت المال على المسلمين . وجاء دور عبد الله بن عمر ، فأعطاه نصيبه .. ثم جاء دور اسامة ، فأعطاه عمر ضعف ما أعطى ولده عبد الله . وهنا سأل عبد الله أباه قائلا : « لقد فضلت على اسامة ، وقد شهدت مع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ما لم يشهد ! » فأجاب عمر : « ان اسامة كان احب الى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، منك ، وأبوه كان احب الى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، من أباك » !

● وسالم مولى ابي حذيفة ، الرقيق الذي اعتق وصار اخا وصديقا للصحابي الجليل « ابي حذيفة بن عتبة » .

ولقد ارتفع سالم بابهاته ونفاؤه وفضالته الى أعلى المراتب ، فكان من الأمثلة البارزة على قضاء الاسلام على الطبقة العمياء الظلمة ، ودليلا ناطقا على حضن التمايز الكاذب واقامة المساواة بين الناس ..

وجد سالم نفسه يوما في الصف الأول : كان اماما للمهاجرين طوال صلاتهم في مسجد « قباء » .. وكان حجة في كتاب الله حتى أمر النبي ، عليه الصلاة والسلام ، المسلمين ان يتعلوا منه .. وبلغ تقدير الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، لسالم ان كان ينظر اليه ، ويقول : « الحمد لله الذي جعل في أمتي مثلك » !

وحدث ان بعث الرسول ، عليه الصلاة والسلام ، خالد بن الوليد على رأس سرية الى قبيلة بني جذيمة بن عامر ، لا ليقاثلهم ، وانما ليدعوهم الى الاسلام ... بيد ان خالدًا استعمل سيفه ، وقتل من قتل من بني جذيمة .. وكان يصحب خالدًا في هذه السرية « سالم » ..

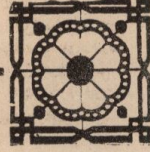
وعندما علم الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، بما فعل خالد .. رفع يديه الى السماء ، وقال : « اللهم اني أبرأ اليك مما صنع خالد » . وسال : هل انكر عليه احد ما صنع ؟ قالوا له : « نعم ، راجعه سالم وعارضه » .

اذ لم يكد سالم يرى صنع خالد ... حتى راح يعلن رأيي غير تهاب او مداراة ، ويناقشه مناقشة الدندند ، ويعترض على اخطائه ومخالفاته لما أمر به النبي ، صلى الله عليه وسلم .. فهو لم ينظر الى خالد على انه سيد من اسباب مكة وشريف من شرفائها .. فالاسلام قد سوى بينهما ، وأمر بالتصحية ، بل جعلها قوام الدين كله : « الدين النصيحة » .

واذا ما اتجهنا الى الفاروق عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، في آخر أيام حياته ، لسعناه يقول : « لو كان سالم حيا لوليت له الأمر من بعدى » !

زين الدين الخوافي الهروي

الدكتور محمد عبد القادر عبد الناصر



كلمته ومريده شمس الدين محمد التبادكاني في شرحه الفارسي
لنمازل الساترين .

وهذه الزيادة التي نلاحظها لاتمنى سوى تفخيم زين الدين
والاعتراف بمكانته ممن كتبوا عنه من مواطنيه ، على ماكانت
العادة جارية به في ذلك العصر .

وغير هذه الزيادة لايوجد خلاف حول هذا اللقب ، كما لايوجد
خلاف حول كنيته بأبي بكر .

أما اسمه — كما ذكره صاحب الضوء الالامع — فهو محمد
ابن محمد بن علي . وذكرت دائرة المعارف الاسلامية أنه محمد
ابن محمد بن علي . ولكن صاحب الضوء الالامع يعتبر حجة
هنا ، لأنه عاصر زين الدين والتقى به ، فلا يفوته وهو مؤرخ
وكاتب تراجم أن يسأله أو يسأل أحد ملازميه عن اسمه كاملاً
كما سأله عن شيوخه . ويبدو أن كاتب ترجمته في دائرة
المعارف لم يطلع على الضوء الالامع وهو يكتب هذه الترجمة إذ لم
يذكره مع مراجعه فيها .

والخوافي نسبة إلى « خواف » مسقط رأس زين الدين وقد
كانت في عصره تابعة لهرات مركز خراسان ، [أفغانستان]
أما اليوم فهي تابعة لإيران . ومن الجدير بالذكر أن «خواف»
تنطق في الفارسية من غير واو ظاهرة مثل « خاف » مع
تفخيم الخاء . وهذا التطق جعل اسم « الخوافي » موضعاً
للتورية التي كانت قد شاعت في أدينا العربي وبخاصة في
مصر منذ القرن السابع الهجري ، من ذلك قول ابن الجوزي
الدمشقي شيخ القراءات [٨٢٣ هـ] .

يا صاح عرج نحو خاف تجد

زيناً يضاهي بشراً الحافي
جداً بدا في عصره قدوة

فأعجب لهذا الظاهر الخافي

[الضوء ١٠-١٧]

وقد نسب زين الدين أيضاً إلى هرات [إحدى مدن أفغانستان]
اليوم [] وتنطق هرات بالناء المفتوحة مع كسر الهاء « لانه
أقام أخصب فترات حياته فيها أبان عصرها الذهبي .

كان زين الدين من شيوخ الصوفية الذين جمعوا بين علمي
الظاهر والباطن أو بين الشريعة والحقيقة ، على نحو ماكان
كثير من أئمة التصوف كابى الحسن الشاذلى وأبى العباس المرسي
وابن عطاء الله السكندري ومن قبلهم الغزالي وعبدالله الانصاري
الهروي وغيرهم ممن بنوا تصوفهم على أساس من الشرع علماً
يعمل . ولذلك نجد في تراجم كثير من الصوفية نسبتهم إلى
الذاهب الفقهية وغيرها من العلوم التي عرفوا بها كالشافعي
والحنفي أو المقرئ والمحدث ، وهذا هو التصوف الاسلامي
على حقيقته .

وزين الدين — وان قل عارفوه اليوم — كان معدوداً من
أشهر الصوفية والعلماء في عصره ، لا في وطنه خراسان
فحسب ، ولكن في كل الاقطار الاسلامية التي رحل اليها ،
وما أكثر مآرحل متعلماً ثم شيخاً ومرشداً . فمن خراسان وما
وراء التهر إلى مصر نجد له في كل قطر شيوخاً وتلاميذ ومريدين
لا يحصون عدداً ، كما نجد له أصدقاء من أبرز علماء عصره :
يشيدون بعلمه وفصله ، ويرحبون به إذا قدم عليهم ، نذكر من
هؤلاء في مصر الإمام ابن حجر العسقلاني الذي قال مرحباً به :

قدمت لمصر يا زين الخوافي

فوافقتها الاماني والعوافي

وما سرت القوافل منذ دهر

يمثل سرى القوادم بالخوافي

[الضوء الالامع ٩ — ٢٦١]

وزين الدين هو لقبه الذي عرف به أكثر من اسمه ، واشهرة
لقبه نسبت إليه طريقته الصوفية ، فعرفت بالطريقة الزينية ،
ولهذه الشهرة أيضاً اكتفت المراجع الفارسية التي تحدثت عنه
بذكره به دون اسمه ، لأن اللقب أو « التخلص » هو الذي
كان يشيع في تلك البلاد ، ولا يزال كذلك حتى اليوم غالباً .
ونلاحظ أن الذين كتبوا عن زين الدين في هذه المراجع زادوا
في لقبه ، فبينهم من ذكر « زين الملة والدين » كصاحب فحات
الانسي ، ومنهم من ذكر « زين الحق والحقيقة والتقوى والدين »

كبير جليل القدر ذو علوم كثيرة « يقول العلاء البخاري » أنه سأل عن مسألة من مشكلات العربية فتكلم فيها أحسن كلام [الضوء ٩-٢٦٢] ومع مكانته العلمية الرفيعة لم يكن يكف عن السعي إلى أهل الفضل وصحبهم حتى ولو لم يكونوا في مثل مستواه العلمي ، لأنه لم يكن يطلب عند أمثال هؤلاء العلوم المكتوبة وإنما كان يطلب عندهم الهداية الروحية التي كان يلتمسها فيهم ، فحينما كان بمصر والتقى بالشيخ الصوفي زين الدين عبد الرحمن طلب منه الصيحة ونقنق الذكر ، مع أن الشيخ لم يكن مثله في العلم ، ولهذا توقف عن إجابته إلى طلبه وقال له : « أنت أمام في الفنون متقدم في العلوم وأنا فقير درويش » ولكنك لم يزل يلح عليه حتى أجابه إلى ما أراد .

ولانتعاص معارف زين الدين وبعد صيته صار له في كل مكان حل به تلاميذ ومريدون لايحيصهم العدد فيهم الكثير من العلماء . نذكر منهم في مصر الأيمن الأنصاري والزم الحنبلي والجمال المرشدي [الضوء ٩-٢٦١] .

ولا ينبغي أن نغفل الإشارة هنا إلى أن زين الدين برحلته العديدة إلى معظم الأقطار الإسلامية وبما كان له في هذه الرحلات من شيوخ وتلاميذ ومريدون أنها شاركت مشاركة فعالة مع أمثاله من أهل العلم في عصره وفي غير عصره . في توثيق الروابط بين البلاد الإسلامية وتوحيد الأفكار والمشاعر بين المسلمين على اختلاف أجناسهم ولغاتهم . وهذه ثمرة من أطيب الثمار التي حققتها الرحلات العلمية في العالم الإسلامي في العصور السابقة .

أما المرحلة الثالثة — من حياة زين الدين فقد قضاه في هراة عاصمة بلاده إذ لم نعد خواف تنسج لأمثاله ، ومن ناحية أخرى فإن السلطان شاهرخ كان يحضر على تزيين عاصمة ملكه بآرباب العلوم والفنون والآداب ، وزين الدين كان في مقدمة هؤلاء بالطبع ، لأنه كان آنذاك في قمة مجده العلمي والصوفي ، حيث كان قد ألم بثقافة عصره الإسلامية وعربية ، وبلغ فيها درجة عالية ، شهد بها الإقطاب من العلماء ، كما كان قد بلغ في الوقت نفسه درجة عالية أيضا في التصوف نظريا وعمليا . ولذلك ذاع صيته وكثر قصاده . وتراجم الطلاب والمريدون على بابيه يطلبون عنده المعرفة والإرشاد حتى بلغ عدد الذين يابونه وسلوكوا طريقه ستمائة ألف شخص . وقد عرف له شاهرخ فضله وأثله من نفسه الميزة اللائقة به ، فكان وهو في أوج مجده يسمى إليه هو وأركان دولته ، ويلامونه ويبركون بصحبته ويلبون مطالبه .

ولم يكن زين الدين في تصرفه معتزلا للحياة ، وإنما كان متصلا بها واقفا على ما يجري فيها من أحداث ، عالما بكل طاقاته على توجيه هذه الأحداث إلى ما يعود على بلاده وعلى غير بلاده بالخير والسعادة وبدر ما يستطيع ، فقد كان بشخصيته القوية المستمدة من مكانته العلمية والروحية الرفيعة واقفا وراء كثير من الأعمال الكبرى التي نمت في عهده في هراة سواء في المجال الديني أو الاجتماعي أو السياسي أيضا . وهذه مسألة تحتاج إلى تفصيل لثري رجال التصوف على حقيقتهم ، ولئن لم يسمح لنا المجال هنا بهذا التفصيل فلا أقل من الإشارة إلى حادثة واحدة تبين مدى اهتمام زين الدين بأحداث عصره ووقوفه منها موقفا إيجابيا ، فقد سعى لحل خلاف كان مستعصيا بين شاهرخ وصاحب تبريز . وكان ينذر بحرب خطيرة بينهما تهلك ما تهلك من الأنفس والأثروات ، وقد نجح في مساعاه بحكم مكانته عند الطرفين المتنازعين غا زال بذلك مكان متوقعا من شروق [الضوء ٩-٢٦٢]

وبجانب ما كان يقوم به من توجيه وإرشاد وإسهام فعال في حل مشكلات بلاده فإنه استغل ثقافته الواسعة في التأليف ، فترك ثروة قيمة من المؤلفات في مجال التصوف ، هي الإوراد الزينية وسلسلة الصوفية ورسالة في الزهد ، بالإضافة إلى كتابه [الوصايا القدسية] الذي تقدمت الإشارة إليه . ثم هناك مؤلف آخر له لم يرد ذكره في بروكلمان هو شرحه لمنازل السائرين ، وهو يمتاز عن غيره من الشروح التي عملت لهذا الكتاب والتي زادت عن الخمسين قبل شرح زين الدين . ومما هو جدير بالذكر أن هذه المؤلفات كلها باللغة العربية وبأسلوب ممتاز بالقياس إلى أساليب الكتابة التي كانت مكيلة ومثقلة في عصره بالقيود والزخارف اللفظية ، ولا عجب ، فقد كان الخوافي متضلعا في اللغة العربية كواحد من أصحابها المتمكنين منها إلى درجة أنه كان يناقش شعراء عصره من العرب في أنشاد الشعر العربي وقد أورد لمصاحب الضوء اللامع بقطوعة من هذا الشعر أجاب بها على مقطوعة ابن حجر التي سبق ذكرها في بداية هذا الموضوع وهي :

والنسبة إلى أكثر من بلد كانت شائعة في ذلك العصر في الصالح الإسلامي كما تحدثنا بذلك كتب التراجم بالتاريخ ، إذ نرى فيها كثيرا من مشاهير العلماء الذين ينسب الواحد منهم إلى أكثر من بلد ، فهو ينسب إلى مسقط رأسه ثم بلد آخر أو أكثر من البلاد التي يكون قد أقام فيها وترك آثارا واضحة ، ولو كان هذا البلد الآخر من غير موطنه الذي ينسب إليه أصلا . وهذه وحدها ظاهرة جديرة بالدراسة وأول ما يشير إليه هذه الظاهرة هو تلك الوحدة العقلية والروحية التي حققها علمائنا السابقون بين البلاد الإسلامية .

وصاحب الضوء اللامع هو الوحيد — الذي ذكر — فيما نعلم — زين الدين منسوباً إلى هراة ، وذلك قبيل وفاة الخوافي بفترة غير قصيرة مما يدل على طول إقامته في هراة ، أما المراجع الفارسية فقد ذكرته منسوباً إلى خواف فقط . ولعل السبب في هذا يرجع إلى أن زين الدين كان يعيش في هراة فلم يكن ثمة ما يدعو إلى أن ينسبه مؤرخوها إليها ، إذ ليس في نسبه الهيايمية عن علمائها الكثيرين ، ومن أجل ذلك نسبوه إلى مسقط رأسه « خواف » تمييزاً له عن غيره من العلماء في هراة .

أما حياة زين الدين التي تمتد منذ مولده سنة ٧٥٧ هـ في خواف إلى وفاته في مالين على مقربة من هراة سنة ٨٢٨ هـ فإنه عاصر فيها دولتين من الدول التي حكمت بلاده خراسان وهي دولة آل كرت في أواخر حكمها ، ثم دولة آل تيمور في شرح شباهها أيام تيمور وابنه شاهرخ . وكل من هاتين الدولتين كانت تعنى بالعلم والعلماء ورجال التصوف ، كما كانت تعنى بالمعمران وبخاصة المنشئات الخيرية باستثناء الفترة الأولى من حكم تيمور .

والمتبع لحياة زين الدين يجد فيها ثلاث مراحل متميزة : الأولى — وهي التي قضاه في مسقط رأسه خواف حيث تلقى علومه في الشريعة وأخذ آداب السلوك في التصوف إذ كانت خواف حينذاك عاصمة بالعلماء والمصوفة .

والثانية — هي مرحلة الرحلات العلمية والسباحات الصوفية التي قضى فيها شظرا كبيرا من حياته متعلما ومرشدا في معظم الإقطار الإسلامية التي كانت عاصمة بالعلم والعلماء خراسان وما وراء النهر وأذربيجان والحجاز والشام ومصر ، فقد كانت عواصم هذه البلاد وكثير من مدنها مراكز هامة للثقافة الإسلامية العربية بما كان فيها من مدارس وخوانق ومساجد عامرة بالاساندة والشيوخ الذين طبقت شهرتهم الاتفاق ، فشددت اليهم الرجال من كل مكان . ولقى زين الدين هؤلاء العلماء في رحلاته اليهم ، وأخذ عنهم ماتخصصا فيه . فغلا في الحجاز — حيث حج عدة مرات وجاور الحرم النبوي عدة سنوات — لقي مشايخ الحرمين الشريفين وصحبهم ومن هؤلاء شيخ الحديث في عصره زين الدين عبيد الرحيم العراقي المصري . وفي الشام لقي عبد اللطيف المقدسي ، وعبد المعطي المغربي وأقام طويلا في القدس الشريف حتى ألف كتابه [الوصايا القدسية] . أما في مصر التي جاء إليها أكثر من مرة فقد لقي كثيرا من شيوخها في القاهرة والإسكندرية ، وصحبهم ، كزين الدين عبد الرحمن الذي نال منه اجازته في التصوف والشهاب أحمد الغزنوي الذي أخذ عنه الحديث كما كان صديقا لشيخ الحديث في عصره الإمام ابن حجر العسقلاني وقد مر بنا من قبل كيف كان بقاء ابن حجر .

وغير هؤلاء الذين ذكرناهم لقي آخرين كثيرين ممن لم نذكر المراجع أماكن اللقاء بهم كفضل الله التبريزي والشريف الجرجاني وابن الجزري الذي رأينا من النص السابق مدى تقديره له حتى جعله في التصوف كيشر الحافى .

ومما هو جدير بالذكر أن دائره المعارف الإسلامية ذكرت أن من شيوخه سعد الدين الكاشغري المتوفى سنة ٨٦٠ هـ والحقيقة عكس ذلك ، إذ أن سعد الدين هذا صاحب زين الدين صيحة التلميذ للاستاذ كما ذكر صاحب نفحات الانس في ترجمته للكاشغري .

وعلى أية حال فإن زين الدين لم يترك علميا من أعلام العلوم الإسلامية والعربية ولا أماما من أئمة التصوف في عصره إلا رحل إليه فأفاد منه ومما يمتاز به زين الدين في طلبه للعلم أنه لم يكن يلتزم برجال مذهب سني معين ، ولا بأصحاب طريقه دون غيرهم من رجال الطرق الصوفية الأخرى ، وإنما كان يطلب العلم أيا كان لونه . وهذه النظرة الواسعة المتحررة التي لايقدها مذهب ولا تحدها طريقة هي التي أناحت له ثقافته الواسعة التي تشهد بها مؤلفاته والتي نرى أئمة عصره يشهدون له بها . يقول النقي بن قاضي شهبة « . . وهو عالم

أيا من فائق أهل العصر فضلا

وعليها في الحديث بالاعتراق

تقدس شرك الصافي فاحيا

من الآثار بنـدرس المطاف

سالت الله أن يبيحك حتى

نفيض على القوادم والخواني

فهو لم يجار ابن حجر شاعر عصره في الشعر فحصب ، وإنما جاره أيضا في الطريقة التي نظم بها والتي كانت سائدة في أدبنا العربي وبخاصة في مصر آنذاك ، وهي طريقة التورية .

وليس بغريب أن ينشد الخواني - وهو خراساني غير عربي - شعرا عربيا على طريقة ابن حجر ، ولا أن يؤلف مؤلفاته الكثيرة باللغة العربية ، ولكن الغريب حقا هو أن تبقى هذه المؤلفات مخطوطة حتى اليوم رغم نفاستها في مجالها الروحي ، وأن يفرض النسيان على صاحبها على الرغم مما كان له من شهرة واسعة وصيت بعيد في التصوف والعلوم الإسلامية والعربية بين أربابنا العربية ، وعلى الرغم مما أقام من صلات طيبة برحلته ومؤلفاته وطريقته الصوفية بين بلاده وبين البلاد العربية .

وبعد فإن حياة زين الدين متعددة الجوانب وكل جانب منها جدير بالدراسة ، ولكن حسينا الآن جانب تصوفه . وقد سبق أن أشرنا إلى أنه كان يجمع في تصوفه بين علمي الظاهر والباطن . نجد ذلك عند من كتبوا عنه ، كما نجد في مؤلفاته . أما الذين كتبوا عنه فانهم اجمعوا أو كادوا على أنه يجمع بين الشريعة والحقيقة . وأما مؤلفاته فنلاحظ أنه لا ينفى فيها عن الأشادة بالشريعة ، والحث على التمسك بها ، والتحذير من التهاون في شيء منها ، فهي والحقيقة

عنده مظهران لشيء واحد « فما ثم حقيقة تخالف شريعة أصلا ... فإذا ارتفع حجاب الجهل عن البصيرة روى أن عين ما ظهر هو عين باطن ، لأن السارح الذي هو الحق نسى بالباطن والظاهر وهذا الإسبان له حقيقة » [شرحه لمنازل السائرین ۳۲ ب] ويقول في موضع آخر : ولابد للمسافر من مصاحب فانه يقال : الرفيق قبل الطريق ، فرفيق هذا المسافر الذي يقع لهبه التفع والدلالة على الطريق هو العلم الشرعي . وليس في إشارة القوم إلى العلم دلالة على غير العلم الشرعي .. والعلم الشرعي هو كتاب الله وسنة رسوله لأغبر ذلك . [المرجع السابق ۹۲-ب] . ولهذا نراه ينتقد بعض الصوفية الذين لا يلتزمون بالشرع انتقادا مرا وفي ذلك يقول : « ولا ينقل - أي الصوفي قديما عن قدم الا بطريق شرعي ولا يرض نفسه في ارتكاب ما يخالف الشرع ولو كان يسيرا ، ليكون ممن عظم حرمان الله ، فان ارتكاب المخالفة يذهب بهجة الطاعة ويجر إلى ارتكاب ما هو أعظم منه قليلا قليلا ، إلى أن يقع في الكبائر ، فان عقوبة الذنب قد تكون ذنبا أعظم منه ، فان الذنب حجاب على عين البصيرة . وهذا واقمل طائفة ينتسبون إلى الفقر في زماننا هذا ، يرتكبون أكثر القبائح ويزعمون أنه لا يشرع مع التوحيد شيء ، وليس لهم من التوحيد الا ما وصل على يد الشيطان في صورة خيال الفهم ، أو كشف خيالي . نعوذ بالله من الخذلان والمكر والاستدراج ، فالطريق الحق هو مجاه به صفوة الله من خلقه أطباء النفوس صلوات الله وسلامه على جميعهم » [شرحه لمنازل السائرین : ۲۱-أ وما بعدها] .

وحينما يدعو أتباعه إلى تحصيل علوم السنة فإنه لا يكتفي منهم بأي قدر كان ، وإنما يشترط عليهم الإلمام بالآداب الفقهية ، حتى يكون عيلم على وفاق بين المذاهب . « فان مذهب المشايخ الصوفية على الجميع بين أقوال الفقهاء ، وأن لم ينسب الجميع فيأخذون بالأحوط والأولى » ثم يدعوهم إلى أن يجوبوا أصحاب المذاهب الأربعة .. ولا يتعصبوا [باب العلم بالوصايا القدسية] .

وهو لا يكتفي بذلك وإنما يعتقد بابا خاصا يبين فيه ميزاني الكتاب والسنة « فما كان من الأقوال والأفعال والمكاشفات والمجاهدات غير مؤزون بهذين الميزانين لا يعتبر ولا يلتفت إليه » . ثم ينقل عن الجنيد قوله : مذهبنا هذا بقيد بأصول الكتاب والسنة ، وقوله : « الطرق كلها مسدودة على الخلق الا على من اقتفى أثر رسول الله صلى الله

عليه وسلم . وعن أبي حمزة الخراساني قوله : « لا دليل على الطريق إلى الله الا متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم في أفعاله وأحواله وأقواله » . إلى آخر ذلك من الأقوال التي نقلها عن أوائل الصوفية وكلها دعوة إلى الأخذ بالسنة والعص عليها بالنواجز .

ولقد دفعه هذا الاتجاه في تصوفه إلى أن يكون طبيعيا في تصوفه - إن جاز هذا التعبير - بمعنى أنه لم يلزم نفسه ولا أخذ من أتباعه برفض الدنيا أو العزوف عن شيء مباح فيها ، فهو يقول في حديثه عن اخلاص العبد عيودته لله : وليس ما ذكرناه بمانع له من النظر في دقائق العلوم والأمور وجلالها بل يلبس الزوجات والأولاد والأتباع ، ويكون مع كل وارد بحسب الوارد [شرحه لمنازل السائرین ۲۴۹- ۹] فالتصوف عنده ادراك حقيقي وسلوك مثالي .

ولا شك أن هذه الفقهية العذبة الهادئة التي ردها كثيرا ، من شأنها أن تجعل من الصوفية وعلماء الشريعة طائفة واحدة متحابية متعاونة على كشف مرامي الإسلام وفهمه نصا وروحا ، كما أن من شأنها أيضا أن تنزل التصوف من أبراجه العالية الحجب بالسطحات المحيرة ، وتجعله شيئا واضحا يمكن ادراكه وتحقيقه ثم ترجمته إلى سلوك عيلى . وهذا الذي نجد في كتابات زين الدين الصوفية .

ونظلمنا نفس هذه الصورة أي صورة الجمع بين الشريعة والحقيقة في مصر أيضا حيث نجد كثيرا من صوفيتها كانوا منقذين [راجع حسن الحضارة] كما نجد كثيرا من فقهاءنا صاروا صوفية [المرجع السابق أيضا] . وهذا التشابه يدل على ما كان بين الشعوب الإسلامية من وحدة فكرية وروحية .

ويجمع هذا التقارب الملاحظ بين الفقهاء والمتصوفة فيما يرجع إلى أن العناية بالمدارس كانت تسير جنباً إلى جنب مع العناية بالخواتق ، سواء في مصر أو في خراسان . فالذين كانوا يقيمون هذه كانوا يقيمون تلك في نفس الوقت غالبا ، وأكثر من هذا أن بعض الخواتق كانت ترتب فيها دروس المذاهب السنية الأربعة [المرجع السابق] . ولم يكن هذا التوفيق أمرا جديدا في تاريخ التصوف ، فهو الوضع الحقيقي الذي نراه عند أئمة الصوفية الأوائل وقد مر بنا ناقلة الخواني عن بعضهم . وهو الوضع الذي ينبغي أن يلزم به شيوخ التصوف أتباعهم قبل كل شيء .

وقد طبق زين الدين اتجاهه الصوفي القائم على الجمع بين الشريعة والتصوف في طريقته الصوفية التي اعتمد فيها على طريقة الجنيد [۲۹۷ هـ] من ناحية ، ومن ناحية أخرى على طريقة السهروردي [۵۲۹ - ۶۲۲] صاحب عوارف المعارف ، ومن صحبوا عبد القادر الجيلاني [۶۱۱ هـ] وهو غير السهروردي المقتول سنة ۵۸۷ هـ في عهد صلاح الدين الأيوبي . وكلنا الطريقتين كانت تمنى بالشريعة [فالجنيد كما رأينا من بعض أقواله كان حريصا أشد الحرص على التمسك بالشريعة] ، والسهروردي كان كذلك ، مما جعل الشيخ عز الدين بن عبد السلام وهو سلطان الملأ في عصره يلبس خرقاة الصوفية منه [حسن الحضارة ۱-۱۷۲] .

واهتمام زين الدين في طريقته بعلوم الشريعة هو الذي جعل كثيرا من العلماء ينضمون تحت لوائها .

وقد استمرت طريقته الأزنية بعد وفاته أزمانا طويلة حيث سار عليها كثيرون في خراسان وغير خراسان . وقد ذكرنا من قبل أن أتباعها في عهده بلغوا ستمائة ألف .

هذا ولم يكن الخواني وهو صاحب طريقة صوفية يتعصب لطريقته وإنما كان ينظر إلى الطرق الصوفية الصحيحة مع تعددها على أنها واحدة توصل جميعها إلى الله [نفحات الانس ۴.۴] . ولذلك كانت صلاته لشيوخ الطرق الأخرى صلوات ود وإخاء ، فقد كان المريون من غير طريقته يذهبون إليه ويستشيرونه فيها يشكل عليهم بتوجيه من شيوخهم ، فكان يلقاهم لقاء حسنا ، ويبدى استعداده لإجابته عن كل ما يسألون . [نفحات الانس ۴.۴] وهذا لا يصدر الا عن شيخ معتدل واسع الاق .

هذه لمحات خاطفة من حياة زين الدين الخواني وطريقته الصوفية حاولت أن أصور بها ملامحه في إيجاز ، وأني لأرجو أن أكون قد وفقت في محاولتي . وبما التوفيق الا من عند الله .



علم من أعلام الإسلام .. وتحتة في الكيمياء ..
 ذاعت شهرة هذا العالم المؤمن في جميع أنحاء العالم
 الإسلامي الواسع التاسع .. لما يتمتع به من
 نفس طاهرة نقية صافية زكية .. تعلقت برها العظيم
 ومنهل رسوله المعلم الإوحد محمد بن عبد الله
 صلوات الله وسلامه عليه .. وقد أخذ بهدأ الصوفية
 واشربت روحه بحلاوة الإيمان وصدق اليقين ..
 هذا هو أبو موسى جابر بن حيان .. الذي له أثر
 كبير وواضح في العلم .. وقدم راسخ في البحث ..
 وفيض وافر في التأليف وذكر خافق في المشرق
 والمغرب ... !!

وهو طبيب عربى أول من اشتغل بالكيمياء
 القديمة .. عاش بالكوفة وبغداد في آخر القرن
 الثامن وأوائل التاسع .. وولد في سنة ٧٢٠
 ميلادية ... في الكوفة ...

(أثره في البحث العلمى)

ترجمت كتبه التي زاد عددها على الثمانين الى
 اللاتينية .. وتعتبر من أهم ما كتب في الكيمياء في
 ذلك العصر .. وتناولت كتاباته الفلزات وأكاسيدها
 وأملاحها وأحماض النتريك والكبريتيك والخليك ..
 كما عالجت القلويات تحضيراً وتنقية بالبلورة
 والتقطير والترشيح والتصفية ...

وكان أثرها ملموساً في تنقية الكيمياء القديمة
 وإدخال عنصرى التجربة والمعمل .. كما أوصى هذا
 العالم العربى الإسلامى بدقة البحث والاعتماد على
 التجربة والمصير والمصابرة على أبحاثها .. وكان
 من المعتددين بنظرية تحويل المعادن الى ذهب ، وبأن
 الزئبق والكبريت هما العنصران الأوليان ...

وقد ترجمت بعض كتبه من اللاتينية الى الانجليزية
 سنة ١٦٧٨ م ، وأعاد « هوليارد » تحريرها وكتب
 تقديمها سنة ١٩٢٨ .. وعنى بول كراوس بنشر
 رسالته ...

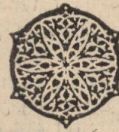
ويصف المؤرخون ابن حيان بأنه رجل عاش في
 القرن الثامن بعقلية رجال القرن العشرين في التقدم
 والبحث العلمى ...

(من هو ابن حيان)

• ابن حيان واسمه الكامل « أبو موسى جابر بن
 حيان » ولد في الكوفة سنة ٧٢٠ ميلادية وتوفي
 سنة ٨١٢ م في عصر المأمون وهو من أصل عربى
 صميم وينسب لقبيلة (الأزدي) التي كانت منازلها
 متاخمة لليمن .. شب وتعلم في الكوفة .. وثقفه

ابن
 حيان

أعظم عالم
 إسلامى في زمانه



استاذ عبد الحكيم التجار

الآن نحو خمسين مخطوطاً ٧ وأشهر مؤلفاته في الكيمياء هي ...

● الخواص الكبير ... وتوجد نسخة خطية منه بالمتحف البريطاني ..

الاحجار .. وفي المكتبة الاهلية بباريس نسخة خطية منه ..

● اخراج ما في القوة الى الفعل .. ويوجد منه مخطوط بدار الكتب المصرية ...

● مؤلفات كثيرة فياضة .. تعتبر القوة المفكرة الجبارة .. ويعتبر جابر من اعظم رواد الفكر والبحث واصحاب الاقلام السائلة الذي اخرج للانسانية كل هذه الكنوز من العلوم والمعرفة ...

● ترجم الجانب الاكبر من مؤلفات جابر الى اللاتينية وبعض اللغات الاوربية .. وكانت المرجع الذي يعتمد عليه في الكيمياء من القرن الثامن الى القرن الثاني عشر للميلاد .. ولا تخلو اى مكتبة في اوريا من نسخ خطية لبعض مؤلفات هذا الفيلسوف العربى القدير ..

[جابر والبحث العلمى]

● فى كتاب « العلم الالهى » عرف جابر الكيمياء بهذا النوع من العلوم الطبيعية الذى يبحث فى خواص المعادن والمواد النباتية والحيوانية وطرق تولدها .. وهو ينصح بالبدء بدراسة المعادن لانها اسهل مثالا واقرب فهما ... واطهر ما يلاحظ فى مؤلفاته اعتياده على الناحية العلمية .. وتنصيه الحقيقة عن طريق التجربة والملاحظة الدقيقة ...

وهو يوضح هذا الجدا فى كتاب الموازين تائلا * ان كل نظرية تحتمل التصديق والتكذيب فلا يصح الاخذ بها الا مع الدليل القاطع .. ونصح بالحرص على اتباع هذه القاعدة ...

● ذكر فى كتاب « الخواص الكبير » انه الا مارآه بعينه مهمل ما وصل علمه عن طريق السماع او القراءة ... ويوجد أكثر من ٣٠٠ كتاب عربى فى الكيمياء محفوظة فى مكتبات باريس وبرلين والمتحف الانجليزى ودار الكتب المصرية .. منها نحو ٥٠ مؤلفا لجابر بن حيان - وبعض هذه الكتب يربو على الف صفحة ككتاب « نهاية الطلب » « للجلدكى المصرى » ومن بين هذه المجموعة الضخمة انتخب « برتلوت » ١٣ مؤلفا فقط يبلغ مجموع صفحاتها ٢٠٠ ٠ ٠ واتخذها مرجعا لبحوثه - .

□ ٢٢٢ □

فى الرياضة رجلاً يسمى (حبرى الحبرى) وتلقى علومه فى الكيمياء على يد الامام جعفر الصادق ..

● فى سنة ٧٤٩م انتصر العباسيون على الامويين واستولوا على الخلافة .. ورجل جابر الى الكوفة وتمكن بعد ذلك من ان يتصل بالامام جعفر الصادق وتلقى عنه الكيمياء ولازمه ملازمة الصديق .. وكان للامام جعفر منزلة عظيمة عند الشيعة الذين ساعدوا العباسيين على تولي الخلافة وتقرب جابر من العباسيين فآكروموه ورحبوا به لعلاقته بالامام جعفر .

● ورد فى كتاب « الاعلام » الذى وضعه خير الدين الزركلى سنة ١٩١٢ م ان جابرا توفى سنة ١٦١ هـ أى سنة ٧٧٨ م وفى كثير من الكتب الانرجية نرى انه توفى فى هذه السنة أو ما يقرب منها ، وهذا امر مخالف للحقيقة اذ لا يوجد شك فى ان جابرا عاش ايام هارون الرشيد .. الذى ابتدا حكمه سنة ٧٨٦ ميلادية ...

● مما يروى عن علاقته بالبرامكة ان يحيى البرمكى كان يملك جارية جميلة فتانة . . اصيبت بمرض عضال : ولم تنفع فى شفاؤها الادوية التى كانت شائعة وقتذاك .. فسمح يحيى لجابر ان يرى الجارية ويفحصها .. ففعل ووصف لها دواء كان سببا فى شفاؤها .. وقد دهش يحيى لسرعة تأثير الدواء حتى انه اخذ يدرس العلوم الطبيعية بهمة ونشاط ...

● روى جابر فى كتاب الخواص نواذر كثيرة وقعت له مع كبار البرامكة يحيى والفضل وجعفر الذين كان لهم شأن خطير فى بلاط هارون الرشيد - والمعروف ان هارون الرشيد فتك بالبرامكة سنة ٨٠٣م .. واذا ذلك فر جابر الى الكوفة ومكث بها حتى مات .. وقد ادرك جابر عصر المأمون وفقا لرواية الجلدكى المصرى فى كتابه « نهاية الطلب » .

(جابر وبحثه العلمية)

● كان لجابر معمل كيمائى يجرى فيه تجاربه وبحثه فى ناحية تسمى بوابة دمشق ، ويقول صاحب « الفهرست » ان بعض البيوت فى هذه الناحية اصابها الخلل وهدمت ، فوجد بين انقاض المعمل « هاون » من الذهب الصنف يزن نحو مائة رطل ...

● درس جابر علوم الكيمياء والطب والتاريخ الطبيعى والفلسفة ونبغ فيها جميعا واعتنق مذهب الصوفية الذى نشره ابو هاشم الكوفى وتضلّع فيه . ووضع فى هذه المواد مؤلفات كثيرة بقى منها الى

من أعلام الصوفية

● لقد اتجهت أنظار العرب الى الكيمياء بعد أن بدأ بها رجلان من أعرق بيوتهم حسبا ونسبا وهما الامام جعفر الصادق وخالد بن يزيد .. وبعد أن اشتغل بها جابر .. فرفع شأنها وأثار الاهتمام بها بها اظهره من فوائدها وأبان من وسائل تطبيقها في الطب والصناعة ، وبما اخرجها من الكتب التي سهلت دراستها على طلابها ، وكان محققا ان السراج الذي اشمل في القرن الثامن الميلادي لم تخد جذوته ولم يلق به من عل ...

بل ظل محمولا على سواعد متينة تعمل على تركيته ونشر ضوئه ...

● لقد نبغ في الكيمياء بعد جابر علماء .. هم خلفاؤه الذين استفادوا بجهوده وثمرات تأليفه وزادوا عليها من نتائج تجاربهم وتفكيرهم وبحوثهم .. ويعتبر من خلفائه .. (الرازي) (وابن سينا) (والمجريطي) (والطبراني) [وابو القاسم العراقي] (والجدي)

(كلمة حق)

ونود ونؤكد ونصر .. ونحن نستعرض حياة هذا الباحث والعالم والمحقق العربي الاسلامي الكبير [جابر بن حيان] وثوراته العلمية أن تعتنى الجامعات والعلماء بل كل عربي ومسلم .. بهذه البحوث الخالدة وكتبه التي لم يعتن بدراستها الا القلة القليلة من علماء الغرب ، رغم ما كلفهم من العناء والجهد والبحث المتواصل .. اذ اضطروا الى دراسة اللغة العربية والتعمق والتفقه فيها .. وليس من التزبد : في شيء أن دراسة مسيرة هذا العالم الكيميائي الذي ظهرت عبقريته في القرن الثامن والتي أصبحنا نتطلع اليها في القرن العشرين على أنها الدراسة الكيميائية الاسلامية .. وهذا أمر سهل لنا خصوصا ونحن في بلد تتكلم العربية في مصر وسوريا والعراق والسودان وليبيا وغيرها .

وأخيرا :

لا يستطيع أى كاتب أو باحث أن يفى حق هذا العالم الاسلامي الفذ المتمكن الذي ربط علمه بالإيمان والثقة بالله القدير .. والبحث والتنقيب وقتذاك .. فتحية لروح الطاهرة .. وتحية لكل باحث على حقيقة هذا التراث العلمي الاسلامي الخالد .. وتحية لاساتذتنا العلماء في الجامعات المنتشرة على امتداد العالم العربي والاسلامي .. وصيحة لهم جميعا لظهور هذه الحقيقة والظاهرة العلمية المستتيرة النابعة والتي هي احدى دعائم البحث العلمي على مر العصور والازمان ..

□ ٢٤٤ □

على قلوب العارفين تنزل النفحات الالهية لتضيء ساحاتها بالانوار الالهية وتجذبها الى حضرة المولى عز وجل ، فيظل العارف مستهلكا في بحار التحقيق فانيا في الله قائما به ، فلا يشهد غير محبوبه الازلي : ولا ينشغل الا بمعشوقه الابدی مصدر كل جلال وجمال وكمال . انه الولاء المطلق للحق تبارك وتعالى الذي خص به صفوته من خليقته ، رضى الله عنهم وعنا بهم وادخلنا بهم في الصالحين .

من افاض اولئك الائمة الاخيار والصوفية الابرار : قطب سما الى سماء العرفان ، وولى أفنى ذاته في محبة الرحمن . انه الامام العابد ، والصوفي الزاهد والرباني الساجد ، صاحب الامداد والانوار : سيدي ابو يحيى مالك بن دينار . رضى الله تعالى عنه وعنا به اكراما لجنابه الشريف .

سيد من سادات التابعين ، وعلم من أعلام الصوفية الواصلين ، وامام تفرد في زهده واخباته وتبته وانقطاعه لمولاه . فكانت حكمته غذاء القلوب وسلوكه ضياء النفوس ومنهاجه اقتفاء الاثر الحمدي المنير . فلم تحد قدمه عن الطريق حتى وصل الى مولاه وترك وراءه أثره ليسلك على دربه من تعشق الذروة وامتلك قياد نفسه ليهب عمره لله كما فعل .

وحديث المؤرخين وأصحاب الطبقات عن الامام مالك بن دينار لم يتناول عن تاريخه الشخصي الا شذرات قليلة سرعان ما ينتقل منها الى سرد مآثوراته ومناقبه واثاراته التي تصور منهجه الروحي واتجاهه الصوفي .

ففي ترجمته يذكر صاحب وفيات الاعيان انه [من موالى بني اسامة بن لؤي القرشي ، كان عالما زاهدا



... سيدى مالك بن دينار رضي الله عنه

« انه - اى سيدى مالك - كان اولاً شرطياً ۞ وانه
سئل عن سبب توبته فقال :

اشترت جارية فوقعت منى احسن موقع ، وولدت
منى بنتا فشغفت بها ، فلما دبت على الارض ازدادت
من قلبى حبا ، والفتنى والفتها ، فلما تم لها سنتان
ماتت ۞ فاكمد فى حزنها ۞ فلما كان ليلة نصف شعبان
- وكانت ليلة جمعة - رأيت فى منامى أن القيامة
قامت ، ونفخ فى الصور ، وحشر الخلائق وانا
معه ۞ فسمعت حسا فالتفت فاذا انا بقتين عظيم اسودا
أزرق فتح فاه مسرعا نحوى ، فمررت بين يديه جاريا
مرعوبا ۞ فمررت بطريقى بشيخ نقى الثوب طيب
الرائحة ، فسلمت عليه فرد على السلام ، فقلت أجرنى
من هذا التنتين أجارك الله ۞ فبكى وقال : انا ضعيف
وهذا اقوى منى ، مر وأسرع لعل الله أن يقبض لك ما
ينجيك منه ، فوليت هاربا على وجهى ، فصعدت على
شرف القيامة فاشرفت على طبقات النيران فكادت أهوى
فيها من فرعى ، فصاح صائح : ارجع فلست من
أهلها ۞ فاطمأنت لقوله ، ورجعت ورجع التنتين فى
طلبى فأتيت الشيخ فقلت : سألته أن يجيرنى من هذا
التنتين فلم تفعل ۞ فبكى وقال انا ضعيف ، ولكن سر
الى هذا الجبل فان فيه ودائع المسلمين ، فان كان لك
فيه وديعة فتنصرك ۞ فنظرت الى جبل مستدير من
فضة ، فيه طاقات مخرقة وستور معلقة ، على كل طاقة
مصراعان من ذهب احمر ، على كل مصراع ستر من
حرير ، فلما نظرت اليه هرولت والتنتين من ورائى ۞
حتى اذا اقتربت منه صاح بعض الملائكة : ارفعوا
الستور واقتحوا المصارع ۞

كثير الورع ، قنوعا لا يأكل الا من كسبه ، وكان يكتب
المصاحف بالاجرة ۞ (١) هـ

وقد ذكر المؤرخون - منهم ابن خلكان - أن سيدى
مالكا قد توفى بالبصرة سنة احدى وثلاثين ومائة
هجرية ۞ وقد ادرك رضوان الله عليه من الصحابة
سيدنا أنس بن مالك رضى الله عنه ، وأسند عنه عدة
أحاديث روى الامام ابو نعيم طرفا منها فى الحلية ،
وذكر انه روى أيضا عن جلة التابعين : عن الحسن
وابن سيرين ، والقاسم بن محمد ، وسالم بن عبد الله
وغيرهم ۞ وقد أخرج له البخارى فى صحيحه وأخرج
له الامام أحمد وروى عنه الثقات من الحديثين ۞

وهكذا نجد أن سيدى مالكا قد عاش فى القرنين
الاولين للإسلام حيث لا يزال عبير النبوة متضوعا فى
الارجاء لقرب العهد باسراق شمس النبوة والرسالة
صلى الله عليه وسلم ۞ فلقى من لقى سيد الخلق
صلوات الله وسلامه عليه ، واستمد من نوره المدد
المحمدى فتمثلت فيه القولة الماثورة : (اذا رأيت من
رأى فقد رأيت) ۞ وأخذ سيدى مالك يسبح فى أجواء
الطهر والايمان ويتطلع ببصيرته الى مرتقى أعد
لامثاله من الصفوة الاصفياء ۞

وبينما نحن نبحث عن نقطة البداية التى كانت
منطلقا لارتقائه الى القمة ، يضع التاريخ بين ايدينا
رواية عن تلك البداية تحمل فى أطوارها طابعا رمزيا
ومضمونا له أبعاده ودلالاته ۞ فيروى الامام المناوى
رضى الله عنه فى طبقاته عن ابن الجوزى انه قال فى
كتاب التوابين :

والجهاد الروحي طريقه طويل لا ينتهي حتى تضمحل النفس وتصفو من أدرانها وشوائبها . ولما كان حب الدنيا هو السم الزعاف الذي يطفىء نورانية الروح فقد غالب سيدي مالك نفسه بالزهد في الدنيا وبلغ في ذلك شأوا لا يدرك . فما كان يتقوت الا من عمله في حرفتين هما كتابة المصاحف - وهي مع كونها حرفة عبادة - وعمل الخوص - وكان يكتب المصحف في أربعة أشهر ، وكان مجموع ما يتكسبه من حرفته لا يعدو درهمين . فقد روى أبو نعيم عن محمد بن عمر بن كريب قال (ما كان مالك بن دينار من الدنيا الا درهمان : درهم لورقه ، ودرهم ليشتري به خوصا يعمل به) .

ويبلغ التقلل والزهد مداه عند سيدي مالك حتى ليروى صاحب الحلية أيضا عن أبي بلج قال : (كان آدم مالك بن دينار كل سنة ملحا بفلسين) !! واما عن متاع بيته : فيقول سيدي عبد الوهاب الشعراني رضى الله عنه (وكان بيته خاليا ليس فيه غير مصحف وابريق وحصير ، ويقول : هلك أصحاب الاثقال) !! ولم يكن هذا التبرى من متاع الدنيا الا اجابة لدعائه ، فقد كان يتضرع الى ربه قائلا (اللهم لا تدخل بيت مالك بن دينار من الدنيا شيئا) !! ولنا هنا وقفة وتساؤل ما الذي حدا بسيدي مالك بن دينار الى هذا الزهد والتقلل من الدنيا الى هذا الحد ؟؟ ونجد عنده الجواب ينطق بالحكمة والصواب . فهو الذي يقول : (من غلب شهوة الحياة الدنيا فذلك الذي يفرق الشيطان من ظله) !! وهو الذي كان يقول : (ان في بعض الكتب ان الله تعالى يقول : ان أهون ما أنا صانع بالعالم اذا أحب الدنيا أن أخرج حلوة ذكري من قلبه) وكثيرا ما كان يحذر منها قائلا : (اتقوا السحارة - يعني الدنيا - فانها تسحر قلوب العلماء) وصدق الله عز وجل ان يقول (قل متاع الدنيا قليل والاخرة خير لمن اتقى ..) . ولقد كان امر الاخرة محرابه ويقول : (يا رب قد عرفت ساكن الجنة وساكن النار ففي أي الدارين مالك ؟؟ ثم يبكى !!) . لقد كان نداء العبودية لله يدوي في أعماق سيدي مالك بكل حرازة ووجد ، حتى لقد قال فيما رواه الامام الشعراني رضى الله عنه [لولا اخشي أن تكون بدعة لامرت أني اذا مت أن أغل فادفع الى ربي مغلولاً كما يدفع العبد الايق الى مولاه] !! وكانت عباداته في جوف الليل سرا بينه وبين مولاه يناجيه بقلبه ومشاعره ويسر اليه بحديثه ونجواه . روى أبو نعيم عن المغيرة بن حبيب - ختن سيدي مالك - يقول : (يموت مالك بن دينار وأنا معه في الدار لا أدري ما عمله - قال - فصليت معه العشاء الاخرة ثم جئت فلبست قطيفة في أطول ما يكون الليل - قال - وجاء مالك فقرب رغبته فاكل ثم قام الى آخر الصلاة فاستفتح ثم أخذ بلحيته فجعل يقول : اذا جمعت

فاشرفوا على ، قرأيت أطفالا كالآقمار ، وقربت التين مني فحرت في أمرى . فصاح بعض الاطفال : ويحكم ، أشرفوا كلكم فقد قرب منه عدوه . فاشرفوا فوجا بعد فوج فاذا أنا بابتى التي ماتت . فنظرت الى وبكت وقالت : أبى والله . ثم وثبت في كفة من نور كرمية السهم حتى صارت عندي ، ومدت يدها الشمال الى يدي اليمين فتعلقت بها ، ومدت يدها اليمين الى التين فولى هاربا ، ثم اجلسني وقعدت في حجرى ، وضربت يدها اليمين الى لحيتي وقالت : يا أبت ، (ألم يان للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله) ؟؟ فبكيت وقلت : وانتم تعرفون القرآن ؟ قالت : نحن أعرف به منكم . قلت فأخبريني عن التين الذي اراد ان يهلكني ؟ قالت : ذاك عملك السيء قويته فأراد اغراقك في نار الجحيم . قلت فالشيخ ؟ قالت : عملك الصالح اضعفته حتى لم يكن له طاقة بعملك السيء . فقلت يا بنية : ما تفعلون في هذا الجبل ؟ قالت : اطفال المسلمين أسكنوا فيه الى قيام الساعة ننتظركم تقدمون علينا فنشفع لكم !! قال مالك رحمه الله :

فانتبهت فزعا مرعوبا فكسرت آيات المخالفة ، وعقدت مع الله عز وجل توبة نصوحا فتاب علي سبحانه) -

وكانت البداية النورانية ، وبدا التحول الروحي يأخذ مجراه على اثر هذا النداء الالهى الذي سيقت من أجله تلك الواقعة : (ألم يان للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله)

ان الولاية لله عز وجل لابد وأن ترتكز على دعامتين راسختين هما : الايمان بالله ، وتقوى الله . ومقياس هذه التقوى هو خشوع القلب لذكر الله . ولقد كان قلب سيدي مالك عامرا بالايمان ومهيا لاشراق نور التقوى . ولكن اتصال الشعاع كان في حين معلوم ، وما كانت هذه الرؤيا التي رآها سيدي مالك الا ايدانا بالولاية لله والفرار الى الله وتخليه القلب لله تخليه يتبعها سجود القلب لله حيث قمة مراتب الولاية . وذاق سيدي مالك منذ ذلك الحين حلوة العبودية لله وتآلم على ما مضى من العمر سدى ولكن العناية ادخرت له فوق مطمح الامل فجاءه الفتح الالهى وصعد الى علياء منازل الابرار والمقربين .

واذا ما تساءلنا عن الجانب السلوكى عند العارف ابن دينار لوقفنا على قمة قلما نجد نظيرا لها في الامة . فلقد رفع لواء الجهاد الاكبر - جهاد النفس - وشهر سيف المجاهدة على نفسه في طاعة الله فسمعه أحد أصحابه وهو يقول : (يقولون الجهاد ! أنا من نفسي في جهاد) !! وسمعه آخر يقول : (قال رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : أرايتم أنفسا ان أنا أكرمها ونعمتها وفتقتها نمتنى غدا قدام الله ، وان أنا اتعبتها وأرهقتها وأنصبتها مدحتنى غدا قدام الله - يعني نفسه -) !!

أسقيتني كأسا فاستسقىني
فمنك سكرى لا من الكأس

قطعتني عن كل مستوحش

أفديك بالعين وبالرأس

وثمة واقعة أخرى لسيدى مالك مع أحد المحبين
الالهيين يرويها عنه الامام المناوى رضى الله عنه
قائلا :

وقال : حبس المطر فاستسقىنا مرارا فلم تسق .
فانصرف الناس وبقيت بالمصلى . فلما اظلم الليل اذا
انا بأسود دقيق الساقين عظيم البطن . فصلى ، ثم
رفع طرفه الى السماء فقال : سيدى : الى كم ترد
عبادك فيما لا ينقصك ؟ أنفذ ما عندك ؟ !! أقسمت
عليك بحبك لى الاسقيتنا الساعة ، فما تم كلامه حتى
أمطرت كافواه القرب ، فخرجنا نخوض ، فتمحضت له
فقلت : اما تستحى تقول بحبك لى ؟ وما يدريك انه
يحبك ؟ قال : يا من اشتغل عنه بنفسه : أين كنت أنا
حين خصنى بتوحيده ومعرفته ؟ أتراه بدأنى بذلك الا
لمحبتة لى ؟ ثم بادر يسعنى فقلت أرفق . فقال : أنا
مملوك على طاعة مالكى الصغير ، فسألت عن مالكة ،
فقلت : بعني فقال : هذا غلام مشؤوم لا هبة له الا
البكاء ، قلت : ولذا أريده . فاشتريته فقال : لماذا
اشتريتنى ؟ فقلت : لخدمك . فدخل مسجدا فصلى ،
وقال : هذا سر كان بينى وبينك ، أظهرته لمخلوق ،
أقسمت عليك الا قبضتنى ، فإذا هو ميت !!

لقد كانت تلك الوقائع تعمق فى قلب سيدى مالك
مشاعر التعلق بالله وتفرغ فيه من دنان المحبة كنوسا
متملات ، وظل ينهل من تلك الدنان الممتعة حتى ارتوى
وغمر شعاعها قلبه وانزاحت الاستار وتكشفت له
الحقائق العلوية التى لا تنجلي الا للصوفة ، وصار
ينعم فى الحياة بأحلى ما فى الحياة وهو معرفة الله
تعالى . استمع اليه وهو يقول : (خرج أهل الدنيا من
الدنيا ولم يذوقوا أطيب شيء فيها ، قالوا وما هو يا أبا
يحيى ؟ قال معرفة الله تعالى) انه لم يحكم الا عن
ذوق ولم يخبر الا عن عيان ! ولقد روى عنه سيدى أبو
طالب المكي فى (علم القلوب) أنه قال : (ان فى
الدنيا جنة من وجدها لم يشفق معها شيئا ، قيل وما
هى ؟ قال : معرفة الله . وأنشد فى ذلك : -

ان عرفان ذى الجلال لعن

وضياء وبهجة وسرور

وعلى العارفين أيضا بهاء

وعليهم من الجلال نور

فهنيئاً لمن عرفك الهى

هو والله دهره مسرور

انها المعرفة بالله التى لا ينالها الا من والا
واصطفاه وآتسه واجتباها ، ولقد كان سيدى مالك ممن
ذاق حلاوة الانس بالله ، فاستوحش من المخلوقين لانه
مع الخالق دائماً فهو يقول : (من لم يانس بمحادثة
الله عن محادثة المخلوق فقد قل علمه وعمى قلبه
وضيع عمره) !

الاولين والآخرين فحرم شبيهة مالك بن دينار على
النار ، فوالله ما زال كذلك حتى غلبتني عيني ثم
انتبهت ، فإذا هو على تلك الحال يقدم رجلا ويؤخر
رجلا ويقول : يا رب ، اذا جمعت الاولين والآخرين
فحرم شبيهة مالك بن دينار على النار . فما زال كذلك
حتى طلع الفجر) !!

انه فى مقام الخوف يناجى ربه من شدة خشيته
مشفقاً على نفسه . ولقد سمعه بعض أصحابه يوماً
وهو يقول : (لو استطعت أن لا أنام لم أنم ، مخافة أن
ينزل العذاب وأنا نائم . ولو وجدت أعواناً لفرقتهم
يفادون فى سائر الدنيا كلها يا أيها الناس : النار ..

النار .. | !! وما ان يعطى مقام الخوف حقه حتى
يعود الى شاطئ الرجاء . حتى لقد روى فى النوم
بعد وفاته فقيل له : ماذا قدمت به على الله ؟ قال :
قدمت بذنوب كثيرة محاسنها حسن الظن بالله تعالى)
وحسن الظن بالله تعالى هو قمة الرجاء . وفى كل من
مقامى الخوف والرجاء كان سيدى مالك لا يفتر عن
ذكر الله . كان يقاتل منه ، وكان يطرب لسماع
القرآن الكريم ويتولى لأصحابه : | ان الصديقين اذا
قرئ عليهم القرآن طربت قلوبهم الى الآخرة - ثم
يقول - خذوا فيقروا ، ويقول : اسمعوا الى قول
الصديق من فوق عرشه) !! ولقد كان الذكر عنده

مقياساً لمحبة الله عز وجل . فهو يقول : (علامة محبة
الله مداومة ذكره ، لأن من أحب شيئاً أكثر من ذكره)
ان حب الله قد ملك عليه فؤاده وغمر حواسه

ومشاعره ، ولقد كان له مع المحبين - فى بدء أمره -
وقائع ينتشئ القلب من ذكرها : فمن تلك الوقائع ما
ذكره الامام أبو طالب المكي قائلاً : (وحكى عن مالك
ابن دينار - وهو مما يليق بهذا الفصل - قال . خرجت
من البصرة أريد الحج الى بيت الله الحرام . فلما
بلغت مكة استحلجت الطواف ذات ليلة . فبينما أنا
أطوف بالكعبة وأنا متلذذ بحلاوة الخلوة ، فلما دنا
قرب الفجر رأيت جارية تطوف أمامى وهى تقول :
سيدى ومولائى : بسكرى البارحة وخمارى الساعة الا

غفرت لى ! فقلت : يا جارية . ما هذا الكلام فى مثل
هذا المقام ؟ فقالت : يا مالك ما قلت الا ما يليق
بحالى ، وهذه كلمة تصلح لى ولا تصلح لك . فقلت
واعجاباً : كانت المسألة واحدة فصارت اثنتين ،
أخبرينى كيف عرفت أنى مالك بن دينار ؟ وكيف
صلحت الكلمة لك ولم تصلح لى ، فقالت : اما معرفتى
بك فان روحى وروحك التقيا تحت عرش الجبار .
فشم روحى وروحك فعرفتك حين رايتك . واما قولى ان
هذه كلمة تصلح لى ولا تصلح لك فذاك لاني أحب الله
وأنت تريد الله ، فما أبعد ما بينهما . فلما ما يعجبك
من قولى ، فوالله ما قلت كذبا . شربت بكأس المحبة
مسرورة . فأصبحت فى ميدان الشوق مخمورة ، ثم
ولت وهى تقول :

منى الحق فى كل زمان بالسقهاء كما منى الاولياء بمنى ينكرون عليهم ويناصبون التصوف - وهو قصة الروحية الاسلامية - العداء ولكن وليهم الله ورسوله فلا يبالون بعنت المحجوبين *

وهذا مثل من صميم الواقع يصور لنا الى اى مدى جعل الله الاولياء سفناً للنجاة - يروى العارف المناوى أن سيدى مالكا دخل لص داره فما وجد شيئاً يسرقه ، فجاء ليخرج ومالك ينظره * فقال : سلام عليك ، أعلم ان شيئاً من الدنيا ما حصل لك فترغب فى شيء من الآخرة ؟ قال نعم * قال توضع وصل * ففعل الى الصبح فخرج به مالك الى المسجد * فقال أصحابه : من هذا ؟ قال : هذا جساء يسرق فسرقناه !! ومن الوقائع الطريفة أن سيدى مالكا سرق له مصحف * فوعظ أصحابه ، فجعلوا بكون ، فقال : كلنا نيكى فمن سرق المصحف ؟ ! وكان من دعائه رضى الله عنه (أنت أصلحت الصالحين ، فاجعلنا صالحين حتى نكون صالحين) * وكان يبشر أصحابه ومن على شاكلتهم من الاخيار قائلا : (عرس المتقين يوم القيامة) ! ومن مناقبه وكراماته رضى الله عنه ما رواه ابن خلكان عن أبى القاسم بن بشكوال حيث قال فى كتابه (المستغيثين بالله تعالى) : -

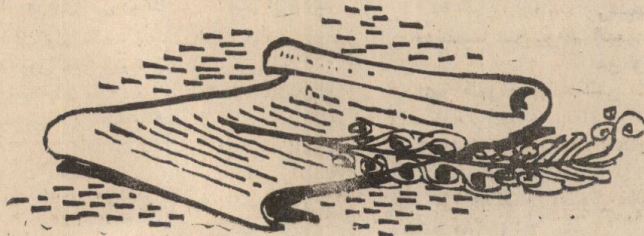
(بينا مالكا بن دينار يوما جالس اذ جاءه رجل فقال يا أبا يحيى : ادع الله لامرأة حبلى منذ أربع سنين قد أصبحت فى كرب شديد ، فغضب مالكا وأطبق المصحف ثم قال : ما يرى هؤلاء القوم الا أننا أنبياء !! ثم قرأ ثم دعا فقال : (اللهم هذه المرأة ان كان فى بطنها جارية فابدلها بها غلاما فانك تحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب) ثم رفع مالكا يده ورفع الناس أيديهم * وجاء الرسول الى الرجل وقال ادرك امرأتك فذهب الرجل فما حظ مالكا يده حتى طلع الرجل من باب المسجد وعلى رقبته غلام جعد قتل ابن أربع سنين قد استوت أسنانه ما قطع سراه !! رضى الله عنك يا سيدى مالكا وعنايك وحشرنا معكم وجعلنا من السائرين على دربكم المتقين أثركم الشريف بجاء سيد الخلق سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وسلام عليكم فى العالمين وتحية منا اليكم الى يوم الدين *

وبوسعنا أن نتعرف - بعض التعرف - على عظام العارف سيدى مالكا من خلال ما رواه الامام أبو نعيم فى الحلية بسنده عن سيدى مالكا قال : - (أتينا أنس ابن مالكا - صفو كل قبيلة - أنا وثابت البناني ويزيد الرقاشى وزيد النمرى وأشباهنا ، فنظر اليينا فقال : - ما أشبهكم بأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ! ثم قال : رؤوسكم ولحاكم * ثم قال : - والله لا نتم أحب الى من عدة ولدى الا أن يكونوا فى الفضل مثلكم ، وأنى لادعو لكم بالاسحار) هنيئا لك يا سيدى مالكا حظيت بصحبة سيدنا أنس بن مالك صحابى سيدنا رسول الله صلوات الله وسلامه عليه * وحظيت بحبه كولده وبدعائه لك فى الاسحار ومن قبل ذلك بشهادته لك بشبهك لصحابته صلى الله عليه وسلم اللهم انا لم نحظ بشرف صحبة هؤلاء الاخيار فالحقنا بهم بحبنا لهم واجعلنا من السائرين على دربهم بحق حبك لهم فانك أكرم الاكرمين *

ونعود الى استكشاف بعض ملامح العظمة فى شخصية الامام ابن دينار فنقف على داعية من دعاة النور والفضيلة وعلى قدوة تضافرت لها مقومات التصدر للهداية والقيادة الروحية * لقد كان سمته

وحده خير ناصح ومرشد وحاله يدل على أكثر من مقالته ومقاله أروع تجسيد للحكمة الهادية * كان رضوان الله عليه يقول : (انكم فى زمان أشهب ، لا يبصر زمانكم الا البصير ، انكم فى زمان كثير تفاخرهم ، قد انتفخت ألسنتهم فى أفواههم وطلبوا الدنيا يعمل الآخرة ، فاحذروهم على أنفسكم لا يوقعونكم فى شباكمهم) ومن حكمه المضيئة : (ان البدن اذا سقم لم ينجع فيه طعام ولا شراب ولا نوم ولا راحة ، وكذلك القلب اذا علقه حب الدنيا لم تنجع فيه (لوعة) * وكان يقول (كان الأبرار يتواصون بثلاث : بسجن اللسان ، وكثرة الاستغفار والعزلة) *

ولان الحكمة ثمينة لا يعرفها الا أهلها فقد نعى سيدى مالكا على المعرضين عن الحق وصور حالهم قائلا : (يا هؤلاء : ان الكلب اذا طرح عليه الذهب والفضة لم يعرفها واذا طرح اليه العظم أكب عليه ، كذلك سفهاؤكم لا يعرفون الحق) وحقا ما قال فلقد



الكتدى

وفلسفته

صفحات
من التاريخ

مقدمة :

فى حديثنا عن الفلسفة الاسلامية ذكرنا ان العرب قبل الاسلام لم يكونوا فى سذاجة الجماعات الانسانية الاولى من الناحية الفكرية ، وذكرنا انهم كانوا يتشبثون بأنواع من النظر العقلى يشبه أن يكون من أبحاث الفلسفة العملية ، الى جانب ما كان عندهم من تفكير عملى دعت اليه حاجة الجماعات البشرية فى ذلك الوقت .. فعلى الرغم من اهتمامهم البالغ باللغة ، والشعر ، والخطابة ، وعلم السير ، « كان للعرب مع هذا معرفة بأوقات مطالع النجوم ومغاييها ، وعلم بأنواع الكواكب وأمطارها على حسب ما أدركوه بفرط العناية وطول التجربة لاحتياجهم الى معرفة ذلك فى اسباب المعيشة ، لا على طريق تعلم الحقائق ، ولا على سبيل التدرب فى العلوم » [١] .

الأستاذ
عبدالمعظم حمادة

والحساب والجنة والنار .. ولكن هذه الآراء والمعتقدات المبنية على الفطرة أو المستمدة من التجارب اليومية لا تدل على تفلسف حقيقى » [٢] .

وكان عند العرب طائفة مميزة يطلقون عليهم حكماء « جمع حكيم » ، كما يطلقون عليهم حكما « جمع حاكم » ، « وهم علماءهم الذين كانوا يحكمون بينهم اذا تنافروا فى الفضل والحسب وغير ذلك من الأمور التى كانت تقع بينهم » [٣] ، وفى ذلك يقول الالوسى فى بلوغ الأرب : « حكم العرب فى الجاهلية — الحاكم منفذ الحكم ، والحكم «حركة» ، جمعه حكام ، وحكماء العرب علماءهم الذين كانوا يحكمون بينهم اذا تشاجروا فى

« على أننا اذا أمعنا النظر فى تاريخ الفكر العربى قبل الاسلام تبين لنا ان لهذا الفكر مظاهر مختلفة من النشاط ، وسبب ذلك أن عرب الجاهلية كانوا على اتصال وثيق بمختلف حضارات العالم ، وأن الجزيرة العربية كانت قبل الاسلام مسرحا لكثير من التيارات الفكرية والعقائد الدينية ، وأنه كان لاهل الجزيرة معارف فلكية وطبيعية ، وأساطير شعبية ، وأمثال وأشعار تدل على ميلهم الى تعليل الأشياء بالاسباب المادية تارة والاسباب الروحية أخرى .. وإذا كان بعض عرب الجاهلية ، وهم أهل فطرة سليمة ، يؤمنون بالله واحد ، فان بعضهم الآخر كانوا طبيعيين أو جبريين ينكرون بقاء النفس بعد الموت ، ويجحدون الآخرة ، وينكرون القيامة

[٣] تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية :
لفضيلة الاساتذ الأكبر الشيخ مصطفى
عبد الرازق ، ١٠٥ .

[٢] تاريخ الفلسفة العربية : للدكتور
جهيل صليبا ، طبعة دار الكتاب اللبناني
ببيروت ، صفحة ١٤ .

[١] طبقات الامم : لمساعد بن احمد
النفوى سنة ٤٦٢ هـ ، طبعة بيروت ،
صفحة ٤٥ .

الفصل ٢٠ **وعلى الحسب والنسب** ؟ وغير ذلك من الأمور التي كانت تقع بينهم ؟ وكان لكل قبيلة من قبائلهم حكم يتحاكمون إليه ؟ وهم كثيرون لا يسعهم الحصر . [١٧]

وسمى العرب أطباءهم حكماء نظرا لما كانوا يتمتعون به من العلم والتجربة ؟ ونفوذ الكلمة .. وقد جاء في دائرة المعارف الإسلامية تحت لفظ حكيم :

« والحكيم لا يختلف عن لفظ الحكمة اختلافا كبيرا . »

« فالحكيم هو العاقل الخبير الماهر ، وهو المعنى العبرى ، وقيل ذلك الإيماء للفظ ، ومن هذا المعنى الأصلي جاء الاستعمال عند العرب حكيم بمعنى قاض ووال ، ولفظ حكيم بمعنى طبيب » .

نخرج من هذا إلى أن العرب لم يكونوا حكماء بمعنى فلاسفة كما كان عليه فلاسفة الشرق القديم مثل زرادشت ، وبوذا ، وكونفوشيوس .. وفلاسفة اليونان مثل سقراط ، وأفلاطون ، وأرسطو ، وفلاسفة العصور الوسطى مثل الفارابي وابن سينا ، وابن رشد .. أو مثل ما عليه فلاسفة العصر الحديث مثل ديكارت ، وسبينوزا ، وكانت ، وهيجل وغيرهم .. وكان لفظ الحكمة والحكم عند العرب يدل على معان أخرى غير ما عرف في الشرق القديم ، وفي اليونان ، ثم ما عرف بعد ذلك فيما جاء من عصور ، وفي ذلك يقول الأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق : « ويؤخذ من ذلك أن ما وسم به العرب علماء هم من صفات الحكمة والحكم كانت تعبر عن معان متقاربة من العلم والفقه بما يفيد صلاحها للناس في أبدانهم ، ويحقق معنى العدل والنظام بينهم ويمنع الخصام » [٢] .

وذكر الجاحظ في كتاب « البيان والتبيين » أسماء كثير من حكماء العرب الذين كانت صفاتهم على القدر ، والرئاسة ، والبيان ، والخطابة ، والحكمة ، والدهاء ، مثل لقمان بن عاد ، ولقيم بن لقمان ، وسليط بن كعب بن يربوع [٣] . ومن هؤلاء الحكماء أيضا الحارث بن كلدة الثقفي الذي طاف بالبلاد وتعلم الطب والعود بفارس ، واكتم بن صيفي

ابن رباح الذي كان حكما من حكام تميم وعرفت بالفصاحة والعلم بالانساب ، وعبد المطلب بن هاشم جد النبي - صلوات الله وسلامه عليه - وكان من حكام قريش .. ولم يقتصر الرأي السديد ، والحكم الصواب ، والعلم ، على الرجل وحده ، وإنما ساهمت المرأة بنصيب في هذه النواحي كلها ، فكان منهن من اشتهرت بأصالة الرأي والقدرة على الفصل في الخصومات مثل خبيصة بنت عامر بن الظرب العدواني ، وكان منهن الطبيبات مثل زينب طيبة بنى أود .. وذكر الألوسي أنه كانت في نساء العرب جملة اشتهرن بأصالة الحكم وفصل الخصومات ، وحسن الرأي في الحكومة ، منهن هند بنت الخسي الأيادية ، وجمعة بنت حباب الأيادي ، وصحر بنت لقمان أو أخته ، وخددام بنت الريان ، وهي القائلة : لو ترك القطا ليلا **لنام** » [٤] .

من هذا العرض السريع نستطيع أن ندرك أن العرب حين جاء الإسلام يقر أن الدين عند الله واحد ، وأنه رسالة الله إلى جميع أنبيائه .. وحين تنزل القرآن يدعو إلى العلم ، والمعرفة ، والنظر ، والبحث ، كان العرب على استعداد لتفهم هذه الرسالة ، وإن كان قد عز على كثير منهم في أول الأمر ، أن يتركوا دين آبائهم وأجدادهم ، وأن يخالفوا ما افوه من عادات وتقاليد جيل بعد جيل ، إلى دين محدث جديد في نظرهم ، وإلى عادات وتقاليد تلزمهم بأعمال وآداب وأخلاقيات معينة لم يكن لهم بها عهد من قبل .. لقد كان الدين أصولا لا يتبدل بالنسخ ، ولا يختلف فيها الرسل ، وشرائع عملية متفاوتة بين الأنبياء ، وقد روى الطبري عن قتادة في تفسير قوله تعالى : « **لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا** » .. سبيلا وسنة ، والسنن مختلفة : للتوراة شريعة ، وللإنجيل شريعة ، وللقرآن شريعة ، يحل الله فيها ما يشاء ويحرم ما يشاء بلا يعلم من يطيعه من يعصيه ، ولكن الدين الواحد الذي لا يقبل غيره ، التوحيد والاخلاص لله ، الذي جاءت به الرسل .. وروى الطبري أيضا : الدين واحد والشريعة مختلفة .. ويقول الشيخ مصطفى عبد الرازق :

« **والإسلام يجمع بين الدين والشريعة ، أما الدين فقد استوفاه الله كله في كتابه الكريم ولم يكل الناس إلى عقولهم في شيء منه ، أما الشريعة فقد**

[١] بلوغ الأرب في أحوال العرب :

لحمد شكرى الألوسي ، الجزء الأول ، صفحة ٣٢٨ ، ويقول الألوسي أن العرب في الجاهلية إذا تنازع الرجال منهم في الشرف تنازعوا إلى حكمائهم .. وكتب

مناقرة لأنهم كانوا يقولون عند المناقرة : أنا أغز نفرا .

والمصدر السابق : صفحة ١٠٧ .
[٢] تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية : لفضية الأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق ، ص ١٠٧ .

[٣] سمي بذلك لسلطته لسانه ، وقال فيه جرير أن سليطا كاسمه سليط .

[٤] تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية : لفضية الأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق ، صفحة ١١١ .

استوفى أصولها ثم ترك للنظر الاجتهادي
تفصيلها « [١] » .

هذا النظر الاجتهادي هو المدخل الذي ولج منه العرب الى الفلسفة .. لقد بدأ المسلمون بالجدل في المبادئ رغبة شديدة ، ووجل كبير ، وخوف من أن تتزلزل أسسهم فيما يغضب الله عز وجل ، وذلك لان القرآن قد نغرمهم من هذا الجدل ، ودعاهم ، فيما اذا جادلوا ، أن يأخذوا في هذا الجدل برفق في مثل قوله سبحانه : « ادع الى

سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن ، ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين » [٢] .. ومثل قوله عز من تأمل : « فان حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن انبى ، وقل للذين أتوا الكتاب والاميين أسلمتم ، فان أسلموا فقد اهتدوا ، وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد » (٣) . وتطرق المسلمون من الجدل الذي يلين تارة ويشدت تارة أخرى ، الى النظر في ملكوت السموات والارض ، وإلى طلب العلم والمعرفة اللذين يوصلان الى الراي السديد ، والحكم الصائب ، والتفقه في أمور الدين والدنيا ، أي الى الحكمة التي أشار اليها القرآن ، وهي الحكمة بمعناها اللدني ، أي العلم النافع ، والفقه في شئون الحياة ..

وهكذا كان ظهور الاسلام بشيرا بنهضة شاملة في كل فروع الحياة من ثقافية ، واجتماعية ، وسياسية ، واقتصادية .. كان الاسلام نورا أضاء المكون فأخرجه من ظلمات الجهل ، وكان حرباً على الطغاة المستبدين فانطلقت الاسنة من عقالها وانتشرت الافكار بعد احتياجها ، وكان فرحة الضعفاء والمحرومين فاسعد النفوس وملأ القلوب بالفرح .. وكان أملاً للمقيدة حرياتهم والمفلولين على أمرهم فسراحوا يتمتعون بالحياة وينعمون .. كان الاسلام فتحاً لمبادئ الفكر المتعددة ، والمذاهب الكثيرة المتباينة ، وكان أساساً لكثير من النظريات على أساس من العقل والمنطق والتجربة ..

• • •

القرآن والفلسفة

ولقد لجأ المسلمون الى الجدل الهادي الذي لا ينفر منه الدين ، وانما يقره ويدعو اليه ، وبدأوا في

البحث والنظر ، والقرآن والتحليل الذي يدعو اليه القرآن المجيد .. ثم تشعبت بهم المسالك ، وإذا بهم يأخذون بأنواع مختلفة من العلوم والفنون ، ويضربون فيها بسهم وافر ، ويصلون الى أعماقها ، ويستخرجون كنوزها .. فلما كانت الفتوحات ، ودانت لهم شعوب مختلفة لكل منها علومها وفنونها ، وكان العصر العباسي الذي شجع خلفاؤه على الترجمة والنقل ، ترجحت كثير من الكتب في هذه العلوم والفنون ..

وليس من شك في « أن من يلقي نظرة فاحصة على القرآن الكريم ، ويتأمل في آياته الدافعة الى التدبر ، الموجهة الى التفكير .. ليس من شك في أن من يلقي هذه النظرة ، ويتأمل هذا العالم ، يتبين بوضوح وجلاء ، أن هذا الكتاب الكريم ، كان أول أسباب تغلغل الفلسفة في البيئات العربية عامة ، والاسلامية خاصة ، بل هو أول كتاب سماوى فرض على أتباعه تعلم الفلسفة فرضاً ، وأوجب عليهم التفكير في أسرار الكون وخفايا الوجود ، ووصف المتأملين في هذا بأنهم وحدهم أولو الابواب ، وزمى الذين لا يتدبرون بأنهم لا يعقلون .. وقد أراد بهذا الحض الحازم أن يصل المؤمنون بهذا التفكير الى معرفة المبدع الاول ، والاعتقاد بوحدانيته وكماله ، وإلى الايمان به عن طريق العقل لا عن طريق التقليد »

فلما كانت الفتوحات الاسلامية ، وخصوع كثير من الشعوب المختلفة ذات الثقافات المتباينة للمسلمين ، لكل منها علومها وفنونها ، كما قلنا من قبل - بدأت تتسع دائرة العلوم والمعارف أمام هؤلاء المسلمين ، وتراعت لهم ميادين جديدة تهيج انظارهم ، وتأخذ بقلوبهم .. ولقد ازداد انبهارهم بهذه العلوم والمعارف ، وازداد تعلق عقولهم بها على اثر الترجمة التي نشطت نشاطاً كبيراً أيام العباسيين الذين ما أن استقر الملك لاحدهم وهو أبو جعفر المنصور ، حتى أخذ بمشورة وزرائه في تشجيع المترجمين على الترجمة من الهندية ، والفارسية ، والاعريقية .. ولم يكن المترجمون مجرد نقله حملوا تراث الأمم القديمة الى عصرهم ، وإلى لغتهم دون تدبر فيه ، ولكنهم أمعنوا النظر في هذا التراث ، وقلبوا فيه الراي ، وكان لهم من هذا وذاك آراء خاصة ، وافكار مستقلة ، واستنباطات حرة ، ولم تكد الآراء والافكار الاجنبية تذاع بين المسلمين حتى ظهرت آثارها الفعالة في جميع نواحي حياتهم

[٢] سورة النحل : الآية ١٢٥ .
[٣] الفارابي وابن سينا : للدكتور محمد غلابي ، صفحة ١٥ و ١٦ .

[١] تهديد لتاريخ الفلسفة الاسلامية :
للاستاذ مصطفى عبد الرازق ، ص ١١٢ .
وما بعدها .

تتلذذ على أيديهم ؟ والعوامل التي أثرت فيه ووجهته الوجهة التي اتجه إليها وجعلت منه أول فلاسفة الإسلام ، وأول من مهد السبيل لمن جاء بعده من رواد الفكر عند المسلمين .

والى جانب عدم وجود المراجع الكافية ، فهناك ناحية ثانية جعلت من الصعب على الكاتب أن يتوسع في الكتابة عن حياة الكندي الأولى ، تلك هي أنه لم يكتب شيئاً عن تلك الفترة ، فهو من هذه الناحية يختلف عن ابن سينا الذي أملى على تلميذه الجوزجاني جزءاً من حياته ، أكمله ذلك التلميذ — فيما بعد — من واقع مصاحبته لاستاذة ، وملازمته له ، ووقوفه على كثير من أحواله وتصرفاته . . وهو يختلف كذلك عن ابن خلدون الذي أفاض في هذا التاريخ حتى أنه لم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا بينها وجلاها في الحديث عنها حديث المعجب الفاخر بذلك التاريخ .

لهذين السببين كان من الصعب الحديث عن تلك الفترة الأولى من حياة الكندي بالصورة التي تعطى تفصيلاً وافياً ، وفكرة واضحة لتلك الفترة، وسنحاول أن نستخلص من جميع المراجع التي وقعت تحت أيدينا ، ومن استعراض مراحل حياته العامة جملة ، صورة تقريبية إذ « لا يمكن تصور الكندي تصويراً معنوياً أو خلقياً ينطبق على الحقيقة انطباقاً تاماً ، لأنه — كما قلنا — لم يترك كتاباً ولا رسالة في ترجمة حاله ، ولأن المؤرخين لم يذكره عنه إلا أموراً مبتذلة ، ولكن بعض مؤلفاته ، وبعض أقواله ، وحال العصر الذي عاش فيه ، قد تساعد ، في مجموعها ، الباحث المدقق في الوصول إلى الوقوف على ما يقرب من الحقيقة من شأنه » [٢] .

والكندي ، بعد هذا ينتسب إلى أسرة عريقة في كل شيء . . عريقة في الأصل ، فنسبه يمتد إلى سلسلة طويلة من الأجداد كان لكل واحد منهم مكانته وشأنه ، وله زعامته المهيبة .

عريقة في عروبتها فهو من قبيلة الكندة اليمنية التي وقف أحد رجالها يتحدث عن مآثر قومه وفعالهم في الجاهلية ويقول في مواجهة كسرى :

« قد علمت العرب أنا نقاتل عديدها الأكثر ، وقديم زحفها الأكبر ، وأنا غياث اللزبات . . »

« فلما قيل له : لم يا أبا العرب — أو لماذا يا

المقلية ؟ فيها استناروا ؟ وعلى أسرارها وقفوا ؟ وبما فيها من خير تهذبوا وتادبوا ، ولكن بعد أن مزجوها بتعاليم دينهم مزجاً جعلها صالحة للحياة والخلود ، فوق أنه جعلها خاصة بهم كأنها بعض ابتداعهم . . ولم يختص هذا الأثر الفلسفي طائفة خاصة من المسلمين دون طائفة ، أو يتناول شعبة ويتخطى أخرى ، ولكنه شمل جميع الطوائف على اختلاف مناحيها ، وتباين نزعاتها ، فكما برزت في مؤلفات الكندي ، والفارابي ، وابن سينا ، وابن مسكويه ، وابن رشد وغيرهم من أعلام الفلاسفة ، ظهر كذلك واضحاً في رسائل أخوان الصفا التي جمعت بين دفتيها أسمى أنواع الثقافة في جميع المعارف الإنسانية الموجودة في ذلك من منطقيات ، وطبيعيات ، ورياضيات ، وما وراء الطبيعيات ، وأخلاقيات ، وأجملت في كل هذا أجلاً لا يسع العالم الباحث في العصر الحديث إلا أن يقف أمامه موقف التجارة والأكابر . » [١]

وهكذا قامت الفلسفة الإسلامية ، وقام الفلاسفة المسلمون بآراء وأفكار جديدة هي نتيجة لما دعاهم إليه كتابهم الكريم ، وما وقفوا عليه من علوم ومعارف الأمم الأخرى ، بل ونتيجة لما زاده من هذه العلوم والمعارف التي دعمتهم إليها الآيات الكثيرة التي جاء بها القرآن وتدعو إلى التأمل والتفكير في الوجود وما بعد الوجود ، وفي الكون وما وراء الكون ، وفي الفسيات والمموسات ، في الطبيعة وما وراء الطبيعة . . وكانوا أن انتهوا من هذا كله إلى تلك الآراء والأفكار الجديدة التي اعتبرت فتحة جديداً للبشرية ، ولقد كان الكندي أول من أسهم في هذا الفتح الجديد .

• • •

أصل الكندي ونشأته :

من الصعب على أي كاتب أو مؤرخ أن يتحدث عن الفترة الأولى لحياة الكندي ، ويرجع ذلك إلى عدم وجود المؤلفات الكافية التي يمكن أن تعطى هذا الكاتب أو المؤرخ البيانات اللازمة التي يستلهم منها مادة كتابته . . ويخيل إلى أن الكتاب والمؤرخين السابقين لم يعتنوا بهذه الفترة الأولى وحياته خلالها ، فقد شغلته عنها فلسفته وتصانيفه ، فلم يهتم هؤلاء وهؤلاء — على ما يخيل إلى — بطولته وكيف قضاه ، ولا بشبابه وكيف استغله . . لم يوجه هؤلاء وهؤلاء نظرهم إلى طريقة حياته في طفولته وشبابه ، ووسائل تعليمه ، والمعلمين الذين

[٢] التفكير الفلسفي في الإسلام :
للدكتور عبد الحليم محمود ، صفحة ٢٩١

[١] تاريخ فلاسفة الإسلام : للاستاذ
محمد لطفي جيمه ، صفحة ٩ .

كندة في قول آخر - قال : لانا ورثنا ملك كندة فاستظللنا بأفيائه ، وتقادنا منكبه الاعظم ، وتوسطنا بحبوحه الاكرم « (١) »

واسرة الكندي عريقة في اسلامها وجهادها في سبيل الله .. يقول صاحب تاريخ بغداد عن الاشعث أحد اجداد الكندي :

« قدم على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في وفد كندة ..

ويعد فيمن نزل الكوفة من الصحابة ..

وله عن النبي - صلى الله عليه وسلم - رواية ..

وقد شهد ، مع سعد بن أبي وقاص ، قتال الفرس بالعراق ..

وكان على راية كندة يوم صفين مع علي بن أبي طالب ..

وحضر قتال الخوارج بالنهروان ..

ورود المدائن ، ثم عاد الى الكوفة فأقام بها حتى مات في الوقت الذي صالح فيه الحسن بن علي معاوية بن أبي سفيان ، وصلى عليه الحسن ..

« مات آخر سنة أربعين بعد قتل علي باربعين ليلة - فيها أخبر ولده ، وتوفي وهو ابن ثلاث وستين » [٢] .

وجاء في كتاب فيلسوف العرب والمعلم الثاني :! « قال كسرى للنعمان : هل في العرب قبيلة تشرف على قبيلة ؟ ..

« قال : نعم ..

« قال : بأي شيء ؟ ..

« قال : من كانت له ثلاثة آباء متواليه رؤساء » ثم اتصل بذلك بكمال الرابع والبيت من قبيلته فيه ..

« قال : فاطلب لي ذلك .. فلم يصبه الا في آل حذيفة بن بدر ، بيت قيس ابن جعلان .. وآل حاجب بن زرارة بيت تميم .. وآل ذي الجدين بيت

شيبان .. وآل الاشعث بن قيس بيت كندة » [٣] .

والكندي ، هو أبو سيف يعقوب بن اسحق بن الصباح بن عمران بن اسماعيل بن محمد بن الاشعث الكندي ، وتمتد سلسلة نسبه الى يعرب ابن قحطان ، فهو فرع الدوحة الكندية العربية الاصل ، والتي كان لها في الجزيرة شأن كبير تشرتب له الاعناق .

كان أبوه اسحق بن الصباح أميراً على الكوفة ، واستمر في هذه الإمارة مدة ثلاثة من الخلفاء العباسيين هم : المهدي ، والهادي ، والرشيد ، وإذا أدركنا أن خلافة المهدي امتدت زهاء عشر سنين ، وأن خلافة الهادي استغرقت سنة وما يقرب من شهرين ، وإذا علمنا أن خلافة الرشيد امتدت ثلاثاً وعشرين سنة وبضعة أشهر ، وأنه كان لكل واحد منهم أخلاقه ، وعاداته ، وطريقته في الحكم ، أدركنا أن ما كان يتصف به أبو الكندي من رجاحة العقل ، وسعة الحيلة ، وحسن التصرف ، وبعد النظر ، قد مكنته أن ينال رضاء هؤلاء الثلاثة ، ويبقى عاملاً على الكوفة لكل واحد منهم .

وأما أمه فتكاد تكون مجهولة لدى الكتاب ، فلم يكتبوا عنها كثيراً ولا قليلاً ، وإن كان من الأرجح أنها كانت تتمنى لأبنها أن يكون كآبيه ميلاً الى البحث والدرس ، محباً الى الكتاب والادباء والشعراء ، مقصود الدار من أصحاب الحاجات ، ممدود السماط ، وأن يكون مثل أجداده مكانة ومهابة وعلو منزلة .. ليس من شك في أنها كانت ترجو له ذلك ، وهي في سبيله قد وفرت له ما يحتاج اليه ، وما يشعر معه بأنه لم يفقد شيئاً من الجاه واحترام الناس بموت والده .. هيات له وسائل العلم ويسرته له اشباعاً للرغبة التي لمستها في نفسه ، والميل الذي أدركته بشعور الأم المحبة لولدها ، البانية عليه كبار الامال .

وكان من اجداد الكندي الاشعث بن قيس الذي وقف أمام كسرى يتغنى بمفاخر قبيلته ، والذي أسلم وصاحب النبي - صلوات الله وسلامه عليه - ولازمه وروى عنه ، والذي كان قبل ذلك ملكاً على كندة .. وكان من اجداده معدى كرب وكان ملكاً على حضرموت كآبيه .. ونظرة سريعة الى هؤلاء الاعلام من الاجداد ، تدلنا على أنهم تولوا الملك في

[٣] فيلسوف العرب والمعلم الثاني : لفصيلة الاستاذ الاكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق ، صفحة ٨

[٢] رواه الشيخ مصطفى عبد الرازق من الكلبى في كتابه فيلسوف العرب والمعلم الثاني ، ص ٨

[١] التفكير الفلسفي في الاسلام : للدكتور عبد الحليم محمود ، صفحة ٢٩١

الشخص واليعة والبحرين وتوقفنا هذه
النظرة كذلك على ان الكندي كان شريف الاصل ،
عريق الحسب والنسب وقد وقف شاعرهم يوما
يفأخرن بامجاد قومه ويقول :

اذا قست أبيات الرجال ببيننا

وجدت له فضلا على من يقاخر

فمن قال كلا أو آثانا بخطه

يفأخرنا يوما فنحن نخاطر

تعالوا فعدوا بعلم الناس اينما

له الفضل فيما أورثته الاكابر

كان الكندي عريق الحسب والنسب ، وكانت
قبيلته عالية الهمة ، مرموبة الجانب ، ذائعة
الصيت ، غير أن هذا كله لم يصرف الكندي الى
العيش والمجون ، فلم يستهوه ما كان ينعم فيه من
عز القصور ، وأبهة الملك ، وما كان يلقاه من رعاية
الاهل ، واحترام الاتباع ، وخضوع الرؤوسين ،
ولم تشغله أمور السياسة والمشاركة في مشاكل
الحكم والإدارة التي انغمست فيها قبيلته عن ميوله
الخاصة ، ورغباته الذاتية ، ومزاجه الشخصي ،
وانما تفرد الكندي للدرس الذي شغل نفسه به ،
والبحث الذي تفرغ له ، والعلم الذي طلبه من كل
مصدر يمكن أن يصل اليه .

وأعتقد أن البيئة التي نشأ فيها الكندي ، والجو
الذي أحاط به ، واتصال أبيه وأجداده برجال
الدولة ، وترعيمهم في قصور الإمارة ، وحضورهم
مجالس الأمراء ، واستماعه لما يدور في هذه
المجالس من جدل ونقاش ، ولما يثير فيها الحاضرون
من مشاكل الحياة العامة ، ومسائل العلم والأدب
والسياسة وغير ذلك من الفنون ، ووقوف الكندي
على أسرار هذا كله قد أثار انتباهه ، وفتح ذهنه ،
وبعث فيه روح البحث وحب الاطلاع والنظر فيما يقع
عليه يصيره من أسرار الكون ، أو يقع بين يديه من

انواع الكتب والمصنفات ؟ وتحليل ما يستجوع من
جدل ونقاش .

ولا نزاع في أنه كان لام الكندي أثر مباشر فيما
اتجه اليه من انكباب على الدرس والتحصيل ، الى
جانب ما كان للجو الذي أحاط به ، فقد « كانت
علوم الأحكام الدينية ووسائلها هي العلوم التي تروج
يومئذ سوقها ، وتكسب صاحبها كرامة الخلفاء
المحتاجين الى اهل هذه العلوم في اقامة ملكهم على
سند من السياسة الشرعية ، وكانت هذه العلوم
أيضا تهب صاحبها جلالة في قلوب العامة الذين
تهمهم من الدين شعائره وشرائعه . »

« وكانت فيما حوالى هذا الزمن ثكبة البرامكة
يتناقل الناس أخبارها الفاجعة فيمثلون ما في شرف
الولايات والحكم من أخطار . »

« وقد شهدت أم الكندي عهد شريك القاضى
العالم الدينى ، وراث سلطانه يغالب سلطان ابن عم
ال خليفة فى الكوفة ، ويبد ما لزوجها من حسب وجاه
شامخ . »

« وكل سلطانه يقوم على علمه ودينه » وكانت
الاحاديث عن عزة شريك وشدته فى الحق على اهل
الشرف والجاه سمر المجالس . »

« أمثال هذه الاسمار عن شريك وغير شريك ،
كانت جديرة أن ترغب الناس فى العلوم التى شأنها
أن توصل الى هذه المنزلة ، وهى ، كما ذكرنا ،
علوم الاحكام الدينية ووسائلها . »

وهكذا اتجه الكندي اول ما اتجه الى المعلوم
الدينية التى تكسب المرء مكانة ومهابة فى أعين
الناس .

للبحث بقية

على مبارك واصلاح التعليم

امتان على مبارك بحب العلم ، وبالإرادة القوية
التي تهون الصعاب ، وبالعزيمة الجبارة التي تقتحم
الحواجز وتسير في طريقها الى الامام غير عابئة بما
يوجد في طريقها من شوك ، وبالنفس الهادئة التي
تنظر الى الامور نظرة عميقة فتبصرها وتحاول
علاجها واصلاحها على قدر امكانيات المجتمع ،
وبالعقل الراجح المتزن ذي البصيرة النافذة والذي
ينظر الى الامور نظرة واقعية فيحاول أن يأخذ بأيدي
مواطنيه الى الامام في غير ما طفرة او جموح ،
وبالجهد المتواصل والعمل الدائب والهمة التي لا
تعرف الملل ولا يدركها الكلل والتي تضع مجد الوطن
نصب أعينها وتعمل لذلك غير عابئة بأراجيف المرجفين
ولا بادعاءات المبطلين •



السيد عبد ربه

ويعد على مبارك ، عماد النهضة المصرية في القرن
الماضي ، وقلبها النابض ، وعقلها المفكر ، ورأسها
المدير • فلقد كان من طليعة رجالات مصر ، الذين
طبعوا نهضتها الحديثة بطابع عميق ، وأمدوا تقدمها
الفكري والاجتماعي بأعظم القوى •

وكان رحمه الله ، مظهرا للقوة الجسمية ، ومثالا
لحدة الذهن ، طويل القامة ، عريض المنكبين ، أسمر
اللون ، تلوح على وجهه الملامح المصرية الصميعة ،
كاد أن يكون الوزير الوحيد الاصيل في مصريته في
الوقت الذي عاش فيه • وكان بعيد الامل ، قوى
الارادة ، شديد الثقة بنفسه ، راسخ الايمان بالله ،
قوى الملاحظة ، واسع الفكر ، خصيب الانتاج ، شغوفا
بالتجديد ، شعاره الدقة وحسن النظام ، بصيرا
بأقدار الرجال ، بارا بأهله ، شقيقا بالضعفاء
والفقراء •

ولد في قرية « برنبال » الجديدة ، التابعة لمركز
دكرنس في محافظة الدقهلية سنة ١٢٣٩ هـ التي
توافق سنة ١٨٢٣ م ، من أب ورث عن عائلته وظيفه
امام القرية وخطيبها وقاضيه • ولقد كان الابن
الوحيد لآبيه الشيخ مبارك الذي أنجب غيره سبع
بنات • ولقد بلغ افراد عائلة على مبارك ما يقرب من
مائتي شخص كانوا يسكنون في حارة من حارات



القرية ويعيشون على دخلٍ نافعٍ ورزقٍ قليلٍ • ولقد كانت العائلة تسمى عائلة المشايخ لقيام رؤسائها جميعا بمسائل الفتيا والإمامة والخطابة وعقد عقود الزواج وتسجيل صيغ الطلاق ، ومسائل الكيل والميزان • فلم يكن لديها أراض تدر عليها الغلات أو تثير عليها التكبكات ، كما كان ينظر الى الأرض وقتئذ ، فكان هذا الدخل - كما عبر عنه على مبارك في كتاب الخطط التوفيقية - رزقة بلا مال ، ولم يكن عليهم (على أفراد الأسرة) شيء مما على الفلاحين والاهل عائلاتهم عند حكام الجهات ! •

ولكن حال الأسرة لم يظل على هذا المنوال ، اذ مستهم المصيبة التي كانت تمس الفلاحين في تلك الايام ، فلقد كان الفلاحون يهملون زراعة اراضيهم ، لانهم كانوا يحسون بأن غلتها ليست لهم ، وانما هي مطمع للحكام ، وكثيرا ما كان يترتب على هذا ان تعجز غلة الأرض عن اداء الضريبة فتؤخذ الأرض من صاحبها وتعطى لغيره عساه أن يحسن استغلالها • وتبعاً لهذه الحال خص عائلة على مبارك نصيب من الفدادين ، او على حد تعبيره هو « رمى الحكام على هذه العائلة مقداراً من الاطيان ، وطلبوا منهم أموالها المنكسرة عليها ، وضربوا عليهم بعض ضرائب وشددوا في خلاصها بالسجن والضرائب كأسوة الفلاحين » ، ولما لم تستطع العائلة اداء الضريبة بعد ان باعت البهائم وأثاث المنازل ، هجرت البلدة تاركة الأرض فيها وتخلصت من تلك المصيبة •

في هذا الجو العاصف نشأ على مبارك ، رأى الفلاحين وما هم عليه من ظلم وغبن ، ورأى الحكام وما هم فيه من عز وسؤدد • وهنا تنبت البراعم الاولى التي كونت شخصيته ، فقد اراد يوماً ما أن يكون من الحكام فكان له ما اراد • ولم يكن أبوه - حين ادخله كتاب الشيخ أبى عسر - في « برنبال » يبقى أكثر من أن يكون ابنه عضواً نافعا في عائلة المشايخ ، فيستطيع القيام بمسائل الفتيا او الإمامة أو الكيل والميزان كما كان يعمل بقية الأفراد ، ولكن القدر كان يختزن لعلى مبارك مستقبلاً يختلف كل الاختلاف عما اراده له أبوه ، فأصبح مطمح الانظار ، ومحط الآمال ، وركنا قويا من أركان النهضة •

حينما هجرت عائلة مبارك بلدة « برنبال » الجديدة كان عمر على مبارك ست سنوات ، ويهمنا أن نذكر انه

□ ٢٣٦ □

ترك كتاب الشيخ أبى عسر الى كتاب الشيخ أبى خضر ، ولم يكن حال أبى الخضر بأحسن من حال أبى العسر من حيث معاملة التلاميذ ، فقد كانت القسوة والغلظة هي العادة السائدة بين جميع الفقهاء والمعلمين بالنسبة لتلاميذهم في ذلك العصر ، وقد نال على مبارك من ذلك الشيء الكثير • فهرب مرة تلو الأخرى ، ولم يجد - أمام عزمه وتصميمه على تلقي التعليم في القاهرة - بكاء الام واستعطافها له أو رجاء الاب واغرائه • والتحق على مبارك بمدرسة القصر العيني •

ولكنه كاد أن يضرب عن التعليم عامة ، لولا أن تداركه الله بالرحمة والصبر ، فقد كان مستوى التعليم في هذه المدرسة منخفضاً ، وكان « الضرب وأنواع السب والامانة من غير حساب ولا حرج » ، هذا فضلاً عن المحسوبيات والاغراض الشخصية • ولكن بانتقال المدرسة الى أبى زعبل تقدم المستوى بعض الشيء ، ورضيت نفس على مبارك وانحلت عقده ، وأقبل على التعليم •

واختير على مبارك وهو في سن السادسة عشرة للالتحاق بمدرسة المهندسخانة ببولاق ، وكان نضوجه العلمي قد نما وازداد ، فدرس فيها كل فروع الهندسة على يد أساتذة اكفاء ، في مدة خمس سنوات ، كان فيها جميعها أول فرقته « وقلفتها » على حد تعبيره •

واشرق لعلى مبارك نور فجر جديد ، نور من المعرفة التي أحبها وقاسى في سبيلها الأهوال وركب من أجلها المصاعب ، ولقى الشدائد • فلقد عهد محمد على الى سليمان الفرنسي سنة ١٨٤٤ باختيار عدد من خريجي المدارس العالية لينتظموا في سلك البعثة الخامسة التي كانت مسافرة الى فرنسا • وكان من الطبيعي أن يختار على مبارك في هذه البعثة ، وهو الشاب النابغ الذي أظهر من التفوق ما يؤهله لمثل هذه المكانة • وسافر على مبارك مع أعضاء البعثة ، ولم ينس قبل سفره أن يطلب من المسؤولين أن يصرف نصف راتبه الى أهله في مصر ، ويرسل اليه النصف الثاني في فرنسا ، تمشياً مع ما استنته معهم في جميع مراحل دراسته •

وظل على مبارك في فرنسا ما يقرب من ست سنوات ، عاد بعدها الى مصر مع بقية أعضاء البعثة بسبب استدعاء (عباس الاول) لهم ، بعد أن آل اليه

الحكم سنة ١٨٥٠ م ، وبذا انقضت حياته الدراسية ، وبدأت حياته في ميادين العمل والانتاج .

وقد تقلد على مبارك كثيرا من المناصب حتى صار وزيرا لعدة وزارات ، نذكر منها وزارة الاشغال ووزارة الاوقاف ووزارة المعارف ، وظل يصول ويجول من ميدان العمل الجاد المثمر حتى أضناه التعب ، وأرهقه الجهد ، وشاء الله أن ينطفئ المصباح الذي أضاء للبلاد بأنوار العلم وتخبر الشعلة التي حملت لواء المعرفة ، وتخمّد المطرقة التي ظلت تطرق الافهام والعقول ، لتزيل منها سسيئات الجهل ، وتفتح أمامها آفاقا من الثقافة المستنيرة والوعي الشامل ، أربعين سنة ونيفا ، فتوفي في ٥ - جمادى الاولى سنة ١٣١١ هـ (١٤ نوفمبر سنة ١٨٩٣ م) ، فارتهجت مصر حزنا على ابنها البار ، وبكاه الطلاب والمعلمون وأهل الثقافة والرأى .



وضع على مبارك لائحة للتربية والتعليم ، سماها لائحة رجب ، إذ أنها صدرت في شهر رجب سنة ١٢٨٤ هـ . وأن من يتأمل في هذه اللائحة ، يرى مدى اتساع الأفق الذي كان يتمتع به على مبارك . فلقد بنى مشروعه على أساس دراسة تاريخية موضوعية لألوان التعليم التي كانت قائمة في مصر وأخصها التعليم الأميرى الذى أنشئ منذ عهد (محمد على) على النسق الاوروبى ، ولم يتسع الا لقلّة ضئيلة من التلاميذ عاشت في مدارس بعيدة عن الحياة القومية المصرية . وإلى جانب هذا التعليم وجد نوع آخر من التعليم ينبت في جميع انحاء المدن والقرى ، عاش المصريون زمنا طويلا لا يعرفون غيره ، فاتصل بروح الشعب وأصبح متغلغلا في صميم حياته .

هذا النوع الاخير من التعليم ، اراد على مبارك أن يخضعه لهيمنة الدولة واشرفها عليه في جميع بلاد القطر من أقصاه الى أقصاه متجاوزا في ذلك رغبة مجلس شورى النواب الذى طالب باشراف الحكومة على مكاتب القاهرة والاسكندرية فقط . اراد على

مبارك أن تخضع جميع المدارس والمكاتب سواء كانت بالقرى او بالمدن لاصول تنظيمية منتجة ، وامتحانات سنوية ، وتخضع لتفتيش الوزارة ايضا . وبهذا يكون على مبارك أول من نادى في مصر باشراف الدولة على كافة معاهد التعليم عدا الازهر ومدارس الطوائف الدينية والجاليات الاجنبية .

ومما يذكر أن على مبارك بعد أن رأى التقدم الذى وصلت اليه المدارس الاجنبية ، والاطراد في زيادة عدد تلاميذها ، تقدم باقتراح - كان قد أشار به الامام محمد عبده بعد أن عين عضوا في مجلس التعليم الاعلى - يرمى الى أن تشرف الحكومة على هذا التعليم ، وبذا يهيمن النظام القومى على التعليم الاولى كله في مصر . ومن أسف أن هذا الاقتراح لم يتيسر له سبيل التنفيذ في زمانه .

ونقد قام مشروع على مبارك بالنسبة للكتاتيب ، على قواعد ثلاث ، هى الاحتفاظ لها بالصفة الاهلية التى كانت تتمتع بها ، والاشراف عليها من الدولة او بالادق من ديوان المدارس ، ثم السعى الحثيث الى رفع المكاتب الكبيرة في المدن الى مستوى المدارس الابتدائية .

ومما يدل على خطورة العمل الذى أخذه على مبارك فوق عاتقه في هذا المجال ، هذا العدد الضخم الذى كانت عليه هذه المكاتب ، فقد كان في القاهرة وحدها - وقتئذ - ٢٢٢ مكتبا ما بين صغير وكبير ، ذى مورد قليل أو ذى مورد كبير ، حسبما أتبع له من حظ في الاوقاف الحكومية وغير الحكومية ، وهكذا دواليك في سائر المحافظات . ولقد أدخل عليها على مبارك اصلاحات هامة ، شملت الابنية ، وأخذت بيد الفقهاء والعرفاء ، واعتنت بالمناهج وطورتها بما يناسب العصر الذى كانوا فيه .

هذا فيما يتعلق بالمكاتب الاهلية ، ولكن هذه المكاتب - وأن اهتم بها على مبارك كثيرا - لم تكن شغله الشاغل في اصلاحاته التعليمية ، بل انه اهتم الى جانب ذلك بانشاء المدارس المركزية ، كما تسميها لائحة رجب ، والمدارس الاعدادية في عواصم المحافظات كما تسميها الان . ومسألة انشاء هذه المدارس كانت مقررة من مجلس شورى النواب ، ولكن على مبارك تلقف الرغبة ورسم لها طريق التنفيذ بما يتناسب مع الامكانيات التى كانت عليها الدولة ،



معنى بالجواهر تاركا القشون وراءه ، فلم يشأ أن ينشئ مدارس على غرار المدارس التى أنشأها (محمد على) لتعيش فى جو خاص مترفع عن الشعب . ولقد أدخل على مبارك نظام الخارجية ، وخاصة للتلاميذ الذين كانوا يقيمون بالقرب من مدارسهم ، وفرض أيضا بعض المصروفات المدرسية على القادرين من أولياء الأمور . ولم يكن إيراد هذه المدارس من خزانة الدولة ، بل كان على غرار المكاتب الأهلية يقوم على إيراد الوقف وتبرعات الاهالى واعانة من ديوان الاوقاف .

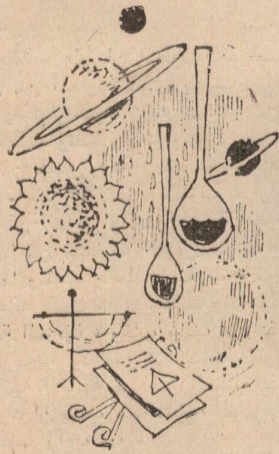
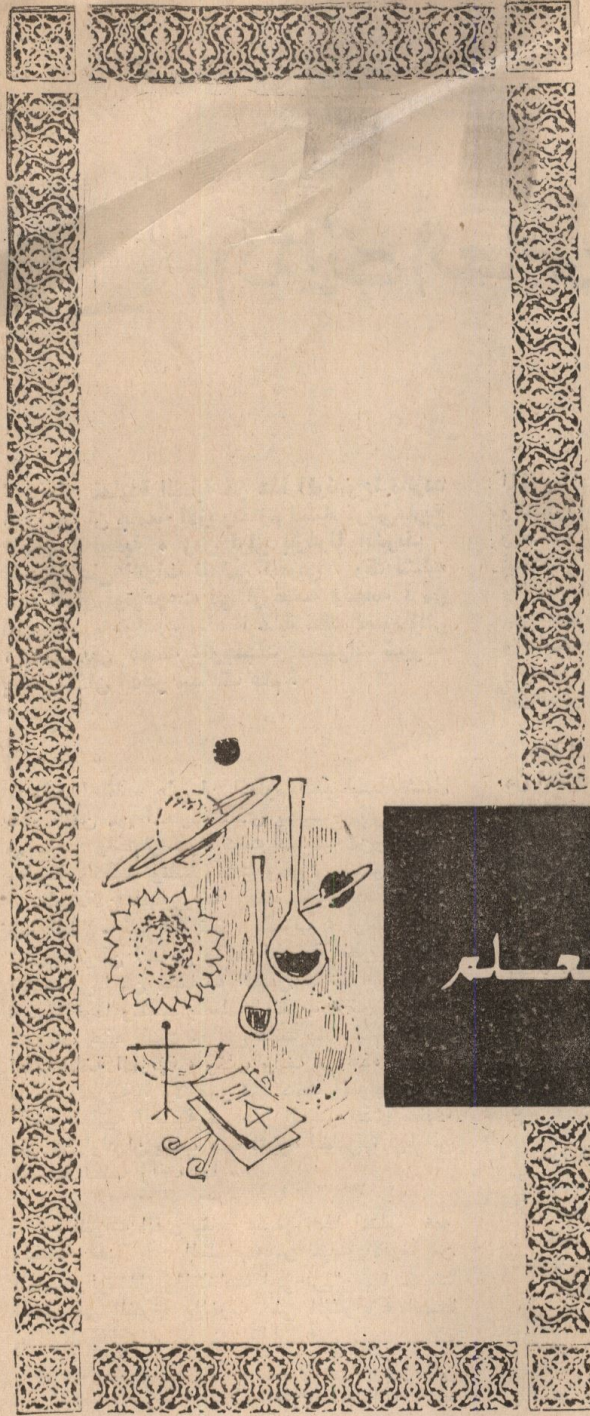
أيضا - لم يقصر جهوده على هذا المجال ، بل عنى أيضا عناية بالثقافة العامة ويسر سبلها للراغبين فيها . فقد أنشأ دار الكتب المصرية ، وجعل كتب العلم فى متناول أيدي محبيه والراغبين فى الاطلاع عليه . وأنشأ أيضا قاعة عامة للمحاضرات يسرى درب الجاميز ، يحضرها كل من شاء ويحاضر فيها كبار الاساتذة من مصريين وأجانب ، أمثال الشيخ حسين المرصفى فى الادب ، واسماعيل الفلكى فى الفلك ، ومنصور أحمد فى الطبيعيات ، والشيخ عبد الرحمن البحرأوى فى الفقه . وأنشأ مجلة « روضة المدارس » وعهد الى الشيخ رقاعة الطهطاوى برئاسة تحريرها . ولقد شجع على مبارك حركة الترجمة والتأليف وهو الذى أنشأ لديوان المدارس مطبعة لطبع الكتب المدرسية . وآمن بالثقافة من جميع فروعها ، فنوع التعليم وجعل منه فروعاً مختلفة ، يهدف كل منها الى تحقيق غرض خاص ، فلقد كان التعليم منذ أيام محمد على له غرض واحد هو ازدهار قوة الجيش ، فجاء على مبارك وعمل على فصل المدارس المدنية عن المدارس الحربية .

وهذه الاسس التى وضعها على مبارك وبنى عليها هياكل التعليم فى المكاتب الأهلية والمدارس الابتدائية ، كان لابد لحسن السير فى تنفيذها من تنظيم فى الادارة المشرفة على التنفيذ . وهذا ما فعله على مبارك عندما ألت اليه ادارة ديوان المدارس فى مارس سنة ١٨٦٨ ، فقد نظم الادارة التعليمية على أسلوب جديد كى تواجه التوسع الذى طرأ على الديوان ، فوزع اختصاص ديوان المدارس بين هيتين : احدهما ادارية تشرف على ادارة المدارس الملكية ، والاخرى فنية تختص بالتفتيش من ناحية وتقوم بالنظارة على المدارس من ناحية أخرى . هذا فيما يخص بالمدارس الابتدائية ، أما فيما يختص بالمكاتب الأهلية فقد أنشأ لها ديوانا خاصا بها سماه ديوان المكاتب الأهلية فى مارس سنة ١٨٧١ .

وبعد ، فهذا بعض ما رآه على مبارك فى مجال اصلاح التعليم ، وان الحديث فيه ليطول اذا نحن ذكرنا بالتفصيل ما أدخله من اصلاحات . ولكنه -

حديث قدسى

قال ابو ذر : قال رسول الله [صلى الله عليه وسلم] : ان الله تعالى يقول : « كلکم مذنب الا من عافيت فاستغفرونى اغفر لكم فمن علم منکم انى ذو قدرة على المغفرة لاستغفرونى بقدرتى غفرت له ولا ابالى . وكلکم ضال الا من هديت فسلونى الهدى اهدکم . »
وكلکم فقير الا من اغنيت فسلونى ارزقکم ولو أن حیکم ومیتکم وأولکم وآخرکم ورطبکم ویابسکم اجتمعوا على قلب اتقى عبد من عبادى لم یزد فى ملکى جناح بعوضة .
ولو أن حیکم ومیتکم وأولکم وآخرکم ورطبکم ویابسکم فسأل کل سائل امنیة فاعطیت کل سائل ما یسأل لم ینقصنى الا کما ان احدکم مرعلى سیف البحر فغمس ابرة تم انتزعها ذلك لانی جواد ماجد واجد افعل ما اشاء ، عطائى کلام وعدائى کلام : اذا اردت شیئا فانما اقول له : کن فیکون . »



باب العلم

في التراث العلمي العربى ...

المخطوطات ؟ ومكتبات خاصة فى دهباط ووطنطا والقاهرة ، الى مكتبات اخرى فى الهند وفى دمشق وبغداد وغيرها من عواصم ، انها مؤلفات ورسائل تبحث فى الطب والزراعة والكيمياء والتعدين والفلك والرياضيات والنبات والحيوان والصيدلة وغيرها من علوم طبيعية . اما مؤلفاتهم فى الادب والشعر والفلسفة والمنطق وغيره من معارف أدبية أو فقه وتصوف وحديث وغيره من معارف دينية فهى خارجة عن نطاق هذا الحديث .

هذا التراث فى حاجة الى عناية من أولى العزم من المتخصصين ، يفرغون للبحث والجمع والتصوير والتحقيق والنشر ، لتعريف الاجيال الصاعدة ، بهذا التراث التليد ، وان هذه العلوم الطبيعية ليست مستوردة من الخارج ، ولكننا نحن العرب اهل اصالة واثالة فيها .

وانى لاعترف ان قد ملانى الزهو ، حين شاهدت نقشا بماء الذهب فى سقف مكتبة الكونجرس الامريكى ، ان الينبوع الاول للحضارات ، هى الحضارة المصرية الفرعونية ، كما ان الينبوع الاول للحضارة فى العلوم الطبيعية ، انما هو العصر العربى الاسلامى .. والفضل ماشهد به هؤلاء واولئك .

هذا التراث ، شاهد عدل ، على ان العلماء العرب ، لم يكتفوا بنقل التراث العلمى الاغريقى الى العربية ، كما يدعى الحاقدون الشائنون ، ولكنهم اضافوا اليه ، وزادوا عليه ، فضلا عما تميزت به كتاباتهم من السهولة والوضوح ، والبعيد عن التعقيد والغموض والالتواء ، بالاضافة الى الاحاطة والشمول ، وهى ميزات تفرد بها العلم العربى ، كما يقول « برنال » ذلك الى جانب ابتكاراتهم العلمية الاصلية التى نادوا بها ، فلم ينقلوها عن غيرهم ومن اسف ان كثيرا من ابتكاراتهم نسيت الى غيرهم .

دفعنى لمادة الكتابة فى هذا الموضوع ، ما تردد اخيرا من ان جامعة الازهر تعزم انشاء كرسى لتاريخ العلوم الطبيعية . ومن أولى بازهرنا الشريف ، بالحفاظ على التراث العلمى العربى ، وقد نشأت هذه العلوم وترعرعت فى اروقته وابهائه ، من أولى بالحرم الرابع ، بهذه الرعاية لتلك العلوم التى ازدهرت بين اعمدته ، وجلجت اصوات شيوخه بها فى آذان الدهر منذ ألف عام ؟

ولقد اصطلح على ان العلوم الطبيعية تشمل هذا اللون من المعارف الذى يحتاج الى تجربة ومشاهدة واختبار سواء كانت أساسية من رياضيات وطبيعة وكيمياء وفلك ونبات وحيوان وجيولوجيا أو تطبيقية من طب وزراعة وهندسة وصيدلة وبيطرة وما اليها . كما أننا نعنى بالعرب ، أولئك الذين ضيهم الوطن العربى والامبراطورية العربية ، التى امتدت يوما من مشارف الصين شرقا الى جنوب فرنسا غربا وتقصم بالعلماء العرب ، كل من نشأ منهم فى هذه البلاد ، التى دانت بالاسلام ، وتكلم أهلها اللغة العربية ، وكتب والف فى هذه المعارف باللغة العربية ، ولا غرو فقد كانت العربية ، هى اللغة العلمية العالمية فى هذا العصر الذى نعنيه ، فكل من أراد أن يكتب علما تقرأه الناس ، لجأ الى العربية فكتب والف بها .

اما التراث الذى نعنيه — فى هذا المقام ، فهو ما خلفته اجيال من العلماء ، من مئات الالوف من الكتب والرسائل والمؤلفات ، التى تزدان بها مكتبات العالم فى الشرق والغرب على السواء ، انها مخطوطات تزدان بها خزائن الكتب فى الاستانة وأنقرة ومديرد وباريس واستكهلم ولندن وبرلين وفى دار الكتب المصرية ، ومكتبة الازهر ، ومكتبة جامعة القاهرة ، ومعهد الدراسات العربية ومعهد

وضرورة الحفاظ عليه والتعريف به والعناية بتحقيقه ونشره



الدكتور عبد الحليم منصر

كان لابد من ظهور ابن الهيثم والبيروني والخوارزمي والصوفي والرازي والخازن وابن سينا، لكي يتسنى ظهور جاليليو، وكبلر، وكوبرنيك ونيوتن ودالتن وداروين ومن اليهم .

ويعترف المنصفون من المستشرقين، بأن الرومان لم يحسنوا القيام على التراث الاغريقي، وأن العرب كانوا على خلاف ذلك، فقد حفظوه واتقنوه، ولم ينفوا عند هذا الحد، بل تعدوه الى ترقية ما اخذوه وتطبيقه، باذلين الجهد في انماه، حتى سلموه للعصر الحديث، ويقول بعضهم لانباغ اذا قلنا أن أوروبا مدينة للعرب بخدمة العلمية، هم الذين قدموا لأوروبا زاد نهضتها العلمية . لقد كانت الحضارة العلمية الإسلامية بمثابة حلقة الاتصال بين الحضارة الاغريقية والاسكندرية والحضارة الحديثة .

وليس من اليسير الاشارة الى الانجازات الهائلة التي حققها العلماء العرب في ميادين العلوم الطبيعية، ولعلنا نذكر أن العرب قد نقلوا نظم الترقيم، فقد وجدوا أنه أيسر من حساب الجمل الذي كان مستعملا قديما، فاختاروا سلسلة الأرقام الهندية التي ما تزال مستعملة في بلاد الشرق العربي، وسلسلة الأرقام الفبائية أو العربية وهي المستعملة في بلاد المغرب العربي وفي الدول الأجنبية، وكان الخوارزمي أول من استعمل هذه الأرقام في مؤلفاته، وكتابه في الحساب هو الأول من نوعه، وقد نقل الى اللاتينية، وظل زماما طويلا مرجع العلماء وبقي الحساب معروفا في أوروبا عدة قرون باسم « الخوريثمي » نسبة الى عالمنا الخوارزمي . وكذلك كان الخوارزمي أول من في الجبر، حتى يمكن أن يقال أنه واضع الحساب والجبر .

ومع ذلك يصير كثير من مؤرخي العلم من الاجانب، على التاريخ للعلم بعصرين لا ثالث لهما وهما العصر الاغريقي، وعصر النهضة الأوروبية الحديثة، التي تعيش في فيضها حتى العصر الحاضر .

وعندى أن في هذا التاريخ ثلاث مفالطات لا بد من التنويه بها وتصحيحها، الأولى : اغفال ما قبل العصر الاغريقي من حضارات كالصينية والهندية وما نشأت وراء النهر، ومن سومرية وأشورية وبابلية، مما ازدهر فيما يسمى بين النهرين، ومن مصرية وفرعونية، مما ازدهر على ضفاف النيل، إذ أن العلم الاغريقي لا يمكن أن يكون قد ظهر فجأة، أو أنه لم يستفد من الحضارات التي تقدمت عليه في التاريخ .

أما الثانية : فهي ادماج العصر الاسكندري في العصر الاغريقي، فقد حملت الاسكندرية مشعل الحضارة العلمية عدة قرون، صحيح أنها امتداد للعصر الاغريقي، ولكنها نهضة وطنها مصر، ومقرها الاسكندرية وجامعتها القديمة، وما كان بها من مكتبة غنية ومتحف عظيم، وإذا لم يكن للعلم وطن، فإن للعلماء اوطاناً .

أما الثالثة، فهي تجاهل فضل العلماء العرب في العصر الإسلامي، الذي ازدان بعشرات ومئات من العلماء، الذين يزدهى بهم العلم في كل مصر وأن، ترجموا علوم العصرين الاغريقي والاسكندري الى العربية، كما نقلوا اليها من السريانية والقبطية والهندية وغيرها من اللغات، وأضافوا اليها الكثير من مبتكراتهم، مما جعل بعض المنصفين من المؤرخين، يعترفون بأنه لولا اعمال العلماء العرب، لاضطر علماء النهضة الأوروبية أن يبدأوا من حيث بدأ هؤلاء، ولتأخر سير المدنية عدة قرون . ويقولون أيضا :

يقول « كاجورى » ان العقل ليدھش عندما يرى ماعمله العرب فى الجبر ، فقد حلوا معادلات من الدرجة الثانية ، بل من قوى اعلى ، واستعملوا الرموز فى المعادلات ، ووضعوا أسس الهندسة التحليلية وھدوا لاكتشاف اللوغاريتمات وحساب التفاضل والتكامل ، وعرفوا المتواليات العددية والهندسية ولھم بحوث فى النسبة العددية والهندسية والتأليفية .

ويقول المرحوم الدكتور مشرفة « صحيح ان حل معادلات من الدرجة الثانية كان معروفا لدى الاغريق والھنود ، ولا شك ان الخوارزمى قد اطلع على مالى الھنود والاغريق من علم رياضى ، ولكننا لم نعتز على كتاب واحد ، يشبه كتاب الخوارزمى ، ويقول انه يميل الى الظن بانه لم يكن قبل الخوارزمى من علم يسمى علم الجبر ، وتتجلى عبقرية الخوارزمى ، فى انه خلق علما ، من معلومات مشتقة وغير متماسكة ، كما خلق نيوتن علم الديناميكا من معلومات متناثرة عرفت قبله ، لقد كان ينبغى ان ينتقل حساب الھنود ، وھندسة الاغريق ، الى عبقرى كالخوارزمى ، الذى وضع علم الجبر وعلمھ للناس اجمعين .

اما الفلك ، فقد كان له مريدون كثيرون من العلماء العرب ، وضعوا ازياجا ، وعملوا ارسادا واقاموا المراصد ، وسجلوا رصدات ، قاسوا محيط الارض ، وقدروا ابعاد النجوم والكواكب وقالوا باستدارة الارض ، وحسبوا طول السنة الشمسية ، وحققوا مواقع كثير من النجوم ، ورصدوا الاعتدالين ، وكتبوا عن الكلف الشمسى وعن الكسوف والخسوف ، وانتقدوا كتاب المجسطى ، واصلحوا اغلافه ، ووضعوا اسماء كثير من الكواكب والكوكبات وما زال كثير منها مستعملا حتى الوقت الحاضر ، مثل ادب الاكبر والدب الاصغر ، ويعترف « سارتون » بان بحوث العرب الفلكية ، كانت مفيدة جدا ، وانھا هى التى مهدت الطريق للنهضة الفلكية الكبرى التى قادھا جاليليو وكبلر وكوبرنيك .

كما يعترف « لالاند » بان البتاني الفلكى العربى الاشھر ، من العشرين فلكيا المشھورين فى العالم كله ، كما يعد « كاردانو » الكندى من الاثنى عشر عبقرى الذين ظھروا فى التاريخ ، ويقول سارتون عن ابن الھيثم انه اعظم عالم طبيعى مسلم فى جميع العصور والازمان ، كما يقول عن ابن سينا انه ظاهرة فكرية قل ان تتكرر على طول الزمان .

ويقول المرحوم الاستاذ مصطفى نظيف عن ابن الھيثم ، انه سبق باكون فى الاخذ بالطريقة العلمية ، بل سبھا عليه سموا ، وانه ابطل علم المناظر الذى وضعه الاغريق ووضع علم الضوء بالمعنى الحديث ، وانه ان عد « نيوتن » رائد علم الميكانيكا فى القرن السابع عشر ، فان ابن الھيثم رائد علم الضوء فى القرن الحادى عشر .

وكذلك كانت اضافات العلماء العرب فى الطب

والتشريح والكيمياء والمعادن والنبات والحيوان من امثال جابر بن حيان ، وابن طفيل والزھراوى ، وابن حزم ، والجلوكى ، والرازى والخازن ، وابن النفيس ، والبغدادى ، والقزوينى ، ودาวود الانطاكى ، وابن البيطار ، والادريسي والدينورى ، والصورى ، وابن حمزه ، وابن يونس ، والجاحظ ، وابن خلدون وان مسكويه ، وغيرھم . ان مؤلفات العالم منهم تعد بالمئات لا بال عشرات ، كما ان مؤلفات كثير منهم ظلت المراجع المتبعة فى جامعات أوروبا ، حتى القرن السابع عشر .

لقد تكلم العلماء العرب فى التطور قبل داروين ، وفى الجاذبية قبل نيوتن ، وفى انكسار الضوء وانعكاسه وسرعته قبل ديكرات ، وفى الدورة الدموية قبل هارفى ، واعمال ابن الھيثم ، وابن مسكويه ، وابن النفيس والرازى ، والخازن وغيرھم كثير تشهد بالفضل لذويھ .

وكذلك نرى ان العلماء العرب فى العصر الاسلامى ، قاموا بواجبھم خير قيام ، فادوا للنهضة العلمية اعظم الخدشات ، وقادوا الانسانية فى مدارج التقدم والرقى ، ورعوا امانة العلم ، وحفظوا التراث العلمى ، وعملوا على انھاىته وزيادته ، وانھم كما قال « سيدى » اساتذة اهل أوروبا .

وقد ساعدت عوامل مختلفة ، على سطوع النهضة العلمية فى العصر الاسلامى ، اولھا بلا مراء ، حرية الراى العلمى ، فلم يتعرض العالم منهم لحنة ما او ضغط ما ، بسبب رايه العلمى ، بعكس ماحدث بعد ذلك لعلماء النهضة الاوروبىة بسبب آرائھم العلمية ومنها رعاية الحكام والولاة للعلم والعلماء ، والاتفاق بسخاء على العلم والعلماء ، وكانوا يتفخرون بمن يحضر مجلسھم من العلماء ، ومن يستظل برايتھم من العلماء ، ذلك بالاضافة الى استعلاء العلماء العرب بعلمھم ، مع ماشهد لھم به من استعداد ذهنى وعقلى مع الصبر والمصابرة والمثابرة .

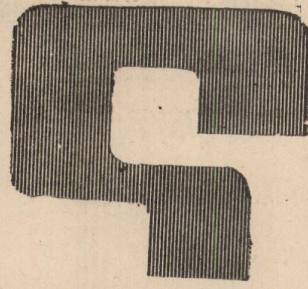
هذا التراث العلمى العربى المشرف ، يجب ان تعنى به الدول العربية ، والجامعات العربية يجب ان تنشأ له كراسى الاستاذية المتخصصة ، وان ترسل البعث تلو البعث لتكوين جيل من العلماء الباحثين القادرين على تحقيق النصوص وقراءتها وعرضھا بأسلوب العصر ، وبطريقة عصرية .

هذا التراث العلمى العربى المشرف ، يجب ان تخصص له الميزانيات التى تتناسب وضخامته وعظمتھ ، وان نعمل على اعداد جيل من الشباب الصاعد ، يعكف على دراسة المخطوطات وصيانتھا وتصويرھا وقراءتها وتحقيقھا والتعريف بها .

انھا امانة فى اعناقنا ان نحافظ على هذا التراث المشرف ، وان نعرف ابنائنا به ، وان ندعوھم الى متابعة الحفاظ عليه ، والى متابعة هذا الجهد العظيم فى الاضافة الى هذا البناء السامق ليزداد سموقا وسموا .



المكتبة الإسلامية



لماذا أسلمنا



مجموعة
مقالات
لنخبة
مترجمي
الفكر

عن أسباب
اعتناقهم الإسلام



ترجمة: الأستاذ طه عبد
عرض وتلخيص
الأستاذ إبراهيم محمد الفحام



استكمالا لما قدمناه من قِبَل من تلخيص لما
تضمنه هذا الكتاب من مقالات بعض العلماء
والمباحثين الذين هداهم الله الى الاسلام عن أسباب
اعتناقهم هذا الدين الحنيف ، وما أعجبهم فيه من
الزاي . نقدم فيما يلي تلخيصا آخر للمقالات التي
كتبها بعض السيدات الفضليات ، اللاتي شرح الله
قلوبهن للإسلام .

الانسة مسعودة مستينمان [انجترا]

ذكرت هذه الانسة في تبرير اعتناقها للإسلام ،
بأنها لم تعرف دينا آخر سواه يقبله العقل ، وتنجذب
اليه نفوس الناس بهذا القدر ، وهذه السهولة .

وذكرت انها ترى الاسلام اكمل الديان لانه —
اولا وقبل كل شيء — يهدينا الى معرفة الخالق
الواحد ، ويقتننا القرآن الكريم بوجدانيته ، فهو
الخالق الاحد ، الذي لا تدركه الابصار ، المعلم ،
القاهر ، القاهر ، الاول والاخر ، الدائم ، الرؤوف ،
الرحمن الرحيم ، العفو الغفور ، الحكيم العدل .

وهكذا يصبح الكمال حقيقة .
ثم ذكرت أنه بينما يقرر الاسلام أنه هو الفين
الوحيد الصحيح ، فإنه يؤيد في الوقت نفسه ،
الحق الذي جاءت به الديان السابقة ، وذكرت أن
التوجيه الحكيم الذي جاء به القرآن الكريم ، وأضح
تقبله العقل .

فهو يرشدنا الى طريق تحقيق الصلة السلمية
بين الخالق والمخلوقات ، وبذلك يتحقق الربط الوثيق
بين الجانبين المادى والروحى ، وهو ما يحقق
التوازن بين قوتنا الذاتية والقوة الخارجة عن
ارادتنا . وهذا بدوره يحقق الرضى والطمأنينة في
قراره النفس . وليس هناك ما هو اقوى اثرا من
هذا العنصر الهام في الانسجام بين اى كائن حتى
وبين غيره . وبدون ذلك لا تستطيع البشرية السير
بخطوات ثابتة في طريق الكمال .

[والاسلام يدعونا الى تقديس الله ، وأن نخضع
لشريعته ، وفي ذات الوقت يدعونا ويشجعنا على
استعمال العقل مع مراعاة عواطف الحب والتفاهم
جنباً الى جنب .]

ذكرت انها غنيت بالتفكير الدينى منذ زمن مبكر . وذات يوم بعثت بكلمة الى احدى المجلات المحلية تنتقد فيها احدى النظريات الدينية ، فاتصل بها كثير من القراء ، ومنهم قارئ مسلم .

وعن طريق ذلك القارئ المسلم ، بدأت تدرس الاسلام . وكانت كلها ناقشت معه جاتها من هذا الدين ، تشعر بانها رغبته فى مقاومته ، حتى اقتنعت تدريجيا بصحته ، وآمنت بان [ارقى الحكومات فى القرن العشرين لم تستطع ان ترقى بنشرها الى ما يفوق تلك الرسالة ، بل انها تقتبس انظمتها باستمرار من النظام الاسلامى] .

ثم تعرفت بعد ذلك الى عدد آخر من المسلمين ، وقابلت بعض السيدات الانجليزيات ، اللاتي شرح الله قلوبهن للاسلام ، فبذلن قصارى جهودهن لمعاونتها ، واطلعهن على مزيد من المعلومات عن هذا الدين الحنيف .

وعندما بدأت تقرأ القرآن الكريم ، احسنت بشعاعه ينفذ الى القلب رويدا رويدا . تتوالى الليالى ولا تجد فى نفسها الرغبة فى تركه من يدها . وكثيرا ما كان يشغل فكرها هذا التساؤل العجيب [كيف يعقل ان يأتى هذا الهدى الكامل للانسانية ، بطريق البشر المتصفين بالنقص ، ولم يقل المسلمون أبدا ان محمدا [صلى الله عليه وسلم] فوق البشر] .

وكان يشغلها سؤال آخر أشبه باللفز يقول [لماذا لا ينزل الوحي على رسل يبعثون فى القرن العشرين ؟] .

الا انها سرعان ما اهدت الى الحقيقة ، عندما وجدت نفسها تجيب [كيف يتأتى ان يرسل الرسل بعد محمد [صلى الله عليه وسلم] والقرآن المجيد هو الكتاب الشامل الذى جاء تبليسا لكل شيء ، وبصدقا لما بين ايدينا ، وهو باق ثابت الى الابد ، بلا نسخ ولا عبث ، كما يقرر القرآن ، ويؤكد الواقع] .

وذكرت انها كانت متأثرة بما يأخذه غير المسلمين على الاسلام من اياحة تعدد الزوجات ، ثم اقتنعت

اخيرا ان هذه الاباحة فى الحقوق الضيقة المقررة انما هى العلاج لما يجرى الان فى الغرب من زيادة انتشار الاتصالات السرية بين الجنسين ، وايقنت انه بعد الحروب بضعة خاصة ، يصعب عدد النساء فى سن معينة ، يفوق كثيرا عن عدد الرجال . ويستتبع هذا ان نسبة غير قليلة ممن لا تجد فرصة للزواج .

وليس فى الاسلام ما يلزم بالتمدد . ولكن لا شك ان من سمات الدين الكامل ، ان يتيح مثل هذه الفرصة ، للالتجاء اليها عندما تدعو ضرورات الحياة .

ثم قالت فى النهاية [ومن ثم بدأت نفسى تطمئن تدريجيا الى الحق الذى جاءت به تعاليم الاسلام . فاعلنت ايماني به ، واعتناقتى اياه ، لا عن عاطفة خائفة مؤقتة الى حين ، وانما عن اقتناع كامل ودراسة وافية طويلة ، وتفكير دائب قرابة عامين . ولم اجد امامى الا ان اسلك هذا السبيل ، طارحة كل العواطف الاخرى ، التى كانت تشدنى شدا الى الطريق المضاد] .

الليدى ايفلين زينب كوبولد (انجلترا)

أبدت انه لا يمكنها تحديد اللحظة الحاسمة ، التى اشرق فيها نور الاسلام على قلبها ، وأنه يبدو انها كانت مسلمة منذ البداية . ولا عجب اذا علمنا ان الاسلام دين الفطرة :

وشرحت كيف ضاعت دراساتها عن الاسلام من ايمانها بتميزه عن الاديان الاخرى ، وأنه أكثر ملائمة للحياة العملية ، واقدرها على حل مشكلات العالم المعقدة .

ومما أعجبها فى الاسلام انه يقوم على دعائمين ، احدهما وحدانية الله ، وثانيتهما الاخوة الشاملة بين البشر . كما انه عقيدة ايجابية دافقة .

وفى فريضة الحج يرى الانسان نفسه فردا فى الجموع التى وفدت من اركان العالم المختلفة ، ليشارك اخوته فى الانسانية ، بكل خضوع ، فى تمجيد الله ، فيسرى فى روحه جلال المثل العليا فى الاسلام ، وتتاح له الفرصة الطيبة للمشاركة

الامر لم تستطع أن تحدد كنه ذلك الشيء . وكانت روحها تستصرخها ، لتضع حدا لهذا القلق .

وثناء حظها الحسن أن تتعرف الى رجل مسلم يقيم في طوكيو منذ حين ، وكان سلوكه وطريقته في العبادة يثيران دهشتها ، فسألته عن أمور كثيرة ، كانت اجابته عنها شافية مقنعة ، تشبع العقل والروح معا .

وقد علمها ذلك الرجل المسلم كيف يجب على الانسان أن يحيا وفق الحدود التي رسمها الله . وما كان يدور بخلدنا من قبل أن تتغير نظرة الانسان الى الحياة ، بمثل تلك السرعة الهائلة التي رأينا في ذات نفسها ، عندما انتهجت سبيل الحياة الاسلامية ، وشعرت بأنها على وئام مع خالقها .

وعبرت عن اعجابها بطريقة الحياة الاسلامية في صفاتها وبساطتها ، وانطباعها بطابع السلام . ثم قالت :

(اننى مقتنعة تماما بأن الاسلام وحده هو الكفيل بالامن والطمأنينة في حياة الافراد والجماعات على السواء ، وانه وحده هو الذى يقدم للبشرية السلام ، الحقيقى الذى طال سعيها وتشوقها اليه .

ويسعدنى اننى وفقت الى هذا السلام ، وكما كنت اتنى لو استطعت أن أنشر الاسلام بين قومي ، ما وجدت الى ذلك سبيلا) .

السيدة امينة موسلر (المانيا)

كان اول اتجاهها لفهم الاسلام — كما ذكرت — تلبية لرغبة ابنها الذى آمن بصحة هذا الدين ، وأعلن رغبته في اشهار ذلك ، وأهاب بها أن تقتدى به . فشعرت برغبتها الجدية في دراسة الاسلام . فاتصلت بامام مسجد برلين الذى شرح لها احكامه وقواعده ، فما لبثت أن اقتنعت بأنه الدين الحق الذى ترتضيه .

ثم قالت في النهاية (والان ما اسعدنى وأنا جده ، أن أستطيع أن أفاخر ، بأن حفيدي ولد مسلما ، والله يهدي من يشاء الى طريق مستقيم) .

في واحدة من أعظم التجارب الروحية المهمة :
التي حبا بها البشر .

ثم قالت (ان في زيارة موطن نشأة الاسلام ، وفي ارتداد امكة جهاد الرسول (صلى الله عليه وسلم) عندما دعا البشرية الضالة لتعود الى الله ، ان في ذلك بعثا لتلك الحياة المباركة في القلوب ، وحياء لذلك الجهاد الطويل الذى قام به محمد (صلى الله عليه وسلم) في سنوات الجهد والفداء والاستشهاد . وان في ذلك لاثارة للروح ليصيرها ذلك اللهب السماوى ، الذى اضاء أرجاء المعمورة جميعا) .

السيدة سيسيليا محمودة كانولى (استراليا)

ردت على التساؤل عن سبب اسلامها ، بأنها ما أسلمت في الحقيقة ، الا لانها كانت في قرارة نفسها مسلمة ، دون أن تعلم بذلك ، وتقصد بذلك أنها كانت مسلمة بفطرتها ، وباعتقادها وتصرفاتها ، قبل أن تتاح لها دراسة الاسلام .

وقد اتاح لها تلك الدراسة كتاب أحضرته ابنتها عنه ، وما أن قرأته معها ، حتى اتبعته بقراءة كتب كثيرة أخرى عنه ، وسرعان ما أدركنا أن الاسلام هو نفس العقيدة التي كنا نؤمن بها بالفطرة .

ولم يمض وقت طويل ، حتى بحثنا عن بعض المسلمين للاستئناس بأرائهم عن الأمور التي لم تكن واضحة أمامهما تمام الوضوح ، وهنا سقطت نهائيا تلك الاستار التي كانت تحجب عنهما نور الاسلام . وبعد تلك الدراسة قسرت وابنتها أن تعتنقا الاسلام رسميا ، وتسميتهما باسم رشيدة ومحمودة .

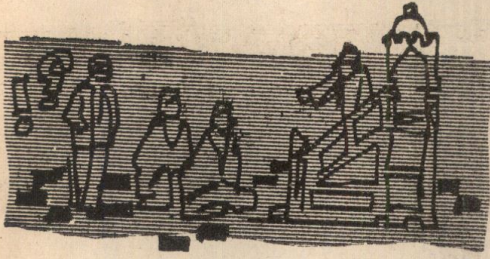
الآنسة فاطمة كازو (اليابان)

حدثت عن حالة القلق التي كانت تعانيها ، وهي تراقب — منذ الحزب العالمية الاولى — ذلك التدهور السريع في ايمان قومها بدينهم ، عندما أخذوا يالفون الحياة الأمريكية . فكانت تحس في أعماق نفسها بأن هناك شيئا ما قد فقدته معهم ، على أنها يادىء



الإفتاء • المرأة المسلمة
الرياضة
بريد القراء • بريد التعارف

□ MEV □



س ١ : من الطالب محمود عبد القادر عبيدة من
العتوة القبلية مركز قطور غربية :
يقول فيه :



(أ) هل يصح أن يقوم هو بخطبة الجمعة ؟ مع أنه
طالب ببعلوم الهندسة للسيارات وعمره ١٩ سنة ؟

(ب) ما هي صيغة عقد الزواج ، وشروطه ، وما
يبطله ، وزواج الجارية بدون عقد قران ؟

الجواب :

(أ) تصح خطبة الجمعة من كل من تصح منه
صلاتها وتعتقد به ، مادام محافظا على أركانها
وشروطها التي قررها العلماء ، على أن يراعى أن
تكون تلاوة القرآن الكريم تلاوة صحيحة ، وكذلك
الاحاديث النبوية ، وأنصح كل من يريد الخطابة أن
يخلص لله ويتعلم بالاداب والاخلاق الكريمة حتى تقع
موعظه من قلوب السامعين موقع القبول ، وحتى لا
يكون هناك نقد أو تجريح ، والله يتولانا جميعا بهداه
وتوفيقه .

١٩

انت
تسأل

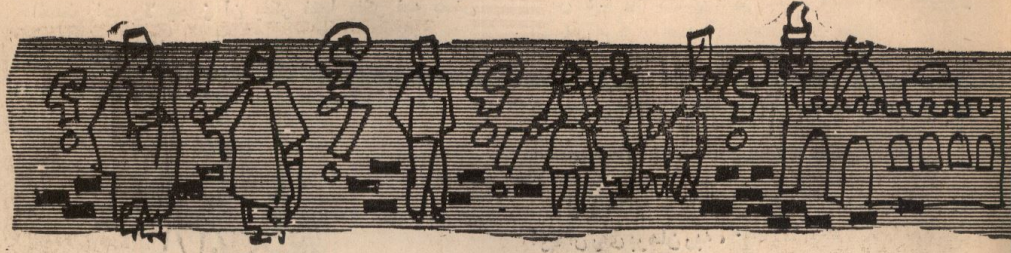


والحق

حبيب



فضيلة الإمام الأكبر
الشيخ محمد محمد الفحام



الجواب :

(أ) هذا الحديث يدل على ميزة لسيدنا موسى عليه السلام ، وأود أن أعرف السائل بأن الميزة لا تقتضى الافضلية ، فالميزات منح من الله يهبها لمن يشاء من عباده وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهو خاتم الانبياء والمرسلين وصاحب الشفاعة العظمى والمقام المحمود وصاحب الانعامات الكبيرة فى الاسراء والمعراج وغيرها من أنواع التكريم - حمله كرم أخلاقه وحرصه على السلام ، على أن يحذر الناس من الخوض فى الحديث عن تفاضل الانبياء وجاءت فى ذلك حوادث ونصوص كثيرة يكفى منها قوله صلى الله عليه وسلم : « لا تفضلونى على الانبياء » وقوله : « الانبياء أخوة من علات أمهاتهم شتى ودينهم واحد وأنا أولى الناس بعيسى بن مريم لأنه ليس بينى وبينه نبى » . وإذا كانت هناك انحرافات من اتباع بعض الاديان تجعل المسلمين على حذر منهم ورد عدوانهم أو الوقوف أمام ظلمهم فإن ذلك لا يعنى الانتقاص من أقدار الانبياء الذين ينتسب اليهم هؤلاء المنحرفون زورا ، فإن الانبياء جميعا أخوة واحترامهم جميعا واجب كما يقول الله تعالى : « لا نفرق بين أحد من رسله » .

(ب) اعلم أيها السائل ان على الجندي أن يبذل أقصى جهده فى الدفاع عن نفسه حتى لا يقع أسيرا الا بعد نفاذ كل وسيلة للخلاص من العدو ، فإن أسر كان عليه أن يحافظ على الاسرار الخطيرة التى يضر افشاؤها بمصلحة الدولة ، والكذب فى هذه الاحوال جائز فإن الحرب خدعة ، والاكره يرفع المسؤولية كما قال العلماء والله سبحانه يقول : « الا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان » . فليبذل الجندي غاية جهده فى الدفاع عن النفس وحفظ السر ، والضرورات تبيح

(ب) صيغة عقد الزواج تقوم على الايجاب والقبول بأية كيفية كانت ، وقد اشترط العلماء لصحة العقد شروطا من أهمها وجود شاهدين موثوق بهما ، وعدم وجود سبب محرم للزواج كقرابة ورضاع وتحقق الكفاءة بين الزوجين التى من أهم مظاهرها كفاءة الدين وأهلية الزوج للتعاقد بنفسه أو وليه الى غير ذلك من الشروط المذكورة فى كتب الفقه مع اختلاف بعض المذاهب فيها فليرجع اليها ، ومما يبطل عقد الزواج عدم وجود شرط من هذه الشروط .

وزواج الجارية بدون عقد وهو المتمتع بملك اليمين غير موجود الان فى أكثر البلاد الاسلامية بعد اتفاقية الغاء الرق ، فإن وجدت أمة متيقنة وحصل عليها انسان بالشراء أو الهبة أو أى طريق مشروع كان له المتمتع بها بملك اليمين دون حاجة الى العقد لان الملك أقوى منه .

س ٢ : سؤال من ع ١٠ ش ٠ الطالب يقول فيه :

(أ) قرأت فى صحيح البخارى حديث : « لا تخبرونى على موسى ، فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فإذا موسى بجانب العرش فلا أدري أكان موسى فيمن صعق فأفاق قبلى ، أو كان ممن استثنى الله ، هل هذه ميزة أخرى لموسى الى جانب انه كليم الله وهل هذا الحديث يعطى صورة مثالية لخلق الرسول صلى الله عليه وسلم ؟

(ب) ماذا يفعل المجاهد الحريص على الجنة حينما يحيط به العدو ويخشى أن يقع أسيرا فى أيديهم وربما تكون معه أسرار تجعله حريصا على عدم حصول العدو على شيء منها بوسائل التعذيب الصعبة ؟

المشهورات ولا يجوز أن يقنن فيما يفكر فيه بعض الناس من الالتجاء الى الانتحار خوف التعذيب الاستخراج الاسرار فان ذلك محرم أشد التحريم .



س ٣ : وجاء من س ٥٠ ع ٠ بالزقازيق سؤال يقول فيه انه عقد قرانه على بكر وطلقها قبل الدخول ثم عقد قرانه عليها وطلقها وهي حامل ، وبعد الوضع عقد عليها ثم قال لها : « أنت طالق أنت طالق » ويسأل هل لايد من المحلل . وهل الطلاق الاول يحسب عليه مع انه لم يدخل بها وهل عدم دخول المحلل بها يبيحها له ؟

الجواب :

ان الطلاق يقع على الزوجة المعقود عليها حتى قبل الدخول بها ، وواضح من كلام السائل انه طلقها ثلاث مرات ، ولهذا لا بد من المحلل حتى يمكنه أن يعقد عليها ويتزوجها مرة أخرى .

ويشترط في التحليل أن يكون مستوفيا لجميع الشروط المعتبرة في عقد الزواج خاليا من كل ما يفسده مما يلجأ اليه كثير من الناس الان كاشتراط مدة معينة واشتراط عدم المساس . . . ولا بد من أن يدخل بها الزوج الجديد دخولا شرعيا بالمباشرة الجنسية كما أمر الرسول بذلك في حادثة امرأة رفاعة القرظي التي أرادت أن ترجع اليه لان زوجها الثاني ليس عنده من القدرة الجنسية ما يرغبها في البقاء معه حيث قال لها « لا ، حتى تذوق عسيلته ويذوق عسيلتك » أي حتى يحصل الجماع ، وقد لعن النبي صلى الله عليه وسلم من يخلون بشروط الزواج للتحليل فقال : « لعن الله المحلل والمحلل له » .

□ ١٥٠ □

س ٤ : من حمدي عبد العظيم متحمداً من سالكين القماش مركز المنصورة - يسأل عن : -

(أ) صلاة القصر وشروطها ومساقطها وهل الأفضل هو القصر أو الإتمام اذا كان عنده الوقت الكافي للإتمام ؟

(ب) معنى قوله تعالى : « ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه » .

الجواب :

(أ) صلاة القصر هي أداء الصلاة الرباعية ركعتين ، وشروطها موضحة في كتب الفقه على اختلاف مذاهب العلماء فيها فليرجع اليها ، والمسافة التي تخول للمسافر القصر مختلف فيها بين الفقهاء وقد وردت في ذلك عدة روايات عن النبي صلى الله عليه وسلم وأقل مسافة ورد بها حديث هي ميل واحد أي ١٧٤٨ مترا ، ووردت رواية انها ثلاثة أميال ٨٠ كيلومترا جعل الفقهاء هذه المسافة حوالي ٨٠ كيلومترا واستثنى المالكية منها أهل مكة في موسم الحج فلم القصر على الرغم من عدم تحقق هذه المسافة .

وقال الاحناف : أن القصر واجب على المسافر ، ولا يجوز له الإتمام حتى لو كان قادرا عليه ، وقال المالكية انه سنة مؤكدة ، وقال الشافعية : انه جائز وهو أفضل من الإتمام أحيانا ، وكذلك قال الحنابلة .

وبهذا يعلم ان أغلب الاقوال في القصر رجحانه على الإتمام والله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه .

(ب) لا خلاف بين العلماء والمفسرين ان هم زليخا بيوسف كان معصية ، واما هم يوسف بها فقد اختلف العلماء في معناه .

وأقرب الاقوال الى الصحة ان يوسف لم يقع منه الهم بها لانه رأى برهان ربه وهذا مبنى على ان الهم مرتبة من فعل النفس كالعزم او يقاربه « فهذا يؤاخذ الله عليه ولم يعصم يوسف منه الا رؤيته لبرهان ربه » فقله : « وهم بها » جواب لولا .

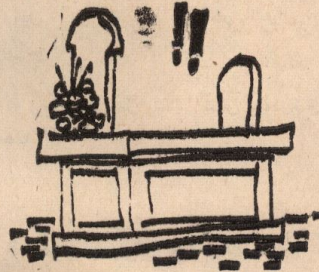
وقال جماعة ان الهم الذي قام به يوسف مرتبة من فعل النفس أقل من العزم كثيرا كالخاطر والهاجس

الذى يمن بالنفس سريماً ولا يستقر ، وهذا لا يؤاخذ عليه أحد لانه من لوازم النفس البشرية والتحرز منه عسير أو تكليف بما لا يطاق ، وقد جاء فى « الحديث » ان الله تجاوز لامتى عما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم به » وعلى هذا القول يكون هم يوسف قد حصل منه ولكن لا يؤاخذ عليه ، ولولا انه رأى برهان ربه لقوى هذا الهم وصار عزماً أو لحدث منه السوء ، فجواب « لولا » محذوف يدل عليه المقام ؟

واختلاف العلماء فى هذا الهم وجوازه على يوسف أو عصيته منه مبنى على اختلافهم فى كونه وقت هذا الحادث نبياً أو غير نبى ، وليس هناك دليل قاطع على ترجيح أحد الرايين ومهما يكن من شيء فإن المعصية لم تقع من يوسف على كلا التفسيرين للهم والرايين فى النبوة .

والبرهان الذى رآه يوسف لم يذكر عنه شيء فى القرآن يدل عليه صراحة والاقاويل فيه كثيرة لا تقوم على دليل مقنع ، ومن أحسنها - على ما جاء فى تفسير القرطبي - ما روى عن على رضى الله عنه أن زليخا قامت تستتر صنما حين همت بيوسف ، ولما سألها لماذا فعلت ذلك قالت : « استحي منه » فقال هو « أنا أولى أن أستحي من الله » .

ولو أمكن حمل البرهان على ما أحس يوسف فى قلبه من شناعة الفاحشة وسوء عاقبتها عند الله لانه محرم فى كل الأديان وهو من سلالة الأنبياء ، والبيئة المصرية التى يعيش فيها تحرمها أيضاً ، لو أمكن حمل البرهان على ذلك لكان واضحاً ، كما يمكن حمله على البرهان الاستدلالي الذى تحدثت به قبل الهم حين مراوحتها له « المأخوذ من قوله » معاذ الله انه ترى أحسن مثواى انه لا يفلح الظالمون « فهذا القول يبرهن على شناعة الخيانة لمن أحسن مثواه وهى ظلم لا يفلح به الظالمون .



س ٥ : وجاء سؤال من عظمة عبد الوهاب الجمل - الطالب بكلية المعلمين بجامعة عين شمس يقول فيه : - (أ) يقول بعض المقرئين : « ان الميت يحس بوجود الزائر له عند قبره ، فهل هذا صحيح ؟

(ب) استشهد قريب لى عن أم وزوجة وابن وبنتين هما نصيب كل ؟

الجواب :

(أ) ان احساس الميت بوجود زائر قبره من الامور الغيبية التى لا تعرف الا بالادلة القاطعة على أن ذلك ليس من العقائد المفروضة علينا فلا ينبغى الاهتمام به .

على أن العلماء قد استنتجوا من مشروعية السلام على الميت عند زيارة القبور ، كما ورد فى الاحاديث الصحيحة ، ان الميت يحس ويسمع والا لما كان هناك معنى لالقاء السلام عليه كما روى مسلم عن عمرو بن العاص أنه قال « اذا دفنتموني فأقيموا حول قبري قدر ما تنحر جزور ويقسم لحمها حتى أستأنس بكم وأعلم ماذا أراجع به رسل ربى » ومثل هذا الكلام لا يقال الا عن توقيف .

وقد جاءت أقوال كثيرة للعلماء فى أن للروح اتصالاً بالقبر وبالبدن كما نكره ابن القيم ويشهد هذا الاتصال فى أيام معينة من الاسبوع كالاثنين والجمعة وهنا يحس الميت احساساً أقوى بزيارة الناس له وملاهم عليه . . . والله أعلم . . .

(ب) والميراث يقسم على النحو التالى : للام السمس ، وللزوجة الثمن ، وللابن والبنتين الباقي مناصفة أى للابن مثل نصيب البنتين ، فلو كانت الاسهم مثلاً ٢٤ كان للام ٤ وللزوجة ٢ وللبن ٨ وللبنات ٨ .

س ٦ : من جندى مؤهلات : أبو المعاطي على جعفر ابراهيم بالوحدة ٩٩ ج ١٢ .

جاء فيه :

[١] ما حكم التشرع فى رجل نام عند صاحبه فاصبح جنباً ، فاذا طلب الاستحمام كان موضع الشك . . . فهل تجب عليه الصلاة فى هذا الوقت أو لا ؟

□ ٢٥١ □

الجواب:

أنه قد ورد في الصحيح عن حذيفة أنه صلى خلف النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة، فسمعه قرأ في الركعة الأولى - البقرة - ثم افتتح - النساء - ثم افتتح آل عمران - ثم ركع ٥٠ رواه مسلم وأحمد والذسائي .

قال القاضي عياض: أن ترتيب السور ليس بواجب في الكتابة ولا في الصلاة ولا في الدرس ولا في التلقين والتعليم، وأنه لم يكن من النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك نص ولا يحرم مخالفته .

ثم قال: ولا خلاف أنه يجوز للمصلي أن يقرأ في الركعة الثانية - سورة قبل التي قرأها في الأولى، وإنما يكره ذلك في ركعة، ولأن يتلو في غير الصلاة .

قال: وقد اتاح بعضهم وتناول نهى السلف عن قراءة القرآن منكوساً على من يقرأ من آخر السورة إلى أولها، ولا خلاف في أن ترتيب آيات كل سورة بتوقيف من الله تعالى على ما بنى عليه الآن في المصحف، وهكذا نقلته الأمة عن نبيها صلى الله عليه وسلم ١٠ هـ - من نيل الاوطار للشوكاني ج ٢ ص ٢٣٧ .

وبهذا يعلم أن مخالفة ترتيب المصحف في قراءة السور ليست محرمة، بل هي مكروهة فقط والكراهة مرتبة أقل من التحريم بمعنى أنها لا مؤاخذة عليها .

أما مخالفة الترتيب في قراءة الآيات فلم أر حديثاً عن النبي صلى الله عليه وسلم فيها بل الوارد إنما هو عن السلف، وقد جاء في نهاية ابن الأثير (مادة نكس) وفي حديث ابن مسعود قيل له « أن فلاناً يقرأ القرآن منكوساً، فقال: ذلك منكوس القلب قين: هو أن يبدأ من آخر السورة حتى يقرأها إلى أولها، وقيل: هو أن يبدأ من آخر القرآن فيقرأ السور، ثم يرتفع إلى البقرة ١٠ هـ .

وقد علمت أن الثاني ليس بمحرم والأول هو المنهى عنه .

س ٨: من مجدى السيد قمر - من صهرجت الصغرى - مركز إجا .

(ب) ما حكم الشرع في زواج رجل من فتاة رضعت مع شقيقته حوالى أربع مرات، وهو لا يعرف هل كانت متتالية أو لا؟

الجواب:

(أ) إذا علم المحتلم من صلته القوية وصداقته المتينة لصاحب البيت أنه لا يظن به سوءاً كان عليه أن يطلب الاستحمام للصلاة، أما إذا تيقن أنه يظن به سوءاً فإنه يستطيع بأسلوبه اللبق أن يطلب ذلك كأن يدعى أنه يريد النظافة لطول عهده مثلاً بالاستحمام أو يريد التبريد مثلاً من شدة الحر . . وذلك محاولة لصرف ذهن صاحب البيت عن الظن السيء على مثال ما قال العلماء للمصلي الذي يحدث أثناء الصلاة فإنه ينصرف منها واضعاً يده على أنفه لايهام الناس أن به رعافاً لا أنه أحدث في الصلاة .



على أن جماعة من العلماء قالوا: يجوز نه التيمم عند ضيق الوقت ويصلى حتى لا تفوته الصلاة، ثم يتصرف في الغسل بعد ذلك بطريقة تنقذه من هذا المخرج .

(ب) ما دامت هذه الفتاة لم ترضع خمس مرات متتالية بصرف النظر عن كونها متتالية أو متتابعة فإن الزواج بها جائز على ما هو المختار في الفتوى .

س ٧: من محمد عبد الحميد بيومي القصاص - من دسوق .

يقول فيه: ما حكم من صلى الجمعة وقد قرأ في الركعة الأولى آية من أول القرآن وآية من منتصفه؟ في الركعة الثانية على غير ترتيب المصحف، وهل يؤثر ذلك في أمامته، وما نص حديث من قرأ القرآن منكساً، وما هو التنكيس المنهى عنه والمتوعد عليه؟

□ ٢٠٢ □

يقول فيه :

[أ] ما هو سن البلوغ ؟ وهل يحاسب الله على السيئات والحسنات عند البلوغ ؟

(ب) ما هي الصلوات التي يخافت بها ويجهر ، وبيان الصلوات الخمس والركعات ، وهل يكون ذلك في صلاة الجماعة والمنفرد ، وهل يدخل ذكر الله في الجهر والمخافة ؟

(ج) جاء في حديث صلاة الاستخارة ودعائها قوله : إذا هم أحدكم بالامر فليصل ركعتين ٠٠ فما المراد بالامر هنا ، وهل هو الصلاة ، وهل يجوز أن تكون الصلاة سنة العصر مثلا ، وهل يكفي فيها صلاة الصبح والمغرب ، وما معنى ان كنت تعلم ان هذا الامر



شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أو في عاجل أمري وآجله فأقره لي ٠٠ وهل هذا (أو) فاصلة ؟

الجواب :

(١) يكون الشخص بالغاً اذا وصلت سنه خمس عشرة سنة ، او بلغ مبلغ الرجال ، ان كان ذكراً بالاحتلام او مبلغ الاناث ان كان انثى بالحيض ، فاي هذا يحدث يكون البلوغ وهو سن التكليف ومن هنا يبدأ احصاء اعماله لترتيب الجزاء عليها ، وما كان قبل البلوغ من السيئات فغير مؤاخذ عليه ، أما الحسنات فتوضع في صحيفتها تفضلاً من الله لانها

□ ٢٥٣ □

يطلب فيه حكم امامة المرأة وبيان المقصود من حديث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يزور أم ورقة في بيتها فاستاذنته في مؤذن فجعل لها مؤذناً ٠٠ وامرهما أن تؤم أهل دارهما ؟

الجواب

ان المرأة لا يصح لها أبدا أن تكون اماماً لرجل ٠ وذلك باتفاق العلماء ، أما ان تكون المرأة اماماً لامرأة فذلك جائز عند الأئمة ما عدا مالكا رضى الله عنه فلا يجوز امامتها مطلقاً حتى للنساء ٠ وروى البيهقي أن السيدة عائشة رضى الله عنها كانت تؤم النساء وتقف معهن في الصف وكانت أم سلمة تفعله ، والحديث المذكور في السؤال والذي رواه أبو داود والحاكم وابن خزيمة وصححه يدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم أذن لام ورقة أن تؤم أهل بيتها ، وهذا خاص بنساء أهل بيتها ولا يدخل فيهم الرجال ، فقد روى ابن ماجه عن جابر أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « لا تؤمن امرأة رجلاً لا فاجراً ولا مؤمناً » ٠



س ٩ : من إبراهيم أحمد أبو الحجاج - من الحضرة القبلية بالإسكندرية ٠

قربات أن لم تكن واجبة فهي على الأقل مندوبة على ما
رآه المحققون .

(ب) قال الله تعالى : « ولا تجهر بصلاتك ولا
تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا » قال بعض المفسرين
أن المراد بالصلاة هنا الدعاء بدليل الفقرة السابقة
عليها « قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياديا تدعوا فله
الاسماء الحسنى » والمراد أن يكون الدعاء وسطا بين
الجهر الذى يوقظ القائم ويزعجه أو يجر إلى الرياء
وبين الاسرار الذى لا يسمعه الداعى ويكون أشبه
بالهمس غير المفهوم . وهذا ما رواه مسلم .

وأخرج البخارى ومسلم أيضا عن ابن عباس أنها
نزلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم متوار بهكة
وكان إذا صلى بأصحابه ورفع صوته بالقرآن فإذا
سمع المشركون سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء
به ، فقال الله تعالى « ولا تجهر بصلاتك » فيسمع
المشركون قراءتك « ولا تخافت بها » عن أصحابك . أى
اسمعهم القرآن ولا تجهر ذلك الجهر وابتغ بين ذلك
سبيلا هو بين الجهر والمخافة .

وهذان السببان أصبح ما ورد فى نزول هذه الآية
وروى أحمد وأبو داود أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم من ليلة بآبى بكر وهو يصلى يخفض صوته ،
ومن بعمر وهو يصلى رافعا صوته ، فلما اجتمعا عند
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يا أبا بكر
مررت بك وأنت تصلى تخفض صوتك » فقال : يا رسول
الله قد أسمعت من ناجيت . وقال لعمر : « مررت
بك وأنت تصلى رافعا صوتك » فقال : « يا رسول الله
أوقظ الوسنان وأطرد الشيطان » فقال صلى الله عليه
وسلم : « يا أبا بكر ارفع من صوتك شيئا » وقال
لعمر اخفض من صوتك شيئا ولعل هذه الحادثة
كانت بعد نزول الآية فأراد النبى صلى الله عليه وسلم
أن يرشد بها إلى تطبيقها .

أما الصلاة المفروضة التى يجهر فيها فهي الصبح
والجمعة والركعتان الأولى من المغرب والعشاء ،
والتي يسر بها ما عدا ذلك وهي الظهر والعصر
والركعة الثالثة من المغرب والركعتان الأخيرتان من
المسلم .



والجهر يكون فى قراءة الفاتحة وفى السورة التى
تليها أما الأذكار والادعية فيها فهي سرية والذى يجهر
هو المنفرد وكذا الامام أما المأموم فهو يسر أبدا فى
قراءته ، والسنة فى ذكر الله خارج الصلاة التزام
الحد الوسط بين الجهر والمخافة ، وإن كانت المخافة
اعون على الاخلاص وأبعد عن الرياء ، « ادعوا ربكم
تضرعا وخفية » وإذا سالك عبادى عنى فإنى قريب
أجيب دعوة الداع إذا دعان .

(ج) وحديث صلاة الاستخارة الذى جاء فيه « إذا
هم أحدكم بالامر قليصل ركعتين من غير
الفريضة » . المراد بالامر هنا ما يعزم الإنسان أن
يفعله أو يفكر فيه ويريد أن يطمئن إلى نتيجته كسفر
وزواج مثلا . فعند الدعاء الماثور فى الاستخارة إذا
وصل إلى قوله « أن كنت تعلم أن هذا الامر يقوّل بدل
كلمة الامر : السفر أو الزواج - ويجوز ألا يصرح بما
يريد ويجعل ذلك مضمرا فى نفسه والله مطلع عليه .

وصلاة الاستخارة ركعتان نافلتان كما جاء فى
الحديث ، وقال بعض العلماء يجوز أن يكون الدعاء
بعد أى صلاة كانت من نفل أو فريضة . والأولى اتباع
ما ورد فى الحديث .

والراوى لدعاء الاستخارة عن النبى صلى الله
عليه وسلم شك فيما سمعه منه هل قال ؟ ومعاشى
وعاقبة أمرى ، أو قال « فى عاجل أمرى وآجله
والعبارتان مؤداهما واحد لأن المعاش يقصد به الدنيا
وهى عاجلة ، وعاقبة الامر يقصد بها الآخرة وهى
أجلة ولفظ (أو) شك من الراوى - وليختار الشخص
من العبارتين ما يشاء .

س ١٠ : ويقول الطالب عبد المتعم حسن سيد أحمد
بمدرسة فاقوس الثانوية شرقية :

إن اماما فى المسجد صلى الجمعة ودعا فيها
بقوله « اللهم منزل الكتاب ومجرى السحاب وهازم
الأحزاب أهزمهم وانصرنا عليهم؟ وغير ذلك من
الادعية التى أرشد الناس إلى المحافظة عليها فى
صلاة الجماعة فى كل فرض وكذلك فى صلاة
المنفرد - ويسأل هل يصح أن يجعل هذا الدعاء
بدل قنوت الصبح ؟



الكلمات التي تلقاها آدم

« عليه السلام »

اختلف أهل التأويل في الكلمات التي تلقاها آدم [عليه السلام] من ربه ذي الجلال والإكرام والتي وردت في قوله تعالى : « فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه أنه هو التواب الرحيم » .

فقال ابن عباس والحسن وتسميد بن جبير والضحاك ومجاهد [رضي الله عنهم] هي قوله :

« ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين » .

ومن مجاهد أيضا هي قوله [] : « سبحانك اللهم لا اله الا أنت ربى ظلمت نفسي فأغفر لى أنك أنت الغفور الرحيم » .

وستل بعض السلف عما ينبغي أن يقوله المذنب ؟ فقال : يقول ما قاله أبواه []

« ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين » .

وعن محمد بن كعب هي قوله []

« لا اله الا أنت سبحانك اللهم وبحمدك عملت سوءا وظلمت نفسي فتاب على أنك أنت التواب الرحيم . لا اله الا أنت سبحانك اللهم وبحمدك عملت سوءا وظلمت نفسي فأرحمني أنك أنت الغفور الرحيم . لا اله الا أنت سبحانك اللهم وبحمدك عملت سوءا وظلمت نفسي فأرحمني أنك أرحم الراحمين » .



الجواب :

إن الدعاء الذي دعا به الإمام يسمى دعاء النازلة وهو مستحب في الاوقات العصبية كالحرب والقحط والوباء مثلا ، ومحله في الركعة الأخيرة بعد الرفع من الركوع ، روى أبو داود أن النبي صلى الله عليه وسلم قنت شهرا متتابعاً في الصلوات الخمس في الاعتدال من الركعة الأخيرة يدعو على حى من بنى سليم رعل وزكوان وعصية ، لما قتلوا القراء والمصلون يؤمنون من خلفه .

وهذا الدعاء يصح في صلاة الجماعة والمنفرد في أى فرض من الفروض ، أما قنوت الصبح فهو يؤدى بأى كلام فيه ثناء ودعاء وذلك بأية صيغة تكون ، والدعاء الذى يسأل عنه السائل يشتمل على ثناء على الله فهو منزل الكتاب ومجرى السجاب وهمازم الاحزاب كما يشتمل على دعاء وهو ؟ أهزمهم وانصرنا عليهم ، وبهذا لا يجوز لاحد الاعتراض على من دعا بذلك ، وإن كنت لا أحب الاستمرار على صيغة واحدة وترك ما سواها ، فلتكن هناك أدعية بالمغفرة والتوفيق مثلا ثم يدعى بما يناسب الحالة الحاضرة . والله يتقبل من المتقين .

اسبعة ملايين شاب في بلدنا..

دعم القيم الروحية لدى الشباب ؟ فى جميع ميادينها
الرياضية .

سيمكن لقادة الرياضة ان يعدوا هذه الملايين
السبعة مليا ، وبنيا ، وثقافيا وعسكريا وقوميا ،
وهذه غاية ماترجو رعاية الشباب تحقيقه .

وهذه الملايين السبعة من شباب مصر ، لا تجمعا
هيئة واحدة .

وليس من الممكن ان تكون تابعة لهيئة واحدة . .
فمنها الطالب ، ورعايته مسئولة من وزارة التربية
والتعليم ، ومنها الفلاح ورعايته مسئولة من ادارات
رعاية الشباب بالاقاليم . . تلك التى تتبعها
الاندية الريفية والساحات الشعبية ، ومنها العامل ،
وهو مسئول من ادارات رعاية الشباب واتحاد
الشركات ، ومنها الموظف ، ومسئولية رعايته
رياضيا ، تقع على الاتحاد الرياضى للموظفين . .

لكن جهة واحدة ، تجمع كل الشباب فى داخلها
اذا اراد ، واذا زلت عقبات وصوله اليها ، وهى
الاندية ، التى اركز حديثى عنها اليوم ، لنعرف : كم
من هذه الملايين السبعة . . يقضى أوقاته فى الاندية ،
ويستفيد منها فى أيام عطلاته . .

الحقيقة أنها نسبة ضئيلة جدا ، وسببها فى
نظري : .

الشباب فى بلدنا قطاع هائل . . له أهميته
ولديه إمكانياته ، وهو مازال أفضل شباب العالم
اتزانا : وتعقلا : وميلا الى الدين . . وقد حدد
التربويون سن الشباب : بما بين الخامسة عشرة :
والثلاثين : وبنيت أجهزة رعاية الشباب فى العالم
اصول عملها : على دراسة كل الشباب الذين
تتراوح أعمارهم ما بين هذين الرقمين من ١٥ الى ٢٠
سنة .

وأهم الإحصائيات العلمية عن شبابنا تقول : ان
شبابنا على هذا الاساس يبلغ تعدادهم ٧٢٩٠٠٠٠
شابا ، أى بنسبة ٢٢٥ ٪ من مجموع عدد السكان
.. وهذا بلا شك يعكس أهمية الدور الذى يمكن
ان يلعبه الشباب فى تطوير المجتمع .

ومن هنا : كان الاهتمام بالشباب ضروريا
وكانت رعايته لازمة ، وكان لابد من الاستمرار فى
دراسة ظواهر صفاته ، وتحليلها ، بشكل يؤدى الى
المزيد الى رعايته على مختلف المستويات .

وهناك حقيقة يجب ان نؤمن بها ، ونحن نضع
برامج الشباب ، لكى يكون الهدف من رعاية الشباب
بناء قاعدة صلبة للامة ، واعداد قيادات المستقبل ،
ورجاله .

هذه الحقيقة هى ان نكرس الجهود فى العمل على

٨٠ شجرحم على اختيار الاندية؟

الأستاذة فاطمة سليم



١ - هناك اندية قد يبلغ اشتراك الاسرة فيها عشرين جنيتها سنويا ، وبعضها بضعة قروش .. كالمساحات الشعبية ، وتبعاً لذلك ، فليس من الممكن ان تتكافأ الخدمات التي تؤديها الاندية .. قد يجد المقادير حمام السباحة ، وقد لا يجد غيره ذلك !

٢ - أن الاندية ؟ تربط اشتراك الابن بالاسرة ؟ بعد سن السادسة عشرة ، مع ان الواجب ، أن يكون له اشتراك رمزي منفصل ، ليستطيع وحده أن يتعود الحياة الاجتماعية ، وتصبح الاسرة قادرة على سداد اشتراكه .. ومن الخطأ اننا نقبل في انديتنا اللاعب من أي سن بالمجان اذا توفرت فيه صفات تؤهله الى النبوغ ، بينما نهمل من يملك صفات كاملة ، أو من لا يجد الوسيلة التي يصل بها الى النادي مع أن رعاية الشباب يجب أن تكون شاملة ، فان غير النابغ في رياضة ما ؟ في حاجة ماسة الى الرعاية ؟ وممارسة النشاط أسوة بزميله ان لم يكن أكثر .

ولكننا في الحقيقة ، نلجس على الطبيعة اهتماما من الثورة بالمنشآت الرياضية ، فهي التي شجعت الهيئات على بناء الاندية ، وأنشاء الملاعب ، والعدائق ، واضرب لذلك مثالا واحدا من شوارع ولهد في القاهرة ، لقرى كم عدد الاحدية والمنشآت المزودة بالملاعب ؟

القائمة للهيئات انه شارع صلاح سالم .. حيث يبدأ من القلعة : وينتهي بشارع العروبة في مصر الجديدة هذا الشارع الواحد يضم من بدايته حتى نهايته هذه الاندية :

مركز شباب زينهم . نادى وزارة الحربية [مصطفى كامل] فى القلعة . ملاعب اتحاد الشرطة ملاعب شركة مياه القاهرة . ملاعب مدينة البعوث الاسلامية . استاد المدرسة العباسية . ملاعب العباسية بنات . استاد القاهرة . ملاعب المصانع الحربية . ملاعب نادى السكة الحديد بمدينة نصر . مدرسة مصر الجديدة الثانوية ، نادى الهولمتى . نادى الشعبية نادى الجلاء . نادى الطيران .

أكثر من ١٥ منشأة رياضية ، تابعة لهيئات مختلفة ، وكلها لم تمنع يوما في أن تكون انشطتها عامة لا خاصة ، للجميع ، وليس للخاصة .. وكلها تؤكد أن عندنا ملاعب ومنشآت كاعظم دولة في العالم ، لكن الوعى الرياضى فى الاسرة هو الذى مازال ينقصنا ..

ولقد تناولت هذا الموضوع فى هذا الوقت بالذات ، لان نصف عدد شبابنا أو أكثر .. وهو يقرب من أربعة ملايين ، من الطلبة ، سيفرغون من امتحاناتهم بعد أيام وكثير من أولياء الامور يعتقدون أن مهمتهم مع ابنائهم تنتهى بانتهاء الامتحان ، وهذا اعتقاد خاطئ بلانك ، فالمرحلة القادمة اخطر من المرحلة السابقة ، المرحلة القادمة يحتاج فيها الابن الى توجيهات والده ، ووضع قدمه على « عتبة » أى نادى لينتقله مدرب تربوى يصنع منه رجلا قويا يفيد الامة .. والمرحلة السابقة ، كان فيها الناظر مسئولا .. والمدرس مسئولا .. وهى مرحلة اصبحنا على وشك الانتهاء منها ..

عودوا ابناكم على ارتياد الاندية ، تضمنون لهم حياة اجتماعية راقية ، فيها التجربة والخبرة وممارسة الحياة .. ومنها يكتسب الصحة والنشاط ويطنن الى المستقبل ..

حركة اطوانات صوت القاهرة

تقدم

مجموعة كبيرة من اطوانات
القرآن المجود
للشيخ محمد رفعت . الشيخ محمد النازى
الشيخ محمد خليل الحصرى . الشيخ صديق المشاوي
أربع الألحان وأعزب الأغاني الدينية

المصنف المجود مسجله
على اطوانات ٣٣ لفة
رسمت الشيخ
عبد الباقى عبد الحميد
رباع كاملا وفى مجموعات بغير كم كبير

.....

أسماء الله الحسنى ..

أداء : النقشبندى عبد الفيوم عبد الغمام عبد رمضان و بدير

تباع بفرع صوت القاهرة ١٢ عمارة الكونتيننتال جديدا ١٠ شارع البورصة الجديدة بالقاهرة
٣٠ شارع كلية الطب بجوار سينما الامير بالاسكندرية ومعارف جاز / منير ليك ومجمع حوريت ببع اطواناتهم بفرع الخارج



عزّيزي القارئ

تحية اجلال واكبار وكلمات خالصة من الأعماق مبعثها الايمان وهدفها الالتقاء مع مشاعر امتنا العربية والاسلامية في يوم الانتصار لكارم الاخلاق والاعلاء من شان كرامة الانسان ومتطلباته في الحياة الحرة الكريمة التي تقوم اساسا واولا وقبل كل شيء على حرية التعبير والتفكير وايداء الراي في اطار المحبة والمودة والامانة والشرف .. كما تقوم على الترابط الوثيق بين الحاكم والمحكوم دون ما تسلط ولا استعلاء بعيداً عن الارهاب .

وخطت وتوهيت انها لاشك بالغة ما تريد ، وفاتها ان عين الله الساهرة ، وقلوب الامة الواعية ، اوحى الى زعيمها الذي يستلهم الله في كل خطاه ، وينبض قلبه بمشاعر امته متجاوبا في اخلاص وامانة وشهامة مع آملها وآملها يعمل لخيرها وأمنها ورفاهيتها وتأمين يومها ومستقبلها فضلا عن علمه التام بكل المعوقات التي كانت في أمسها .. أقول ، اوحى الى زعيمها بما تدبره هذه العصاة المتسلطة .. ومن ثم كان رده عليها مفحما ودحره لها قاطعا وكشفه اياها باننا مما جعل الشعب يخرج في مسيراته الخالدة يحوط الزعيم بروحه ويضمه بقلبه ويهتف بحياته لان في حياته حياة امة وفي بقائه دحر لكل مراكز القوى واحياء لكل ما هو اخلاقي وعظيم وتكريم لكل ما هو انساني وشريف وستظل هذه الوقفة الخالدة حديث المؤمن لآخيه : حوار الاديب لقلمه حينما يستلهمه الاصاله في الفكر والتعبير ، والقذوة الطيبة للمجاهدين والصادقين ، والمثل الأعلى للمواطن الامين ..

ومن خلال الانفعال تتجلى هذه المعاني الكريمة

وانتصاراً لسيادة القانون ودحرا لقوى البقي والعدوان الذين ضلوا فاضلهم الله واعى بصيرتهم فساروا في متهاتات الارهاب ورغعوا شعارات الزيف والمناورة وتمسحوا برداء المفاطنة والمؤامرة ، نسوا الله فانساهم انفسهم فباعوا بالخسران المبين والخزي المقيم في الدنيا والاخرة .

انها مصر الطيبة الخالدة، مصر المجاهدة المناضلة مصر الواعية المتحررة ، مصر الحضارة والانبياء ، موئل الاولياء الثقات وكعبة الاحرار ومنبت الخيرات والحضارات ، وزهرة البلدان من ارادها بسوء قسم الله ظهره .. ومن ثم كان ان افاء الله عليها من الزعماء المجاهدين من حقق لها العزة والسيادة والنصر

وانه السادات ابنها ابلار الذي حمل الامانة في ثقة واخلاص وعفة ونبل وشرف وشهامة اذهلت معازل القوى الخفية وزايلت افكارهم فطاش صوابهم واخذتهم العزة بالاثم فراحوا يمارسون اسلوبهم الشيطاني الخبيث اقل ما يوصف به انه غير شريف ، وهو تعبير الرئيس المؤمن الامين انور السادات في وصف هذه الفئة الشريرة التي ناورت وتآمرت

وتقول رابعة العدوية :

- عجبت لمن يفسل وجهه في النهار مرات ولا يقتل قلبه في السنة مرة واحدة .
- التهاون جائز الا في ثلاث . . . وطنك . . . وشرفك . . . ودينك .
- ان من يعجز عن معرفة نفسه فهو عن معرفة خالقه اعجز . .

عيد الوحدة

للاستاذ أحمد عبداللطيف حسب الله

المدرس بمدرسة كفر الدوار الصناعية

يامصر يا وطن المعالي بأسنا العزم الاكيد
عيشي بعيذك عيشة الاحرار رافعة البنود
يحمي سماءك فتية خطبوا الاماني كالاسود
يا عيد كم لك في القلوب مكانة الدم في الوريد
عشنا على فرح اللقاء بوحدة العمر المديد
يا فرحة تغشى الانام بذلك العيد السعيد

رسالة الجبهة

للمقاتل الاديب بشير محمد محمد بلال

تحية من عند الله مباركة طيبة . . ابعثنا من هنا .
من مكاني الذي اقف فيه مدافعا عن هذه المبادئ
السامية والقيم الرفيعة التي امنت بها وآمن بها
زملائي وآمن الشعب من خلفنا بها فكان لنا خير
سند . . من مكاني الذي اقف فيه متأهبا لقبلة نداء
الواجب . . نداء الحق . . والله سبحانه وتعالى
هو الحق . . من هذا المكان الطاهر ابعث بتحياتي
القلبية الخالصة نيابة عن زملائي الى كل العاملين
في مجلتنا المحبوبة « منبر الاسلام » فهي بحق المشعل
الذي يضيء لنا الطريق الى النصر بما تحوي من
معلومات قيمة . . منها الدينية والدنيوية والعلمية
والمسكينة بالاختصار فهي منبع الخصب الذي منه
ننهل ابواب المعرفة حتى نسلك طريقنا الى النصر
البين في ظل رئيسنا المفدى الزعيم البطل والقائد
الرجل انور السادات والمجلة اذ تشكر لادينا المقاتل
البطل هذه الروح الحربية الوثابة والنفحة الادبية
الخلابة تعاهده ان تظل دائما بعون الله رسول
محبه ، وسراجا منيرا ، وسلاحا بتارا لكل من تراوده
نفسه ان ينال من كرامتنا في الداخل والخارج . .
والنصر آت لا ريب فيه في ظل اتحادنا ، وزعيمنا
الساكن على امتنا ومقامتنا الرئيس انور السادات .
واقترحك محل بحث .

والمجلة يسرها ان تتلقى رسائل ابطالنا المقاتلين
على الجبهة . . وشكرا .

للشيخ الؤفة الخالدة لزمعتنا السادات قنبا يقدم عليه
من خطوات لاقامة المجتمع الصالح الذي يعيش يومه
من أجل غد كريم مجتمع تسوده المحبة والاخاء
والمساواة والاتحاد والعدل . . مجتمع الانتصار
لمعاني الألفة والامن والاستقرار وفكك الله يا زعيم
وأيدك الله يا قائد ، ونسرك الله يا أمين وسدد الله
خطاك يا رجل . . من أجل يومنا ، ومن أجل
اجيالنا وميراثنا ، ومن أجل اعلاء كلمة الحق ،
فالحق أحق أن يتبع .

فسر على بركة الله ترمك العناية وتحوطك
الامة من اقصاها الى اقصاها . . وعذك الله مفانم
كثيرة تأخذونها فمجل لكم هذه وكف أيدي الناس
عنكم ولتكون آية للمؤمنين ويهديكم صراطا مستقيما

صدق الله العظيم .

نداء على الجبهة

للاديب حمدي ابراهيم ابو الخير

المعهد العالي للتعاون الزراعي بالقاهرة

اضرب . . لكل ما ضحك المجل في ثراث الاقدمين
ناضل . . بكل شجى قد اثار ماضي الظافرين
اعمل . . بكل تاريخ مفر صاغ مجد المجاهدين
ازار . . بصوت الحق يهزم صرح الفاقلين
دافع . . لتحمي اطفالا هنيئا وقد تباكت من انين

قراءات حكيمة . . . ومختارات عظيمة
للاديب عبد الفتاح الصحن

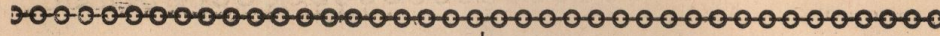
مدرس اول بمدرسة الميناء الشرقى بالاسكندرية
يقول في رسالة مطولة . . .

ما اسعد الانسان حينما يرتوى بالثقافة العلية . وما اجلها
من مشاعر واطهرها من عواطف . . تلك التي يشعر بها حينما
تتناول قراءاته بعض الحكم الدينية التي تصقل فكرة وتطيب نفسه
وتشبع رغبته الى التحلي بالمعرفة والزين بورد الثقافة الروحية .
والتمطر بعطرها المتعش الطيب ولقد كان لي شرف الارتواء ببعض
القراءات الدينية التي اتمشتني لهذا فقد جعلت موضوع رسالتي
بعض الحكم التي لو تفهمها القارئ بعمق وايمان لسرت في جسده
سريان الدم في العروق ومنها .:

يقول على بن ابي طالب

من اراد صاحباً . . فالله يكفيه ؟ ومن اراد مؤنساً
. . فالقرآن يكفيه ومن اراد الفنى . . فالقناعة تكفيه
. . ومن اراد واعظاً فالوئ يكفيه . .

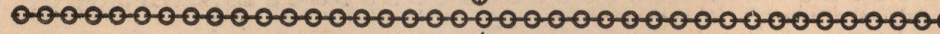
بريد التعارف



الاسم : بلحسن لقون
البلد : الجمهورية الجزائرية
السن : ١٩ سنة
المهنة : طالب بالمهند
الالكتروني
الهواية : المراسلة وتبادل
الصور
العنوان : ٢٧ شارع تلمسان
بهران



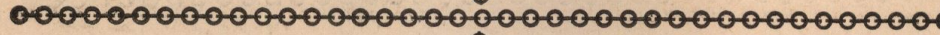
الاسم : عيسى ابو صديق
البلد : الجمهورية الجزائرية
السن : ١٧ سنة
المهنة : طالب ثانوي
الهواية : جمع الطوابع البريدية
والخطالة
العنوان : هي المنظر الجميل
[١٦] رقم ٧ القبة



الاسم : محمد حلمي مصطفى
البلد : الجمهورية العربية
المتحدة
السن : ٢٥ سنة
المهنة : طالب جامعي
الهواية : المراسلة وجمع
الطوابع
العنوان : كلية التجارة جامعة
عين شمس القاهرة



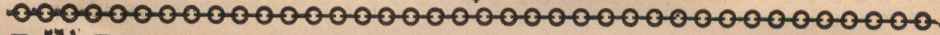
الاسم : جاك الكريم سيد علي
البلد : الجمهورية العربية
المتحدة
السن : ٢٣ سنة
المهنة :
الهواية : المراسلة وتبادل
الهوايا وقراءة الكتب
الفنية
العنوان : ٥٢ شارع هادي
يوسف بالقاهرة امبابه



الاسم : احمد هونيل
البلد : الجمهورية الجزائرية
السن : ١٩ سنة
المهنة : طالب بالمعهد الاسلامي
الهواية : مطالعة الكتب والمجلات
الاسلامية
العنوان : بلدة طشارق بن
زياد [١] حاريو [١] ولاية
الاصنام



الاسم : محمد ابو القاسم
عباس
البلد : الجمهورية الجزائرية
السن : ١٩ سنة
المهنة : طالب
الهواية : المراسلة القراءة
وتبادل الصور
والقناطر الطبيعية
العنوان : فندق عيساني ادير
رقم ٢ البلدية
الجمهورية الجزائرية



الاسم : إبراهيم محمدمشعان
 البلد : الجمهورية العربية
 المتحدة
 السن : ٢٠ سنة
 المهنة : طالب جامعي
 الهواية : المراسلة وتبادل
 الصور
 العنوان : المنصورة - القاصرية
 ٣ شارع أبو دبوس



الاسم : علي حنفي احمد
 البلد : الجمهورية العربية
 المتحدة
 السن : ١٩ سنة
 المهنة : طالب
 الهواية : القراءة والمراسلة
 العنوان : ٧٠ شارع القصر
 المعني



الاسم : بوخلف بلقاسم
 السن : ١٨ سنة
 البلد : الجمهورية الجزائرية
 المهنة : طالب ثانوي قسنطينة
 الهواية : المراسلة وتبادل
 القائط
 العنوان : تظلال بلدية لكويت
 عن طريق أويش ولاية
 باقته الأورامي



الاسم : يعقوب برك بالشمع
 البلد : جمهورية اليمن
 الديمقراطية
 السن : ١٤ سنة
 المهنة : طالب
 العنوان : تريم الخامسة المديرية
 الشمالية



الاسم : بشير محمد محمد
 بلال
 البلد : الجمهورية العربية
 المتحدة
 السن : ٢٢ سنة
 المهنة : بالقوات المسلحة
 الهواية : التصوير والمراسلة
 العنوان : محافظة البحيرة -
 أمكو



الاسم : محمد الصفيان الاتوان
 البلد : الجمهورية الجزائرية
 السن : ٢١ سنة
 المهنة : معلم
 الهواية : المراسلة وتبادل الآراء
 العنوان : ١ - شارع الأخوين
 مسلم



الاسم : السيد ظهير السيد
 البلد : الجمهورية العربية
 المتحدة
 السن : ١٦ سنة
 المهنة : طالب بغاتوس القانوية
 الهواية : كتابة الشعر -
 الاطلاع الديني
 العنوان : القسروط فاقوس
 شرقية



الاسم : رويبي محمد العربي
 البلد : الجمهورية الجزائرية
 السن : ١٨ سنة
 المهنة : طالب بلقونية بيفرك
 الهواية : المراسلة وجمع القائط
 والطوايع
 العنوان : قرية عصفور نهج
 الأمير عبد القادر



نص الحديث التاريخي الهام الذي وجهه السيد الرئيس أنور السادات
إلى الشعب في ١٤/٥/١٩٧١

مع السيد الرئيس أنور السادات في مجلس الشعب في ٢٠/٥/١٩٧١.

الاستاذ عبد الحليم الجندي	بجنح العلم والاميان
بقلم المستشار محمد المستار آدم	لص الخزانة
الدكتور محمد مصطفى عيسى	ارادة الجماهير من ارادة الله
الاستاذ احمد حسين	تفسير سورة نوح
فضيلة الشيخ عبد الجليل ميسى	انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون
الدكتور احمد الحوي	معاني الارض في القرآن الكريم
الدكتور عبد الغنى الراجحي	براعة الاستهلال وروعة الاساليب
الدكتور احمد الشرباصي	من اخلاق القرآن (التوسط)
فضيلة الشيخ عبد الحكيم سرور	بشارة النصر
فضيلة الشيخ عبد الفتاح القاضي	مصدر القراءات الوحي لا الرسم
دكتور احمد المجذوب	نظريات من الفقه الجنائي الاسلامي
دكتور بدوي طبانة	شجاعة الايمان
الاستاذ احمد زين	الطريق الى الله
فضيلة الشيخ محمود احمد هاشم	من قصص السنة (الشهيد)
الدكتور محمد عبد المنعم القيمي	الزكاة وانزها في الفرد والمجتمع
الاستاذ عبد المنعم المغربي	الرحمة في الاسلام
الاستاذ محمد دياب	ساعات في حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم
دكتور محمد سعاد جلال	من اصول السنة (خبر الواحد والقياس)
فضيلة الشيخ عبد الحميد بليغ	من اخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم
فضيلة الشيخ محمد الياصيري	من مظاهر الايمان بالله تعالى
دكتور عز الدين علي السيد	دقة التشبيه في البيان النبوي
دكتور عبد الستار الحلوجي	ضرورة حياة
الاستاذ حسن كامل الملطاي	الصوفية في الهامهم
فضيلة الشيخ محمد خاطر	من احكام الشريعة الاسلامية وآدابها
الشيخ محمد حافظ سليمان	العبادات المخلصة
الدكتور عبد الله محمود شحاته	تاريخ الفقه الاسلامي
الاستاذ احمد وافي	مناع الحياة الدنيا بين الحلال والحرام
دكتور مصطفى الراعي	مفتربات مستشرق غاشم
دكتور احمد يونس سكر	الاسلام والصحة النفسية
الاستاذ مهدي عبد الحميد مصطفى	مع الشهداء
الاستاذ محمود السعيد الطنطاوي	الاسلام دين الفطرة
١٥٦ ١٥٧ ١٥٨ ١٥٩ ١٦٠	بقية حديث السيد الرئيس السادات الى الشعب

■ الفقه - التشريع - الابحاث
- الدراسات الصوفية في الاسلام

■ الاتحاد والجهاد

فضيلة الشيخ محمد فايد	سبيل المؤمنين الى النصر
الاستاذ محمد ابراهيم الخطيب	التيار العربي الوجدوي
فضيلة الشيخ عطيه مقرر	القرآن وصوت المعركة
الاستاذ علي عزت القاضي	امة الجهاد
فضيلة الشيخ محمد الحسيني خليل	الجهاد المقدس في المعركة
دكتور احمد السيد الكومي	الجهاد في الاسلام
المستشار محمد كمال الجرف	فريضة الجهاد
سيادة الاستاذ مبشر الطرازي الحسيني	الجهاد والجندي في تعاليم الاسلام
فضيلة الشيخ معوض عوض ابراهيم	بين الوحدة
المستشار مصطفى فاضل	الوحدة العربية

١٤٤ . الأستاذ قاسم غالب أحمد
 ١٤٨ . الدكتور أحمد علي أسماعيل
 ١٥٢ . الدكتورة سعاد ماهر
 ١٥٥ . الدكتور عبد الرحمن نبسى
 ١٦٠ . الشيخ حسن صالح
 ١٦٢ . الدكتور علي حسنى الخربوطلى
 ١٦٤ . الأستاذ على الجندى
 ١٦٦ . الأستاذ حسن فتح الباب
 ١٦٨ . الشاعر محمد حليم حامد غالى
 ١٧٠ . الأستاذ عبد السلام الشاذلى القوصى
 ١٧٢ . الأستاذ محمود أبو الفيض الخنوي
 ١٧٤ . فضيلة الشيخ الصاوى شعلان ح
 ١٧٦ . فضيلة الشيخ محمد خليل الخطيب
 ١٧٧ . رينورتاج خاص اعداد : يسرى مخلوف
 ١٨٥ . تقديم نؤاد هيبه
 ١٨٨ . تحقيق اعداد : السيد محبوب الميرغنى
 ١٩٢ . الشاعر أحمد عثمان الراغى
 ١٩٣ . الأستاذ محمد العلوى
 ١٩٤ . الأستاذ على الجبلاطى
 ١٩٦ . الشاعرة روية القلبنى
 ١٩٧ . اعداد : محمد أبو حطب
 ٢٠٢ . الشاعر أحمد مير هاشم

٢٠٤ . الأستاذ محمد حسن عبد العزيز
 ٢٠٦ . الأستاذ عبد المقصود حبيب
 ٢٠٨ . الأستاذ محمد ناوى عسر
 ٢١١ . الأستاذ صلاح عزام
 ٢١٣ . فضيلة الشيخ زكى حسن السيد
 ٢١٥ . الأستاذ عبد السلام داود
 ٢١٧ . الأستاذ سعد عبد السلام حبيب
 ٢١٩ . الدكتور محمد عبد القادر عبد الناصر
 ٢٢٢ . الأستاذ عبد الحكيم النجار
 ٢٢٤ . الأستاذ جودة محمد أبو يزيد المهدى
 ٢٢٩ . الأستاذ عبد المنعم حمادة
 ٢٣٥ . الأستاذ سعيد زايد

٢٤٠ . الدكتور عبد الصليم منتصر

٢٤٤ . عرض الأستاذ ابراهيم الفحام

٢٤٨ . فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد الفحام
 ٢٥٦ . الأستاذ ناصف سليم
 ٢٥٩ . اعداد : نؤاد هيبه
 ٢٦٠ .

.
 المسلمون والجغرافيا
 الحضارة الإسلامية فى الهند
 روائع فنية من عمائر القاهرة الدينية
 الإسلام والحركة
 الجامع والحياة العامة
 قطوف
 التزعة الانسانية فى العروبة والإسلام
 من وصية لقمان لابنه
 أيها الولد
 اقياس من التور ولحات من المعرفة
 الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
 النظم البدیع الأسنى
 جولة (منير الإسلام) فى محافظة الدقهلية
 قراءات وطرائف
 التشريعات العمالية فى الإسلام
 نشيد الجهاد (شعر)
 القشاطر الإسلامى فى بلجيكا
 رعاية الطفولة فى الإسلام
 ادعوك ضاربة
 لقاء مع الدكتور جعفر شهيدى
 نداء على طريق الجهاد (شعر)

الشهيد أبو الشهداء على بن أبى طالب
 اعظم النساء خديجة (رضى الله عنها)
 عمار بن ياسر
 قيس بن سعد بن عبادة
 سعد بن معاذ
 امام الاغتراب (أبو ذر)
 عمالة وأبطال
 زين الدين الخوافى الهروى
 ابن حبان
 من اعلام الصوفية مالك بن دينار
 الكندى وفلسفته
 على مبارك

التراث العلمى العربى

لماذا اسلمنا - مجموعة مقالات لتحية من رجال الفكر

انت تسال والحقى يجيب
 ٧ ملايين شاب فى بلدنا
 مع القراء
 التمسارى

■ التاريخ الإسلامى

■ فكر وفن

■ باب الاعلام

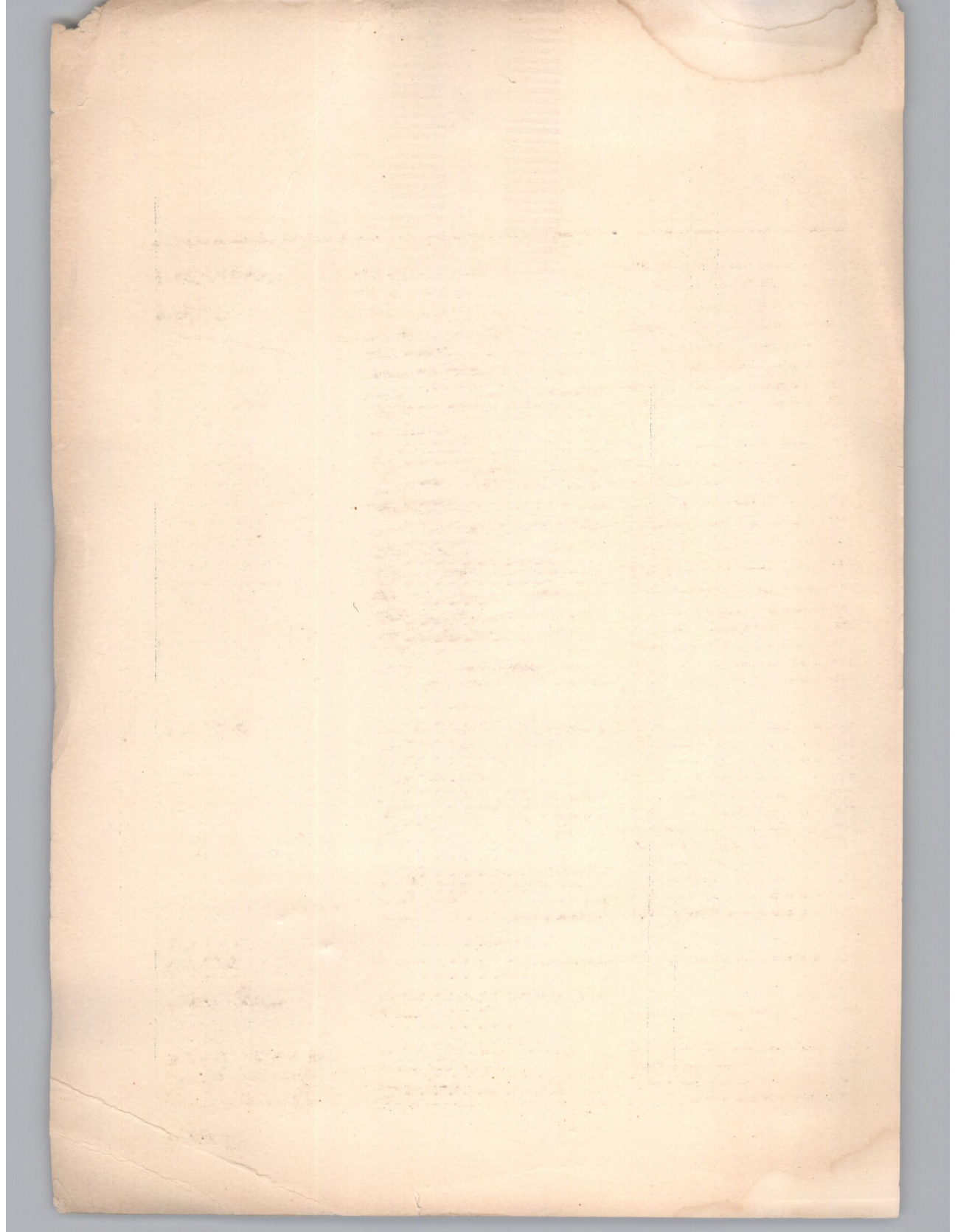
■ باب العلم

■ المكتبة الإسلامية

■ الافتاء - الرياضة -

■ المرأة المسلمة

■ القراء - التعارف



المجلس الأعلى للشئون الإسلامية



كمايسر
المجلس الأعلى
للشئون
الإسلامية

لجنة القرآن الكريم

تزداد على رغبة المواطنين واستجابة لطلبات
والخطابات التي وردت للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية
من السفارات والرياسات المختلفة والجمعيات الإسلامية في قارة إفريقيا
وأسيا وبعض دول أوروبا وأمريكا اللاتينية

يسر لجنة القرآن المرتك أن تعلن عن بيع :

اسطوانات القرآن المبرتل

رواية حفص عن عاصم

بالفردوس الفاخر :	٧٩٦	مشم	٢٣	حنيه
بالفردوس العادي :	٣٢٢	مشم	١٩	حنيه

٤٤
اسطوانة
سرعة ٣٣ لفة
في الدقيقة

رواية ورش عن نافع

التمت	١٥٠	مشم	٣٥	حنيه
-------	-----	-----	----	------

٦٨
اسطوانة
سرعة ٣٣ لفة
في الدقيقة

أنت يعلن عن بيع مطبوعات

باللغة العربية واللغات الأجنبية

١. مطبوعات
لجنة القرآن والسنة
٢. مطبوعات
لجنة موسوعة الفقه الإسلامي
٣. مطبوعات
لجنة إحياء التراث الإسلامي
٤. مطبوعات
لجنة إحياء أمهات كتب السنة
٥. مطبوعات
لجنة التعريف بالإسلام

خصم خاص للمؤسسات والهيئات والمكتبات

مقر البيع الوحيد بالقاهرة
٣ : شارع الأمير قنديل
فئة محلة جرجة ميدان التحرير بالقاهرة
مواعيد العمل :
من ٩ صباحا إلى ٤ ظهرا
ومن ٦ مساء إلى ٨ مساء

كمايسر اللجنة أيضا أن تعلن عن بيع مجموعة اسطوانات تعليم
الصلاة باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية والأوردية والسواحلية

المجموعة تحتوي على
الاسطوانة الأولى : شاملة الأركان
الاسطوانة الثانية : تشمل كيفية الوضوء
والخمس اسطوانات الأضحية :
على كل اسطوانة صلاة من الصلوات الخمس وأمام
كل اسطوانة كتيب يشرح كل فريضة بالخط والصور .
التمت ٥٠ مسود قريشا

٧
سبع اسطوانات

القاهرة : مخازن القرآن المرتك ٧٦ شارع الجمهورية ت : ٩١١٧٠٨
العنوان : الإسكندرية : فرع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ٤٢ به سعد زغلول ٧٨٣٤
مواعيد البيع : من الساعة ٩ صباحا - ٤ مساء ومن ٥ - ٩
مساء أيام الجمع والعطلة والرمضان
مطابع الأهرام التجارية